المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

المسائل العقدية في كتب رحلات الحج العربية

من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر الهجري

عرضًا وتقويمًا

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم
العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد الطالبة:
وفاء بنت عبد الله بن محمد الدامغ

إشراف الدكتور:
فهد بن سعد بن إبراهيم المقرن
الأستاذ المشارك في قسم
العقيدة والمذاهب المعاصرة

١٤٣٢-١٤٣٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

فهذا ملخص رسالة علمية بعنوان: المسائل العقدية في كتب رحلات الحج العربية من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر الهجري عرضًا وتقويمًا، لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، من إعداد الطالبة: وفاء بنت عبد الله الدامغ.

ومن أهم أهداف الرسالة: ذكر المسائل العقدية الموجودة في كتب رحلات الحج -محل الدراسة- وعرضها، وتوجيه النقد الشرعي لها.

وقد اشتملت الرسالة على: مقدمة، وتمهيد، وستة فصول، وخاتمة، ثم فهارس.

أما المقدمة ففيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وخطته.

وفي التمهيد: التعريف بأدب الرحلات إلى الحج وأهميتها، ونبذة مختصرة عن أحوال الأمة الإسلامية في القرن الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر الهجري.

وأما الفصل الأول ففيه: التعريف بكتب ومؤلفي رحلات الحج العربية في القرن الحادي، والثاني والثالث عشر الهجري.

وأما الفصل الثاني ففيه: توحيد المعرفة والإثبات وأدلته، والمسائل المتعلقة به من كتب الرحلات محل الدراسة، وتقويمها.

وأما الفصل الثالث ففيه: توحيد القصد والطلب وأدلته، والمسائل المتعلقة به من كتب الرحلات محل الدراسة، وتقويمها.

وأما الفصل الرابع ففيه: سائر أصول الإيمان، من الإيمان بالملائكة، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، والمسائل المتعلقة بها من كتب الرحلات محل الدراسة، وتقويمها.

وأما الفصل الخامس ففيه: الإمامة، والصحابة، والإيمان، والمسائل المتعلقة بها من كتب الرحلات محل الدراسة، وتقويمها.

وأما الفصل السادس ففيه: الفِرق، والديانات، والمسائل المتعلقة بهما من كتب الرحلات محل الدراسة، وتقويمها.

ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات؛ ومن أهم النتائج: أن كتب الرحلات إلى الحج تميّزت بمادة علمية وفيرة في فنونٍ شتى من علوم دينية، وتاريخية، واجتماعية، وغيرها، إلا أنها اشتملت على كثير من المخالفات العَقَدِية التي أوجبت دراستها لتقويمها وتنقيحها مما شابها من هذه المخالفات، ومن النتائج أيضا بيان الأثر البالغ العظيم الذي أثمرته دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– في العالم الإسلامي، فانتشرت عقيدة السلف، واندثرت معالم الشرك ومظاهر البدع.

ومن أهم التوصيات: بذل مزيد من الجهود الدعوية لتوعية الحجاج والمعتمرين، فيما يخص عقيدتهم، وأمور دينهم، والاهتمام بدراسة بقية كتب رحلات الحج العربية والمترجمة؛ لتقويم مسائلها العقدية على ضوء الكتاب والسنة، وعقيدة سلف الأمة.

وأخيرًا: الفهارس العلمية العامة.

المقدمة

وتشتمل على ما يلي:

أهمية الموضوع.

أسباب اختيار الموضوع.

الدراسات السابقة.

أهداف الموضوع.

منهج البحث.

خطة البحث.

إن الحمد لله نحمده ونستعينهُ ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرا.

أما بعد:

فقد خلق الله تعالى الخلق لغاية عظيمة، وهي عبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وأساس العبادة التوحيد، فلا تصح عبادة إلا به، وهو دعوة جميع الرسل عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فبعث الله الرسل تترى، كلما ضلت أمة بعث إليها رسولاً، يدعو العباد إلى توحيد الله وحده وإفراده بالعبادة، وما ذاك إلا لأهمية التوحيد وعِظَم أمره.

فالله تعالى إنما شرع العبادات من أجل تحقيق التوحيد، ومن أعظم العبادات التي يتحقق من خلالها توحيد الله والخضوع له: عبادة الحج، بل إن الحج من أوله إلى آخره، وفي جميع شعائره توحيد وإخلاص لله ﷻ، فإن الله قد أمر بأداء عبادتَيْ الحج والعمرة خالصتين، قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة : ١٩٦]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، فلبى المسلمون واستجابوا لهذا الأمر الإلهي، والتشريع الرباني، فرحلوا من بلادهم إلى البيت العتيق موحدين وملبين تلبية إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٧]، وكذا تلبية الرسول المصطفى ﷺ: ((لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك))[1].

(١) أخرجه البخاري كتاب: الحج، باب: التلبية (٥٦١/٢) ح(١٤٧٤)، ومسلم كتاب: الحج، باب: التلبية وصفتها ووقتها (٨٤١/٢) ح(١١٨٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وتوالت الرحلات جيلاً بعد جيل، فكان منهم الرحالة الذين ألّفوا رحلاقم في وصف طريق الحج ومشاعره وشعائره، مما شاهدوه أو عملوه أو سمعوا عنه.

وإنّ الناظر في هذه الرحلات يجد أن مؤلفيها قد ذكروا مسائل عقدية تباينت قربًا وبعدًا من العقيدة الإسلامية الصحيحة المستقاة من الكتاب والسنة.

ولأجل هذا الأمر فقد رغبت في أن أتناول هذه المسائل العقدية بالعرض ثم التقويم، وذلك في موضوع بحث أقدّمه لقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة لنيل درجة الماجستير بعنوان:

المسائل العقدية في كتب رحلات الحج العربية
من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر الهجري
عرضًا وتقويمًا.

وأسأل الله الإعانة والتوفيق.

أهمية الموضوع:

١- إن أهمية هذا الموضوع تكمن في أهمية التوحيد، وأنه هو الأساس الذي تُبنى عليه جميع الأعمال، بل هو أعظم عمل أطيع الله به؛ فقد جعل ثوابه دخول الجنة والخلود فيها، وخطورة ما يُضاد التوحيد وأن الشرك أعظم الذنوب عند الله وأشنعها على الإطلاق، وهو الذنب الوحيد الموجب للخلود في النار، ولا يغفره الله إلا بالتوبة.

٢- أن كتب الرحلات إلى الحج تعد من أوفى المصادر؛ بل وأشملها فيما يتعلق بالحجاز خاصة، والبلدان الأخرى عامة، من النواحي التاريخية والاجتماعية، والاقتصادية والثقافية، والجغرافية.

٣- أن كتب الرحلات لها مكانتها الخاصة في الأدب، وهو ما يسمى بأدب الرحلات، وهو فن معروف، له سماته وخصائصه المتميزة، وأسلوبه الشيق وصبغته السلسة؛ مما سهّل تناولها وسرعة تأثر الناس واستجابتهم لما فيها، فكيف والرحلة إلى بيت الله العتيق الذي تهفو إليه القلوب!!.

٤- أن الحج اجتماع ومحفل عالميّ، يلتقي فيه المسلمون على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم، إذ قد يفتتن بعضهم بفعل بعض؛ مما يؤكد أهمية الدعوة إلى التوحيد والعقيدة الصحيحة، والتحذير من الانحرافات العقدية التي قد تقع في الحج والرحلة إليه.

أسباب اختيار الموضوع:

١- أن هذه المرحلة التاريخية تتميّز بما يلي:

أ- زيادة انتشار الجهل بكثير من أمور العقيدة الإسلامية الصحيحة، وانتشار الشركيات والبدع بين المسلمين في سائر البلدان الإسلامية.

ب- تزامنها مع ظهور دعوة المجدد الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله- حيث يتبين مدى الحاجة الشديدة لمثل هذه الدعوة؛ لإصلاح ما فسد من عقائد المسلمين.

ج- مدى الأثر الكبير المبارك، لقادة الدولة السعودية بمراحلها الثلاث، في إزالة المظاهر الشركية والبدعية في بلاد الحجاز خاصة.

د- تعد هذه المرحلة أقرب فترة تاريخية إلى عصرنا الحاضر، فغالب ما في كتب رحلات الحج من مسائل عقدية لا تزال موجودة في عقائد بعض المسلمين.

هـ- تعد هذه المرحلة فترة زمنية مهمة عند المؤرخين؛ كونها بداية للعصر الحديث.

و- تعد هذه المرحلة الفترة الزمنية التي ازدهر فيها أدب الرحلات، في الوقت الذي اعترى الجمود مختلف الجوانب الثقافية، منذ القرن الحادي عشر حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري.

٢- أغلب مؤلفي هذه الرحلات ممن ينتسب إلى العلم الشرعي، فهم محل قدوة في مجتمعاتهم، ويظن القارئ لها أن ما فيها هو من الإسلام؛ بل وعظمت المصيبة حين عد الناس مظاهر الشرك والبدع دينًا يتقربون بها إلى الله.

٣- عناية المهتمين بالتاريخ والأدب لكتب الرحلات إلى الحج، من إعادة طبعها وتحقيقها واختصارها، والدراسات المتنوّعة لها، وترجمتها إلى عدة لغات، دون تصحيح ونقد واهتمام بالجانب العقدي، وإن نشرها بهذه الحال، بما فيها من مخالفات عقدية، نشرٌ للباطل والجاهلية التي تجب محاربتها.

٤- خلو المكتبة الإسلامية من مؤلَّف مستقل في دراسة المسائل العقدية في كتب الرحلات إلى الحج.

الدراسات السابقة :

لم أجد -بعد البحث والتتبع- في مراكز المعلومات، والجامعات، ومحركات البحث دراسة اختصت بتناول المسائل العقدية في كتب الرحلات إلى الحج.

أما الدراسات التي تناولت المخالفات العقدية في الحج فمن أبرزها:

١- (مظاهر الإيمان في الحج وظواهر الانحراف فيها) للدكتور/ محمد الفوزان.

رسالة دكتوراه من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى.

وتقع في (٦٠٠) صفحة، جمع الباحث مادة بحثه من كتب العقيدة والتفسير والحديث والفقه والمناسك والتاريخ، وقد ذكر الباحث شيئًا يسيرًا جدًّا مما في بعض كتب الرحلات إلى الحج من انحرافات؛ فلم يتناول إلا طرفًا من كتب الرحلات، ولم يخص ما فيها من مسائل عقدية بدراسة.

٢- (الآثار والمشاهد وأثر تعظيمها على الأمة الإسلامية) للدكتور/ عبدالعزيز الجفير.

رسالة ماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى.

وتقع في (٤٠٠) صفحة، وقد كتب الباحث عن تعظيم الآثار عند الأمم قبل أمة محمد ﷺ، وعند الفرق التي تنتسب للإسلام، ونماذج من الآثار والمشاهد في القرآن الكريم والسنة النبوية، وموقف السلف وتطبيقاتهم للأحكام الشرعية على الآثار؛ ولكنه لم يتناول ما جاء في كتب الرحلات إلى الحج من تعظيم الآثار والمشاهد.

٣- (المخالفات العقدية المتعلقة بالحج) للدكتور/ أحمد المزيد.

بحث محكَّم صادر عن مركز بحوث كلية التربية بجامعة الملك سعود سنة ١٤٢٦هـ.

ويقع في (١٠٠) صفحة، وقد جمع الباحث فيه المخالفات العقدية التي تكون لبعض الحجاج في موسم الحج، وبين مخالفتها للدين من خلال النصوص الشرعية وكلام أهل العلم، فهو-أي البحث- يتعلّق بزمان ومكان مُحددين في زمن الحج ومكانه؛ ولكنه لم يتناول كتب الرحلات إلى الحج، وما دوَّنه فيها أصحابها من انحرافات عقدية تصوّر

حياة المسلمين ممزوجة بالبدع، مليئة بالخرافات، فيتوجب علينا عرضها وتقويمها على ضوء الكتاب والسنة.

أهداف الموضوع:

١- حماية جناب التوحيد والاعتقاد الصحيح، الموافق لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٢- ذكر المسائل العقدية الموجودة في كتب رحلات الحج -محل الدراسة- وعرضها، وتوجيه النقد الشرعي لها.

٣- تصحيح المفاهيم لدى من يطلع على هذه الرحلات، والرد على المستشرقين وغيرهم؛ ممن ليس لديه علم بحقيقة دين الإسلام، وعقيدة التوحيد الصحيحة، فينسب ما فيها من انحراف وضلال إلى الإسلام وهو منها براء.

٤- بيان خطر ما في هذه المسائل العقدية في كتب الرحلات إلى الحج من انحرافات وبدع، ومحدثات قد تفسد حج المسلم؛ بل وتفسد دينه-والعياذ بالله- والتحذير من الوقوع فيها، والحث على الاتباع وترك الابتداع.

منهج البحث:

١- سلكت في منهج البحث المنهج الاستقرائي التحليلي.

٢- حصرت كتب الرحلات العربية خلال الفترة من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر الهجري، وذلك من معاجم الكتب ومحركات البحث.

٣- قرأت ما استطعت الحصول عليه من هذه الكتب، وقد بلغت اثني عشر كتابَ رحلة، فاستخرجت منها المسائل العقدية -حسب علمي-.

٤- قسمت هذه المسائل إلى موضوعات علم العقيدة، وعنونت لها بحسب الخطة المعدة لذلك؛ حسب ما فهمت من مضامينها.

٥- عزوت الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى مواضعها في القرآن الكريم، بذكر اسم السورة ورقم الآية، وأثبت ذلك في متن البحث.

٦- خرجت الأحاديث الواردة في البحث على النحو التالي:

أ- ما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به.

ب- ما لم يكن فيهما خرَّجته من بقية الكتب الستة.

ج- ما لم يكن اجتهدت في تخريجه من عدة مصادر ما أمكن.

د- نقلت شيئًا من أحكام العلماء على الأحاديث التي ليست في الصحيحين.

٧- ترجمت للأعلام الواردة أسماؤهم في البحث، سوى الصحابة ﷺ، وأئمة المذاهب الفقهية الأربعة، وأصحاب الكتب الستة، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم.

٨- عرفت بالملل والنحل الواردة في البحث.

٩- عرفت بالأماكن والبلدان، والألفاظ الغريبة الواردة في البحث.

١٠- عند العزو للمراجع ذكرت في الهامش اسم الكتاب كاملاً، وكذلك مؤلفه في أول موضع يرد فيه، ثم أذكره مختصرًا، وأخرت بيانات المراجع التفصيلية إلى فهرسها؛ للبعد عن الإطالة وإثقال الحواشي.

١١- ألحقت البحث بعدة فهارس وهي كالتالي:

أ- فهرس الآيات القرآنية.

ب- فهرس الأحاديث والآثار.

ج- فهرس الأعلام.

د- فهرس الأماكن والمواضع.

هـ- فهرس الفرق والمذاهب.

و- فهرس المصادر والمراجع.

ي- فهرس الموضوعات.

خطة البحث:

المقدمة: وتتضمن:

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والهدف من دراسة الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

التمهيد، وفيه:

١- التعريف بأدب الرحلات إلى الحج وأهميتها.

٢- نبذة مختصرة عن أحوال الأمة الإسلامية في القرن الحادي والثاني والثالث عشر الهجري.

الفصل الأول: التعريف بكتب ومؤلفي رحلات الحج العربية في القرن الحادي والثـاني والثالث عشر الهجري:

المبحث الأول: التعريف بكتب ومؤلفي رحلات الحج العربية في القرن الحادي عشر.

المبحث الثاني: التعريف بكتب ومؤلفي رحلات الحج العربية في القرن الثاني عشر.

المبحث الثالث: التعريف بكتب ومؤلفي رحلات الحج العربية في القرن الثالث عشر.

الفصل الثاني: توحيد المعرفة والإثبات:

المبحث الأول: تعريف توحيد المعرفة والإثبات وأدلته.

المبحث الثاني: المسائل في توحيد المعرفة والإثبات وتقويمها.

الفصل الثالث: توحيد القصد والطلب:

المبحث الأول: تعريف توحيد القصد والطلب وأدلته.

المبحث الثاني: المسائل في توحيد القصد والطلب وتقويمها:

المطلب الأول: الحلف بغير الله.

المطلب الثاني: التطير.

المبحث الثالث: التوسل والاستغاثة.

المبحث الرابع: السحر والتنجيم.

المبحث الخامس: التبرك.

المبحث السادس: البناء على القبور وإسراجها، والصلاة فيها والنذر والذبح لها.

الفصل الرابع: سائر أصول الإيمان:

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة:

المطلب الأول: تعريف الملائكة والأدلة على الإيمان بهم.

المطلب الثاني: المسائل في الإيمان بالملائكة وتقويمها.

المبحث الثاني: الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام:

المطلب الأول: تعريف الإيمان بالرسل وأدلته.

المطلب الثاني: المسائل الواردة في الأنبياء والرسل وتقويمها.

المطلب الثالث: المسائل الواردة في نبينا محمد ﷺ وتقويمها.

المطلب الرابع: المسائل الواردة في كرامات الأولياء وتقويمها.

المبحث الرابع: الإيمان باليوم الآخر:

المطلب الأول: تعريف الإيمان باليوم الآخر وأدلته.

المطلب الثاني: المسائل في الإيمان باليوم الآخر وتقويمها:

المسألة الأولى: البرزخ.

المسألة الثانية: أشراط الساعة.

المسألة الثالثة: أحوال الآخرة.

المبحث الخامس: الإيمان بالقضاء والقدر:

المطلب الأول: تعريف الإيمان بالقضاء والقدر وأدلته.

المطلب الثاني: المسائل في الإيمان بالقضاء والقدر وتقويمها.

الفصل الخامس: مسائل الإمامة والصحابة والإيمان:

المبحث الأول: الإمامة.

المبحث الثاني: الصحابة.

المبحث الثالث: الإيمان.

الفصل السادس: الفرق والديانات:

المبحث الأول: الصوفية.

المبحث الثاني: الشيعة.

المبحث الثالث: أهل الكلام.

المبحث الرابع: الديانات.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس العامة وتشمل:

١) فهرس الآيات الكريمة.

٢) فهرس الأحاديث الشريفة والآثار.

٣) فهرس الأماكن والمواضع.

٤) فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥) فهرس الفرق والمذاهب.
٦) فهرس المصادر والمراجع.
٧) فهرس الموضوعات.

شكر وتقدير:

هذا وأحمد الله تعالى وأشكره أولاً وآخرا على ما منَّ به وتفضل، ويسر وأعان على إتمام هذا البحث، فاللهم لك الحمد ولك الشكر ولك الثناء الحسن، وأسأله جل وعلا أن يجعل عملي هذا خالصًا متقبلا.

ثم إني بعد شكر الله تعالى أتقدم بالشكر والدعاء، لكل من كان له الفضل عليّ بعد الله تعالى، وأخص بالذكر منهم والديَّ الكريمين، فهما بحق عطاء تدفق بالخير الكثير، وفضلهما عليَّ كبير، وحقهما عليَّ عظيم، فاسأل الله ﷻ أن يجزيهما عني خير الجزاء، وأن يرحمهما كما ربياني صغيرة.

كما أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كلية أصول الدين وخاصة قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة؛ لإتاحتها الفرصة لإكمال دراستي.

ثم الشكر الجزيل لفضيلة الشيخ الدكتور: فهد بن سعد المقرن، الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، والذي تولى الإشراف على هذا البحث، فأولاني من اهتمامه وأفادني من علمه، فأشكر له حسن تعامله وصبره عليّ، فجزاه الله خيرا وبارك له في علمه وعمله وعمره.

كما أشكر من تكرم بقبول مناقشة هذا البحث لتصويب الأخطاء، وتوجيه النصح لي، وإرشادي لما هو أحسن، فجزاهما الله خيرا.

والشكر موصول لكل من ساهم وشارك في مساعدتي وتوجيهي، فجزى الله الجميع عني خير الجزاء.

وبعد فهذا جهد المقل فما كان فيه من صواب فمن الله وحده سبحانه، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، واستغفر الله من كل خطأ وزلل.

والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات.

التمهيد

ويشتمل على:

١- التعريف بأدب الرحلات إلى الحج وأهميتها.

٢- نبذة مختصرة عن أحوال الأمة الإسلامية في القرن الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر الهجري.

١- التعريف بأدب الرحلات إلى الحج وأهميتها:

التعريف بأدب الرحلات إلى الحج:

جاء في معجم مقاييس اللغة: «(رحل) الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر»(١).

والرحلة في الأصل كانت للبعير، يقال: ارتحل البعير رحلة سار فمضى، ثم جرت في المنطق لتشمل الإنسان وغيره، حتى قيل: ارتحل القوم عن المكان: أي انتقلوا(٢).

والرِّحلة بالكسر: الارتحال، يقال: دنت وقربت رحلتنا، والرُّحلة بالضم: الوجه والمقصد الذي يقصده الإنسان ويريده، يقال: أنتم رحلتي، أي الذين أرتحل إليهم، وقيل: الرُّحلة: السفرة الواحدة(٣).

وزاد أصحاب المعجم الوسيط في معاني الرحلة وأضافوا: «كتاب يصف فيه الرحالة ما رأى»(٤).

وأما مصطلح أدب الرحلة فقليلٌ من تعرض لتعريفه، ومما ورد في تعريفه: «مجموعة من الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع كل هذا في آن واحد»(٥).

وعرّف أدب الرحلة بأنه: «ذلك الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى من أحداث، وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها لأحد البلاد»(٦).

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤٩٧).

(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٣/ ٣٠٢)، لسان العرب لابن منظور (٣/ ١٦١٠).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٥/ ٧)، تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٤/ ١٧٠٧)، معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤٩٧)، المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٣٠٢) لسان العرب (٣/ ١٦٠٨-١٦١١)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي (ص١١٧)، القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص١٢٩٩).

(٤) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية (١/ ٣٣٥).

(٥) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبة وكامل المهندس (ص١٧).

(٦) الموسوعة العربية العالمية (١١/ ١٣٦).

أو أنه: «يعني الكتب الرحلية، أو المقالات المتصلة التي سجل فيها أصحابها مشاهداتهم، وحوادثهم ورؤاهم الرحلية على اختلافها وتنوعها، من خلال شعورهم بها ورؤيتهم لها في لغة أدبية موحية»[١].

وأدب الرحلة يعد قسمًا من أقسام الأدب، وهو فن ولون قد عرفه الأدب العربي قديمًا وحديثًا.

فالعرب في الجاهلية كان لهم رحلاتهم للرعي وللتجارة وللحرب، وقد أثبت القرآن الكريم أن لقبيلة قريش رحلتين تجاريتين، إلى الشام صيفًا، وإلى اليمن شتاءً، قال الله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾ [قريش: ١ – ٢].

وهذه الرحلات لم تدون بشكل مفصل، لكنها وردت في مضامين القصائد الشعرية، وكتب اللغة والأخبار.

وبعد بعثة رسول الله ﷺ وانتشار الإسلام، أخذت الرحلة أبعادًا روحية جديدة على ذلك المجتمع، وأمسك المسلمون بزمام الرحلة، وازداد نشاطها، ونالت حقها من الاهتمام.

أما عن التأليف النثري في الرحلة فقد بدأ عند المسلمين في القرن الثالث الهجري، ضمن كتب التاريخ والبلدان، وفي القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) كان التأليف الخاص بالرحلة[٢]، ثم أخذت بعد ذلك شكلها المتميز بصفتها عملاً مدونًا، ذا طابع فكري أدبي، وصارت ذا مكانة معتبرة في الأدب العربي.

وتتنوع الرحلات باعتبار بواعثها وأهدافها، فمن أهم الأهداف أداء فريضة الحج، وطلب الرزق والتجارة، وطلب العلم، يقول ابن خلدون[٣]: «فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال، بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال»[٤].

---

(١) أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية لعبد الله آل حمادي (ص٨-٩).

(٢) ينظر: الرحلات لشوقي ضيف (ص١١-١٢)، أدب الرحلة عند العرب لحسني حسين (ص٩-١٣)، الرحلة والرحالة المسلمون لأحمد رمضان أحمد (ص١٧)، الجغرافية والرحلات عند العرب لنقولا زياده (ص١٤٧-١٤٨)، الرحلة عين الجغرافية المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية لصلاح الدين الشامي (ص١١١).

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة، أصله من إشبيلية، نشأ بتونس، ثم رحل إلى مصر، وولي فيها قضاء المالكية، من أشهر مؤلفاته: (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر)، توفي في القاهرة سنة٨٠٨هـ. ينظر: الضوء اللامع للسخاوي (٤/ ١٤٩)، شذرات الذهب لابن العماد (٧/ ٧٦-٧٧).

(٤) تاريخ ابن خلدون (١/ ٥٤١).

أهمية أدب الرحلات إلى الحج:

تكمن أهمية الأدب المكتوب في الرحلة إلى الحج فيما يأتي:

١- أن الرحلة إلى الحج لها خصوصيتها من خلال عدد من المظاهر، فأما من حيث طبيعتها فكونها لأداء عبادة الحج، وهي الركن الخامس من أركان الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

وأما من حيث المكان فمكة المكرمة مهوى أفئدة المسلمين؛ إذ فيها المسجد الحرام والكعبة المشرفة قبلتهم.

وأما من حيث الزمان فكون موسم الحج في المشاعر المقدسة، ويكون فيه من المشاهِد ما لا يتكرر في سواه من الأيام[(١)].

٢- أن الذين استطاعوا إلى الحج سبيلاً عبر القرون المتتالية كُثر، وقد شجعت حركة التنقل الكثيرين إلى تدوين مشاهداتهم، فنتج عن ذلك عدد كثير من كتب الرحلات، فأدب الرحلات مدين للحج بالكثير، فإن الكثير من الرحَّالة إنما بدؤوا رحلاتهم قاصدين الحج[(٢)].

٣- أنه بتعدد الرحلات الحجازية أصبحت فنًّا مستقلاً بذاته من حيث تدوينه، فله أسسه وخصائصه المميزة له، وقد اشتهر الأندلسيون والمغاربة بعنايتهم بهذا الفن، عناية قد تفوق المشارقة، وذلك لعوامل مختلفة ،أهمها بعد الديار المغربية عن الحجاز مهبط الوحي، ومهد الرسالة[(٣)].

٤- تختلف أهمية كتب الرحلات إلى الحج وقيمتها العلمية باختلاف أصحابها، فالرحَّالة في تدوينهم للرحلة منذ خروجهم من بلادهم حتى عودتهم لها وصفوا ما شاهدوه، وسطروا مشاعرهم، وسجلوا انطباعاتهم، كل حسب مشربه وتكوينه وتفكيره، فمنهم من غلب

---

(١) ينظر: ثقافة مكة المكرمة في أدب الرحلات وسير أعلامها لإبراهيم السماري (ص١٧-١٨).

(٢) ينظر: الجغرافية والرحلات عند العرب (ص١٤٨).

(٣) ينظر: تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي (ص٢٧٢)، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجري دراسة تحليلية مقارنة لعواطف نواب (ص٧١).

على كتابته الصبغة الأدبية، ومنهم اهتم بالعلم والعلماء، ومنهم من اعتنى بالمسالك والممالك.

ولكن أعمالهم جميعًا تتوفر فيها مادة علمية أدبية، وتاريخية، وجغرافية، واجتماعية، وسياسية واقتصادية[(١)].

(١) ينظر: تجارب في الأدب والرحلة لأبي القاسم سعد الله (ص٢٠٣)، صور من أدب الرحلات إلى الحرمين الشريفين لعبد الله الحقيل (ص٢٠-٢٣).

٢- نبذة مختصرة عن أحوال الأمة الإسلامية في القرن الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الهجري:

لقد كانت أحوال الأمة في العالم الإسلامي في غالب هذه الفترة -عمومًا- متدنية ومتدهورة في كافة النواحي السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية.

وسأكتفي هنا بالحديث عن الحالتين السياسية والدينية لأهميتهما وما سواهما من النواحي هي تبع لهما.

الحالة السياسية:

ففي هذه الفترة كان العالم الإسلامي متفرقًا إلى دول، ولم يكن هناك دولة واحدة تجمع شمل المسلمين وتوحد كلمتهم.

فالدولة العثمانية كانت لها الولاية على أغلب الأقاليم الإسلامية، وحين بلغت أقصى حدود اتساعها، أصبحت مملكة ممتدة، تبسط نفوذها في ثلاث قارات عالمية آسيا وأوربا وأفريقيا، ووصلت إلى أوج قوتها، وبلغت ذروة مجدها.

ويعدّ عهد السلطان العاشر (سليمان القانوني)(١)، أو كما يلقبه الأوربيون بـ(سليمان العظيم) هو العصر الذهبي للدولة العثمانية، وبوفاته انتهى عصر القوة، وبدأ عصر الضعف والانحطاط المستمر؛ إلا من بعض فترات كانت الدولة فيها تقوى وتنتعش بحركات إصلاح، وهذا هو سبب امتداد بقاء الدولة لفترات طويلة(٢).

---

(١) هو سليمان خان ابن السلطان سليم ابن السلطان بايزيد الثاني، السلطان العاشر من سلاطين الدولة العثمانية، ولد عام ٩٠٠هـ، وتولى السلطة عام ٩٢٦هـ، ولمدة ٤٨ عاما، وفي عهده فتحت عدة فتوحات، وباشر الحرب بذاته، ولقب بالقانوني لأنه ووضع كثيرًا من القوانين، وطبقها بعدالة بين أفراد المجتمع بأسره، توفي سنة ٩٧٤هـ. ينظر: تاريخ سلاطين بني عثمان لحضرة عز تلو يوسف بك آصاف (ص٦٠-٦٦)، تاريخ الدولة العثمانية ليماز أزتونا (١/ ٣٥٥).

(٢) ينظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك (ص٧٠١)، تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان (ص٤٥٧)، التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر (٨/ ١٠٩)، تاريخ الدولة العثمانية (١/ ٤٣٠)، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية لموفق بني المرجة (ص٤٢)، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها لعبد العزيز الشناوي (ص٢٨).

وكان لهذا الضعف عوامل داخلية وأخرى خارجية، فبعد القانوني خلَفَه سلاطين كثر يغلب عليهم الضعف، ولم يكن لهم من أمر الدولة والسياسة شيء، بل ركنوا إلى الدنيا وملذاتها.

وقد كانت الدولة العثمانية دولة تعتمد على القوة العسكرية، وكان للإنكشارية[١] دور في الانتصارات التي أحرزتها الدولة فأعطت لهم امتيازات، ولما لم يجد الإنكشارية سلطانًا قويًّا مهيبًا، توسعت صلاحياتهم إلى أن صارت الحكومة ألعوبة في أيديهم، فينصبون الوزراء ويعزلونهم بحسب أهوائهم، وأصبحت الإنكشارية مصدر قلق واضطراب، فقاموا بعدة ثورات، واقترفوا أنواعًا من الإفساد في عاصمة الدولة نفسها، وحتى على مستوى أكبر رجل في الدولة، وهو السلطان، فتحولت الإنكشارية بعد أن كانت من أكبر عوامل تقدم الدولة وتوسع فتوحاتها، إلى أكبر دواعي تأخرها وخطرٍ عليها[٢].

وكان لفساد الأمور الإدارية عمومًا تأثيرٌ على ولاة أقاليم الدولة، فلم يهتموا إلا بجمع الأموال من ولاياتهم بكافة السبل المشروعة وغير المشروعة، وعلى حساب شعوبها، وغفلوا عن إصلاح ولاياتهم وتطويرها، ونشر الأمن والعدل فيها، فانقلبت الدولة العثمانية إلى مطايا استبداد وفوضى[٣].

---

(١) إنكشارية: لفظ تركي أصله (ينكجري) أو (يكيجريلر) بمعنى: العسكر الجديد؛ وهي في الأصل فرقة من فرق الجيش العثماني، كان أفرادها يختارون من الشبان النصارى الذين ترسلهم المدن النصرانية الخاضعة للعثمانيين، وأغلبهم من الأيتام وأسرى الحرب، فينشؤون على الولاء للسلطان العثماني، ويدربون تدريبًا عسكريًّا، ثم تطورت هذه الفرقة لتصبح تنظيمًا خاصًّا لهم تكناتهم وامتيازاتهم، وأعز فرق الجيش نفرًا، وأقواها جندًا، وأكثرها نفوذًا. ينظر: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية لمصطفى الخطيب (ص٥٠)، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها (ص٤٧٢).

(٢) ينظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية (ص٢٧٩، ٢٨٢، ٣١٨، ٣٧١)، تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان (ص٤٦٤-٤٦٦)، التاريخ الإسلامي (٨/ ١٠٩-١١١)، صحوة الرجل المريض (ص٤٢-٤٣)، الدولة العثمانية المفترى عليها (ص٤٩٤-٥٣٣).

(٣) ينظر: حاضر العالم الإسلامي لوثروب ستودارد (١/ ٢٥٩)، التاريخ الإسلامي (٨/ ١٢٢).

وقد خاضت الدولة العثمانية معارك متعددة وحروبًا كثيرة، ضد الدولة الصفوية الشيعية، والتي كانت ذا عداء مستمر مع الدولة العثمانية التي تعتبر نفسها حاملة لواء المذهب السني(١).

وكذا خاضت معارك ضد روسيا والدول الأوربية، فأنهكت هذه المواجهات العسكرية قوى الدولة العثمانية وأثقلتها، وأعقب ذلك معاهدات تدل على ما آلت إليه الدولة العثمانية من ضعف، وصارت من أهم أسباب فقدان الدولة لمساحات واسعة ومهمة من أراضيها، مما أدى إلى اضمحلال الدولة فيما بعد(٢).

أما في بلاد فارس فتأسست فيها الدولة الصفوية عام ٩٠٦هـ، وكان المذهب الرافضي الاثنا عشري مذهبًا رسميًّا للدولة، وبمحاولتها التوسع في زيادة أراضيها كان النزاع بينها وبين الدولة العثمانية، وقد بدأت في السقوط والانحلال حين تعاقب عليها ملوك ضعاف، حتى سقطت دولتهم، وانتهى حكمهم من بلاد فارس عام ١١٤٨هـ(٣)، واستمر بعد ذلك اضطراب أحوال بلاد فارس، حتى بعد قيام الدولة القاجارية عام ١٢٠٣هـ، فقد كانت تعاني من صراع دائم داخلي بثورات شعبية، وخارجي بتدخلات دول أجنبية للسيطرة عليها(٤).

أما الدولة المغولية في شبه الجزيرة الهندية، فقد عاشت بعد تأسيسها عام ٩٣٢هـ، عصر نهضة وقوة حتى عام ١١١٨هـ، إذ قد شهدت بعده التفكك والانحلال، فقد وصل الإنجليز الهند كتجار عام ١٠٠٩هـ، ولكنهم تحولوا من التجارة إلى الاستعمار، شجعهم على ذلك الفوضى والضعف والتخاذل.

---

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة ومصباح السعادة في موضوعات العلوم لطاش كبرى زاده (ص١٣٣)، حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث لعبد الله العجلان (ص١٤).

(٢) ينظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية (ص٢٧٢، ٢٨٥، ٢٩٩، ٣١٨، ٧٣٢)، تاريخ الشعوب الإسلامية (ص٥٢٠، ٥٢٣، ٥٢٦)، التاريخ الإسلامي (٨/ ١١٨، ١٢٩، ١٤٠)، تاريخ الدولة العثمانية (١/ ٤٤٥، ٤٥٧، ٥٠٨)، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك لزيادة أبو غنيمة (ص٢٢٢، ٢٢٩)، صحوة الرجل المريض (ص٤٣).

(٣) ينظر: إيران بعد الإسلام لعباس اشتياني (ص٦٧٥-٧٢٢)، الشرق الإسلامي لحسين مؤنس (ص٢١، ٥٠)، تاريخ الدولة الصفوية في إيران لمحمد طقوس (ص١٢٣، ٢١٣، ٢٥٣).

(٤) ينظر: إيران بعد الإسلام (ص ٦٧٥-٨٢٨).

فحين تعرضت الدولة المغولية للغزو من الدولة الصفوية، استغل الإنجليز هذا الصراع؛ مما سهل على شركة الهند الشرقية الإنجليزية الاستيلاء على أراضي الدولة المغولية، ولاية بعد ولاية، حتى تحولت في النهاية إلى مستعمرات إنجليزية سنة ١٢٧٤هـ[(١)].

ومثل هذا أحوال سائر البلاد الإسلامية، كما في المغرب الأقصى، وفي أواسط آسيا، وفي الصين وغيرها، فلم تكن أحسن حالاً من غيرها.

وبالجملة فإن الأوضاع السياسية في العالم الإسلامي في هذه الفترة لم تكن مستقرة، وتدل بشكل عام على سوء وفساد الحالة السياسية[(٢)].

الحالة الدينية:

لم تكن الحالة الدينية في العالم الإسلامي بأحسن حالاً من الناحية السياسية، التي ساءت وفسدت، فخفتت أنوار الشريعة، وانطمست أكثر معالم الدين، إلا من بقايا حفظة الدين، فصارت العبادة عادة والعادة عبادة، والسنة بدعة والبدعة شرعة.

وقل تمسك المسلمين بدينهم الحق، حتى زالت عن الأمة كثير من صبغتها الإسلامية، فغلب عليها ما كان عليه أهل الجاهلية من الجهل والتقليد، والتعصب والإعراض عن القرآن والسنة، ومنهج سلف الأمة، وابتعدوا بعدًا عظيمًا عن الدين عمومًا، وعن العقيدة الصحيحة خصوصًا، وذلك لعوامل كثيرة أحدثت أثرها على مدى قرون طويلة.

فعاش العالم الإسلامي في واقع مرير، يعاني مزيجًا من المخالفات الشرعية، والأعمال الشركية، والعبادات البدعية، التي أدت بدورها إلى انحرافات عظيمة في التوحيد بأنواعه، وسائر أصول الإيمان وفروعه، واتخذ هذا المزيج صورًا شتى، كانتشار مظاهر الشرك ووسائله، والبدع والخرافات المتعددة.

ومن ذلك تشييد المساجد والقباب على القبور، وكثرة الأضرحة وتزيينها، وإيقادها بالسرج وكسوها بالستائر، والأعظم من ذلك الاعتقاد بالموتى وأصحاب القبور، أنهم ينفعون أو يضرون، حتى غدت القبور إلهًا يعبد من دون الله، يصرف لها ألوانٌ عديدة من

(١) ينظر: الشرق الإسلامي (٥٢-٥٥)، حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة لجميل المصري (٣٣٣-٣٣٧).

(٢) ينظر: الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد (ص٢٧٥، ٢٧٣، ٣٢٦)، الإسلام في القرن العشرين للعقاد (ص٩).

العبادة؛ كالاستغاثة بالمقبورين، والاستشفاع والتوسل بهم، ودعائهم من دون الله، والحلف بهم، والنذر والذبح لهم، والعكوف عند قبورهم، والتبرك والاستشفاء والتمسح بها، إلى غير ذلك مما يفعل عند القبور من المنكرات.

ولم يقتصر مثل هذا الأمر على الأموات فحسب، بل تعداه إلى الاعتقاد الفاسد في بعض الأحياء بأنهم أولياء والغلو في ذلك، فقدسوهم ورفعوا مقامهم فوق مرتبة البشر، وأشركوا بهم من دون الله ﷻ، وصرفوا لهم أنواع من العبادات.

ولم يكتفوا بذلك بل زادوا في الضلال فتعلقوا ببعض الأماكن والأشجار والأحجار وتبركوا بها.

ومن مظاهر البدع والمحدثات التي شاعت في هذه الفترة الاحتفالات البدعية؛ كالاحتفال بمولد النبي ﷺ وترنم المنشدين فيه بالأشعار، أو ما يسمى بالمدائح النبوية والتي تتضمن غلوًّا وإطراءً، وتوسلات شركية، واستغاثات كفرية.

وكذا الاحتفال بموالد غيره من الأنبياء، وموالد غيرهم من الأولياء والصالحين، والاحتفال ببعض الشهور والأيام والليالي، كليلة الإسراء والمعراج وغيرها[١].

ولقد كان من أهم عوامل انتشار مظاهر الشرك والبدع في العالم الإسلامي، تغلغل الصوفية، التي زاد انحرافها وبعدها عن الدين، فصارت رأس الفرق المبتدعة، وأسوأها أثرًا على عقائد المسلمين.

---

(١) ينظر: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني (٢/ ٢٤٥)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية لمجموعة من أئمة الدعوة النجدية، جمع عبد الرحمن القاسم (١/ ٣٧٨-٣٨٦)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي (١/ ٨، ٢٤٩، ٤٣٢، ٤/ ١٠٢، ٢٦٢)، تاريخ نجد لابن غنام (ص١٣-٢٢)، عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي (١/ ٣٠٤ ٣٢٥، ٣٤٣، ٤١٤، ٢/ ٢٤٢، ٤٢٥، ٣/ ٤٢٩)، عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر (١/ ٣٣-٣٤)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للبيطار (١/ ٣٤٩، ٥٨٦، ٢/ ١١٣٧)، تاريخ الدولة العلية العثمانية (ص٣٤٠)، علماء نجد خلال ستة قرون لابن بسام (١/ ٣٠)، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها (ص٦٤).

وقد ساعد على ذلك تأييد الدولة العثمانية وتشجيعها، فانتشرت الصوفية، وتعددت فرقها، وكثرت طرقها، وأصبح لكل طريقة شيخ ومريدون، وزوايا يرتادونها، وبدع اعتقادية وعملية تخصها وتميزها(١).

وبالجملة فقد كانت الأوضاع الدينية في الأمة الإسلامية في هذه الفترة بالغة السوء، فقد استشرى فيها الشرك والبدع، حتى لفتت أنظار بعض الكُتاب المستشرقين.

فيصور صاحب كتاب (حاضر العالم الإسلامي) هذه الحالة بقوله: «وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفًا، من الخرافات، وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عديد الأدعياء الجهلاء، وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات، ويرغِّبونهم في الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التِماسَ الشفاعة من دفناء القبور، وغابت عن الناس فضائل القرآن...ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام...وعلى الجملة فقد بُدِّلَ المسلمون غير المسلمين، وهبطوا مهبطًا بعيد القرار»(٢).

وعلى الرغم من جميع هذه المظاهر المنحرفة التي اتسمت بها هذه الفترة، فإن الإسلام باقٍ والله قد تكفل بحفظ دينه، ومما حفظ الله به هذا الدين الحنيف العلماء المصلحون المخلصون، قال ﷺ: ((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها

---

(١) ينظر: مقدمة لطف السمر وقطف الثمر من تراجم الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر للغزي (ص٣٣-٢٠٩)، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (٢/ ٢٤٦)، تاريخ الشعوب الإسلامية (ص٤٨١)، التاريخ الإسلامي (٨/ ٣٥)، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة لأكمل الدين إحسان أوغلي (٢/ ١٧٧-١٩٠، ٢٠١-٢٠٩)، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار لخليل ايناجيك (٢٧٧-٣٠٤)، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها (ص٥٩).

(٢) حاضر العالم الإسلامي للوثروب ستوادارد (١/ ٢٥٩-٢٦٠)، وينظر: مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسهير (ص٣٦٣).

دينها))[١]، فإنه لا يخلو زمان من الأزمنة في الأمة، من وجود علماء ومجددين، لكنهم يتفاوتون قلة وكثرة بحسب الظروف والأحوال.

وكما قال الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله–: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين»[٢].

فقد قيض الله لهذه الأمة من ينشر العلم الشرعي، الذي هو ميراث الأنبياء، ويصحح للناس ما وقعوا فيه من أخطاء، فظهر في هذه الفترة بعض العلماء الذين كانوا ينكرون هذه المظاهر، ويبيِّنون مخالفتها للدين الصحيح[٣].

ومن أبرز هؤلاء وعلى رأسهم الإمام المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٤] –رحمه الله– ودعوته المباركة، التي لازال الناس إلى اليوم يتفيؤون ظلالها ويجتنون ثمارها،

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب: الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المائة (٤/ ١٧٨) ح(٤٢٩٣) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل (ص٦).

(٣) كالشيخ أبي الحسن السندي المتوفى سنة ١١٣٨هـ، والشيخ إسماعيل العجلوني المتوفى سنة ١١٦٢هـ، والشيخ محمد حياة السندي المتوفى سنة ١١٦٣هـ، والشيخ محمد السفاريني المتوفى سنة ١١٨٨هـ، والشيخ الأمير الصنعاني المتوفى سنة ١١٤٢هـ. وغيرهم رحمهم الله.

(٤) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي المشرفي التميمي النجدي، الشيخ الإمام المجدد، ولد عام ١١١٥هـ، ونشأ في العيينة بنجد، ورحل لطلب العلم إلى الحجاز مرتين، وإلى الأحساء، والعراق، ثم تصدى للدعوة إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع، من مؤلفاته: (كتاب التوحيد)، ورسالة (كشف الشبهات)، توفي سنة ١٢٠٦هـ. ينظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٥٧)، علماء نجد خلال ثمانية قرون لابن بسام (١/ ١٢٥).

بالاتفاق التاريخي بين الشيخ وبين الإمام محمد بن سعود[(١)] في عام ١١٥٧هـ، حيث وجد الشيخ من الأمير النصر والتأييد لنشر الدعوة والدفاع عنها[(٢)].

ولما كانت هذه الدعوة خالصة لله، ومستندة إلى القرآن والسنة النبوية وعمل سلف الأمة الصالح، وعلى الرغم مما لقيته من مخالفة الخصوم، وكثرة المناوئين على مر تاريخها، فقد سارت منذ ذلك الحين، بعون الله وتوفيقه ثم بمناصرة الدولة السعودية في أطوارها الثلاث، وجهود أئمة الدعوة ومؤيديها وتلامذتها، في تصحيح مفهوم العقيدة في أذهان الناس وتنقيتها مما علق بها من الشوائب، وإرجاعها إلى نبعها الصافي من الكتاب والسنة، والقضاء على مظاهر الانحراف كالشركيات والبدع، والمنكرات والخرافات الضالة والمضلة.

وحين حكمت الدولة السعودية الحجاز كانت فرصة للحجاج والمعتمرين والزوار وطلبة العلم، أن يتعرفوا على حقيقة الدعوة السلفية، ويرون عن قرب آثارها التي ظهرت في البلاد؛ مما كان له الأثر الأكبر في انتشار هذه الدعوة السلفية، وظهور أثرها في أرجاء العالم الإسلامي[(٣)].

---

(١) هو محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان، من بني حنيفة جدهم مانع المريدي، أول من لقب بالإمامة من آل سعود في نجد، تولى إمارة الدرعية، وحسنت سيرته وقويت شوكته، وعاضده على ذلك أخوه ثنيان، وفد عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب فتعاهدا على أن يكون ابن سعود حارسا للدين وناصرا للسنة، وأن يستمر ابن عبد الوهاب على الجهر بدعوته، واتسعت الإمارة فشملت أكثر نجد، توفي بالدرعية سنة ١١٧٩هـ. ينظر: مثير الوجد في أنساب ملوك نجد لراشد بن جريس (ص١٢١-١٢٢)، الأعلام (٦/ ١٣٨).

(٢) ينظر: تاريخ نجد (ص٨٦-٨٧)، عنوان المجد (ص٤٢-٤٣).

(٣) ينظر: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي لصالح العبود (ص٥٠١-٦٣٤)، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي لمحمد السلمان (ص٦٧-٩١)، الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وأعلامها من بعده لعبد الله المطوع (ص١٩١-٢٨٨).

الفصل الأول

التعريف بكتب ومؤلفي رحلات الحج العربية في القرن الحادي والثاني والثالث عشر الهجري

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بكتب ومؤلفي رحلات الحج العربية في القرن الحادي عشر.

المبحث الثاني: التعريف بكتب ومؤلفي رحلات الحج العربية في القرن الثاني عشر.

المبحث الثالث: التعريف بكتب ومؤلفي رحلات الحج العربية في القرن الثالث عشر.

المبحث الأول: التعريف بكتب ومؤلفي رحلات الحج العربية في القرن الحادي عشر:

١) رحلة ابن مليح: (أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب وسيد الأعاجم والأعارب).

التعريف بالرحلة: تقع النسخة المحققة لهذه الرحلة[١] في مجلد واحد، وتبلغ عدد صفحاته (١٣٩) صفحة.

وبدأ ابن مليح رحلته من بلده مراكش[٢] في يوم الاثنين آخر شهر صفر من سنة ١٠٤٠هـ، حتى عاد إلى أهله في شوال ١٠٤٢هـ، وقد استغرقت سنتين ونصف السنة.

وزار في رحلته مقابر الأولياء والصالحين، وأورد عن كل واحدٍ منهم مختصرًا عن أخباره؛ مما يظهر أثر الحركة الصوفية إذ ذاك وعظيم نفوذها، وقد ضمّن رحلته أشعارًا ونظمًا حول الشوق إلى زيارة المشاعر المقدسة، وكذا تشوقه لزيارة قبر النبي ﷺ.

أما مؤلفها: فقد قال محقق الرحلة في مقدمته: «أما مؤلفها فلا نعرف عنه شيئًا مطلقًا، ولم يرد اسمه ولا الحديث عن رحلته هذه، في مرجع واحد من المراجع القديمة، ولولا أن مخطوط هذه الرحلة كابر الزمان حتى وصل إلينا لما كنا نعلم بوجوده ولا بوجود صاحبه...يستفاد من المخطوط...أن مؤلفه يسمى أبا عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن محمد القيسي الشهير بالسراج، الملقب بابن مليح[٣]، وقد صرح بأنه من أهل مراكش، ويظهر من نسبته القيسية أنه

---

(١) حققها وقدم لها وعلق عليها: محمد الفاسي.

(٢) مراكش من أكبر مدن المغرب، ومعناها بلغة البربرية: امش مسرعا، اختطها يوسف بن تاشفين، وبنى بها القصور والمساكن، ولم تزل مراكش دار مملكة المرابطين ثم الموحدين من بعدهم سائر أيامهم، ثم لما جاءت دولة بني مرين من بعدهم اتخذوا كرسي مملكتهم بمدينة فاس وبنوا بها المدينة البيضاء، ثم جاءت الدولة السعدية من بعدهم فنقلوا الكرسي إلى مراكش ثم جاءت الدولة العلوية فاتخذ المولى إسماعيل بن الشريف كرسي ملكه بمكناسة. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحِميري (ص٥٤٠)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأحمد الناصري (١/ ١٨٠).

(٣) وورد في هامش كتاب الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس السملالي (ص٢٥٩): «ابن مليح بالميم، هكذا في النسخة من الرحلة المذكورة، وذكر الشيخ أحمد بن حسون لما نقل عن المترجم أنه ابن فليح

كان عربيًّا...ثم إن أسلوبه المنمق وما يورده من الأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية، واطلاعه على كثير من الأخبار، وتراجم الرجال، كل ذلك يدل على أنه كانت له ثقافة إسلامية لا بأس بها...وكان ابن مليح صوفي النزعة»[(١)].

٢) رحلة أبي سالم العياشي: (الرحلة العياشية) أو (ماء الموائد)[(٢)].

التعريف بالرحلة: تقع النسخة المحققة لهذه الرحلة[(٣)] في مجلدين كبيرين، ويبلغ مجموع صفحاتهما (١٣٤٨) صفحة.

انطلقت الرحلة من بلد المؤلف سجلماسة[(٤)] صبيحة يوم الخميس أول يوم من ربيع الآخر عام ١٠٧٢هـ، وانتهت ظهر يوم الأربعاء السابع عشر من شوال عام ١٠٧٤هـ.

تميزت الرحلة بالانسجامِ مع شخصية مؤلفها، والاتساقِ مع خصائص عصرها، بنشاط علمي متميز، فكانت كما وصفها صاحبها: ديوان علم.

وقد استوعبت هذه الرحلة ما لم تعرفه نصوص الرحلة في السابق، فقد احتوت بالإضافة إلى وصف المسالك والطرق على مباحث علمية متنوعة، من أجوبة وفتاوى، ومقدمات كتب، ورسائل علمية وشخصية، وقصائد شعرية، ونصوص إجازات، وتراجم أعلام، وغير ذلك، بل إنها انفردت بذكر بعض هذه الأمور عن غيرها من أمهات المصادر.

وهذا الشيء قد أضفى عليها طابع الموسوعية، فقد أعطت وصفًا عامًّا وشاملاً عن خصائص القرن الحادي عشر الثقافية والاجتماعية، والسياسية والاقتصادية.

وكتبه بخطه بالفاء ولم يضبطه بالقلم»، ورد عليه محقق الرحلة في مقدمته بقوله: «هذا اللقب ذكر مرتين بوضوح تام في طليعة الكتاب، وفي أول المقدمة فهو ابن مليح بدون أدنى ارتياب».

(١) مقدمة المحقق (أ – ب)، وينظر: الأعلام (٦/ ٨-٩).

(٢) ذكر محققو الرحلة أن الرحلة العياشية اسم مثبت على أغلب نسخ المخطوط، وأما ماء الموائد فاسم أطلقه بعض الباحثين على الرحلة، لكن لا يوجد له أثر في الرحلة ولا في سواها من أعمال أبي سالم العياشي أو معاصريه.

(٣) حققها وقدم لها: د/ سعيد الفاضلي، د/ سليمان القرشي.

(٤) سجلماسة من مدن المغرب، اختطها بنو مدرار سنة ١٤٠هـ، وهي متوسطة في الصحراء مسافة بين تلمسان وفاس ومراكش على حد سواء، وهي على نهر يقال له: زيز. ينظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (ص٢٦٠)، الروض المعطار (ص٣٠٥)، الاستقصا (١/ ١٨٠).

وبهذا تعد رحلة العياشي من أهم الرحلات الحجازية المغربية، وأكثرها انتشارًا، ونقطة تحول في كتابة الرحلة الحجازية عند المغاربة، ومصدرًا لكثير ممن جاء بعده من الرحالين المغاربة.

وهذه الرحلة مغرقة في التصوف؛ فهي تعنى بالمشاهد والمزارات والقبور، وتهتم بالمدارس الصوفية وطرقها ورجالها المنتسبين لها، وغير ذلك من أمور التصوف(١).

أما مؤلفها: فهو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى العياشي، المغربي، المالكي، الملقب بعفيف الدين، عالم أديب متصوف، من أهل فاس(٢)، ونسبته إلى آيت عياش، قبيلة من البربر بمدينة سجلماسة، ويقال للواحد منهم بلغتهم: فلان أعْيَاشْ.

ولد سنة ١٠٣٧هـ، أخذ العلم عن والده، وعلماء بلده وفقهاء قطره، كالشيخ عبد القادر الفاسي(٣) وهو عمدته، وابن ناصر الدرعي(٤).

---

(١) ينظر: مقدمة الرحلة العياشية (١/١١-٣٢).

(٢) فاس مدينة من مدن المغرب، اختطها إدريس بن إدريس ثاني ملوك الدولة الإدريسية، سنة ١٩٢هـ، وجعلها عاصمة له، واتخذها عدة ملوك عاصمة لهم، وهي مدينتان مقترنتان يشق بينهما نهر فاس. ينظر: الروض المعطار (ص٤٣٤)، الاستقصا (١/ ٢٢٠-٢٢١).

(٣) هو عبد القادر بن علي بن يوسف بن محمد أبو السعود بن أبي الحسن بن أبي المحاسن المغربي الفاسي، المالكي الصوفي، ولد سنة ١٠٠٧هـ، بمدينة القصر بالمغرب وبها نشأ، وانتقل إلى فاس سنة ١٠٢٥هـ، من كبار شيوخ عصره، وكثر أخذ الناس عنه، ولم يشتغل بالتأليف، وإنما كانت تصدر عنه أجوبة على أمور يسأل عنها، فجمعها بعض أصحابه منها: (الأجوبة الصغرى)، و(تعليقات على صحيح البخاري)، توفي بفاس سنة ١٠٩١هـ. ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٢/ ٤٤٤)، وصفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر لمحمد الصغير الأفراني (ص٣١٠)، ونشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري ضمن موسوعة أعلام المغرب (٤/ ١٦٣٦)، الأعلام (٤/ ٤١).

(٤) هو محمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن ناصر بن عمرو، المشهور بابن ناصر الدرعي، أبو عبد الله، المالكي الصوفي، مجدد الطريقة الشاذلية، ولد سنة ١٠١١هـ، كانت له زاوية وأتباع كثيرون، وصيت كبير بالمغرب، رحل إلى المشرق، وهو أستاذ العياشي صاحب الرحلة، من مؤلفاته: (غنيمة العبد المنيب في التوسل بالصلاة على النبي الحبيب)، و(فتاوى) في الفقه، توفي سنة ١٠٨٥هـ. ينظر: صفوة من انتشر (ص٢٩٠)، شجرة النور الزكية لمحمد بن مخلوف (١/ ٣١٣)، الأعلام (٧/ ٦٣).

رحل إلى المشرق، وحج بيت الله الحرام ثلاث مرات، الأولى سنة ١٠٥٩هـ، والثانية سنة ١٠٦٤هـ، والثالثة سنة ١٠٧٢هـ، فأخذ عن علماء مصر والحجاز، كالشيخ الشهاب الخفاجي[(١)]، وإبراهيم الكوراني[(٢)] وغيرهما.

والعياشي له تآليف منها: (اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر)، (إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الفضلاء)، توفي بالطاعون، في المغرب سنة ١٠٩٠هـ، عن ثلاث وخمسين سنة وأشهر[(٣)].

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي نسبة إلى قبيلة خفاجة، الحنفي المصري، المعروف بالأفندي، قاضٍ وصاحب تصانيف في الأدب واللغة، اتسعت رحلته في أقطار الأرض، فرحل إلى الحرمين والقسطنطينية، وتولى قضاء العساكر بمصر، ثم عزل ورحل منها، من مؤلفاته: (شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل)، و(نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض)، و(حاشية على تفسير البيضاوي)، توفي ١٠٩٦هـ. ينظر: صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر (ص٢٣١)، نشر المثاني ضمن موسوعة أعلام المغرب (٤/ ١٤٧٤)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي الكتاني (١/ ٣٧٧)، الأعلام (١/ ٢٣٨).

(٢) هو إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الشهرزوري الشهراني الكردي، محدث شافعي ولد في سنة ١٠٢٥هـ ببلاد شهران من جبال الكرد، فأخذ في بلاده العربية والمنطق والحساب والهندسة وغير ذلك، من مؤلفاته: (إفاضة العلام في مسألة الكلام)، (إتحاف الخلف تحقيق مذهب السلف)، (الأمم لإيقاظ الهمم)، توفي سنة ١١٠١هـ. ينظر: فهرس الفهارس (١/ ١٦٦)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد الشوكاني (١/ ١١).

(٣) ينظر: مقدمة الرحلة العياشية (١/ ٢٩-٣١)، صفوة من انتشر (ص٣٢٥)، نشر المثاني (٤/ ١٦٢٢)، شجرة النور الزكية (١/ ٣١٤)، عجائب الآثار للجبرتي (١/ ١١٥)، فهرس الفهارس (٢/ ٨٣٢- ٨٣٥)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٣/ ١١١)، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي (٢/ ٣٠-٣١)، معجم المطبوعات لسركيس (٢/ ١٣٩٦)، الأعلام (٤/ ١٢٩)، معجم المؤلفين لعمر كحالة (٦/ ١١٢-١١٣).

المبحث الثاني: التعريف بكتب ومؤلفي رحلات الحج العربية في القرن الثاني عشر:

١) رحلة عبد الغني النابلسي: (الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر الحجاز):

التعريف بالرحلة: تقع النسخة المنشورة لهذه الرحلة[(١)] في مجلد كبير، وتبلغ مجموع صفحاته (٦٢٣) صفحة.

ألفها صاحبها على طريقة كتابة المذكرات سجلها يومًا بيوم، منذ أن بدأ في الرحلة من بلده دمشق يوم الخميس غرة المحرم عام ١١٠٥هـ، إلى أن عاد إليها في الخامس من صفر ١١٠٦هـ، فاستغرقت رحلته ٣٨٨ يومًا. وقد انتهى من تدوينها عام ١١١٠هـ.

وقد قسم رحلته إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: في الجولان في البلاد الشامية، والقسم الثاني: في الإقبال على البقاع المصرية، أما القسم الثالث: ففي التشرف بالوصول إلى الأقطار الحجازية.

ويصف رحلته بقوله: «هي رحلة جامعة لأنواع من الفنون، والحديث شجون وقد لبس الدهر منها حلة فاخرة، مطرزة بالأخبار العجيبة، التي هي كاللؤلؤ المكنون، والأبيات الشعرية الفائقة، والأبحاث الأدبية الرائقة، والمسائل الفريدة، والفضائل العديدة، وصفات بعض النبيين، وتراجم الأولياء الصالحين»[(٢)].

وبيَّن في مقدمته أنه تمنى زيارة الصالحين من الأحياء والميتين، فاهتم في رحلته بزيارة المشايخ والأعلام وأعيان الدولة في الأقطار الشامية والمصرية والحجازية، وحضور مجالسهم، وإيراد ما يدور فيها، وكان جل اهتمامه منصبًّا على زيارة أضرحة الأولياء والصالحين، وكان ذا معرفة بالمزارات، التي تعددت في البلدان وتنسب إلى شخص واحد، فكان يدقق في النسبة وصحتها والأظهر منها، ومع ذلك فلم يكن يمنعه هذا عن كثير من الانحرافات عند هذه القبور، ولو لم تثبت صحة النسبة لديه.

---

(١) يقول عنها مقدمها ومعدها د/ أحمد هريدي: «وهي كما يبين من خاتمتها، قد كتبها أحد أحفاد المؤلف، وخطها واضح ومقروء، بالإضافة إلى توثيقها» (ص١٣).

(٢) رحلة النابلسي (ص٤).

وهي حافلة بوصف الحياة العامة في ذلك العصر، ومليئة بالأخبار والأشعار، والمسائل العلمية المتنوعة، بث من خلالها كثيرًا من انحرافات الصوفية المختلفة، وكان الأخطر منها عقيدة وحدةَ الوجود، وقد اعتمد فيما ذكره على مصادر كثيرة، متعددة المجالات.

أما مؤلفها: فهو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم الدمشقي الصالحي الحنفي، الصوفي النقشبندي(١) القادري(٢)، المعروف بالنابلسي.

ولد بدمشق سنة ١٠٥٠هـ، وبها نشأ، ورحل إلى بغداد، وعاد إلى سوريا، فتنقل في فلسطين ولبنان، ورحل إلى مصر والحجاز، واستقر بدمشق، وتلقى علومه على علماء كثيرين في الشام، من أشهرهم والده، والنجم الغزي(٣)، وعلي الشبرامليسي(٤) وغيرهم.

---

(١) نسبة إلى النقشبندية، وهي طريقة من طرق الصوفية، وتنتسب لمحمد بن بهاء الدين النقشبندي البخاري المتوفى سنة ٧٩١هـ، وهو المؤسس الأول لها، على صورة ثورة لتجديد التصوف، ولكن أتباعه من بعده رجعوا إلى التقاليد الصوفية البدعية، ومن ضلالتهم القول بوحدة الوجود، والشرك في الربوبية والألوهية، وغيرها من عقائد كبقية الطرق الصوفية المنحرفة. ينظر: الطريقة النقشبندية وأعلامها لمحمد درنيقة (ص١٨-١٩)، الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة لعبد الرؤوف القاسم (ص٣٦١-٣٦٢)، الطرق الصوفية (ص٩١-٩٢).

(٢) نسبة إلى القادرية، وهي طريقة من طرق الصوفية، وتنتسب للشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة ٥٦١هـ، وهو المؤسس الأول لها، وفيها بعض البدع كالسماع، وصلوات الأيام والليالي وغيرها، ظنًا منه ثبوتها عن النبي ﷺ، لكن أتباعه من بعده غلوا في شيخهم، ونسبوا إليه الأباطيل، وزادوا في الابتداع، وانحرفوا إلى ما انحرف إليه كثير من الصوفية. ينظر: الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية لسعيد بن مسفر القحطاني (ص٣٦٣)، الطرق الصوفية (ص٨٤-٨٥).

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن مفرج بن بدر الغزي العامري الدمشقي الشافعي، نجم الدين، أبو المكارم وأبو السعود، مؤرخ أديب، من مؤلفاته: (الكواكب السائرة في تراجم أعيان المائة العاشرة)، و(لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر)، توفي سنة١٠٦١هـ. ينظر: خلاصة الأثر (٤/ ١٨٩)، الأعلام (٧/ ٦٣).

(٤) هو علي بن علي الشبراملسي؛ نسبة إلى شبراملس بالغربية بمصر، أبو الضياء، نور الدين، فقيه شافعي كف بصره في طفولته تعلم وعلم بالأزهر، من مؤلفاته: (حاشية على المواهب اللدنية للقسطلاني)، و(حاشية على نهاية المحتاج)، توفي سنة ١٠٨٧هـ. ينظر: خلاصة الأثر (٣/ ١٧٤-١٧٧)، الأعلام (٤/ ٣١٤).

وتأثر بأعلام لم يجتمع بهم كمحيي الدين ابن عربي[١]، وابن سبعين[٢]، وغيرهما.

والنابلسي مكثر من التصنيف في مجالات متعددة، فمن مؤلفاته: (جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص)، و(المقصود في وحدة الوجود)، و(ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث)، وهو فهرس لكتب الحديث الستة، و(الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان)، و(تعطير الأنام في تعبير المنام)، و(إيضاح الدلالات في سماع الآلات)، و(كشف الستر عن فرضية الوتر)، و(الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية)، و(حلة الذهب الإبريز، في الرحلة إلى بعلبك وبقاع العزيز)، ولكونه أديبًا فله دواوين شعرية منها: (ديوان الحقائق ومجموع الرقائق في صريح المواجيد الإلهية والتحليات الربانية والفتوحات الأقدسية)، وهو الباب الأول من (ديوان الدواوين وريحان الرياحين في تجليات الحق المبين)، وهي أشعار صوفية.

توفي بدمشق سنة ١١٤٣هـ، عن ثلاث وتسعين سنة[٣].

٢) رحلة المرادي: (بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام):

التعريف بالرحلة: تقع النسخة المحققة للرحلة[٤] في مجلد واحد، ويبلغ عدد صفحاته (٤٥٥) صفحة.

---

(١) هو محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي المرسي ابن عربي، تلقبه الصوفية بالشيخ الأكبر، وهو أشهر دعاة وحدة الوجود، صنف التصانيف في تصوف الفلاسفة وأهل الوحدة، ومن أشهرها (الفتوحات المكية)، و(فصوص الحكم)، والتي أصّل ونشر فيها عقيدة وحدة الوجود، توفي سنة ٦٣٨هـ. ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (٦/ ٢٦٩-٢٧٠)، سير أعلام النبلاء له أيضًا (٢٣/ ٤٨)، طبقات الأولياء لابن الملقن (١/ ٧٦).

(٢) هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن سبعين أبو محمد المرسي، كان يعرف السيميا والكيمياء، واشتغل بالفلسفة، فتولد له من ذلك نوع من الإلحاد، وهو من أشهر دعاة وحدة الوجود، من مؤلفاته: (البُدّ)، و(الهُو)، وقد نقلت عنه عظائم من الأقوال والأفعال، وله أتباع ومريدون يعرفون بالسبعينية، توفي سنة ٦٦٩هـ. ينظر: الوافي بالوفيات (١٨/ ٣٧-٣٨)، لسان الميزان (٥/ ٦٣)، البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ٣٠٣).

(٣) ينظر: سلك الدرر (٣/ ٣٠)، عجائب الآثار (١/ ٢٣٢)، مقدمة الحقيقة والمجاز في الرحلة على بلاد الشام ومصر والحجاز (ص٩-١٠)، فهرس الفهارس (٢/ ٧٥٦-٧٥٧)، اكتفاء القنوع لأدورد فنديك (ص٢٠٤)، هدية العارفين (٢/ ١٥٤)، الأعلام (٤/ ٣٢-٣٣)، معجم المؤلفين (٥/ ٢٧١).

(٤) تحقيق وتقديم: د. محمد زينهم.

بدأ رحلته من فاس ضحوة يوم الأحد الثاني من رجب سنة ١١٥٨هـ، تحدَّث فيها عن المسالك والممالك، وأضاف إليها كثيرًا من العلوم المتنوعة، كالمسائل الفقهية، واللغوية والأدبية، وتراجم الأعلام، والإجازات الشخصية، معتمدًا في ذلك على كثير من المصادر المختلفة، ونزعة الصوفية فيه ظاهرة وبادية، من حيث الاهتمام بكرامات الأولياء، والاعتقاد فيهم، أحياءً كانوا أم ميتين، إلى غيرها من انحرافات الصوفية المشتهرة.

أما مؤلفها: فهو عبد المجيد بن علي بن محمد المنالي الشريف الحسني الإدريسي الفاسي، أبو محمد، الملقب بالزبادي، الشهير بالمرادي، المالكي الصوفي اللغوي الأديب، كان عالمًا جمع بين علوم كثيرة كالطب واللغة، وله نظم في الشعر، لقي أعلامًا كثيرين منهم الشيخ محمد جسوس(١)، وحجّ في صحبة أحمد الصقلي(٢).

وللمرادي تآليف في فنون متعددة منها: تأليف في العروض، وتقاييد عديدة في التاريخ والتصوف واللغة، توفي سنة ١١٦٣هـ(٣).

٣) رحلة السويدي: (النفحة المسكية في الرحلة المكية):

التعريف بالرحلة: تقع النسخة المحققة(٤) لهذه الرحلة في مجلد واحد، وتبلغ عدد صفحاته (٣٥٧) صفحة.

وتعد من أهم رحلات الحج العراقية، حيث انطلق من بغداد عن طريق بلاد الشام إلى مكة المكرمة سنة ١١٥٧هـ.

---

(١) هو محمد بن قاسم بن محمد جسوس الفاسي أبو عبد الله: فقيه، من علماء المالكية، من مؤلفاته: (شرح مختصر خليل)، و(شرح توحيد المرشد المعين)، توفي سنة١١٨٢هـ. ينظر: نشر المثاني (٦/ ٢٢٤٤-٢٢٤٧)، شجرة النور (ص ٣٥٥)، الأعلام (٧/ ٨).

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الشريف الصقلي الحسيني العريضي، حفظ القرآن، وحج ثلاث مرات، صوفي وطريقته شاذلية خلوتية، وبه قامت هذه الطريقة بالمغرب، وعمدته فيها الحفناوي، توفي سنة ١١٧٧هـ. ينظر: نشر المثاني (٦/ ٢٢٢٠-٢٢٢١)، اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، لمحمد البشير ظافر الأزهري (ص٥٣-٥٤)، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس لابن زيدان (٢/ ٣٨٦-٣٩٢).

(٣) ينظر: نشر المثاني (٦/ ٢١٦١)، اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، لمحمد البشير الأزهري (٢٣٧-٢٣٨)، وشجرة النور الزكية (ص٣٥٣)، والأعلام (٤/ ١٤٩).

(٤) تحقيق: د. عماد عبد السلام رؤوف.

افتتح رحلته بترجمة مطولة عن نفسه، وأتبع ذلك بوصفه وملاحظاته لجغرافية الطرق والمدن التي مر بها، والتقى فيها بالعديد من العلماء، واهتم في رحلته بإبراز مظاهر الحياة الفكرية، والاجتماعية والاقتصادية، وتراجم نادرة لأعلام البلاد التي مرّ بها.

أما مؤلفها: فهو عبد الله بن حسين بن مرعي بن ناصر الدين السويدي العباسي البغدادي الدوري، جمال الدين أبو البركات، عرف بلقب السويدي، وهو لقب يطلق على ذريته من بعده، وكانت أسرته تعرف قبل بأولاد مرعي، نسبة إلى جده، ولد في كرخ ببغداد سنة ١١٠٤هـ، تعلم ببغداد ورحل إلى الموصل لمواصلة دراسته، فأقام بها مدة ثم عاد إلى بغداد، فاشتهر أمره مع تولي الوالي أحمد باشا(١) ولاية بغداد، فنشأت بينهما علاقة، وقلّده الباشا عدة مناصب، منها أنه انتدبه عام ١١٥٦هـ لمؤتمر النجف(٢) برعاية نادر شاه ملك بلاد فارس(٣)، للتفاهم بين الطائفتين السنة والشيعة، والذي انتهى بنصر عظيم لأهل السنة.

وفي رحلته للحج التقى بعدد من العلماء في بلاد الشام والحرمين.

---

(١) هو أحمد بن حسن باشا، تولى حكم بغداد عام ١١٣٦هـ، بعد أن حكم أبوه مدة عشرين عامًا، فحكم مثل مدة حكم أبيه تقريبًا، وقد اهتم كأبيه بتربية المماليك تربية علمية وعسكرية، فتكون منهما ومماليكهم نظام المماليك في العراق، وانتهى تبديل الباشا وتعيينه من العثمانيين، وصارت حكومة بغداد بأيدي سلالة مستقلة من الحكام، ليس لها إلا الولاء الأسمى للعثمانيين، فأثر هذا في انتشار العدل والرخاء في ربوع العراق، توفي بعد أيام من مقتل خصمه نادر شاه سنة ١١٦٠هـ. ينظر: تاريخ المماليك (الكوله مند) في بغداد سليمان فائق بك (ص١٥، ٢٤)، موسوعة التاريخ الإسلامي أحمد شلبي (٧/ ٧٤٢-٧٤٥).

(٢) النجف مدينة بالعراق، على باب الكوفة، بينها وبين الكوفة ثمانية كليومترات تقريبًا، بها ضريح ينسب لعلي بن أبي طالب ﷺ. ينظر: الجغرافية الواردة في السيرة النبوية (ص١٧٥).

(٣) هو نادر خان، اتخذ لقب شاه بعد توليه حكم إيران، يعد من شاهاتها العظام، خلع آخر ملوك الدولة الصفوية في عام ١١٤٨هـ، ونقل عاصمته إلى مشهد، وبلغت مدة حكمه نحو اثني عشرة سنة، وفي سنوات حياته الأخيرة حاول التقريب بين أهل السنة والشيعة، قتل على يد أحد أبناء عشيرته سنة ١١٦٠هـ. ينظر: تاريخ إيران بعد الإسلام (ص٧٠٨- ٧٢٢)، تاريخ الدولة الصفوية في إيران (ص٢٥١-٢٥٢)، قصة الحضارة لويليام ديورانت (٤١/ ١٩-٢١).

وله مصنفات كثيرة في فنون متعددة، منها: (إتحاف الحبيب) حاشية على مغني اللبيب، (شرح صحيح البخاري)، توفي ببغداد سنة ١١٧٤هـ[١].

٤) رحلة الورثيلاني: (**نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**):

التعريف بالرحلة: تقع النسخة المحققة لهذه الرحلة[٢] في مجلدين، ويبلغ مجموع صفحاتهما (٨٢٦) صفحة.

وهي عن حجته الثالثة التي ابتدأها من بجاية[٣] عام ١١٧٩هـ، وانتهى منها ليلة الجمعة وليلة العيد ويوم عرفة، عام ١١٨١هـ.

ويصفها مؤلفها بقوله: «أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي، ويستحسنها الشّادي، فإنّها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار، مبيّنًا فيها بعض الأحكام الغريبة، والحكايات المستحسنة، والغرائب العجيبة، وبعض الأحكام الشرعية، مع ما فيها من التصوف مما فتح به عليّ، أو منقولاً من الكتب المعتبرة»[٤].

وقد أكثر وأطال من النقل عن رحلة العياشي، ورحلة ابن ناصر الدرعي، مما قد يتعذر معه تمييز كلامه عن كلامهم المنقول.

وقد حوت الرحلة على معلومات أدبية، وجغرافية، وأخبار في تاريخ الجزائر خاصة، وتاريخ العالم العربي عامة، وفيها تراجم للعديد من الأعلام، وبهذا تعد رحلة الورثيلاني من أهم الرحلات الحجازية المغربية.

وهي كالعياشية مغرقة في التصوف، فهي تعنى بالمشاهد والمزارات والقبور، وتهتم بالطرق والمدارس الصوفية ورجالها والمنتسبين لها، وفيها مبالغات وغلو، وغيرها من أمور الصوفية.

---

(١) ينظر: سلك الدرر (٣/ ٨٤)، المسك الأذفر لمحمود شكري الآلوسي (٦٠-٦٤)، معجم المطبوعات (١/ ١٠٦٦، ١٠٦٧)، والأعلام (٤/ ٨٠)، معجم المؤلفين (٣/ ١٥٤)، مقدمة الرحلة.

(٢) حققها وقدم لها: محمد بن أبي شنب.

(٣) بجاية بالكسر وتخفيف الجيم، مدينة على ساحل البحر في الجزائر بين تونس والمغرب، اختطها ملوك صنهاجة أصحاب قلعة حماد في حدود سنة ٧٥٤هـ. ينظر: معجم البلدان (١/ ٣٣٩)، الروض المعطار (ص٨٠-٨١).

(٤) رحلة الورثيلاني (١/ ١٢-١٣).

أما مؤلفها: فهو الحسين بن محمد السعيد الورثيلاني، مؤرخ، من فقهاء المالكية، متصوف.

نسبته إلى بني ورثيلان، قبيلة بالمغرب الأوسط قرب بجاية، بالجزائر، ولد فيها سنة ١١٢٥هـ، وبها نشأ، وأخذ العلم عن والده، وشيوخ وطنه، رحل إلى المشرق، وحج بيت الله الحرام ثلاث مرات الأولى سنة ١١٥٣هـ، والثانية سنة ١١٦٦هـ، والثالثة سنة ١١٧٩هـ، فأخذ عن علماء مصر والحجاز، كالشيخ النفراوي(١)، والعمروسي(٢)وغيرهما.

له تآليف منها: (شرح منظومة الأخضري) في التصوف، و(شرح على خطبة الصغرى)، و(قصيدة ميمية) نحو ٥٠٠ بيت في مدح النبي ﷺ، وعدة رسائل.

توفي في شهر رمضان سنة ١١٩٣هـ، وقيل: سنة ١١٩٤هـ(٣).

---

(١) هو سالم بن محمد النفراوي المالكي أبو النجا: فقيه ضرير، مصري، نسبته إلى (نفرى) من أعمال جزيرة قويسنا، بمصر، تعلم بالأزهر، واشتهر بمعرفة فروع المذهب، واستحضار الفروع الفقهية، وأجيز له بالإفتاء، توفي عن سن عالية سنة ١١٦٨هـ، وكانت جنازته مشهودة حضرها الورثيلاني. ينظر: عجائب الآثار (١/ ٢٨٠-٢٨١)، شجرة النور (١/ ٣٣٨)، الأعلام (٣/ ٧٢-٧٣).

(٢) هو علي بن خضر بن أحمد العمروسي المالكي، أخذ عن محمد السلموني والشهاب النفراوي ومحمد الزرقاني، ودرس بالجامع الأزهر، واختصر المختصر الخليلي في نحو الربع ثم شرحه، توفي سنة ١١٧٣هـ. ينظر: عجائب الآثار (١/ ٣٠١)، شجرة النور (١/ ٣٣٩)، الأعلام (٤/ ٢٨٤-٢٨٥).

(٣) ينظر: تعريف الخلف للحفناوي (١/ ١٣٣-١٤٠)، شجرة النور (١/ ٣٥٧)، مقدمة الرحلة الورثيلانية (ص٥-٦)، معجم المطبوعات (٢/ ١٩١٣)، الأعلام (٢/ ٢٥٧)، الموسوعة العربية الميسرة (ص٣٥٨٥)، معجم المؤلفين (٤/ ٥١)، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر لعادل نويهض (ص٣٤٠).

المبحث الثالث: التعريف بكتب ومؤلفي رحلات الحج العربية في القرن الثالث عشر:

١) رحلة المكناسي: (إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب):

التعريف بالرحلة: تقع النسخة المحققة لهذه الرحلة[١] في مجلد واحد، ويبلغ مجموع صفحاته (٤٢١) صفحة.

بدأ رحلته في أول شهر محرم سنة ١٢٠٠هـ، وانتهى منها آخر يوم من شعبان ١٢٠٢هـ.

وقد خرج سفيرًا لسلطان المغرب محمد بن عبد الله، إلى السلطان العثماني عبد الحميد خان، يقول عن خروجه وتأليفه للرحلة: «فعيَّننا...سيدي محمد بن أمير المؤمنين مولانا عبد الله، وأمرنا...بالتوجه أولاً إلى القسطنطينية...حتى نتلاقى مع سلطانها...السلطان عبد الحميد خان...وأمرني...أننا إذا تقضينا من القسطنطينية غرض الرسالة...نستعد للسرى إلى أم القرى، لنتقضى مناسك الحج ووظائف العج والثج، ونفرق هديته على أهل الحرمين التي أصحبنا...أن نرسم له ما تتفق رؤيته في هذا السفر، في البدو والحضر»[٢].

وتكاد تنفرد رحلته عن غيرها من رحلات الحج المغربية التي سلكت الطريق التقليدية إلى الحج عبر مصر، فقد سلك المكناسي طريق الحج العثماني.

وفي الرحلة معطيات عن أوضاع عاصمة الدولة العثمانية، وولاياتها العربية، في مختلف الميادين السياسية والفكرية والاجتماعية، وتساهم في تصحيح كثير من المقولات التي علقت بتاريخ العثمانيين، من جراء الاعتماد شبه المطلق على كتابات وتقارير الأوربيين.

تضمنت رحلته تراجم وسردًا ليومياته، وقضايا فقهية ولغوية، ومراسلات ومسامرات بينه وبين أصدقائه عقب رجوعه إلى مكناس، كما هو الأسلوب المتبع في مراسلات الفقهاء والأدباء، فقد امتاز أسلوبه بالقوة والبراعة في تنميق العبارات.

---

(١) حققها وقدم لها: محمد بوكبوط.

(٢) رحلة المكناسي (ص٤٨-٤٩).

وقد اعتمد مصادر علمية متنوعة الفنون في استقاء مادة رحلته، وكان كثيرًا ما يقتبس منها ويحيل إليها، مما جعل أسلوبه عند الاقتباس يتصف بكثرة الاستطراد.

أما مؤلفها: فهو محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسي، أبو عبد الله، فقيه أديب، كاتب، شاعر، رحالة، ولد في أواسط القرن الثاني عشر الهجري بمكناسة في المغرب، وبها نشأ، في أسرة عريقة في العلم، فقد كان أبوه واعظًا في أحد مساجد مكناسة، وقد ناب عنه فيما بعد.

استخدمه المولى محمد بن عبد الله[1] في بعض الأعمال، ثم استوزره، وما زال يترقى عنده حتى نصبه سفيرًا لبلاده، وانتدبه لكثير من المهمات وعقد المعاهدات، فرحل عدة رحلات بتكليف من السلطان، ولقي فيها علماء وأدباء وشيوخًا وأخذ عنهم، منهم محمد كمال الدين الغزي[2] وغيره.

له تآليف منها: رحلتين عن سفارته إلى أوربا (الإكسير في فكاك الأسير)، و(البدر السافر إلى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر).

توفي بالطاعون، في مراكش بالمغرب، سنة ١٢١٣هـ[3].

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن الشريف الحسني، المالكي، من ملوك الدولة السجلماسية العلوية بالمغرب، ومن خيار رجالها، وهو أول من اتخذ منهم (مراكش) عاصمة له، وكان في أيام أبيه أميرًا عليها، وبويع بها بعد وفاة أبيه سنة ١١٧١ هـ، وقد عمل لصالح خلافته أعمالا كثيرة كان لها آثارٌ كبيرة، وألف تآليف بإعانة بعض الفقهاء، منها: (الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية التي تشفى بها القلوب الصدية)، و(مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه الصبيان)، توفي سنة ١٢٠٤هـ. ينظر: الاستقصا (٧/ ٣-٦٥)، إتحاف أعلام الناس (٣/ ١٧٩-٤٢٣)، الأعلام (٦/ ٢٤١-٢٤٢).

(٢) هو محمد بن محمد شريف بن شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري الحسيني الصديقي، أبو الفضل، كمال الدين، مؤرخ نسابة أديب، مفتي الشافعية في دمشق، ولد فيها وبها نشأ في حجر والده، من مؤلفاته: (الورد الأنسي والوارد القدسي، في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي)، (النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل) توفي بدمشق سنة ١٢١٤هـ. ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (٣/ ١٣٣٢)، الأعلام (٧/ ٧٠-٧١).

(٣) ينظر: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس لابن زيدان (٤/ ١٩٢-٢٠١)، مقدمة رحلة المكناسي (١١-٣٩)، الأعلام (٦/ ٢٥٧-٢٥٨)، معجم المؤلفين (١٠/ ٢٧٠-٢٧١)، رحالة السفير محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسي لمحمد بوكبوط، مقالة منشورة بمجلة فكر ونقد العدد ٨٧ مارس ٢٠٠٧م.

٢) رحلة الزياني: (الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برًّا وبحرًا):

التعريف بالرحلة: تقع النسخة المحققة للرحلة[١] في مجلد كبير يبلغ عدد صفحاته (٦٥٩) صفحة، وكان تاريخ الفراغ منها في تمام ذي الحجة سنة ١٢٣٣هـ.

وهو كتاب موسوعي جمع رحلاتٍ ثلاثا، قسمها على الأقاليم السبعة للعالم، سجل فيها إلى جانب مذكراته ومشاهداته وتقييداته الكثيرَ من الفصول في مختلف العلوم، وخاصة التاريخ قديمه وحديثه، وأعطى صورة عن الحياة الاجتماعية والسياسية بطريقة متميزة، واستفاد من رحلاته واتصالاته وتقربه من ملكين من ملوك المغرب.

وقد استقى مادة رحلته الجغرافية من عدد من مشاهير الرحَّالة، أمثال العياشي، والمكناسي معاصر الزياني، ولكن الزياني في معرض تعداده لمن أخذ عنهم لم يتعرض لذكر المكناسي، وقد اشترك مع المكناسي في سلوك طريق الحج العثماني، خلافًا لبقية رحلات الحجاز المغربية.

ومن القضايا المهمة التي عرض لها في رحلته إيراده لرسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- لعلماء تونس، وجواب التونسيين عليها، يقول في ذلك: «رجوعًا لخبر هذا الوهبي...فإنه لما عات[٢] في أقطار الحجاز وجزيرة العرب كلها، وتعدى عيثه إلى الحرمين الشريفين، ولم يجد من يعارضه من ملوك أهل السنة، وجّه كتبه إلى أقاليم أهل السنة

---

(١) حققه وعلق عليه: عبد الكريم الفيلالي.

(٢) الصحيح (عاث) بالثاء المثلثة، وهو المناسب لما بعده.

يدعوهم لاتباع مذهبه الفاسد وبدعته الشنعاء[1]، كالشام ومصر وتونس، فوجّه أهلُ تونس نسخةً من رسالته لفاس»[2].

وكذا قضية انتقاده للطريقة التيجانية[3] في المغرب[4].

أما مؤلفها: فهو أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم الزياني، نسبة إلى قبيلة زيان البربرية، ولد بفاس سنة ١١٤٧هـ، وبها نشأ وأخذ عن علمائها، وهاجر مع أسرته إلى الحجاز، وحج مع والده عام ١١٦٩هـ، ولقي خلال رحلته عددًا من العلماء منهم كمال الدين الغزي وغيره، وبعد عودته عاش بالقرب من ملكين: المولى محمد بن عبد الله، والمولى سليمان[5]، فرأى منهما التكريم والتقدير، فحصل على مناصب سياسية وإدارية، حتى لقِّب بمؤرخ الدولة العلوية[6]، وبذي الوزارتين بالمغرب، وسفيرها.

---

(١) هذه تهمة ليست بجديدة؛ بل من جملة التهم الباطلة التي ألصقها خصوم الدعوة الإصلاحية -على اختلاف أصنافهم- بالدعوة؛ فسيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وما كتبه، وما كتبه أتباعه من بعده، وكذا شهادة الكثيرين قديمًا وحديثًا على صفاء هذه الدعوة ونقائها، كل ذلك يدل بلا شك على أن حقيقة منهج الشيخ في عقيدته ودعوته هو منهج السلف الصالح. ينظر: عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية (ص١٥٣)، دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض لعبد العزيز آل عبداللطيف (ص١٩)، الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام المجدد (ص١٠١).

(٢) رحلة الزياني (ص٣٩٣).

(٣) هي طريقة من طرق الصوفية، تنتسب إلى أحمد التيجاني، المتوفى سنة ١٢٣٩هـ. وهو المؤسس الأول لها، وهي من أشد الفرق كفرًا وابتداعًا في الدين، ومن ضلالاتهم القول بوحدة الوجود، والشرك في الربوبية والألوهية وغيرها من عقائد؛ كبقية الطرق الصوفية المنحرفة. ينظر: الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها لعبد الله بن دجين السهلي (ص٩٥-٩٧)، الهدية الهادية على الطائفة التيجانية لمحمد تقي الدين الهلالي، التيجانية لعلي الدخيل الله.

(٤) ينظر: رحلة الزياني (ص٤٦٠).

(٥) هو سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل، أبو الربيع، من سلاطين الدولة العلوية، بويع بفاس سنة ١٢٠٦هـ، بعد وفاة أخيه المولى يزيد، كان فقيهًا ويجالس الفقهاء، ومحبًّا للعلم والعلماء، من مؤلفاته: (عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد)، وجمع له كاتبه المؤرخ الزياني فهرسا لأسماء شيوخه، سماه: (جمهرة التيجان في ذكر الملوك وأشياخ مولانا سليمان)، توفي سنة ١٢٣٨هـ. ينظر: الاستقصا (٣/ ٨٦-١٦٦)، الأعلام (٣/ ١٣٣-١٣٤).

(٦) ينتسب العلويون إلى محمد النفس الزكية ابن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط، وتأسست الدولة العلوية عام ١٠٤٣هـ، وأول ملوكها هو محمد بن الشريف بن علي الشريف المراكشي بن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريف السجلماسي المتوفى سنة ١٠٧٥هـ، واتخذ من سلجماسة عاصمة له، ومن أبرز ملوكها

وهو كاتب، مشارك في العروض والحساب والتنجيم، وقد أكثر من التأليف في فنون مختلفة، خاصة في فترة انعزاله، من عام ١٢٢٤هـ، حتى عام ١٢٤٩هـ، فقضى مدة خمس وعشرين سنة، أنتج خلالها عددًا من المؤلفات، منها: (الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب)، و(ألفية السلوك في وفيات الملوك)، و(الدرة في كشف مذاهب أهل البدع).

توفي بفاس سنة ١٢٤٧هـ، وقيل: ١٢٤٩هـ[١].

٣) رحلة القنوجي: (رحلة الصديق إلى البلد العتيق):

التعريف بالرحلة: تقع الرحلة المنشورة[٢] في مجلد واحد وتبلغ عدد صفحاته (١٧٤) صفحة.

وهي رحلة من الهند على ظهر سفينة، وصولاً إلى جدة ومن ثم إلى مكة المكرمة، جمع فيها مؤلفها مناسك الحج والعمرة بالأدلة من الكتاب والسنة على سبيل الاختصار، في خمسة أبواب، وجعل خاتمته في ذكر تفاصيل رحلته في (٩) صفحات فقط، منذ خروجه من بلده بهوبال يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر رجب، سنة ١٢٨٠هـ، حتى عودته إليها في أوائل شهر جمادى الآخرة، فكانت مدة الذهاب والإياب ثمانية أشهر[٣].

أما مؤلفها: فهو محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني القنوجي البخاري، أبو الطيب، ولد عام ١٢٤٨هـ، ونشأ وتعلم في قنوج[٤]، موطن آبائه.

إسماعيل بن محمد الذي ملكها زهاء ٥٥ سنة، من عام ١٠٨٢هـ. وكان عمره ٢٦ سنة، حتى وفاته عام ١١٣٩هـ، واتخذ من مكناس عاصمة له، وكانت أيامه من أزهى أيام الدولة العلوية. ينظر: الاستقصا (٧/ ٣-١١٤) وغيرها من المواضع، نشر المثاني (ص١٥٢٦، ١٥٢٨، ١٩٩٦-٢٠٠١) وغيرها من المواضع.

(١) ينظر: اليواقيت الثمينة (ص١٠٤)، فهرس الفهارس (١/ ٣١٣)، إيضاح المكنون (١/ ١٨١)، معجم المطبوعات (١/ ٩٨٣)، الأعلام (٥/ ١٧٢)، مقدمة الرحلة (ص٢٩-٤٥)، معجم المؤلفين (٨/ ٩٣).

(٢) إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية.

(٣) وحسب منهج البحث فالخاتمة فقط هي محل الدراسة.

(٤) قنوج بفتح أوله وتشديد ثانيه، من أكبر مدن شمال بلاد الهند، وأعظمها صيتًا وأقدمها بنيانًا، قصدها فاتحًا لها محمود بن سبكتكين، سلطان خُراسان من مستقره بغزنة عام ٤١٠هـ، في خلافة الإمام القادر بالله أمير المؤمنين العباسي. ينظر: معجم البلدان (٤/ ٤٠٩)، الروض المعطار (ص٤٧٤).

وفي عام ١٢٧٦هـ سافر إلى بهوبال[١] طلبا للمعيشة، ففاز بثروة وافرة، ثم تزوج بملكة بهوبال، كانت له جهود في نشر العلوم والمعارف، خصوصًا في العقيدة السلفية وعلم الحديث، ودعوة الناس إلى العمل بالكتاب والسنة، فحصلت في البلاد نهضة دينية وعلمية، له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم، بالعربية والفارسية والهندية، منها بالعربية: (عون الباري)، و(الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة)، و(أبجد العلوم)، و(فتح البيان في مقاصد القرآن)، و(حصول المأمول من علم الأصول)، توفي في بهوبال سنة ١٣٠٧هـ[٢].

٤) رحلة الكوازي: (الفتوحات الكوازية إلى الأراضي الحجازية):

التعريف بالرحلة: تقع الرحلة المنشورة[٣] في كتاب صغير يبلغ عدد صفحاته (٨٠) صفحة.

ابتدأ رحلته من البصرة يوم الأحد غرة شهر ذي القعدة عام ١٢٩٠هـ، وانتهى منها ليلة السبت الثالث والعشرين من صفر عام ١٢٩١هـ.

يقول عن رحلته: «فأحببت أن أذكر رحلة المسرى، وما صار في سفري وما جرى،...وجنبتها الألفاظ الخشنة، والكلمات التي ليست بمستحسنة، واستشهدت فيها ببعض الأبيات، ليأنس في مطالعها في الخلوات، ورتبتها على ترتيب الأيام»[٤].

فهي رحلة مختصرة، ذكر فيها وصف الطريق إلى الحجاز عن طريق البحر، والشخصيات التي التقى بها.

أما مؤلفها: فهو عبد الله ضياء الدين بن عبد الواحد بن عبد اللطيف آل عبد السلام الكوازي الشافعي البصري، من أسرة باش أعيان المعروفة في البصرة، وتنتسب إلى العباسيين،

---

(١) بهوبال مدينة في إقليم مالوة الدكن في وسط الهند. ينظر: اكتفاء القنوع (ص٤٩٧)، أبجد العلوم (٣/ ٢٧٢).

(٢) ينظر: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول لمحمد صديق خان القنوجي (٣٨١-٣٨٨)، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لنعمان الآلوسي (ص٦٢-٦٣)، حلية البشر (٢/ ٧٣٨-٧٤٦)، مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن آل الشيخ (ص٤٥١-٤٥٧)، الأعلام (٦/ ١٦٧-١٦٨).

(٣) نشر الدار العربية للموسوعات.

(٤) رحلة الكوازي (ص٦-٧).

ولد في البصرة عام ١٢٦٣هـ، درس على يد جده لأمه أحمد الأنصاري[(١)]، وعلى غيره من علماء بلده، تقلد عدة مناصب في الدولة العثمانية، وألف بحوثا ورسائل في مختلف العلوم، توفي في مسقط رأسه سنة ١٣٤٠هـ[(٢)].

٥) رحلة محمد صادق باشا: (الرحلات الحجازية):

التعريف بالرحلة: تقع النسخة المحققة لهذه الرحلات[(٣)] في مجلد واحد، وتبلغ مجموع صفحاته (٤٤٤) صفحة.

وقد تضمنت أربع رحلات مجموعة تحت عنوان واحد وهو: (الرحلات الحجازية) لكن محل الدراسة منها رحلتان، هما:

أ- نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية، وتقع في (٢٠) صفحة، وهي رحلة في عام ١٢٧٧هـ، قد رافق فيها الوالي محمد سعيد باشا[(٤)] في رحلته للأقطار الحجازية وزار المدينة المنورة، ورسم خريطة الطريق إلى المدينة المنورة مبينًا فيها معالمه، وقدم معلومات مستفيضة للأماكن المقدسة وبعض شعائر الحج والزيارة.

ب- مشعل المحمل، وتقع في (٩٤) صفحة، وهي رحلة في عام ١٢٩٧هـ، بعد أن عُيِّن أمينًا للصرة، فاعتنى فيها بوصف طريق محمل الحج، يقول في غايته من تأليف رحلته: «فإني قد استخرت الله أن أشرح ما شاهدته برًّا في طريق الحج الشريف من كل مأمن أو مخيف،

---

(١) هو أحمد بن نور الأنصاري، قاض شافعي، ولد في (نابند) في الخليج العربي، وانتقل مع أبيه إلى البصرة، وعين فيها مدرسًا في المدرسة السليمانية، ثم قاضيًا، من مؤلفاته: (النصرة في أخبار البصرة)، و(مساجد البصرة)، وله شروح وتعليقات على بعض المتون في فقه الشافعية، توفي سنة ١٣٠٢هـ. ينظر: الأعلام (١/ ٢٦٤-٢٦٥).

(٢) ينظر: الأعلام (٤/ ١٠١)، أدب الطف لجواد شبر (٩/ ٤٠-٤٣).

(٣) إعداد وتحرير: محمد همام فكري.

(٤) هو محمد سعيد باشا بن محمد علي الكبير، من ولاة مصر، ولد في الإسكندرية، وتعلم في مدارس القاهرة، وولي مصر بعد وفاة عباس الأول سنة ١٢٧٠ هـ، وبنيت في أيامه مدينة بور سعيد، فسميت باسمه، مرض وسافر إلى أوربا للعلاج ثم عاد إلى الإسكندرية وبها توفي سنة ١٢٧٩ هـ. ينظر: تاريخ مصر في عهد إسماعيل (١/ ٢ – ٧)، الأعلام (٦/ ١٤٠-١٤١).

وما هو جارٍ في كيفية أداء هذه الفريضة الإسلامية ليكون دليلاً مختصرًا مفيدًا للأمة المحمدية...»[١].

أما مؤلفها: فهو محمد صادق باشا، مصري، مهندس، ضابط، وجغرافي، ولد في القاهرة سنة ١٢٣٧هـ، وبها نشأ وتعلم في مدارسها ثم تمم في فرنسا، تنقل بين عدة مناصب عسكرية ومدنية عديدة، منها: رتبة اللواء[٢]، ولقب باشا[٣]، وعضو بارز في الجمعية الجغرافية، وأمين صرة المحمل المصري، ثم أمير للحج، وهو الذي أشار بتسفير المحمل بحرًا، وعُمل بإشارته.

قام بعدة رحلات إلى الأراضي الحجازية، تزود فيها بالأجهزة العلمية، التي أعانته في تسجيل البيانات ورسم الخرائط وتعيين المحطات، ووصف طبيعة الأرض بشكل عام، فاكتسب من هذه الرحلات معارف واسعة النطاق في جغرافية الحجاز، ألقى فيها محاضرات قيمة عن هذه البلاد، وأفاد بمؤلفاته العديد من المعلومات الجغرافية القيمة في تاريخ الكشف الجغرافي للحجاز، فلأول مرة استعملت آلة التصوير الحديثة (الكاميرا) داخل الحرم النبوي في المدينة النبوية، وأُخذت قياسات له، وعملت خارطة لقبر رسول الله ﷺ.

له ميول أدبية تظهر من خلال مؤلفاته منها: (كوكب الحج)، و(نبذة سياحية إلى الآستانة العلية) وله نظم، توفي سنة ١٣٢٠هـ[٤].

٦) رحلة السنوسي: (الرحلة الحجازية):

التعريف بالرحلة: تقع النسخة المحققة للرحلة[٥] في ثلاثة مجلدات، وتبلغ مجموع صفحاتها بملاحقها (١٣٠١) من الصفحات.

---

(١) مشعل المحمل (ص٧١).

(٢) «رتبة عسكرية فوق العقيد ودون الفريق (محدثة)» المعجم الوسيط (٢/ ٨٤٨).

(٣) «لقب من ألقاب الشرف استعمل في تركيا والبلاد التي خضعت لها» المعجم الوسيط (١/ ٣٦).

(٤) ينظر: مقدمة الرحلات الحجازية لمحمد صادق (ص١٣-٢٦)، البعثات العلمية عمر طوسون (ص٣٠٠- ٣٠٢)، اكتفاء القنوع (ص٤١٥)، معجم المطبوعات (٢/ ١٦٦٧)، الموسوعة العربية الميسرة (ص٣٠٤٩)، الأعلام (٦/ ١٦١)، معجم المؤلفين (١٠/ ٧٤-٧٥).

(٥) تحقيق: علي الشنوفي.

ابتدأ رحلته للحج بالسفر إلى إيطاليا في الثامن من رجب سنة ١٢٩٩هـ، وعاد منها إلى تونس في السادس والعشرين من ربيع الأول سنة ١٣٠٠هـ، وكان تأليفه لهذه الرحلة بعد سنة ١٣٠٠ إلى ١٣٠٣هـ.

وعلى الرغم من أنها رحلة إلى الحج وعنونها مؤلفها بـــ(الرحلات الحجازية)؛ إلا أن الحديث عن الحج وبلاد الحجاز لم يستغرق كثيرًا من كتابه.

وقد وضع المؤلف هذه الرحلة في ثلاثة أجزاء: خصّص الجزء الأول للحديث عن إيطاليا وقد احتوى على مسائل فقهية وأخلاقية، وعلوم ومخترعات، والجزء الثاني للحديث عن تركيا والحجاز، ولمحة تاريخية عن الخلافة العثمانية، وذكر أدائه لمناسك الحج وزيارة المدينة، وفيها طرق لعدة موضوعات أدبية وفقهية واجتماعية وغير ذلك، والجزء الثالث لتراجم من تعرف عليهم من أعلام العالم الإسلامي في القرن الثالث عشر الهجري، مع تسجيلٍ لمشاهداته في مكة والمدينة، ووصفٍ لمنازل الحج إلى الشام، وقد قال السنوسي بخصوص وسم رحلته بالحجازية: «وبما أن أصل السفر للحجاز كان هو أول غرض فيما عُرض، نسبت إليه جميع الكتاب؛ اعتبارًا لشرف ما اختص به من المزية وسميته الرحلة الحجازية»(١).

وقد قارب السنوسي في طابع رحلته طابع بعض مشاهير الرحالة كالعياشي؛ مما يدل على أنه أفاد منهم.

أما مؤلفها: فهو محمد بن عثمان بن محمد السنوسي، أبو عبد الله، أديب وله اشتغال بالتاريخ والنظم.

ولد بتونس سنة ١٢٨٠هـ، ونشأ في عائلة عريقة في العلم؛ فجده كان قاضيًا في تونس، وكذا أبوه، انتسب للطريقة القادرية، وعين حاكما في القسم الجنائي بفرع الوزارة في تونس، وكان مدرسًا بجامعٍ فيها، ومحررًا وكاتبًا.

---

(١) رحلة السنوسي (١/ ٤٤).

رحل رحلات عديدة، إلى الحجاز ودول من أوروبا، وأخذ عن عدد من الشيوخ، منهم سالم بو حاجب[١] وهو عمدته، ألف تآليف في الأدب، منها: (جمع الدواوين التونسية)، و(مسامرة الظريف بحسن التعريف)، و(مطلع الدراري) توفي بتونس سنة١٣١٨هـ[٢].

---

(١) هو سالم بن عمر بو حاجب النبيلي، أبو النجاة، فاضل مالكي، من أهل تونس، اجتمع بأعلام من أهل المشرق والمغرب، تولى التدريس بجامع الزيتونة ثم الفتيا سنة ١٣٢٣هـ، ثم عين كبيرا لأهل الشورى المالكية، رحل لتركيا وإيطاليا في مهمات، من مؤلفاته: (شرح على ألفية ابن عاصم) في الأصول، وديوان خطب ورسائل، وتقريرات على البخاري، توفي سنة ١٣٤٢هـ. ينظر: شجرة النور الزكية (ص٤٢٦-٤٢٨)، الأعلام (٣/ ٧١)، معجم المؤلفين (٤/ ٢٠٣).

(٢) ينظر: رحلة السنوسي (١/ ١٠-١٢، ٣/ ١١-١٣)، شجرة النور (٤١٧)، الأعلام (٦/ ٢٦٣).

الفصل الثاني

توحيد المعرفة والإثبات

ويشتمل على المبحثين التاليين:

المبحث الأول: تعريف توحيد المعرفة والإثبات وأدلته.

المبحث الثاني: المسائل في توحيد المعرفة والإثبات وتقويمها.

المبحث الأول

تعريف توحيد المعرفة والإثبات وأدلته

الإيمان بالله تعالى هو الركن الأول من أركان الإيمان الستة، فمعرفة الله وعبادته أشرف المطالب، وأعلى المقاصد، فشرف العلم من شرف المعلوم، وأهمية التوحيد وفضله أمر متفق عليه بين طوائف المسلمين، إلا أنه قد انحرف بعضهم عن حقيقته ومعناه الذي فهمه سلف الأمة الموافق لما دعا إليه النبي ﷺ.

تعريف التوحيد لغة:

(وحد): «الواو والحاء والدال: أصلٌ واحد يدلُّ على الانفراد»[1].

والوحدة: الانفراد، تقول: رأيته وحده، ووحيد، أي منفرد، وتوحد برأيه: تفرد به، وفلان واحد دهره، أي لا نظير له، وفلان لا واحد له[2].

فمعنى التوحيد في اللغة مداره على الانفراد، كما أن الواحد في اللغة هو المنفرد.

تعريف التوحيد اصطلاحًا:

هو «أن اللّه واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له»[3].

فهذا التعريف يتضمن الإقرار والإيمان بأن الله واحد فرد من جميع الوجوه، فهو واحد في ذاته لا ولد له ولا والد، وهو واحد في ربوبيته، لا خالق معه ولا متصرف ولا مدبر لشيء في هذا الكون غيره، إنما الكون كله خلقًا وتدبيرًا وتصرفًا بيده سبحانه، وواحد في أسمائه وصفاته لا مثيل له سبحانه، وواحد سبحانه في عبادته لا شريك له في العبادة لا أولياء ولا وسطاء، وإنما العبادة له وحده لا شريك له.

فهو شامل لانفراد الله تعالى بالأسماء الحسنى، والصفات العليا التي لا يماثله فيها مخلوق أبدًا، وبأفعاله المتعدية كالخلق والرزق، وباستحقاقه للعبادة وحده دون سواه.

وهذا هو المدلول الشرعي لكلمة التوحيد، وقد عبّر أهل السنة والجماعة عن هذا المعنى بذكرهم لقسمي التوحيد، وهما:

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٦/ ٩٠).

(٢) ينظر: الصحاح (٢/ ٥٤٨، ٥٤٧)، لسان العرب (٦/ ٤٧٧٩-٢٧٨٣).

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله آل الشيخ (ص١٧).

١- توحيد المعرفة والإثبات، وهو توحيد الرّبوبية والأسماء والصّفات، وهو التوحيد العلمي الخبري، وسمي بالتوحيد العلمي؛ لأنه يعتني بجانب معرفة الله، فالعلمي أي: العلم بالله، والخبري؛ لأنه يتوقف على الخبر أي: الكتاب والسنة.

٢- توحيد القصد والطلب، وهو توحيد الإلهية والعبادة.

وقد جمع الله جل وعز بين قسمي التوحيد في مواضع متعددة في كتابه العزيز، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة: ٧٦].

بل إن آيات القرآن كله في التوحيد؛ فهي إما خبر عن الله وربوبيته وأسمائه وصفاته فهو توحيد المعرفة والإثبات، وإما دعوة إلى إخلاص العبادة له وحده لا شريك فهو توحيد القصد والطلب، وإما أمر ونهي فهو من حقوق ذلك التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد، ونكال أهل الشرك فهو خبر عن ثواب من أقام التوحيد وعقاب من انحرف عنه[(١)].

وهذا التقسيم للتوحيد باعتبار ما يجب على الموحِّد، فالمعرفة والإثبات؛ لأن الواجب فيه على الموحِّد العلم والمعرفة بالله بما دلّ عليه الكتاب والسنة.

والقصد والطلب؛ لأن الواجب فيه على الموحِّد توجيه قصده وطلبه وإرادته وإخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له[(٢)(٣)].

---

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (٣/ ٤٥٠)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص ٤١).

(٢) ينظر: دعوة التوحيد لمحمد خليل هراس (ص١١).

(٣) لأهل السنة تقسيم آخر للتوحيد باعتبار ما يتعلق بالله، وهو ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وكلا التقسيمين تقسيم استقرائي صحيح. ينظر: دعوة التوحيد (ص ٨-١١)، المختصر المفيد في بيان دلائل أقسام التوحيد لعبد الرزاق عبد المحسن البدر (ص ٢٨-٣٦).

تعريف توحيد المعرفة والإثبات وأدلته:

هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وأسمائه وصفاته وأفعاله وعلوه فوق سمواته على عرشه، وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، وأنه تعالى المتفرد بذلك لا شريك له ولا ند ولا مثيل، كما أخبر سبحانه عن نفسه وأخبر رسول الله ﷺ(1).

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، كما في أوائل سورة الحديد، قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)﴾ [الحديد: ١-٦].

وفي أوائل سورة طه، قال تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (٤) الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ (٥)﴾ [طه: ٤ — ٥].

وآخر سورة الحشر، وأوائل سورتي السجدة وآل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها وغيرها.

وكان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه يقول: ((اللهم رب السموات ورب الأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومترل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر))(2).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: ((اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (٣/ ٤٤٩)، شرح العقيدة الطحاوية (ص ٦٣).

(٢) أخرجه مسلم كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٤/ ٢٠٨٤) ح(٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير))[(١)].

وقد دل على توحيد المعرفة والإثبات آيات الله في الآفاق وفي الأنفس، فطريق تحقيق هذا التوحيد وتثبيته في النفوس هو منهج القرآن الذي يقود إلى النظر ويأمر به.

قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١].

فاستدل بتوحيد المعرفة على وجوب توحيد العبادة؛ لما بينهما من التلازم؛ فإن الإقرار بمجرد توحيد المعرفة والإثبات لا يكون به المرء موحدًا[(٢)].

وهذا النوع -أي توحيد المعرفة والإثبات- هو توحيد الأسماء والصفات والذي يدخل فيه توحيد الربوبية، وهو التوحيد المتضمن على أقوال القلوب وهو اعترافها واعتقادها، وعلى أقوال اللسان والثناء على الله بتوحيده، من إثبات صفات الجلال والكمال لله ﷻ، فلا رب سوى خالق الأرض والسماء، كما أنه لا يشبهه أحد من خلقه لا في ذاته، ولا في صفاته وأفعاله، تعالى سبحانه وتقدس عن الشبيه والنظير[(٣)].

ولهذا لما كان وجوب الوجود والغنى عن الغير من خصائص رب العالمين، كان الاستقلال بالفعل، والتنزه عن الشريك في الفعل والمفعول من خصائصه كذلك، فليس في المخلوقات ما هو مستقل بشيء من المفعولات، فالرب سبحانه هو وحده الذي لا شريك له، ولا ند، بل ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ ولهذا لا يستحق غيره أن يسمى خالقًا ولا

---

(١) أخرجه مسلم كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٤/ ٢٠٨٧) ح(٢٧١٩).

(٢) سيأتي تفصيله في الفصل الثاني إن شاء الله.

(٣) ينظر: التوحيد لابن خزيمة (١/ ١٨)، توضيح الكافية الشافية لعبد الرحمن السعدي -ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ- (٣/٢١٢).

ربًّا مطلقًا ونحو ذلك؛ لأن ذلك يقتضي الاستقلال والانفراد بالمفعول المصنوع، وليس ذلك إلا لله وحده[١].

يقول الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله- عن مترلة هذا النوع من التوحيد: «فهو الأصل، ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه، كما قال تعالى فيمن أقر بمسألة منه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف: ٨٧]، ومما يوضح لك الأمر أن التوكل من نتائجه، والتوكل من أعلى مقامات الدين، ودرجات المؤمنين، وقد تصدر الإنابة والتوكل من عابد الوثن بسبب معرفته بالربوبية، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨]، وأما عبادته سبحانه بالإخلاص دائما، في الشدة والرخاء فلا يعرفونها، وهي نتيجة الإلهية»[٢].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/ ٣٥-٣٦).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٦٤-٦٥).

المبحث الثاني

المسائل الواردة في توحيد المعرفة والإثبات وتقويمها

ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: اعتقاد التصريف للأولياء.

المطلب الثاني: عقيدة وحدة الوجود.

المطلب الثالث: ما يتعلق ببعض الأسماء والصفات.

المطلب الأول: اعتقاد التصريف للأولياء:

إن الإيمان الله وحده رب كل شيء ومليكه، وأنه المتفرد سبحانه بالخلق والرزق والتصريف والتدبير، أمر فطريٌّ، جبلت عليه النفوس، وتكاثرت عليه الأدلة، وتنوعت في دلالتها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة: ١٧].

وجميع الخلق مقرون بهذا التوحيد في الجملة، إلا شواذ من البشر ظلمًا ومكابرة، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤].

وقد أخبر الله عن مشركي قريش مع كفرهم، أنهم مقرون بأن لله أفعالاً هي من خصائص ربوبيته، قال الله تعالى عنهم: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١](١).

ولقد غلا كثير من الصوفية في أوليائهم من الأحياء والأموات، فأعطوهم بعض خصائص الرب تبارك وتعالى، وجعلوا لهم أفعالاً كأفعاله جل وعلا، فنسبوا إليهم القدرة على التصرف في الكون، ورفعوهم إلى مقام الرب العظيم.

ومن طبقات الأولياء عند الصوفية: الأقطاب، والأوتاد، والأبدال، والنقباء، والنجباء(٢).

ومعاني هذه الطبقات عندهم كما يلي:

- الأقطاب: جمع قطب، وهو الجامع للأحوال والمقامات، وموضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان، وهو الغوث حين التجأ الملهوف إليه(٣).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٣٧-٣٨)، تجريد التوحيد المفيد للمقريزي (ص١٧)، تيسير العزيز الحميد (١/ ١٧-١٨).

(٢) ينظر: الفتوحات المكية (٢/ ٤١).

(٣) ينظر: الفتوحات المكية (٢/ ٦)، معجم اصطلاحات الصوفية للقاشاني (ص١٦٢)، معجم مصطلحات الصوفية للحنفي (ص٢١٧)، معجم ألفاظ الصوفية للشرقاوي (ص٢٣٥).

- الأبدال: جمع بدل، يحفظ الله بهم نظام الكون، إذا مات منهم أحد أبدل الله مكانه غيره، وقيل: سموا بذلك لما لهم من القدرة أن يرتحل أحدهم ويترك بدله على صورته، بحيث كل من رآه لا يشك من أنه هو[(١)].

- الأوتاد: هم أربعة في كل زمان، يحفظ الله بهم الجهات الأربع من العالم الشرق والغرب والشمال والجنوب؛ لكونهم محل نظره تعالى[(٢)].

- النجباء: هم الذين تبدو منهم وعليهم علامة القبول، متصرفون في الناس قائمون بإصلاح أحوالهم وحمل أثقالهم[(٣)].

- النقباء: هم الذين تحققوا باسم الله الباطن، بأيديهم علوم الشرائع، واستخراج خبايا النفوس[(٤)].

وقد كثر في كتب بعض الرحالة الصوفية لفظ الأبدال والأقطاب والغوث، والاعتقاد فيهم، فمن ذلك ما يقوله ابن مليح عن مناقب أبي العباس السبتي[(٥)]: «وقد أثبت من غرائبه ما ينوب عن العيان، وحدث بعض مشايخه أنهم سمعوه يقول: أنا القطب»[(٦)].

---

(١) ينظر: الفتوحات المكية (٢/ ٧)، معجم اصطلاحات الصوفية (ص٦٢)، معجم مصطلحات الصوفية (ص٣٢)، معجم ألفاظ الصوفية (ص٢٢).

(٢) ينظر: الفتوحات المكية (٢/ ٧)، معجم اصطلاحات الصوفية (ص٥٨)، معجم مصطلحات الصوفية (ص٦٢-٦٣)، معجم ألفاظ الصوفية (ص٦٢-٦٣).

(٣) ينظر: الفتوحات المكية (٢/ ٨)، معجم اصطلاحات الصوفية (ص١١٤)، معجم مصطلحات الصوفية (ص٢٥٥)، معجم ألفاظ الصوفية (ص٢٦٩-٢٧٠).

(٤) ينظر: الفتوحات المكية (٢/ ٧)، معجم اصطلاحات الصوفية (ص١١٦)، معجم مصطلحات الصوفية (ص٢٥٨)، معجم ألفاظ الصوفية (ص٢٦٩-٢٧٠).

(٥) هو أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي المراكشي، أبو العباس كان في آخر المائة السادسة بمراكش، من أعلام الصوفية بالمغرب نسبت إليه (الزايرجة) في ادعاء علم الغيب، وأورد صاحب كتاب: (الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من أعلام) سيرته في مائة صفحة. ينظر: الإعلام بمن حل مراكش (١/٢٣٤-٣٢٥)، كشف الظنون (٢/ ٩٤٨).

(٦) رحلة ابن مليح (ص٣)، وينظر: (ص١٣).

ويقول العياشي عن قبر الإمام الشافعي: «وزرنا قبر الإمام الذي لا ينبغي لأحد دخل مصر أن يهمل زيارته؛ إذ هو صاحب التصريف التام بمصر ...»(١).

ويقول في بعض أولياء مصر:

أهل المذاهب أربـاب المواهـب أهــ ـــل النفع والدفع غوث المرء إن جزعـا
يا سادة الناس يـا أهـل الولايـة يـا مـن لا يخيـب في بـرهم طَمعـا
مثلـك يمنـع الجـار فجـاركم من كل سـوء بفـضل الله قـد منعـا
لك التـصرف في هـذه الـبلاد فـلا يخيب عبـد لغيـث جـودك انتجعـا
كـم كربـة ضـاق المـستجير بهـا فرجتموهـا فعـاد الـضيق متـسعا(٢)

ويقول عن أحد الأولياء حين مروره على قرية: «وله عند أهلها مزية عظيمة ويرون أنه من أهل التصريف، فكل من له حاجة طلبها منه وأتاه بصدقة، ولا يذهب عنه إلا وهو يعتقد أنه قد ظفر بحاجته...»(٣).

ويقول النابلسي حين زيارته لقبر الإمام الشافعي:

ألا يـا واحـد الـدنيا كمـالاً ويا من فـاق بالنـسب الزكـيِّ
ويا من قد حمى في مـصر جـارًا من القوم الـنزول بكـل حـيّ
ويا مـن بالتـصرف في البرايـا حباه الله عـن خلـق ذكـيّ(٤)

ويقول حين زيارته لقبر محمد الصديقي البكري(٥) وأولاده:

---

(١) رحلة العياشي (١/٢٦١).

(٢) المصدر السابق (١/٢١٥-٢١٧)، وينظر: (١/٥١٨، ٢/٢٣٣).

(٣) المصدر السابق (٢/٥٣١).

(٤) رحلة النابلسي (ص١٩٤).

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو الحسن البكري الصديقي، أبو المكارم شمس الـدين: الـشافعي الأشعري، الصوفي المصري، قال مترجموه: هو المنعوت بأبيض الوجه، وحيثما أطلق في كتب التواريخ أو المناقب أو الطبقات اسم القطب البكري، أو البكري الكبير، أو سيدي محمد البكري فهو المعني، من مؤلفاتـه: (شـرح مختصر أبى شجاع)، ورسائل في التصوف والعبادات، توفي بالقاهرة سنة ٩٩٣هـ. ينظر: النور السافر عن أخبـار

قبــور زهــت عــزا ومجــدا ورونقــا　　وأسرارها جلت عــن العــد والحــصر
لقد ودت الأمــصار لــو جمعــت لهــا　　وما فاز بالأسرار منــها ســوى مــصر
هو القطب بكــري الوجــود جلالــة　　لــه نفحــات القــدس طيبــة العطــر
فللــه مــن قطــب جليــل مهــذب　　عليه يدور الأمــر في ســائر القطــر[١]

وذكر النابلسي أبياتًا قد كُتبت في قبة قبر أحد الأولياء، ومنها:

ســيما القطــب الــذي لــيس يــرى　　فــيمن دنــا أو مــن درب
كــم لهــذا القطــب مــن منقبــة　　سرها الظاهر يومًــا مــا احتجــب[٢]

ويقول الورثيلاني عن زيارته لقبر أحد الأولياء: «إذ سمعت به في صباي أنه من أهل التصريف، وقد أخبرني بذلك البعض من أهل الخير ممن يوثق بهم، وكان ﷺ يعرف أهل عصرنا ويطالع أحوالهم، ويعلم من كان من أهل التصريف منهم من المشرق والمغرب...وهو غير بعيد بل هو الحق إن شاء الله تعالى...»[٣].

ويقول: «توجهت لزيارة من في الجبل وقد قيل: إن فيه اثنا عشر ألف قطب...وبعد ذلك دخلت بجاية وزرت الشيخ سيدي الصوفي، ولم أحفظ من أمره شيئا إلا أن أهل بجاية يعظمونه غاية التعظيم، وأنه من أهل التصريف في بجاية نفعنا الله به آمين»[٤].

ويقول: «وأما الشيخ سيدي المليح فلم أحفظ من أمره شيئًا إلا أن أهل بجاية يعظمونه غاية التعظيم، ويعدونه من أهل التصريف»[٥].

وأورد المكناسي ما روي عن أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: ((يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هاربًا إلى مكة فيخرجونه، وهو

القرن العاشر للعيدروسي (ص٣٦٩-٣٨٥)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد (٨/ ٤٣١-٤٣٣)، الأعلام (٧/ ٦٠-٦١).

(١) رحلة النابلسي (ص١٩٥-١٩٦).

(٢) المصدر السابق (ص٢٦٠)، وينظر: (ص٥٧، ٧٠، ١٠٢).

(٣) رحلة الورثيلاني (١/١٧-١٨).

(٤) المصدر السابق (١/٣٥).

(٥) المصدر السابق (١/٤٠)، وينظر: (١/٤٥، ٥٠، ٥٢، ٢١٨).

كاره فيبايعونه، بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق، فيبايعونه، ثم ينشأ رجل من قريش...))[1]، ثم ذكر ما يتعلق بألفاظ هذا الحديث من كتاب: (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح).

وجاء فيه: «((أتاه أبدال الشام)) أي ونعم البدل من الكرام عن اللئام، وفي (النهاية): أبدال الشام هم الأولياء والعباد، الواحد بدل كجمل، أو بَدْل كحَمْل؛ سموا بذلك لأنه كلما مات منهم واحد بدل بآخر...فهم الأقطاب في الأقطار، يأخذون الفيض من قطب الأقطاب المسمى بالغوث الأعظم، فهم بمنزلة الوزراء تحت حكم الوزير الأعظم، فإذا مات القطب الأفخم أبدل من هذه الأربعة أحد بدله غالبًا، ثم قال: الأبدال قوم صالحون لا تخلو الدنيا منهم، إذا مات واحد منهم أبدل الله مكانه آخر، وهم سبعة، قلت: الإبدال اللغوي صادق على رجال الغيب جميعا، وقد سبق للبدل معنى آخر فالأولى حمله عليه، ولعلهم خصوا بذلك لكثرتهم ولحصول كثرة البدل فيهم، لغلبتهم فإنهم أربعون على ما في الحديث السابق...»[2].

ويقول الزياني: «والصالحية[3] مقام الأبدال الأربعين، يصعد لهم بمدراج في الجبل...»[4].

إن التصرف في الكون لله وحده لا شريك له، فمن جعل لله أندادًا، وأسند إلى أحد من الخلق القدرة على التصرف والتدبير فيما لا يقدر عليه إلى الله، كغلاة القبورين، فلا شك في كفرهم وشركهم وضلالهم، والمعروف المتفق عليه عند أهل العلم أن من فعل ذلك ممن يأتي بالشهادتين، يحكم عليه بعد بلوغ الحجة بالكفر والردة؛ والأدلة على بطلان هذا الشرك

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب: المهدي (٢/ ٥١٠) ح(٤٢٨٦)، وأحمد بن حنبل (٤٤/ ٢٨٦) ح(٢٦٦٨٩). وقال الألباني: «ضعيف» السلسلة الضعيفة (٤/ ٤٣٥) ح(٣٧٣٧).

(٢) رحلة المكناسي (ص١٠٧-١١٦).

(٣) « الصالحية قرية كبيرة...في سفح جبل قاسيون من غوطة دمشق، وفيها قبور جماعة من الصالحين» معجم البلدان (٣/ ٣٩٠).

(٤) رحلة الزياني (ص١٨٢)، وينظر: (ص٤٧٣)، رحلة المرادي (ص٢٣٣).

كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال: ((يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف))(١)، فالأمر لله وحده، ولا أحد من الخلق لا الملائكة، ولا الأنبياء، ولا الأولياء، ولا من سواهم يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فضلاً أن يملكوا ذلك لغيرهم(٢).

يقول الميلي(٣)- رحمه الله-: «التصرف في الكون خاص بالله سبحانه...وكل لفظ فيه نسبة الفعل للمخلوق لا يخلو من ثلاث حالات:

إحداها: أن تكون النسبة على معنى التأثير في الفعل من دون الله.

ثانيتها: أن تكون على معنى التأثير بجعل الله وتفويضه.

ثالثتها: أن تكون على معنى الإخبار عن عادة أجراها الله من غير تأثير ذاتي أو جعلي.

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب:٥٩ (٤/ ٦٦٧) ح(٢٥١٦)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني. ينظر: صحيح سنن الترمذي (٢/٦١٠) ح(٢٥١٦).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/٣٩٥)، معارج الألباب في مناهج الحق والصواب لحسين النعمي (ص٢٠٠-٢٠٥)، تيسير العزيز الحميد (١/١٩٢)، الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد لمحمد الشوكاني (ص٦٩)، البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية لعبد اللطيف بن حسن (١/ ٨٩-٩٠)، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للسهسواني (٢/ ٣٠١)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٤٩٣)، الدين الخالص لمحمد صديق خان القنوجي (١/٢١٩)، عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري (ص٥٩-٦٠).

(٣) هو مبارك بن محمد بن إبراهيم الميلي الجزائري، عالم مؤرخ، من رجال الإصلاح، ولد بميلية من أعمال قسنطينة بالجزائر، وتعلم بتونس، فتخرج في جامع الزيتونة، وولي أمانة سر جمعية علماء الجزائر، من مؤلفاته: (تاريخ الجزائر في القديم والحديث)، و(رسالة الشرك ومظاهره)، ومجموعة من البحوث، توفي سنة ١٣٦٤هـ. ينظر: معجم المؤلفين (٨/ ١٧٥)، معجم أعلام الجزائر (ص٣٢٥).

والحالتان الأوليان...عليهما حمل حديث زيد بن خالد الجهني ﷺ... والحالة الثالثة ليست كفرًا، ولكن يمنع منها ما فيه إيهام...وحديث زيد هو قوله ﷺ: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس فقال: ((هل تدرون ماذا قال ربكم؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر؛ فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب))(١).

وعبارة الشافعي شاملة للأحوال الثلاثة، لكنه أجمل الحالتين الأوليين في وجه واحد، وهي قوله في (الأم): «من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه مطر نوء كذا؛ فذلك كفر، كما قال رسول الله ﷺ؛ لأن النوء وقت، والوقت مخلوق، لا يملك لنفسه ولا لغيره ﷺ، ومن قال: مطرنا بنوء كذا على معنى مطرنا في وقت كذا؛ فلا يكون كفرًا، وغيره من الكلام أحب إلي منه» ...ومن وقف على مقاصد الكثير من عوامنا في نسبة الأفعال إلى الأولياء وتصرفهم في الكون، لم يشك في انطباق الحالة الثانية عليهم؛ إذ يعتقدون أن الأولياء أعزاء على الله، وقد فوض إليهم التصرف، وأنابهم عنه فيه، فما قضوه للناس، وافقهم الله عليه،...بل منهم من ينتهي به الأمر إلى الحالة الأولى، فيعتقد في الولي أنه يفعل ما يفعل بقوته لا بقوة الله!! وتجد من المخذولين من يدعي ذلك لنفسه!!»(٢).

وأما حديث الأبدال الذي أورده المكناسي، وأمثاله من الأحاديث التي يستند إليها الصوفية، فقد أنكرها أهل العلم بالحديث، وحكم بعضهم بوضعها(٣).

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: الاستسقاء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢] قال ابن عباس: «شكركم» (١/ ٣٥١) ح(٩٩١)، ومسلم كتاب: الإيمان، باب: بيان كفر من قال مطرنا بالنوء (١/ ٨٣) ح(٧١).

(٢) رسالة الشرك ومظاهره للميلي (ص١٩١-١٩٤).

(٣) ينظر: الموضوعات لابن الجوزي (٣/ ١٥٢)، مجموع الفتاوى (١١/ ١٦٧)، منهاج السنة النبوية (١/ ٤٨، ٧/ ٣١٢)، المنار المنيف لابن القيم (ص١٣٦)، المقاصد الحسنة للسخاوي (ص٤٧).

وقد أفاض شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في بيان هذه الألقاب، ونقدها فيقول: «فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى؛ ولا هي أيضا مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف يحمل عليه ألفاظ (الأبدال)...ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب، ولا هي مأثورة على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الأمة قبولا عاما، وإنما توجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشايخ، وقد قالها إما آثرًا لها عن غيره أو ذاكرًا، وهذا الجنس ونحوه من علم الدين قد التبس عند أكثر المتأخرين حقه بباطله، فصار فيه من الحق ما يوجب قبوله، ومن الباطل ما يوجب رده، وصار كثير من الناس على طرفي نقيض، قوم كذبوا به كله؛ لما وجدوا فيه من الباطل، وقوم صدقوا به كله؛ لما وجدوا فيه من الحق، وإنما الصواب التصديق بالحق والتكذيب بالباطل»[(١)].

ويضيف: «فأما لفظ (الغوث والغياث) فلا يستحقه إلا الله، فهو غياث المستغيثين، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره، لا بملك مقرب ولا نبي مرسل، ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم...فهو كاذب ضال مشرك، فقد كان المشركون كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال ﷻ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، فكيف يكون المؤمنون يرفعون إليه حوائجهم بعده بوسائط من الحجاب؟ وهو القائل تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦]...وقد علم المسلمون كلهم أنه لم يكن عامة المسلمين ولا مشايخهم المعروفون يرفعون إلى الله حوائجهم، لا ظاهرا ولا باطنا بهذه الوسائط والحجاب فتعالى الله عن تشبيهه بالمخلوقين، من الملوك وسائر ما يقوله الظالمون علوا كبيرا»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٣٣-٤٣٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٣٧-٤٣٩).

ويقول: «وأما (الأوتاد) فقد يوجد في كلام البعض أنه يقول: فلان من الأوتاد يعني بذلك أن الله تعالى يثبت به الإيمان والدين في قلوب من يهديهم الله به، كما يثبت الأرض بأوتادها، وهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة من العلماء، فكل من حصل به تثبيت العلم والإيمان في جمهور الناس كان بمترلة الأوتاد العظيمة والجبال الكبيرة، ومن كان بدونه كان بحسبه، وليس ذلك محصورا في أربعة ولا أقل ولا أكثر، بل جعل هؤلاء أربعة مضاهاة بقول المنجمين في أوتاد الأرض.

وأما (القطب) فيوجد أيضًا في كلامهم فلان من الأقطاب أو فلان قطب، فكل من دار عليه أمر من أمور الدين أو الدنيا باطنًا أو ظاهرًا فهو قطب ذلك الأمر ومداره...لكن الممدوح من ذلك من كان مدارا لصلاح الدنيا والدين، دون مجرد صلاح الدنيا، فهذا هو القطب في عرفهم فقد يتفق في بعض الأعصار أن يكون شخص أفضل أهل عصره، وقد يتفق في عصر آخر أن يتكافأ اثنان أو ثلاثة في الفضل عند الله سواء، ولا يجب أن يكون في كل زمان شخص واحد هو أفضل الخلق عند الله مطلقا.

وكذلك لفظ (البدل) جاء في كلام كثير منهم، فأما الحديث المرفوع فالأشبه أنه ليس من كلام النبي ﷺ؛ فإن الإيمان كان بالحجاز وباليمن قبل فتوح الشام، وكانت الشام والعراق دار كفر...وإن كان قد ورد في الشام وأهله فضائل معروفة، فقد جعل الله لكل شيء قدرا، والكلام يجب أن يكون بالعلم والقسط، فمن تكلم في الدين بغير علم دخل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]...والذين تكلموا باسم البدل فسروه بمعان: منها أنهم أبدال الأنبياء، ومنها أنه كلما مات منهم رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا، ومنها أنهم أبدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات، وهذه الصفات كلها لا تختص بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر، ولا تحصر بأهل بقعة من الأرض، وبهذا التحرير يظهر المعنى في اسم (النجباء).

فالغرض أن هذه الأسماء تارة تفسر بمعان باطلة بالكتاب والسنة وإجماع السلف، مثل تفسير بعضهم (الغوث) هو الذي يغيث الله به أهل الأرض في رزقهم ونصرهم...وكذلك من فسر (الأربعين الأبدال) بأن الناس إنما ينصرون ويرزقون بهم فذلك باطل»(١).

ونتيجة طبعية لما وقع فيه بعض الرحالة من الغلو في أوليائهم، وتعظيمهم تدرجوا إلى القول بوحدة الوجود، وهو ما سيأتي بيانه في المطلب التالي.

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٤٠ -٤٤٢).

المطلب الثاني: عقيدة وحدة الوجود:

من أهم المسائل العقدية في توحيد المعرفة والإثبات الواردة في بعض كتب رحلات الحج –محل الدراسة– عقيدة وحدة الوجود، وخاصة عند النابلسي الذي هو من الدعاة إليها، وكذلك عند العياشي والورثيلاني الصوفيَين.

ووحدة الوجود عقيدة إلحادية كبرى، وتعني: أن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى، وليس وجودها غيره، ولا شيء سواه ألبتة[١].

فأهل هذه العقيدة يعتقدون أن الوجود واحد لا فرق بين خالق ومخلوق.

وحقيقة قولهم هو قول ملاحدة الدهرية الطبيعية الذين يقولون: ما ثم موجود إلا هذا العالم المشهود، وهو واجب بنفسه فلا يقرون بواجب أبدع الممكن، وهو القول الذي أظهره فرعون؛ ولهذا كانوا معظمين لفرعون، ثم إنهم جعلوا أهل النار يتنعمون فيها كما يتنعم أهل الجنة في الجنة[٢].

ومن هنا وقع خلق منهم في المعاصي، وآخرون في الفسوق، وآخرون في الكفر، ويصرحون بعبادة كل موجود حتى جوزوا عبادة الأصنام؛ لأن وجود الرب هو عين وجود السموات، والأرض، والجبال، والبحار، وجميع الموجودات هي عين الرب عندهم! فليس عندهم رب وعبد! ولا خالق ومخلوق![٣].

فوحدة الوجود –عند من يعتقدها– تعني أنه لا موجود إلا الله الخالق وحده فقط، أما الكون وما فيه من مخلوقات متعددة، معدوم أزلاً وأبدًا، وما هو إلا خيال، ومظهر من مظاهر وجود الله.

ولوحدة الوجود صلة بمصطلحات تقاربها في المعنى وهي: الحلول والاتحاد.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٣١، ١٢٤، ١٠/ ٥٩، ٥٦٥)، إبطال وحدة الوجود والرد على القائلين بها (١/ ٦١)، حقيقة مذهب الاتحاديّين أو وحدة الوجود ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (٤/ ١)، النبوات (١٠/ ٦٣)، الرد على المنطقيين (ص٣٦)، الصفدية (ص٢٦٨)، درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٣/ ٣٤٩).

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣٨-٣٢٧).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٣١)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣/ ٣٤٩).

أما معنى الحلول والاتحاد:

فالحلول: هو إثبات موجودين حل أحدهما في الآخر فكان ظرفًا له، فالحلول حادث لا مقارنٌ للخلق(١).

وهو قسمان:

الأول: حلول خاص، وهو دعوى أن اللاهوت حل في الناسوت.

وقد يكون الحلول في ذات معينة، كقول بعض النصارى: إن الله حل في عيسى عليه السلام ووافق هؤلاء النصارى من غالية هذه الأمة كغالية الرافضة الذين يقولون: إنه حل بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأئمة أهل بيته.

وقد يكون الحلول مرتبطًا بمن اتصف بوصف معين، كقول غالية النساك الذين يقولون بالحلول فيمن حقق الولاية بأن هذب نفسه في الطاعة، وصبر عن اللذات فارتقى إلى مقام المقربين، ثم لا يزال يرتقي حتى يصفو عن البشرية فتحل فيه روح الإله(٢).

الثاني: هو حلول عام، وهو دعوى أن الله بذاته في كل مكان، وهو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن طائفة من الجهمية(٣)(٤).

والاتحاد: هو امتزاج موجودين واختلاطهما حتى يصيرا شيئًا واحدًا، فهو تصيير الذاتين واحدة، بحيث يكون كل منهما ملازما للآخر لم يتجدد له ولوج(٥).

وهو قسمان:

---

(١) ينظر: التعريفات للجرجاني (١/ ١٢٥)، مجموع الفتاوى (٢/ ٣٠٨).

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي (ص١٩٨)، مجموع الفتاوى (٢/ ١٧١-١٧٢).

(٣) هم أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي، ومن بدعهم: إنكار أسماء الله وصفاته، وإنكار الاستطاعات كلها، وأن الإيمان إنما هو المعرفة، والكفر إنما هو الجهل، وأن الجنة والنار تبيدان وغيرها. ينظر: التنبيه والرد للملطي (ص٩٦)، مقالات الإسلاميين للأشعري (ص٢٧٩)، الفرق بين الفرق (ص١٩٩)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٥).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١٧٢).

(٥) ينظر: التعريفات (١/ ٢٢)، مجموع الفتاوى (٢/ ٣٠٨).

الأول: اتحاد خاص، وهو قول إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء وهو قول يعقوبية النصارى[١] ومن وافق هؤلاء من غالية المنتسبين إلى الإسلام.

الثاني: اتحاد عام، وهو قول أن الله عين وجود الكائنات، وهو قول الملاحدة، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين: من جهة أن أولئك قالوا: إن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون: ما زال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره، والثاني من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح ﵇، وهؤلاء جعلوا ذلك ساريا في الكلاب والخنازير والأقذار والأوساخ، وإذا كان الله تعالى قد قال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، فكيف بمن قال: إن الله هو الكفار والمنافقون والصبيان والمجانين والأنجاس والأنتان وكل شيء[٢].

وبهذا يتبين أن كلاً من الحلول والاتحاد يثبت موجودين احتفظا بذاتهما في الحلول، وصارا ذاتًا واحدة بعد أن لم يكونا في الاتحاد.

«فالتداخل يقتضي الاتحاد، والحلول يقتضي المغايرة»[٣].

أما وحدة الوجود فهي لا تثبت إلا موجودًا واحدًا هو الله، ولا تقر بموجودين خلق أحدهما الآخر.

فثمة فرق بين هذه المصطلحات، إلا أن بعض القائلين بوحدة الوجود -ومنهم بعض الرحالة- وبعض من يحكي قولهم، قد يجمع بين هذه المصطلحات ويطلقها على وحدة الوجود.

---

(١) هم شيعة يعقوب الذي أخذ بقول بولش: إن الله هو المسيح وأنه كان ثم تجسم وبه أخذت. ينظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام للقرطبي (ص٢٤٣).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١٧٣).

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/ ٩١-٧٠٦).

وذلك لما بينهما من الصلة، فإن الملاحدة جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق؛ ولهذا صاروا يقولون بالحلول من وجه لكون الوجود في كل الذوات أو بالعكس، وبالاتحاد من وجه؛ لاتحادهما، وحقيقة قولهم هي وحدة الوجود[(١)].

وأيضًا فإن هذه الدعوى بدأت بالقول بالحلول، وإن الغاية أن يتشبهوا بصفات الله- بزعمهم- حتى يكون أحدهم إلهًا يتصرف في الكون، حتى أوصلتهم هذه الدعوى إلى القول بوحدة الوجود، وأن كل شيء إنما هو الله وأن الله هو الذي في الكون وحده.

فلتقارب هذه المصطلحات في المعاني وفي النتيجة، حصل التوسّع في إطلاق هذه المصطلحات على عقيدة وحدة الوجود.

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله هو الرب الخالق المالك المدبر، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢-٤]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وأنه مستوٍ على عرشه فوق سمواته بائن عن خلقه، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقال سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا وجوده عين وجود مخلوقاته.

وأنه تعالى متصف بصفات الكمال، فله الأسماء الحسنى والصفات العلى، المنزه عن المثيل والنقائص لا منازع له في ربوبيته ولا أسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١].

ومما ورد في بعض كتب الرحلات في هذه المسألة أن العياشي قرأ على شيخه الملا إبراهيم، في علم الحقائق (التحفة المرسلة) للشيخ محمد فضل الله الهندي[(٢)]، وهي رسالة

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٣٧٢)، بغية المرتاد لابن تيمية (١/ ٤١٨).

(٢) هو محمد بن فضل الله الرهانبوري الهندي الصوفي، سلطان الصوفية في عصره اشتهر في الهند، وكان من أكبر القائلين بوحدة الوجود، وألف فيها رسالة (التحفة المرسلة إلى النبي ﷺ)، ثم شرحها شرحا أتى فيه بالعجب العجاب، توفي سنة ١٠٢٩هـ. ينظر: خلاصة الأثر للمحبي (٤/ ١١٠-١١١)، إيضاح المكنون لإسماعيل باشا البغدادي (٣/ ٢٥٧).

صغيرة في وحدة الوجود، وقال: «فلنذكر رسالة (التحفة المرسلة) بتمامها، لوجازتها وغرابتها في مغربنا، فأقول: قرأت على شيخنا وسمعت منه بلفظي بسنده إلى مؤلفها قال: بسم الله الرحمن الرحيم...فهذه نبذة من الكلمات في علم الحقائق...اعلموا إخواني، أسعدكم الله وإيانا، أن الحق ﷻ هو الوجود، وأن ذلك ليس له شكل ولا حد ولا حصر، ومع ذلك ظهر وتجلى بالشكل والحد، ولم يتغير عما كان من عدم الشكل وعدم الحد، وإن ذلك الوجود واحد والألباس مختلفة ومتعددة، وأن ذلك الوجود حقيقة جميع الموجودات وباطنها، وأن جميع الكائنات حتى الذرة لا تخلو عن ذلك الوجود...وأن تلك الوجود ليس بحالٍّ في الموجودات ولا متحد بها؛ لأن الحلول والاتحاد لا بد لهما من وجودين حتى يحل أحدهما في الآخر، أو يتحد أحدهما في الآخر، والوجود واحد لا تعدد له أصلاً، وإنما التعدد في الصفات على ما يشهد به ذوق العارفين ووجدانهم،...وأن ذلك الوجود محيط بجميع الموجودات كإحاطة الملزم والموصوف بالصفات، لا كإحاطة الظرف بالمظروف، والكل بالجزء تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وأن ذلك الوجود كما أنه باعتبار محض الإطلاق وسارٍ في ذوات جميع الموجودات بحيث يكون ذلك الوجود في تلك الذوات عين تلك الذوات، كما كانت تلك الذوات قبل الظهور في ذلك الوجود...وإن من القائلين بوحدة الوجود من يعلم أن الحق ﷻ حقيقة جميع الموجودات وباطنها علمًا يقينيًّا، ولكن لا يشاهد الحق ﷻ في الخلق شهودًا حاليًّا بالقلب، ومنهم من يشاهد الحق في الخلق شهودًا حاليًّا في القلب، وهذه المرتبة أولى وأعلى من المرتبة الأولى، ومنهم من يشاهد الحق في الخلق والخلق في الحق، بحيث لا يكون أحدهما مانعًا من الآخر، وهذه المرتبة أولى وأعلى من المرتبتين السابقتين، وهي مقام الأنبياء والأقطاب بمتابعتهم، ومن المحال أن تحصل المرتبة المتوسطة من تلك المراتب الثلاث لمن خالف الشريعة والطريقة فضلاً عن المرتبة الأخيرة التي هي أعلى مما سواها من المرتبتين، وأن جميع الموجودات من حيث الوجود هي عين الحق ﷻ، ومن حيث التعيينُ غير الحق ﷻ، والغيرية اعتبارية، وأما من حيث الحقيقة فالكل هو الحق ﷻ، ومثاله الحباب(١) والموج وكور الثلج، فإن كلهن من حيث الحقيقة الماء ومن حيث التعيين غير

---

(١) حباب الماء: فقاقيعه ونفاخاته التي تعلوه وقيل: موجه الذي يتبع بعضه بعضًا، والطرائق التي في الماء، وقيل: حباب

الماء...أما الدلائل الدالة على وحدة الوجود فهي كثيرة، إما من القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]. وأما من أقواله ﷺ، فقوله ﷺ: ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها))[1]، وقوله ﷺ: ((إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت ولم تعدني))[2]، إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة.

وأما من أقوال الأئمة العارفين بالله الدالة على وحدة الوجود فكثيرة كثرة بحيث لا تأتي في العد والحصر؛ ولذا لم أذكرها إلى غير ذلك من الأدلة»[3].

ويقول العياشي في تعليقه على بيتين ذكرهما محي الدين ابن عربي في خطبة كتاب (الفتوحات) وهما:

الرب رب والعبد عبد[4] يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف

«ويمكن أن يقال بحسب مدرك عقولنا معاشر القاصدين: المكلف هو العبد بعد ما أفاض عليه الرب نور وجوده فصار مظهرًا له، فليس بميت على هذا، ولولا العبودية التي هي مظهر من مجالي ذلك الوجود ما صح التكليف أيضًا؛ إذ الوجود الحق لا يكلف»[5].

إلى غيرها من النصوص[6]، والتي تثبت وتشرح تلك العقيدة؛ ولكنها تزيدها غموضًا.

الماء بالفتح: معظمه. ينظر: تهذيب اللغة (٤/ ٩)، الصحاح (١/ ١٠٦)، معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٨)، لسان العرب (٢/ ٧٤٦).

(١) أخرجه البخاري كتاب: الرقاق، باب: التواضع (٥/ ٢٣٨٤) ح(٦١٣٧) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل عيادة المريض (٤/ ١٩٩٠) ح(٢٥٦٩) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) رحلة العياشي (١/ ٥٠٠-٥٠٥) وينظر: (١/٤٩٧، ٥٠٩-٥١١، ٥٢٤).

(٤) المشهور في الشطر الأول: الرب عبد والعبد رب.

(٥) رحلة العياشي (١/ ٥٢٢).

(٦) ينظر: رحلة العياشي (١/ ٣٥-٣٦، ٩٨-٩٩، ٥١٤، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٩٠، ٦٠٠-٦٠٤).

بل العياشي معترف بغموضها، فيقول: «قرأت على شيخنا الملا إبراهيم[١] طرفًا من (فصوص الحكم) للشيخ محي الدين، وناولنيه، كما قرأ منه على شيخنا، وهذا الكتاب من أغمض كتب محي الدين إشارة، وأدقها عبارة على صغر حجمه، وقد اعتنى الناس بشرحه فشرحه جماعة كثيرة، ومع ذلك حارت أفهامهم في فهم كثير من رموزه، واستخراج خبايا كنوزه»[٢].

ويقول: «كان شيخنا الملا ﷺ ذات يوم يقرر لي مسألة من الحقائق المتعلقة بوحدة الوجود، فاعتاصت على فهمي وأبيت من قبولها»[٣].

وقد نظم النابلسي عددًا من الأشعار في نشر وشرح عقيدة وحدة الوجود، ومنها قوله:

ما آدم في الورى وما إبليس ... ما عرش سليمان وما بلقيس
الكل إشارة وأنت المعنى ... يا من هو للقلوب مغناطيس

وقوله:

إن المولى في كل حال معنا ... لولاه ما نلنا الهدى لولاه
ما الروح وما الجسم الذي في المغنا ... ما النفس والأشكال والأشباه
ما القرب وما أهل المقام الأسنا ... ما البعد ومن بالجهل فيه تاهوا
الكل إشارة وأنت المعنى ... يا من هو لا إله إلا الله

وقوله:

قلبي يا رب جاء بالتوحيد ... يرجو منك القبول للأعمال
رحمن العرش قد تجلى فينا ... بالصنع والإيجاد والإعدام[٤]

وقوله:

اعلم بأن الله جل جلاله ... ذات لها منها أتم صفات

---

(١) إبراهيم الكوراني، سبقت ترجمته في الصفحة رقم [٣٢].
(٢) رحلة العياشي (١/ ٥٤٢).
(٣) المصدر السابق (١/ ٥٣٣).
(٤) رحلة النابلسي (ص٧٩-٧٨).

وهي المراتب في الغيوب ترتبت ... للذات أصل المحو والإثبات
والكائنات جميعها قامت به ... مثل الظلال بدت عن الشجرات
وهي الرسوم بها الوجود قد ... تجلى ببدائع الأسماء والحضرات
والكل فانٍ لا وجود له ... سوى هذا الوجود فرد الذات
فإذا تجلى لاحت الأكوان ... في أنواره بالشكل والهيئات(١)

وأيضًا:

فالكل موجودون منه به له ... لولاه كان وجودهم ما كانوا
والكل معدومون فيه وإنما ... هو وحده المتفضل المنان
وهو الذي عين ما هو لم يزل ... ما غيرته بخلقها الأكوان
وكذلك لم تتغير الأعيان من ... عدم بها لكن لها لوذان
وهما جميعًا ظاهران فتارة ... خلق يقال وتارة رحمان
سبحانه من أن يحل بغيره ... أو في مكان أو له إمكان
هو أول هو آخر هو ظاهر ... هو باطن هو واحد ديان
الكائنات جميعها معدومة ... في نوره ولها به إبطان
وهو الوجود الحق جل جلاله ... والإنس قد قاموا به والجان(٢)

وهذه الأبيات وغيرها تثبت تلك العقيدة بألفاظ صريحة وواضحة، وداله دلالة مباشرة على هذه العقيدة الكفرية الإلحادية(٣).

ونقل الورثيلاني عن بعض -العارفين- قولهم: «إذا نزل الوجد على الرأس...فحينئذ يغيب الناس بسر اللاهوت، فينادي لسان الحقيقة بما يشبه الاتحاد، فيقول مثلاً: أنا هو، فإذا دام شربه ظهرت أنوار الحق عليه؛ لأن ما فيك ظهر على فيك كل إناء بما فيه يرشح، هذا

---

(١) رحلة النابلسي (ص١١١).
(٢) المصدر السابق (ص١١٣).
(٣) ينظر: رحلة النابلسي (ص٩١، ١١٢، ١٢٩-١٣٠، ١٥٤، ١٦٢، ٢٠٧، ٢١٣، ٢١٨-٢١٩، ٢٤٦، ٣٨٦) وغيرها من المواضع التي نشر فيها عقيدة وحدة الوجود.

وإن وسع التجلي لا يعرف قدره إلا صاحب التأييد من العزيز، وفي ذلك الغيب وجمع الجمع يصير ملتقطًا لدرر التوحيد، وغرر التجريد لتجلي بها في منصة التوحيد...ولذا يقولون: الوجود واحد؛ إذ لو تعدد لهلكت العوام، وأما من غلب عليه سطوة التجلي تلاشى كل شيء سواه، وقال: أنا هو غير أنه ممزوج بكدر الاتحاد؛ ولذا لا تسمح الشريعة في مثل هذا القول»(١).

ويقول: «فحينئذ من سبقت له العناية لا تضره إن مس بعض الذنوب؛ لزوالها بالاستغفار والتوبة على الفور، وربما كان ذنبه دواء له ليرجع إليه، وينكسر قلبه من أجله، ويرتقي بسببه إلى حضرة ربه، فيكون عبدًا محبوبًا فيا بشراه! فينتقل إذن من الموجودات الوهمية إلى الموجودات على الإطلاق؛ إذ لا وجود لما سواه»(٢).

ويقول: «فالحق سبحانه لا يثبت معه شيء؛ فالوجود وجود واحد؛ بل جميع الموجودات متحدة فلا أصل لها، بل هي مستمدة من عين الوجود، وبالجملة صاحب المحو يغيب فعله في فعله ووصفه في وصفه وذاته في ذاته تبارك وتعالى...هذا وإن شطحات العارف تقوي ما ذكرناه، وتؤيد ما أصلناه...نعم شطحة على قدر غيبة عن الأكوان، واتصاله بالمكون، فيغذى بتجريد التوحيد، فيظهر فيه اللاهوت ويضمحل منه الناسوت، فإذًا تنوب أوصافه عن أوصافه، وأفعاله عن أفعاله، وذاته عن ذاته، ووجوده عن وجوده، فليس له ثبوت في عالم الحق»(٣).

إن وحدة الوجود انحراف عقدي قديم، نشأ في الديانات والفلسفات الوثنية(٤)؛ ومنها الفلسفة اليونانية التي تؤله مظاهر الطبيعة، وظهر فيها حكماؤها الذين بحثوا في أمور العقيدة بعقولهم وما يشرق لهم في بواطنهم، فضلوا؛ لأنهم أعملوا العقل البشري فيما هو عنه قاصر مع غياب نور الوحي وهدي النبوة.

---

(١) رحلة الورثيلاني (١/ ١٩٥-١٩٤).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٨٩-٢٩٠).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٥٧٧-٥٧٩) وينظر: قريبًا من ذلك رحلة المرادي (ص٨٣).

(٤) من المصادر الأخرى لوحدة الوجود الهندوسية والطاوية. ينظر: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية لأحمد القصير (ص٦٥-٧٢).

كذلك إن الأفلاطونية الحديثة[1] هي أحد المصادر الأساسية للتصوف، بل إنها هي المصدر الأول بالنسبة للقائلين بوحدة الوجود والحلول بدءًا من أبي اليزيد البسطامي[2]، وابن سبعين وابن الفارض[3]، وابن عربي، وغيرهم.

وعباراتهم ناطقة بهذا وشاهدة عليها، ولو أنهم اختلطت عليهم آراء الأفلاطونية الحديثة وآراء أفلاطون[4]، وأرسطو[5] وغيرهم من حكماء اليونان الآخرين، حيث نسبوا ذلك إلى هذا، وهذا إلى تلك[6].

---

(١) هي حركة فلسفية مركبة، انطلقت من الإسكندرية، في القرون الأولى للميلاد، عمدت إلى أفكار أفلاطون فمزجتها بالأفكار التي جاءت بعده؛ محاولة التوفيق بينهما، من أفكارها: أن غاية النفس البلوغ إلى الله بالذات والاتحاد به، لا الوقوف عند معرفة الله بواسطة، ومن أبرز فلاسفتها: فيلون وأفلوطين. ينظر: تاريخ الفلسفة ليوسف كرم (ص٣٢٢-٣٢٤)، مع الفلسفة اليونانية لمحمد مرحبا (ص٢١٧-٢٢٠).

(٢) هو طيفور بن عيسى بن سروشان، أبو يزيد البسطامي؛ نسبة إلى بسطام، وهي بلدة مشهورة أول بلاد خراسان من جهة العراق، كان جده مجوسيًّا فأسلم، وله أخوان هو أوسطهم كانوا من الصوفية؛ ولكن أبو يزيد كان أشهرهم، من أشهر مشايخ الصوفية وأول من صرح بعقيدة وحدة الوجود، ومن أقواله: «سبحاني سبحاني»، توفي سنة ٢٦١هـ. ينظر: طبقات الصوفية للأزدي (١/ ٦٧)، وفيات الأعيان (٢/ ٥٣١)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٨٦)، البداية والنهاية (١١/ ٤١-٤٢)، النجوم الزاهرة (٣/ ٣٥)، الفلسفة الصوفية في الإسلام لعبد القادر محمود (ص٣٠٩-٣١٥).

(٣) هو عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي، أبو حفص وأبو القاسم، الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، المعروف بابن الفارض، وهو أشعر المتصوفة، وله ديوان شعر ينعق بالاتحاد الصريح، من أشهر قصائده التائية الكبرى (نظم السلوك) وتشتمل على مقامات السلوك وأحواله عند الصوفية، وقد عني بشرحها كثير من المتصوفة، توفي سنة ٦٣٢هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٣/ ٤٥٤)، سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٦٨)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٥/ ٢٥٩)، البداية والنهاية (١٣/ ١٦٧)، ابن الفارض والحب الإلهي لمصطفى حلمي (ص٢٨-٩٩).

(٤) أفلاطون هو فيلسوف يوناني ولد سنة ٤٢٧ق. م بأثينا، من أشهر فلاسفة اليونان، تلميذ سقراط ومعلم أرسطو، انقطع إلى التعليم زهاء أربعين سنة، صاغ أغلب كتبه في أسلوب الحوار منها: (في المنطق)، (في نظرية المعرفة)، (في المدينة الفاضلة)، توفي سنة ٣٤٧ق. م. ينظر: تاريخ الفلسفة (ص٨١-٧٦)، مع الفلسفة اليونانية (ص١٢٢-١١٧).

(٥) أرسطو هو فيلسوف يوناني ولد ٣٨٥ق. م بأسطاغيرا في مقدونيا، ثم رحل إلى أثينا، من أشهر فلاسفة اليونان، تلميذ أفلاطون ومربي الإسكندر المقدوني، وكان من عادته أن يغشى ممشى إلى جانب الملعب فيوافيه التلاميذ إليه فيلقي عليهم دروسه وهو يمشي وهم يسيرون من حوله فلقب لذلك هو وأتباعه بالمشائين، له كتب في المنطق والطبيعة والميتافيزيقا-ما بعد الطبيعة- وغيرها، توفي سنة ٣٢٢ق. م. ينظر: تاريخ الفلسفة (ص١٤١-١٤٦)، مع الفلسفة اليونانية (ص١٢٢-١١٧).

(٦) ينظر: التصوف المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ظهير (١/ ١٢١).

فيذكر العياشي في كلامه عن شيخه إبراهيم حسين الكوراني: إنه قلّما يقرر مسألة من مسائل الحكماء إلا وأدرج فيها ما يشاكلها من الحقائق وعقائد المتكلمين، ويبدي مابين كلامهم وكلام العارفين من التفاوت، ويقول: قاربوا العثور على الحق ولما يهتدوا إليه لفقدان الاستضاءة بنور النبوة، إذ كل منهما البحث فيه عن ماهية الوجود المطلق، إلا أن الحكماء تكلموا في ذلك ببضاعة عقولهم المزجاة، فلم يصلوا إلا لحدس وتخمين وأوهام، وكل ذلك لا يفيد صريح العلم، بيد أن الإشراقيين منهم معتمدهم على كشوفات تحصل من الرياضات الفلسفية وأذواق وإدراكات وجدانية تحصل لهم من مصاحبة مشايخهم، لا يكاد يتميز فيها الحق من الباطل، وهي طريقة الأقدمين منهم كأفلاطون، وأول من أخرج الحكمة والقوة إلى الفعل وجعل لها قوانين من منطق وهندسة تلميذه إرسطا، وتسمى حكمة الإشراقيين؛ لكون مرجعهم ما يشرق في بواطنهم من الحكم والإدراكات.

وأدخل المتكلمون في كتبهم من أقوال الحكماء ومذاهبهم ما كاد العلمان به أن يشتبها، أعني علم الكلام وعلم الحكمة[(١)].

ويقول العياشي: «وما أقرب طريقهم من طريق الحكماء الإشراقيين لولا ما فات الإشراقيين من نور التوفيق المسبب عن صدق المتابعة، ومن تأمل كلام حكماء العارفين كابن سبعين والشيخ محي الدين وأضرابهما علم قرب مابين الطريقين في المدرك وبعد ما بينهما في المدرك»[(٢)].

وبهذا يثبت أن القائلين بوحدة الوجود –الذين ظهروا في العالم الإسلامي– ابتدعوا هذه العقيدة في دين الإسلام، وإلا ليست ببدعة في الفلسفات الوثنية التي غاب عنها نور الوحي الإلهي.

فهم تأثروا بهذه الفلسفات الوثنية، فنقلوها وأدخلوها في مذاهبهم، فطمست بها عقيدة التوحيد التي هي أساس الدين، والفارق بين الموحدين والمشركين.

---

(١) ينظر: رحلة العياشي (١/ ٤٩٣).

(٢) المصدر السابق (١/ ٤٩٥).

الرد على شبههم:

إن عقيدة وحدة الوجود يتبين بطلانها بما هو معلوم من الدين بالضرورة من توحيد الله الواجب، فهي تتضمن الإلحاد في ربوبية الله وأسمائه وصفاته، والأدلة الدالة على بطلانها كثيرة، وهي الأدلة ذاتها على إثبات التوحيد، بل كل آية في كتاب الله تبطل هذه العقيدة.

وكل الأدلة التي يزعمون أنها تدل على عقيدة وحدة الوجود فهي حجة عليهم لا لهم، بل ما استدلوا به من دليل شرعي صحيح على وحدة الوجود إلا وكان فيه دليل على فساد قولهم؛ لأن الوحي حق، وعقيدة وحدة الوجود أبطل الباطل، ولا يدل الحق على الباطل أبدًا.

وقد استدل الكوراني بما استدل به سلفه من أهل وحدة الوجود من أدلة، ومنها:

١) قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

ويرد على استدلالهم: أن معنى الآية ليس دليلاً على تلك العقيدة الفاسدة، ولكن معنى الآية أن النبي ﷺ يوم بدر رماهم، ولم يكن في قدرته أن يوصل الرمي إلى جميعهم، فإنه إذا رماهم بالتراب وقال: ((شاهت الوجوه))[(١)] ولم يكن في قدرته أن يوصل ذلك إليهم كلهم، فالله تعالى أوصل ذلك الرمي إليهم بقدرته، يقول: وما أوصلت إذ حذفت ولكن الله أوصل.

فالذي أثبته الله لنبيه غير الذي نفاه عنه، أثبت له رميًا بقوله ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ ونفى عنه رميًا بقوله ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾، وكان هذا غير هذا؛ لئلا يتناقض الكلام، وكذلك إذا رمى سهمًا فأوصلها بقدرته، فالرمي له طرفان حذف بالمرمي ووصول إلى العدو ونكاية فيهم، والنبي ﷺ فعل الأول والله فعل الثاني[(٢)].

وليس المعنى أن الله هو الذي رمى؛ لأن رسول الله ﷺ مظهر من مظاهر هذا الوجود الواحد -تعالى الله عما يقولون- فإن ذلك لو كان صحيحًا لكان ينبغي أن يقال لكل أحد حتى يقال للماشي: ما مشيت إذ مشيت ولكن الله مشى، ويقال للراكب: وما ركبت إذ ركبت ولكن الله ركب، ويقال للمتكلم: ما تكلمت إذ تكلمت ولكن الله تكلم، ويقال

---

(١) أخرجه مسلم كتاب: الجهاد والسير، باب: في غزوة حنين (٣/ ١٤٠٢) ح(١٧٧٧) عن سلمة بن الأكوع ﷺ.

(٢) ينظر: الرد على البكري (١/ ٣٣٤-٣٣٥) ومجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (١/ ٩٦).

مثل ذلك للآكل والشارب والصائم والمصلي ونحو ذلك وطرد ذلك يستلزم أن يقال للكافر: ما كفرت إذ كفرت ولكن الله كفر، ويقال للكاذب: ما كذبت إذ كذبت ولكن الله كذب، ومن قال مثل هذا فهو ملحد خارج عن العقل والدين(١).

٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

ويرد على استدلالهم أن هذه الآية تضمنت جملتين:

الجملة الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾، وحقيقتها ظاهرة صريحة في أن الصحابة ﷺكانوا يبايعون النبي ﷺ نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. فإن الله تعالى جعل مبايعة الرسول ﷺ مبايعة له لأنه رسوله، وقد بايع الصحابة ﷺ على الجهاد في سبيل الله تعالى، ومبايعة الرسول ﷺ على الجهاد في سبيل من أرسله مبايعة لمن أرسله؛ لأنه رسوله المبلغ عنه، كما أن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله، لقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وفي إضافة مبايعتهم الرسول ﷺ إلى الله تعالى من تشريف النبي ﷺ وتأييده، وتوكيد هذه المبايعة، وعظمها، ورفع شأن المبايعين؛ ما هو ظاهر لا يخفى على أحد.

ولا يمكن لأحد أن يفهم من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أنهم يبايعون الله نفسه، ولا أن يدّعي أن ذلك ظاهر اللفظ؛ لمنافاته لأول الآية والواقع، واستحالته في حق الله تعالى.

ومن ظن في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أن المراد أن الله حال فيك ونحو ذلك فهو -مع جهله وضلاله بل كفره وإلحاده- قد سلب الرسول ﷺ خاصيته وجعله مثل غيره، وذلك أنه لو كان المراد به كون أنك أنت الله لكان هذا قدرا مشتركا بينه وبين سائر الخلق، وكان من بايع قادة الأحزاب فقد بايع الله، وعلى هذا التقدير فالمبايع هو الله أيضا فيكون الله قد بايع الله(٢).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٣٣١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٣٣٣)، مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٩٧)، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لابن عثيمين (ص١٣٢-١٣٣).

الجملة الثانية: قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وهذه أيضًا حقيقتها ظاهرة صريحة، في أن يد الله تعالى فوق أيدي المبايعين؛ لأن يده من صفاته، وهو سبحانه فوقهم على عرشه، فكانت يده فوق أيديهم، ومعلوم أن يد النبي ﷺكانت مع أيديهم كانوا يصافحونه ويصفقون على يده في البيعة، ولكن لما كان الرسول ﷺ عبدًا لله ورسوله بايعهم عن الله وعاهدهم وعاقدهم عن الله، فالذين بايعوه بايعوا الله الذي أرسله وأمره ببيعتهم، فعلم أن يد الله فوق أيديهم وليست هي يد النبي ﷺ.

وهو لتوكيد كون مبايعة النبي ﷺ مبايعة لله ﷻ، ولا يمكن لأحد أن يفهم أن المراد بقوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يد النبي ﷺ، ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ؛ لأن الله تعالى أضاف اليد إلى نفسه، ووصفها بأنها فوق أيديهم، ويد النبي ﷺ عند مبايعة الصحابة ﭫلم تكن فوق أيديهم، بل كان يبسطها إليهم، فيمسك بأيديهم كالمصافح لهم، فيده مع أيديهم لا فوق أيديهم[(١)].

٣) قوله ﷺ عن الله تعالى: ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها))[(٢)].

ويرد على استدلالهم أن معنى الحديث ليس دليلاً على تلك العقيدة الفاسدة، ولكن المعنى الصحيح للحديث حصر أسباب محبته في أمرين: أداء فرائضه، والتقرب إليه بالنوافل، وأخبر سبحانه أن أداء فرائضه أحب مما تقرب إليه المتقربون، ثم بعدها النوافل، وأن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبًا لله فيكون عونًا له في كل ما يأتي ويذر، فإذا سمع كان مسددًا من الله في سمعه فلا يستمع إلا الخير ولا يقبل إلا الحق، ويتراح عنه الباطل، وإذا أبصر بعينه أو قلبه أبصر بنور من الله، فكان في ذلك على هدى من الله وبصيرة نافذة بتأييد الله وتوفيقه، فيرى الحق حقًا والباطل باطلاً، وإذا بطش بشيء بطش بقوة من الله فكان

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٣٣٤)، مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٩٨)، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص١٣٣).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٧٢].

بطشه من بطش الله نصرة للحق، وإذا مشى كان مشيه في طاعة الله طلبًا للعلم وجهادًا في سبيل الله، وبالجملة كان عمله بجوارحه الظاهرة والباطنة بهداية من الله وقوة منه سبحانه.

فهذا الحديث حجة عليهم فقد صرح فيه بالفرق بين الرب والعبد من وجوه متعددة منها:

أولاً: أنه تعالى قال: ((وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه))، فأثبت عابدًا ومعبودًا، ومتقربًا ومتقربًا إليه، ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه))، فأثبت محبًا ومحبوبًا، ((ولئن سألني لأعطينه)) فأثبت سائلاً ومسئولاً، ومعطيا ومعطى ((ولئن استعاذني لأعيذنه))، فأثبت مستعيذًا ومستعاذًا به، ((ومن عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة))، فأثبت نفسه ووليه ومعاديَ وليه، وكل واحد من هؤلاء هو غير الآخر بلا ريب.

ثانيًا: أنه قال: ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه))، فأثبت عبدا لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه، فإذا أحبه كان العبد يسمع به، ويبصر به، ويبطش به، ويمشي به.

وهؤلاء هو عندهم قبل أن يتقرب بالنوافل وبعده هو عين العبد وعين غيره من المخلوقات، فهو بطنه وفخذه لا يخصون ذلك بالأعضاء الأربعة المذكورة في الحديث، فالحديث مخصوص بحال مقيد وهم يقولون بالإطلاق والتعميم فأين هذا من هذا؟[1].

فسياق الحديث ومعناه يمنع أن يكون المراد أن الله هو العبد أو جزء منه.

٤) قوله ﷺ: ((يقول الله ﷻ يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني، قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العزة؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده ولو عدته لوجدتني عنده، ويقول: يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، فيقول: يا رب، كيف أطعمك وأنت رب العزة؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلانا جاءك يستطعمك فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، فيقول: يا ابن آدم،

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٣٤١)، الجواب الكافي لابن القيم (ص١٣٠-١٣١)، فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٤٤-٣٤٧)، قطر الوليّ على حديث الوليّ للشوكاني (ص٤٢٨-٤٣٩)، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص١٢٤-١٢٥)، فتاوى اللجنة الدائمة -المجموعة الأولى- جمع وترتيب: أحمد الدويش (٣/ ٢١٤) فتوى رقم (٤٧١٥).

استسقيتك فلم تسقني، فيقول: أي رب، كيف أسقيك وأنت رب العزة؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلانًا استسقاك فلم تسقه، ولو سقيته لوجدت ذلك عندي))(١).

فيجاب عن هذا الاستدلال بأن الحديث قد فسره المتكلم به بأنه مرض عبده ومحبوبه، فإنه لا يجوز لعاقل أن يقول: إن دلالة هذا الحديث مخالفة لعقل ولا سمع إلا من يظن أنه قد دل على جواز المرض والجوع على الخالق ﷻ، ومن قال هذا أو قال: إن هذا هو ظاهر الحديث أو مدلوله أو مفهومه فقد كذب؛ فإن الحديث قد فسره المتكلم به وبين مراده بيانا زالت به كل شبهة، ففي الحديث ذكر المعنيين الحقين ونفى المعنيين الباطلين وفسرهما. فقوله: ((جعت ومرضت)) لفظ اتحاد يثبت الحق، وقوله: ((لوجدتني عنده ووجدت ذلك عندي)) نفي للاتحاد العيني بنفي الباطل وإثبات لتمييز الرب عن العبد، وقوله: ((لوجدتني عنده)) لفظ ظرف؛ وبكل يثبت المعنى الحق من الحلول الحق؛ الذي هو بالإيمان لا بالذات، ويفسر قوله: ((مرضت فلم تعدني)) فلو كان الرب عين المريض والجائع لكان إذا عاده وإذا أطعمه يكون قد وجده إياه وقد وجده قد أكله، والله سبحانه لم يأكل ولم يعد، بل العبد هو الذي جاع وأكل ومرض وعاده العواد(٢).

وإنما أضاف الله ذلك إلى نفسه للترغيب والحث، كقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥].

«وقال العلماء: إنما أضاف المرض إليه ﷻ والمراد العبد تشريفا للعبد وتقريبا له، قالوا: ومعنى وجدتني عنده أي وجدت ثوابي وكرامتي، ويدل عليه قوله تعالى في تمام الحديث: ((لو أطعمته لوجدت ذلك عندي))، ((لو أسقيته لوجدت ذلك عندي))، أي ثوابه والله أعلم»(٣).

وبما سبق يتبين أن وحدة الوجود هي عقيدة مناقضة للإسلام، منافية لتوحيد الربوبية، الذي أقرت به البشرية، واستقرت عليه الفطر، ولم ينكره إلا شذاذ من البشر ظلمًا ومكابرة،

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٧٢].

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٣٩١-٣٩٢-٤٦٢، ٣/ ٤٤)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٨٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٢٦).

قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وهذه ضلالة أشر من شرك اليهود الذين قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، والنصارى الذين قالوا: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، بل لم يقلها حتى كفار قريش ولا فرعون ولا إبليس، فتمثل فيها أخبث شرك في العالم[(١)].

فأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل، وهو ثلاثة أقسام -كما يقول الإمام ابن القيم-: «تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس، بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله، وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد»[(٢)]، والنوع الأول والثاني من أنواع التعطيل هي من الشرك في توحيد المعرفة والإثبات، شرك أهل وحدة الوجود، الملاحدة الذين كسوا الإلحاد حلية الإسلام، الذين عطلوا أسماء الرب تعالى وأوصافه وأفعاله، «فمن نفى صفات الرب ﷻ وعطلها كذب تعطيله توحيده، ومن شبهه بخلقه ومثله بهم كذب تشبيهه وتمثيله توحيده»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- «اعلم -هداك الله وأرشدك- أن تصور مذهب هؤلاء: كاف في بيان فساده لا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر وإنما تقع الشبهة؛ لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم؛ لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة، بل وهم أيضًا لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه؛ ولهذا يتناقضون كثيرًا في قولهم؛ وإنما ينتحلون شيئًا ويقولونه أو يتبعونه؛ ولهذا قد افترقوا بينهم على فرق ولا يهتدون إلى التمييز بين فرقهم مع استشعارهم أنهم مفترقون»[(٤)].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٣٦٨)، تجريد التوحيد للمقريزي (ص١٨).
(٢) الجواب الكافي (ص٩٠)، وينظر: نهاية الإقدام للشهرستاني (ص١٢٣).
(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية (١/ ٤٣).
(٤) مجموع الفتاوى (٢/ ١٣٨).

وقد أنكر هذه العقيدة كل صاحب عقيدة سليمة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن أهل عقيدة وحدة الوجود أنهم: «أقوام هم من أعظم الناس زندقة ونفاقًا قديمًا وحديثًا»(١).

وقد ذكر -رحمه الله- جملة من العلماء الذين قالوا بتكفير أهل الوحدة والوجود إلى أن قال: «وأمثال هؤلاء المشايخ الذين كانوا بالحجاز والشام والعراق ومصر والمغرب وخراسان من الأولين والآخرين، كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء ومن هو أرجح منهم، وإن الله سبحانه ليس هو خلقه ولا جزءًا من خلقه ولا صفة لخلقه؛ بل هو ﷻ مميز بنفسه المقدسة، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته، وبذلك جاءت الكتب الأربعة الإلهية من التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وعليه فطر الله تعالى عباده، وعلى ذلك دلت العقول»(٢).

وقال عنهم: «فكل من كان أخبر بباطن هذا المذهب ووافقهم عليه كان أظهر كفرًا وإلحادًا، وأما الجهال الذين يحسنون الظن بقول هؤلاء ولا يفهمونه، ويعتقدون أنه من جنس كلام المشايخ العارفين الذين يتكلمون بكلام صحيح لا يفهمه كثير من الناس، فهؤلاء تجد فيهم إسلامًا وإيمانًا ومتابعة للكتاب والسنة بحسب إيمانهم التقليدي، وتجد فيهم إقرارًا لهؤلاء وإحسانًا للظن بهم وتسليما لهم بحسب جهلهم وضلالهم؛ ولا يتصور أن يثني على هؤلاء إلا كافر ملحد أو جاهل ضال ... يقولون بالحلول تارة وبالاتحاد أخرى، وبالوحدة تارة، فإنه مذهب متناقض في نفسه؛ ولهذا يلبسون على من لم يفهمه، فهذا كله كفر باطنًا وظاهرًا بإجماع كل مسلم ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر؛ كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين»(٣).

وقال ابن القيم -رحمه الله-:

حاشا النصارى أن يكونوا مثلــه   وهم الحمير وعابــدو الــصلبان

---

(١) الاستقامة (١/ ٣٩٤).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ١٧٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٦٧ -٣٦٨).

هم خصصوه بالمسيح وأمه وأولاء ما صانوه عن حيوان(١)

ونقل العياشي أن الشيخ علاء الدين السمسناني(٢) قال عن هذه العقيدة: «في جميع الملل والنحل لا يوجد كلام أشنع، إذا حقق الأمر كان مذهب الطبيعيين والدهريين أولى من هذه العقيدة بكثير، وكنت أطالع كتاب (الفتوحات) وأكتب على هوامشه، فلما وصلت إلى قوله: سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها، كتبت قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، الشيخ: لو سمعت أحدًا يقول: فضلة الشيخ عين وجود الشيخ لا تسامحه ألبته؛ بل وتغضب عليه، فكيف يسوغ أن ينسب إلى الله هذا الهذيان؟».

وذكر العياشي أن الشيخ علاء الدولة كان معترفًا بفضل الشيخ محي الدين ابن العربي، ولكنه كان يخطئوه في قوله بأن الحق هو الوجود المطلق بل كان يكفره(٣).

فالسمناني وإن وافق ابن عربي في أمور ويعتقد أنه رجل عظيم، إلا أنه يخالفه في هذه العقيدة، ويعتبرها هذيانا يُتره الله تعالى عنه، بل إنه كان يكفره بها؛ وهذا تناقض منه، فمع شناعة قول ابن عربي إلا أنه لا يزال يعظمه.

وقد أدى القول بهذه العقيدة الباطلة إلى تحطيم التوحيد وإفساد الدين؛ فهي عقيدة إلحادية ليست من الإسلام في شيء، فضلاً عن أن تكون عقيدة صحيحة يسميها أصحابها توحيدًا.

---

(١) متن القصيدة النونية لابن القيم (ص٧١).

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد السمناني البيانانكي، يلقب بعلاء الدين وركن الدين، شافعي، مولده بسمنان -بين الري والدامغان- ولد سنة ٦٥٩هـ، وتفقه وطلب الحديث ودخل الخلوة وكان يحط على ابن العربي ويكفره، سكن تبريز وبغداد، له تصانيف كثيرة في التفسير والتصوف وغيرهما، منها: (الفلاح لأهل الصلاح)، و(العروة لأهل الخلوة)، و(صفوة العروة)، توفي سنة ٧٣٦هـ. ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه (٢/ ٢٤٩)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ٢٩٧)، والأعلام (١/ ٢٢٣).

(٣) ينظر: رحلة العياشي (١/ ٥٠٨-٥٠٩-٥١١-٥١٢).

المطلب الثالث: ما يتعلق ببعض الأسماء والصفات:

ورد في كتب الرحلات -محل الدراسة- مما يتعلق بهذا المطلب عدة مسائل، يمكن بيانها على النحو التالي:

المسألة الأولى: الاسم والمسمى:

مسألة الاسم والمسمى من المسائل المحدثة التي لم ترد في الكتاب والسنة، ولم يتحدث فيها الصحابة ﷺ، ولا التابعون؛ وإنما أحدثها أهل البدع[(١)].

يقول العياشي في حادثة له: «بينما أنا ذات يوم بالحرم الشريف إذ جلس إلينا رجل من أصبهان، وكانت في كلامه لكنة أعجمية... ثم تأملت كلامه فإذا هو يريد البحث في مسألة الاسم، هل هو عين المسمى أو غيره، فتكلمت معه في ذلك بما لأئمتنا من التفرقة بين معنى الاسم والمسمى والتسمية، وإن الخلاف في ذلك عند المحققين يرجع إلى وفاق»[(٢)].

وقد اختلفت الأقوال في هذه المسألة على خمسة أقوال:

الأول: الاسم غير المسمى؛ لأن الاسم مخلوق والمسمى غير مخلوق، وهذا قول الجهمية والمعتزلة[(٣)(٤)].

الثاني: الاسم عين المسمى، وهو أحد قولي أصحاب أبي الحسن الأشعري[(٥)]، ولم يعرف عن أحد من السلف أنه قال: الاسم هو المسمى؛ بل هذا قاله كثير من المنتسبين إلى السنة

---

(١) ينظر: صريح السنة للطبري (ص ٢٦).

(٢) رحلة العياشي (١/ ٤٣٤) وينظر: رحلة الزياني (ص٢٣١) نقلاً عن العياشي.

(٣) هم أتباع واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، ويجمعهم القول بالأصول الخمسة وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويحمل كل أصل معنى باطلاً يخالف الظاهر منه. ينظر: التنبيه والرد (ص٣٥)، مقالات الإسلاميين (ص١٥٥) الفرق بين الفرق (ص٩٣)، الملل والنحل (١/ ٤٢)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٤٦).

(٤) ينظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص٥٤٢-٥٤٣)، مقالات الإسلاميين (١/ ٢٩٨)، مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٦)، بدائع الفوائد (١/ ٣٢).

(٥) ينظر: الإنصاف للباقلاني (ص٥٧-٥٨)، مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٨).

بعد الأئمة، وأنكره أكثر أهل السنة عليهم، ثم منهم من أمسك عن القول في هذه المسألة نفيًا وإثباتًا؛ إذ كان كل من الإطلاقين بدعة(١).

الثالث: التوقف والمنع وإنكار الحديث بمثل هذه الإطلاقات، قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: «إذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمى أو الاسم المسمى فاشهد عليه أنه من أهل الكلام ولا دين له»(٢).

الرابع: أن الأسماء ثلاثة أقسام فتارة يكون الاسم هو المسمى كاسم الموجود، وتارة يكون غير المسمى كاسم الخالق، وتارة لا يكون هو ولا غيره كاسم العليم والقدير، وهو المشهور عن أبي الحسن الأشعري(٣).

الخامس: أن الاسم للمسمى، وأن الاسم تارة يراد به الذات وهو المسمى، وتارة يراد به اللفظ الدال على المسمى، وهو الذي عليه جمهور أهل السنة لموافقته للكتاب والسنة والمعقول.

إن منشأ الغلط في هذا الباب من إطلاق ألفاظ مجملة محتملة لمعنيين صحيح وباطل، فلا ينفصل النزاع إلا بتفصيل تلك المعاني وتنزيل ألفاظها عليها، ولا ريب أن الله تبارك وتعالى لم يزل ولا يزال موصوفًا بصفات الكمال المشتقة أسماؤه منها، فلم يزل بأسمائه وصفاته وهو إله واحد له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأسماؤه وصفاته داخلة في مسمى اسمه؛ وإن كان لا يطلق على الصفة أنها إله يخلق ويرزق فليست صفاته وأسماؤه غيره وليست هي نفس الإله، وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون أسماؤه تعالى غيره وهي مخلوقة، ولمذهب من رد عليهم ممن يقول: اسمه نفس ذاته لا غيره، وبالتفصيل تزول الشبه ويتبين الصواب(٤).

(١) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٨٥)، شرح السنة للبغوي (٥/ ٢٩).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٧٤).

(٣) ينظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد للجويني (ص١٤١-١٤٢)، مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٧-١٨٨).

(٤) ينظر: بدائع الفوائد (١/ ٣١- ٣٢).

والاختلاف الذي أشار إليه العياشي؛ فلأن الأشاعرة لم يفرقوا بين الذات التي هي المسمى وبين اللفظ الذي هو التسمية، فهم تكلفوا هذا التكليف؛ ليقولوا: إن اسم الله غير مخلوق، ومرادهم أن الله غير مخلوق وهذا مما لا تنازع فيه الجهمية والمعتزلة؛ فإن أولئك ما قالوا: الأسماء مخلوقة إلا لما قال هؤلاء هي التسميات، فوافقوا الجهمية والمعتزلة في المعنى، ووافقوا أهل السنة في اللفظ، ولكن أرادوا به ما لم يسبقهم أحد إلى القول به من أن لفظ اسم وهو (ألف سين ميم) معناه إذا أطلق هو الذات المسماة[١].

وأما قول الأشعري بأن الاسم تارة يكون هو المسمى وتارة يكون غيره، وتارة لا يكون هو ولا غيره، «غلطوا من وجه آخر، فإنه إذا سلم لهم أن المراد بالاسم الذي هو ألف سين ميم هو مسمى الأسماء؛ فاسمه الخالق هو الرب الخالق نفسه ليس هو المخلوقات المنفصلة عنه، واسمه العليم هو الرب العليم الذي العلم صفة له فليس العلم هو المسمى؛ بل المسمى هو العليم؛ فكان الواجب أن يقال على أصلهم: الاسم هنا هو المسمى وصفته، وفي الخالق الاسم هو المسمى وفعله؛ ثم قولهم إن الخلق هو المخلوق وليس الخلق فعلاً قائمًا بذاته قول ضعيف مخالف لقول جمهور المسلمين»[٢].

فدل ذلك على اضطراب مذهبهم، وبطلانه وأن المذهب الحق هو القول الخامس، قول جمهور أهل السنة والجماعة.

المسألة الثانية: طرق إثبات الصفات:

مذهب أهل السنة والجماعة في طرق إثبات الصفات أن الأصل في إثباتها بما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة، والعقل في ذلك تابعٌ وليس أصلاً[٣].

وقد خالف هذا بعض الرحالة ومنهم الورثيلاني، إذ يقول: «العلم بحقائق الصفات والحكم بوجوبها للذات العلية أي الجزم بذلك من غير دليل عقلي ظاهر الرد شرعًا؛ إذ اختلف فيمن هذا وصفه هل هو مؤمن لكونه جزم بالعقائد والحكم بها للمولى ﷻ مع

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٩٢).

(٢) المصدر السابق (٦/ ٢٠١).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٢٦)

عصيانه وهو الراجح عند الكثير من العلماء، أو كافر يخلد في النار مع سائر الكفرة...قلت: هذا لا يسمن ولا يغني من جوع لما علمت أن بعض المعتقدات كالقدرة والإرادة والعلم والحياة فلا بد فيها من دليل العقل أيضًا، فإن فيها خلافا في الاكتفاء بدليل النقل فيها، أو لابد من دليل العقل وهو الراجح، وحينئذ ما تخيلوه من الاكتفاء في التوحيد بأدلة النقل واضح الرد»(١).

فهو يوجب للإيمان بالصفات العلم بالدليل العقلي، ومن اكتفى بالنقل فهو كافر على الراجح.

إن القرآن لم يهمل دور العقل بل نبه على الأدلة العقلية التي تثبت صفات الكمال لله وتنفي عنه صفات النقص، فالعقل قد يثبت بعض الصفات ولكنه عاجز عن إثباتها كلها؛ فإن بعض الصفات لا تعلم إلا بورود النقل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «إن وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر الله به ورسوله ﷺ من صفاته ليس موقوفًا على أن يقوم عليه دليل عقلي على تلك الصفة بعينها، فإنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول ﷺ إذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وإن لم نعلم ثبوته بعقولنا، ومن لم يقر بما جاء به الرسول ﷺ حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله عنهم: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنًا بالرسول، ولا متلقيًا عنه الأخبار بشأن الربوبية، ولا فرق عنده بين أن يخبر الرسول بشيء من ذلك أو لم يخبر به، فإن ما أخبر به إذا لم يعلمه بعقله لا يصدق به، بل يتأوله أو يفوضه، وما لم يخبر به إن علمه بعقله آمن به وإلا فلا»(٢).

وهذه المسألة أثرت في إثبات الصفات التي دل عليها العقل، أما بقية الصفات التي دل عليها السمع ولكن عقولهم قصرت عنها أو خالفتها، فكانت النتيجة -كما أشار شيخ الإسلام ابن تيمية- النفي والإنكار، بالتأويل أو التفويض.

---

(١) رحلة الورثيلاني (١/ ١٥٠-١٥١).

(٢) العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (١/ ٢٧-٢٨).

المسألة الثالثة: المسلك في التعامل مع نصوص الصفات:

لقد اضطرب منهج الأشاعرة في صفات الله تعالى على أقوال، وهي:

- صفات اتفقوا على إثباتها، مثل الصفات السبع: الحياة والعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر والإرادة.
- صفات اتفقوا على نفيها، وهي الصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله تعالى.
- صفات اختلفوا فيها: مثل الصفات الخبرية.

وهذا الاختلاف إما أن يكون بين متقدمي الأشاعرة ومتأخريهم، أو عند الفرد الواحد، حيث يميل مرة إلى الإثبات، ومرة إلى التأويل، وإن كان الذي استقر عليه المذهب يغلب عليه التأويل[١].

إن هذا التذبذب من قِبل الأشاعرة مبني على أن نصوص الصفات تقتضي التمثيل، وأنها غير مرادة، فمن باب تنزيه الله تعالى عن مشابهته لخلقه، لا بد من صرفها عن ظاهرها بالتأويل أو التفويض، ومن هذا قول ناظمهم:

وكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبيهَا ... أوِّلْهُ أو فَوِّضْ ورُمْ تَنْزِيهَا[٢]

معنى التأويل:

التأويل في اللغة يدل على معانٍ كثيرة ترجع إلى معنيين:

الأول: العاقبة والمرجع والمصير.

الثاني: التفسير والتدبر والبيان[٣].

وأما في الاصطلاح: فقد ورد التأويل عند السلف بالمعنيين السابقين في اللغة العربية، وهما:

المرجع والمصير والحقيقة التي يؤول إليها الشيء، أو بمعنى التفسير[١].

---

(١) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود (٣/ ١٠٢٩).

(٢) تحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجوري (ص١٥٦).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٣٣٠)، الصحاح (٤/ ١٦٢٧)، معجم مقاييس اللغة (١/ ١٦٢)، لسان العرب (١/ ١٧١-١٧٢)، القاموس المحيط (١/ ١٢٤٤).

لكن المتأخرين ابتدعوا معنى ثالثًا لم يكن معروفًا عند السلف، ولم يؤلف استعماله في اللغة، وهو: صرف اللفظ من الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وأما التأويل بمعنى صرف اللفظ عن مفهومه إلى غير مفهومه فهذا لم يكن هو المراد بلفظ التأويل في كلام السلف، اللهم إلا أنه إذا علم أن المتكلم أراد المعنى الذي يقال: إنه خلاف الظاهر جعلوه من التأويل الذي هو التفسير؛ لكونه تفسيرًا للكلام وبيانًا لمراد المتكلم به، أو جعلوه من النوع الآخر الذي هو الحقيقة الثابتة في الأمر نفسه التي استأثر الله بعلمها؛ لكونه مندرجًا في ذلك لا لكونه مخالفًا للظاهر.

وكان السلف ينكرون التأويلات التي تخرج الكلام عن مراد الله ورسوله ﷺ التي هي من نوع تحريف الكلم عن مواضعه، فكانوا ينكرون التأويل الباطل الذي هو التفسير الباطل، كما ننكر قول من فسر كلام المتكلم بخلاف مراده»[٣].

وقال: «إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير فلم أجد -إلى ساعتي هذه- عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف؛ بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله»[٤].

وقد احتج أهل التأويل بأنه ينبغي التأويل للنصوص التي قد يفهم منها العوام النقص في حق الله؛ فالحق أن النقائص لا تثبت أبدًا لله فهي منتفية عنه، يقول ابن تيمية: «فالنقائص جنسها منفي عن الله تعالى، وكل ما اختص به المخلوق فهو من النقائص التي يجب تنزيه الرب عنها بخلاف ما يوصف به الرب، ويوصف العبد بما يليق به: مثل العلم والقدرة

---

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ١١)، مجموع الفتاوى (٤/ ٦٩، ٦٨، ١٣/ ٢٨٨-٢٨٩)، الصواعق المرسلة لابن القيم (١/ ١٧٧-١٧٨)، شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٨٢).

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة (١/ ١٧٨-١٨٩).

(٣) الصفدية لابن تيمية (١/ ٢٩١).

(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٤).

والرحمة ونحو ذلك، فإن هذه ليست نقائص بل ما ثبت لله من هذه المعاني فإنه يثبت لله على وجه لا يقاربه فيه أحد من المخلوقات فضلا عن أن يماثله فيه»(١).

فهؤلاء يظنون أن المعنى الباطل من هذه النصوص هو ظاهر اللفظ فيلجؤون إلى التأويل أو التفويض، وهذا مسلك خاطئ لاشك؛ فنصوص الصفات لا توهم تشبيهًا، فلا يمكن أن يكون ظاهر نصوص الصفات باطلاً.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: «فالتأويل شر من التعطيل فإن المعطل والمؤول قد اشتركا في نفي حقائق الأسماء والصفات، وامتاز المؤول بتلاعبه بالنصوص وانتهاكه لحرمتها وإساءة الظن بها ونسبة قائلها إلى التكلم بما ظاهره الضلال والإضلال فجمعوا بين أربعة محاذير:

المحذور الأول: اعتقادهم أن ظاهر كلام الله ورسوله المحال الباطل، ففهموا التشبيه أولاً ثم انتقلوا عنه إلى:

المحذور الثاني: وهو التعطيل فعطلوا حقائقها بناء منهم على ذلك الفهم الذي يليق بهم ولا يليق بالرب جل جلاله.

المحذور الثالث: نسبة المتكلم الكامل العلم الكامل البيان التام النصح إلى ضد البيان والهدى والإرشاد، وإن المتحيرين المتهوكين أجادوا العبادة في هذا الباب وعبروا بعبارة لا توهم من الباطل ما أوهمته عبارة المتكلم بتلك النصوص، ولا ريب عند كل عاقل أن ذلك يتضمن أنهم كانوا أعلم منه أو أفصح أو أنصح للناس.

المحذور الرابع: تلاعبهم بالنصوص وانتهاك حرماتها»(٢).

وبما سبق يتضح بطلان التأويل في نصوص الصفات، وأن الحق هو ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها من إجرائها على ظواهرها اللائقة بالله وترك التأويل.

معنى التفويض:

التفويض في اللغة: مأخوذ من قولهم: فوض إليه الأمر إذا رده وصيره إليه وجعله الحاكم فيه(١).

---

(١) المصدر السابق (١٧/ ٣٢٥).

(٢) الصواعق المرسلة (ص٢٩٦).

وأما في الاصطلاح: رد العلم بنصوص الصفات إلى الله تعالى.

وهو قسمان:

الأول: تفويض الكيفية، وهو الإيمان بما دلت عليه نصوص الصفات من المعاني اللائقة بالله، وتفويض كيفية اتصاف الله بها إليه سبحانه، وهذا هو مذهب السلف.

الثاني: تفويض المعنى، وهو الإيمان بألفاظ نصوص الصفات، وتفويض ما تدل عليه من المعاني إلى الله سبحانه[٢]، وهذا هو مذهب الخلف.

ومما ورد في هذه المسألة من كتب الرحالة ما نقله العياشي عن رسالة (إفاضة العلام في مسألة الكلام) للملا إبراهيم الكوراني، ووصف الرسالة بأنها تأليف مبني على تحقيق النزاع الذي بين الأشعرية والحنابلة ووصف فيه مؤلفه الحنابلة بقوله: «لما أمعنتُ النظر في رسائل القوم، ومصنفاتهم وجدتهم متمسكين بمذاهب كبراء المحدثين كما هو معروف من حال إمامهم ﷺ، من إبقاء الآيات والأحاديث على ظاهرها والإيمان بها كذلك، مفوضين فيما أشكل معناه، وهذا لا يذمه أحد من الأشاعرة، بيد أن الحنابلة مشددون في رد التأويل في ذلك مجهّلون من يذهب إليه كالأشعرية...وإلا فالكل على هدى إن شاء الله فيما يظهر؛ لأن المفوض مسلم لمراد الله تارك ما لم يكلف بعلمه، والمتأول متبع لما علم صحته وثبوته من الكتاب والسنة، حامل ما لم يتضح معناه حتى تكون العقيدة على نسق واحد، ولا يسرع إلى فهم القاصر معنى لا يليق بالرب فيثبته له، فالتأويل لأجل هذا حسن حراسة عن اعتقاد ما لا يجوز اعتقاده...ولقد أطلعني بعض أصحابنا الحنابلة بالقاهرة على رسالة للشيخ ابن تيمية وهي معتمدة عند الحنابلة، فطالعتها كلها فلم أر فيها شيئًا مما ينبز به ويرمى به في العقائد سوى ما ذكرنا من تشدده في رد التأويل، وتمسكه بالظواهر مع التفويض، مع المبالغة في التنزيه مبالغة نقطع معها بأنه لا يعتقد تجسيمًا ولا تشبيهًا، بل يصرح بذلك تصريحًا لا خفاء فيه».

---

(١) ينظر: لسان العرب (٥/ ٣٤٨٥)، القاموس المحيط (١/ ٨٣٩).

(٢) ينظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص٧٧-٧٨)، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات عرض ونقد لأحمد القاضي.

ثم علّق العياشي بقوله: «وقد أحسن شيخنا ﷺ، التوفيق بين كلامهم وكلام الأشعرية والكل على هدى إن شاء الله متمذهبون بمذاهب أهل السنة والجماعة، يصدق كلام بعضهم بعضًا ويصدقون كلهم بكلام الله ورسوله ﷺ، وهو مصدقهم وإن اختلفوا في التأويل والتفويض فهما طريقان مسلوكان منتهجان منسوبان معًا لأهل السنة والجماعة...»(١).

وما نقله العياشي من إبقاء السلف الآيات والأحاديث على ظاهرها والإيمان بها كذلك، مفوضين فيما أشكل معناه كلام مجمل، فإن كان يقصد المعنى الأول للتفويض فهو حق، وإن كان يقصد المعنى الثاني فهو باطل.

فنسبة تفويض المعنى للسلف كذب ظاهر عليهم؛ إذ مذهب السلف واضح في الإيمان بنصوص الصفات، وإجرائها على ظاهرها من غير تكييف، واعتقاد أن لها معانيَ حقيقية.

فالتفويض بهذا المعنى حادث بعد السلف؛ فلم يكن معروفًا عند الصحابة والتابعين في جميع نصوص الصفات، ولقد كان الأئمة من السلف إذا سُئلوا عن شيء لم ينفوا معناه بل يثبتون المعنى وينفون الكيفية، ولهذا لما سُئل مالك عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»(٢)، وكذلك قال ربيعة(٣) شيخ مالك قبله، فبين أن الاستواء معلوم وأن

---

(١) رحلة العياشي (١/ ٥٧٠- ٥٧٣).

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص٦٦)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٨)، والصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص٤٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٠٤-٣٠٥)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٣٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٢٦)، وقال الذهبي: «ساق البيهقي بإسناد صحيح» مختصر العلو للعلي العظيم (ص٦٣)، وقال ابن حجر: «أخرج البيهقي بسند جيد» فتح الباري (١٣/ ٤٠٦-٤٠٧).

(٣) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ، أبو عثمان، مفتي المدينة إمام حافظ فقيه مجتهد، كان بصيرًا بالرأي، (وأصحاب الرأي عند أهل الحديث، هم أصحاب القياس؛ لأنهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثًا أو أثرًا) فلقب (ربيعة الرأي)، توفي سنة ١٣٦هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٨٩)، تاريخ بغداد (٨/ ٤٢٠).

كيفية ذلك مجهول، ومثل هذا يوجد كثيرًا في كلام السلف، والأئمة ينفون علم العباد بكيفية صفات الله[(١)].

يقول ابن تيمية- رحمه الله-: «لكن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف على طريقة السلف: إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨﴾ [البقرة: ٧٨]، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف؛ فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم. وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف، وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين؛ فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى -وهي التي يسمونها طريقة السلف- وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف -وهي التي يسمونها طريقة الخلف- فصار هذا الباطل مركبًا من فساد العقل والكفر بالسمع»[(٢)].

إضافة إلى أن هذا المسلك مبني على أساس باطل، وهو أن ظاهر النصوص تدل على معنى فاسد لا يليق بالله، وهذه جناية واضحة على النصوص.

يقول ابن تيمية-رحمه الله-: «ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء؛ إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدًى وبيانًا للناس، وأمر الرسول ﷺ أن يبلغ البلاغ المبين وأن يبين للناس ما نزل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته، أو عن كونه خالقًا لكل شيء، وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمر

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٥٨)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (ص ١٩٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٩).

ونهي ووعد وتوعد، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر لا يعلم أحد معناه فلا يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول ﷺ بيَّن للناس ما نزل إليهم ولا بلغ البلاغ المبين.

وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك؛ لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة لا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به، فيبقي هذا الكلام سدًا لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحًا لباب من يعارضهم ويقول: إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء؛ لأنا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية والأنبياء لم يعلموا ما يقولون: فضلاً عن أن يبينوا مرادهم، فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد»[١].

وبهذا يتبن أن كلاً من التأويل والتفويض في نصوص الصفات باطل، مخالف لمذهب السلف الموافق للكتاب والسنة.

المسألة الرابعة: صفة العلم:

العلم صفة من صفات الله الذاتية الثابتة في القرآن والسنة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقوله ﷺ: ((اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب))[٢].

يقول ابن أبي العز[٣]: «الدليل العقلي على علمه تعالى: أنه يستحيل إيجاده الأشياء مع الجهل، ولأن إيجاده الأشياء بإرادته، والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد: هو العلم

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١١٥).

(٢) أخرجه البخاري كتاب: الدعوات، باب: الدعاء عند الاستخارة (٥/ ٢٣٤٥) ح(٦٠١٩) عن جابر ﷺ.

(٣) هو علي بن علي بن محمد الأذرعي الدمشقي الصالحي الحنفي، المعروف بابن أبي العز، تولى القضاء بدمشق ثم بالديار المصرية ثم بدمشق، امتحن بسبب اعتراضه على قصيدة ابن أيبك الدمشقي، من مؤلفاته: (شرح العقيدة

بالمراد، فكان الإيجاد مستلزمًا للإرادة، والإرادة مستلزمة للعلم، فالإيجاد مستلزم للعلم؛ ولأن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها؛ لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم؛ ولأن من المخلوقات ما هو عالم، والعلم صفة كمال، ويمتنع ألا يكون الخالق عالماً»[1].

فعلم الله تعالى له عموم التعلق: يتعلق بالخالق والمخلوق والموجود والمعدوم[2]؛ فعلمه سبحانه محيط بكل شيء أزلاً وأبدًا؛ فيعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

ومما جاء في صفة العلم من كتب الرحلات أن السويدي سئل عن قوله ﷺ في دعاء الاستخارة: ((اللهم إن كنت تعلم)) إن للشك، والله تعالى عالم جزما، فكيف صح التعبير بإن؟ وأجاب: إن الشك راجع إلى المستخير؛ لأنه لا يقين عنده في أن علمه تعالى هل تعلق بكذا أو كذا، والمشكوك فيه إنما هو تعلق علم الله لا علمه، فالله تعالى عالم بلا ريب ولا شك، وإنما الشك في التعلق وهو مغيب عنا، والله أعلم[3].

إن دعاء الاستخارة المشار إليه، وهو: ((اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به، ويسمي حاجته))[4]، فيه إثبات صفة العلم لله تعالى وإحاطته

الطحاوية)، توفي سنة ٧٩٢هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٤/ ١٠٣)، شذرات الذهب (٦/ ٣٢٦).

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٩٩).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢٦٧).

(٣) ينظر: رحلة السويدي (ص١٩٣).

(٤) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٩٦].

بكل شيء علما، وذلك في قوله: ((أستخيرك بعلمك))، وقوله: ((وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب)).

وقد وافق السويدي الصواب في بيان معنى قول: ((اللهم إن كنت تعلم))، وتابع في هذا العلماء قبله، ومنهم ابن حجر[١]-رحمه الله- إذ قال: «استشكل الكرماني[٢] الإتيان بصيغه الشك هنا ولا يجوز الشك في كون الله عالمًا، وأجاب بأن الشك في أن العلم متعلق بالخير أو الشر لا في أصل العلم»[٣].

فالله تعالى عالم بما استخار العبد فيه وبما يؤول إليه، والعبد يفوّض أمره إلى الله ﷻ في دعائه: إن كنت تعلم -أي في سابق علمك- أنه خير فاقدره لي، وإن كنت تعلم أنه شر فاصرفه عني؛ فإنه لا يعلم ذلك إلا علاّم الغيوب سبحانه.

المسألة الخامسة: صفة الكلام:

صفة الكلام صفة ذاتية فعلية؛ فإنه صفة ذاتية باعتبار أصله؛ لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلمًا، وصفة فعلية باعتبار آحاد الكلام؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء[٤]، وهي ثابتة لله بالكتاب والسنة والإجماع والعقل.

---

(١) هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهاب، أبو الفضل الكناني العسقلاني القاهري الشافعي، المعروف بابن حجر، وهو لقب لبعض آبائه، الحافظ المحدث الإمام الكبير الشهير، ولد بمصر سنة ٧٧٣هـ، له الكثير من المصنفات منها: (فتح الباري في شرح صحيح البخاري)، و(الإصابة في تمييز الصحابة)، و(إتحاف المهرة بأطراف العشرة) وغيرها، توفي سنة ٨٥٢هـ. ينظر: الضوء اللامع للسخاوي (٢/ ٣٦)، شذرات الذهب (٧/ ٢٧٠).

(٢) هو شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرماني ثم البغدادي، ولد سنة ٧١٧هـ، إمام في الفقه والحديث والتفسير، من مؤلفاته: شرح البخاري، شرح المواقف، شرح مختصر ابن الحاجب، توفي سنة ٧٨٦هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٦/ ٦٦)، بغية الوعاة للسيوطي (١/ ٢٧٩).

(٣) فتح الباري (١١/ ١٨٦).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢٩١-٢٩٢)، شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٢٩-١٤١)، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص٦٣).

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله جل وعز: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة: ٦].

ومن أدلة السنة قوله ﷺ: ((ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه))[١]، وقوله ﷺ: ((احتج آدم وموسى فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة؟ قال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه ثم تلومني على أمر قد قدر علي قبل أن أخلق؟ فحج آدم موسى))[٢].

وأما الإجماع فقد «أجمع أهل الإسلام كلهم أن لله تعالى كلامًا، وعلى أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام، وكذلك سائر الكتب المترلة كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف، فكل هذا لا اختلاف فيه بين أحد من أهل الإسلام»[٣].

وأما دليل العقل فقد دلّ على أن عدم الكلام صفة نقص في مقاييس البشر، فكيف برب البشر تعالى؟ فعندهم أن الذي لا يتكلم ناقص عاجز، وقد جعل الله عجز الآلهة عن الكلام دليلَ بطلان كونها إلهًا فقال تعالى عن عجل بني إسرائيل: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، وقال عن الأصنام: ﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. (٦/ ٢٧٠٩) ح(٧٠٠٥)، ومسلم كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (٢/ ٧٠٣) ح(١٠١٦) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: القدر، باب: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] (٦/ ٢٧٣٠) ح(٧٠٧٧)، ومسلم كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٤/ ٢٠٤٢) ح(٢٦٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٣/ ٤)، قد حكى مثل هذا الإجماع غير واحد من العلماء، منهم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٦٠)، والأشعري في رسالة إلى أهل الثغر (١/ ٢١٤-٢١٥)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٠٤-٣٠٥).

يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ [الأنبياء: ٦٣]. فنفي التكلم نقص يستدل به على عدم الألوهية(١)، «وهذا دليل عقلي سمعي على أن الإله الحق لا بد أن يُكلم ويتَكلم»(٢).

وصفة الكلام من أكثر الصفات التي وقع فيها النزاع والجدل؛ مع أنها قد جاءت صريحة بيّنة في نصوص الكتاب والسنة الصحيحة كما سبق.

وقد اختلف الناس في هذه الصفة على أقوال، والذي يهم من هذه الأقوال هو ما تعرضت له كتب الرحلات-محل الدراسة-.

فقد قال العياشي: «النزاع بين الأشاعرة والحنابلة في الكلام في قول الحنابلة في الكلام: إنه بالحرف والصوت، وادعاء القدم لهما؛ صونًا لجانب القرآن عن نسبة الحدوث إلى شر منه، ولم يبالوا بما أداهم إليه ذلك من جحد الضرورة المشاهدة في حدوثها وانقضائها»(٣).

وذكر أنه من الفوائد التي استنبطها من كتاب طبقات الشافعية الكبرى: «قال -تقي الدين السبكي(٤) -: إن الكلام النفسي يسمع، وإن التعلق قديم»(٥).

وقال الكوازي في وصف المسجد النبوي: «وأغلب حيطانه مكتوب فيها بعض آيات من كلام الله القديم»(٦).

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٣٠).

(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ٩١٥).

(٣) رحلة العياشي (١/ ٥٧٠).

(٤) هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام، أبو الحسن، تقي الدين السبكي متكلم أصولي وفقيه شافعي حافظ، ولد سنة ٦٨٣هـ، وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات، ومن تصانيفه: (رفع الشقاق في مسألة الطلاق)، و(شفاء السقام في زيارة خير الأنام)، و(الإبهاج في شرح المنهاج للنووي)، توفي سنة ٧٥٦هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٢٥) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٠/ ١٣٩-٣٣٦)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٤/ ٧٤-٨٤).

(٥) رحلة العياشي (٢/ ١٢٢)، والأصل من كتاب طبقات الشافعية في ترجمة والده تاج الدين السبكي: «ذكر شيء من مقالاته في أصول الديانات: ذهب إلى أن الكلام النفسي يسمع وهو أحد قولي الأشعري، وأن التعلق قديم وهو أيضا رأي الأشعري» طبقات الشافعية الكبرى (١٠/ ٢٩٤).

(٦) رحلة الكوازي (ص٤٣).

وما ذهب إليه العياشي ونقله هو ما ذهب إليه الأشاعرة، وهو إن كلام الله معنى قائم بذاته أزلاً وأبدًا، وهو معنى واحد لا يتعلق بمشيئته وقدرته، وليس بحرف ولا صوت(١).

وهذا القول باطل من وجوه عدة، منها:

أولاً: أن حقيقة الكلام تطلق على اللفظ والمعنى معًا، لكن الأشاعرة جعلوا الكلام اسم للمعنى، وإطلاق الكلام عليه مجازًا؛ لأنه دال عليه، فما اصطلحوا على تسميته كلامًا نفسيًّا ليس كلامًا لا في اللغة ولا في الشرع، بل هو بدعة حادثة بعد القرون المفضلة.

فموافقة الأشاعرة لابن كلاب(٢) -وهو متأخر- في قوله في صفة الكلام لله الذي لم يسبقه أحدٌ من المسلمين ولا غيرهم وقد أنكر عليه علماء السنة وعلماء البدعة(٣).

ثانيًا: أن حقيقة قولهم في الكلام: إنه نفسي بلا حرف ولا صوت لا يستطيعون إثباته في الواقع بل ولا تصوره؛ وكل ما استدلوا به لإثبات تلك الحقيقة أقرب في كونها دليلاً عليهم لا لهم(٤).

قال ابن تيمية -رحمه الله-: «وإثبات الشيء فرع تصوره فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن يثبته؟ ولهذا كان أبو سعيد ابن كلاب -رأس هذه الطائفة وإمامها في هذه المسألة- لا يذكر في بيانها شيئا يعقل بل يقول: هو معنى يناقض السكوت والخرس، والسكوت والخرس إنما يتصوران إذا تصور الكلام؛ فالساكت هو الساكت عن الكلام والأخرس هو

---

(١) ينظر: الإنصاف للباقلاني (ص٢٧-١٠١-١٠٥)، أصول الدين للبغدادي (ص١٠٦-١٠٨)، الإرشاد للجويني (ص١٠٤)، غاية المرام للآمدي (ص٨٨)، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص٧٣)، مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٨٣).

(٢) هو عبد الله بن سعيد بن كلاب، أبو محمد القطان، المعروف بابن كُلَّاب -بضم الكاف وتشديد اللام-، زعيم فرقة الكُلابية، وشيخ الأشعري، من مؤلفاته: (الصفات) و(خلق الأفعال) و(الرد على المعتزلة)، توفي سنة ٢٤٥هـ. ينظر: الفهرست لابن النديم (ص٢٥٥)، سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٤-١٧٦)، طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٩٩).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١٣٤).

(٤) ينظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي (ص٨١) وما بعدها، مسألة القرآن لابن عقيل الحنبلي (ص٧٠-٧٦)، مجموع الفتاوى (٦/ ٢٩٧-٢٩٦)، شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٥١-١٤٧)، العقيدة السلفية في كلام رب البرية للجديع (ص٣٤٣-٤١٣).

العاجز عنه أو الذي حصلت له آفة في محل النطق تمنعه عن الكلام وحينئذ فلا يعرف الساكت والأخرس حتى يعرف الكلام، ولا يعرف الكلام حتى يعرف الساكت والأخرس، فتبين أنهم لم يتصوروا ما قالوه ولم يثبتوه»[(١)].

ثالثًا: أن أدلة كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تثبت أن كلام الله بحرف وصوت مسموع، ومنها:

١- لفظ النداء الإلهي تكرر في الكتاب والسنة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ [النازعات: ١٦]، ومعلوم أن النداء لا يكون إلا بصوت، والصوت لا يكون إلا بحرف[(٢)].

٢- إطلاق الحرف على القرآن وهو كلام الله، كما في حديث: ((أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته))[(٣)]، وقوله ﷺ: ((إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف))[(٤)]، فعلم أن كلامه سبحانه حروف، وقد أكد سبحانه ذلك بذكر الحروف المقطعة في أوائل السور قال تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [يونس: ١]، ونحوها[(٥)].

٣- أن بعض النصوص قد جاءت صريحة في أن كلام الله بصوت، وأنه يسمع، ومن ذلك: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم،

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٩٦).

(٢) ينظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص١٦٦)، مجموع الفتاوى (٦/ ٥٣٠-٥٣١)، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم للموصلي (ص٤١٧).

(٣) أخرجه مسلم كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة (١/ ٥٥٤) ح(٨٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري كتاب: فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف (٤/ ١٩٠٩) ح(٤٧٠٦)، ومسلم كتاب: صلاة المسافرين، وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (١/ ٥٦٠) ح(٨١٨) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٥) ينظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص٨١-٨٢-١٥٤).

يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت، إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار))[(١)].

وحديث عبد الله بن أنيس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((يحشر الناس يوم القيامة أو قال العباد عراة غرلاً بهمًا))، قال: قلنا وما بهما؟ قال: ((ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان...))[(٢)].

٤- جميع النصوص التي تثبت كلام الله تثبت أيضًا أن كلامه سبحانه يتعلق بمشيئة الله وقدرته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. فالتكليم حصل بعد مجيء موسى ﷺ، وأيضًا أدلة تكليم الله في الآخرة لم يقع منها شيء وإنما يقع في الآخرة[(٣)]، كل ذلك يدل على أن الله يتكلم إذا شاء بما شاء.

رابعًا: أن ما نسبه العياشي إلى الحنابلة وهو أنهم يقولون بقدم القرآن، وكذا ما وصف الكوازي كلام الله بأنه قديم، ففي إطلاق صفة القديم على كلام الله نظر.

والصحيح التفصيل: فكلام الله قديم النوع حادث الآحاد، فمن حيث الصفة فالله موصوف بالكلام أزلاً وأبدًا، لكن آحاد وأفراد الكلام يتجدد، فيتكلم سبحانه متى شاء بما شاء فكلامه متعلق بمشيئته واختياره كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢][(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣] ولم يقل: ماذا خلق ربكم. (٦/ ٢٧٢٠) ح(٧٠٤٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٥/ ٤٣٢) ح(١٦٠٤٢)، وابن أبي شيبة في المسند (٣/ ١١٤) ح(٨٥٤)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٣٧) ح(٩٧٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٥) ح(٣٦٣٨)، وقال الألباني: «حسن» صحيح الأدب المفرد (ص٣٧١-٣٧٢) ح(٩٧٠-٧٤٦).

(٣) ينظر: العقيدة السلفية في كلام رب البرية (ص١٨٣).

(٤) ينظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص٦٣).

فالقول بأن القرآن قديم ممتنع في صرائح العقول ولم يقل ذلك أحد من السلف، وهو قول مخالف للمعقول والمنقول، فليس هذا هو قول السلف، ولا قول أحمد بن حنبل ولا أصحابه القدماء ولا جمهورهم(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وكلام الله تكلم الله به بنفسه، تكلم به باختياره وقدرته ليس مخلوقًا بائنًا عنه، بل هو قائم بذاته مع أنه تكلم به بقدرته ومشيئته ليس قائما بدون قدرته ومشيئته، والسلف قالوا: لم يزل الله تعالى متكلمًا إذا شاء، فإذا قيل: كلام الله قديم؛ بمعنى أنه لم يصر متكلمًا بعد أن لم يكن متكلمًا ولا كلامه مخلوق ولا معنى واحد قديم قائم بذاته؛ بل لم يزل متكلمًا إذا شاء فهذا كلام صحيح، ولم يقل أحد من السلف: إن نفس الكلام المعين قديمٌ. وكانوا يقولون: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، ولم يقل أحد منهم: إن القرآن قديم ولا قالوا: إن كلامه معنى واحد قائم بذاته، ولا قالوا: إن حروف القرآن أو حروفه وأصواته قديمة أزلية قائمة بذات الله، وإن كان جنس الحروف لم يزل الله متكلمًا بها إذا شاء»(٢).

المسألة السادسة: صفة اليد:

اليد صفة من صفات الله الذاتية الثابتة في القرآن والسنة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١﴾ [يس: ٧١].

وفي السنة قوله ﷺ: ((إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها))(٣).

---

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٩٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٦٦).

(٣) أخرجه مسلم كتاب: التوبة، باب: قبول التوبة وإن تكررت (٤/ ٢١١٣) ح(٢٧٥٩) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وفي حديث الشفاعة وفيه: ((ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس: أبوكم آدم، فيأتونه، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه))(١).

وأجمع سلف الأمة على أن لله ﷻ يدين تليقان به ﷻ لا مثيل لهما ولا تُعلم كيفيتهما(٢).

ومما ورد في كتب الرحلات -محل الدراسة- عن صفة اليد لله تعالى ما يقوله الورثيلاني، عن عبد القادر الراشدي(٣): «وقد وقعت بينه وبين طلبة قسنطينة(٤) مخاصمة عظيمة، ومنازعة كبيرة، في مسألة حتى رموه بالتجسيم، بل وكفره بعضهم ومن الإسلام أخرجه، وذلك خطر كبير في الدين.

وهذه المسألة قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، فقال: وهو في اليد: إنها يد حقيقية، ومع ذلك إنها ليست جارحة ولا جسمًا بل يستحيل ذلك: لأنه يؤدي إلى الحدوث والإمكان، وقدح في التأويل بالقدرة أو صفة زائدة يخلق الله بها الأشراف من الخلق؛ لأن

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ①﴾ [نوح: ١] (٣/ ١٢١٥) ح(٣١٦٢)، ومسلم كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلاً (١/ ١٨٤) ح(١٩٤) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) ينظر: التوحيد لابن خزيمة (١/ ٨٠-٨١)، الإبانة للأشعري (ص٢٠)، الإقناع في مسائل الإجماع لأبي حسن ابن القطان (١/٤٤).

(٣) هو عبد القادر محمد الراشدي القسنطيني، فقيه، أصولي، متكلم، مؤرخ، ولي القضاء والإفتاء بقسنطينة، من مؤلفاته: كتاب في مباحث الاجتهاد، حاشية على شرح السيد للمواقف العضدية، رسالة في تحريم الدخان، وكتاب في عائلات قسنطينة وقبائلها وعربها وبربرها، توفي سنة ١١٩٤هـ، كما ورد في شجرة النور، وأما ما نقله الحفناوي صاحب تعريف الخلف برجال من سلف، وتبعه الزركلي من أنه توفي سنة ١١١٢هـ فوهم، والظاهر أن هذا تاريخ ولادته وذلك بالنظر إلى زمن رحلة الورثيلاني والتي كانت في حجة سنة ١١٧٩هـ، وهو الذي عاصر الراشدي وتحدث عن تفاصيل محنته. ينظر: المعجم المختص للزبيدي (١/٤٥٢)، شجرة النور الزكية (١/ ٣٣٠)، تعريف الخلف برجال من سلف للحفناوي (١/ ٢١٩)، الأعلام (٤/ ٣٨).

(٤) قسنطينة: مدينة من مدن الجزائر في بلاد إفريقية، بين تيجس وميلة، وهي متاخمة لحدود تونس. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار (ص٤٨٠)، التنبيه والإيقاظ لما في ذيول تذكرة الحفاظ للطهطاوي (ص٣٩).

التأويل محوج إلى الدليل والخروج من الحقيقة إلى نوع المجاز فلم يكترث بالتأويل؛ إذ البقاء مع الحقيقة هو الأصل، ولأن التأويل وإن كان صحيحًا ففيه ابتغاء الفتنة، وإنما تنتفي على التسليم لصحة التأويل، وإن كان في علم الله كذلك؛ لأن المصيب في العقائد واحد.

فقد اتفق أهل السنة قاطبة على نفي الجارحة أو ما يؤدي إلى الإمكان والحدوث والتجسيم، فمنهم من قال: له يدٌ حقيقة، فالعلم بها موكل إلى الله تعالى فلا يستلزم فيه التجسيم؛ لأن الأصل في الإطلاق الحقيقة، فكيف يلزم به مع نفي التجسيم الذي يستلزم مالا يليق به ﷻ...فقلت له حين اجتماعي بهم: مجرد الإطلاق لا يلزم عليه شيء؛ إذ عليه أكثر الأمة، ومنهم من أولها بالقدرة، ومنهم من توقف فلما أراني الرسالة الموضوعة لهذا الكلام رأيتها منقحة سالمة من سوء الاعتقاد خصوصًا التجسيم، غايته يبطل أدلة المؤول ويصحح من يقول باليد حقيقة، غير أنه لا يعلمها إلا الله لكن هذا كله بعد نفي التجسيم...»[(١)].

وفي صفة اليد يقول أبو الحسن الأشعري[(٢)]: «فإن سألنا سائل فقال: أتقولون إن لله يدين؟ قيل: نعم نقول ذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الفتح: ١٠]...ثم ساق الكلام في تقرير أن لفظ اليدين على حقيقته وظاهره، وإنكار التأويل الباطل لها»[(٣)(٤)].

أما إطلاق لفظ (الجارحة) إثباتًا أو نفيًا فهو أمر زائد على المعنى المشترك الكلي (أصل المعنى اللغوي)، فليس من أصل معنى اليد في اللغة إثبات كونها جارحة، وإنما جاء الاقتران بين الجارحة وبين يد المخلوق خاصة[(٥)].

---

(١) رحلة الورثيلاني (٢/ ٨٠٤-٨٠٥).

(٢) ستأتي ترجمته في الصفحة رقم [٣٢٣].

(٣) الإبانة للأشعري (١/ ١٢٥).

(٤) متقدمو الأشاعرة خلافًا لمتأخريهم يثبتون صفة اليد على حقيقتها، كأبي الحسن الأشعري، والباقلاني. ينظر: الإنصاف (ص٢٣).

(٥) ينظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/ ٣٩).

ولفظ الجارحة والجسم ونحوها من الألفاظ التي لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ نفيًا ولا إثباتًا، وعليه فلا يخاض فيها بنفي ولا إثبات ابتداء، فإن ذكرها أحدهم سئل عن مراده، فإن عنى معنى صحيحًا قيل به، وأُثبت المعنى دون اللفظ، وإن عنى معنى باطلاً رُد المعنى واللفظ(١).

وأما صرف صفة اليد عن ظاهرها المراد، وابتغاء تأويلها فهو مذهب المتكلمين على اختلاف في تأويلها، فمنهم من أولها بالقدرة أو صفة زائدة يخلق الله بها الأشراف من الخلق(٢)، وهذا تأويل باطل لوجوه منها:

الأول: أن الأصل الحقيقة، فتأويل اليد بالقدرة أو غيرها مخالف للأصل ولظاهر اللفظ، وما كان مخالفًا لظاهر اللفظ مردود إلا بدليل.

الثاني: إن هذه اليد التي أثبتها الله جاءت على وجوه متنوعة يمتنع أن يراد بها النعمة أو القدرة؛ فجاء فيها القبض والبسط واليمين، وكل هذه يمتنع أن يراد بها القدرة؛ لأن القدرة لا توصف بهذه الأوصاف(٣).

الثالث: «لا يصح تأويل من قال: إن المراد باليد القدرة، فإن قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، لا يصح أن يكون معناه بقدرتي مع تثنية اليد، ولو صح ذلك لقال إبليس: وأنا أيضًا خلقتني بقدرتك، فلا فضل له عليَّ بذلك. فإبليس -مع كفره - كان أعرف بربه من الجهمية»(٤).

الرابع: «لا يلزم من إثبات اليد لله أن نمثل الخالق بالمخلوقين؛ لأن إثبات اليد جاء في القرآن والسنة وإجماع السلف، ونفي مماثلة الخالق للمخلوقين يدل عليه الشرع والعقل والحس:

---

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٧٣).

(٢) ينظر: أصول الدين للبغدادي (١١٠-١١٢).

(٣) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة (ص٣٣٦-٣٣٧).

(٤) شرح العقيدة العقيدة الطحاوية (ص ١٩٢).

- أما الشرع، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١].

- وأما العقل، فلا يمكن أن يماثل الخالق المخلوق في صفاته؛ لأن هذا يعد عيبًا في الخالق.

- وأما الحس، فكل إنسان يشاهد أيدي المخلوقات متفاوتة ومتباينة من كبير وصغير، وضخم ودقيق...إلخ، فيلزم من تباين أيدي المخلوقين وتفاوتهم مباينة يد الله تعالى لأيدي المخلوقين، وعدم مماثلته لهم سبحانه وتعالى من باب أولى»[(١)].

ومما يلحق بصفة اليد لله تعالى:

إطلاق يمين الله في الأرض على الحجر الأسود:

وصف يد الله تعالى بأنها يمين ثابت بنصوص الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقال رسول الله ﷺ: ((يمين الله ملأى لا يغيضها شيءٌ الليلَ والنهار))[(٢)].

فإطلاق اليمين على يد الله على ما يليق به تعالى، هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ لموافقة نصوص الكتاب والسنة[(٣)].

وقد أطلق الرحالة على الحجر الأسود أنه يمين الله في الأرض، فقال ابن مليح: «روي عنه ﷺ أنه قال: ((الركن يمين الله في الأرض يصافح بها عباده كما يصافح أحدكم أخاه))»[(٤)].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري كتاب: التوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]. (٦/ ٢٦٩٩) ح(٦٩٨٣)، ومسلم كتاب: الزكاة، باب: الحث على النفقة وبتبشير المنفق بالخلف (٢/ ٦٩٠) ح(٩٩٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ينظر: التوحيد لابن خزيمة (١/ ١٠٢)، والإبانة لابن بطة (٣/ ٢٩٥).

(٤) رحلة ابن مليح (ص٨٤)، والحديث سيأتي تخريجه.

ويقول العياشي في وصف مشاهد الحرم المكي: «الحجر الأسود الذي هو يمين الله في الأرض»[(١)].

ويقول الورثيلاني: «ودخلنا البيت الشريف كما قدمنا فتمتعنا بإجالة النظر في نواحيه؛ حرصًا على تحقيق مبانيه، كما قيل:

وبالحجر الميمون لذنا فإنه ... لرب السما في الأرض للخلق يمناه[(٢)]

ولكن السنوسي أطلق اليمين على الحجر، ولم يقيد يقول في وصف أداء المناسك:

وفزت بتقبيل اليمين وإنني ... لأرجو وفائي أن يرى خير مسموع[(٣)]

إن مما ورد في هذه المسالة حديث: ((الحجر الأسود يمين الله في الأرض))[(٤)]، ونسبته للنبي ﷺ وإطلاق يمين الله على الحجر حقيقة دون تقييد باطل من وجوه، منها:

---

(١) رحلة العياشي (٢/ ١٤٢).

(٢) رحلة الورثيلاني (٢/ ٤٧١).

(٣) رحلة السنوسي (٢/ ١٧٤).

(٤) الحديث روي مرفوعًا وموقوفًا؛ أما المرفوع فروي عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما-:

أخرجه: ابن عدي في الكامل (١/ ٣٤٢) ح(٥٥٣) وفي إسناده إسحاق بن بشر الكاهلي، وقال عنه: «هو في عداد من يضع الحديث»، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٦/ ٣٢٨) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢/ ٢١٦) ح(١٠٩٩٣)، وابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (٢/ ٨٤) ح(٩٤٤)، وقال الذهبي في تلخيص العلل (ص١٩١): فيه إسحاق بن بشر كذاب، وابن بشران في الأمالي (١/ ٢٩) ح(١٢)، وذكره الألباني في ضعيف الجامع وزيادته (١/ ٤٠٩) ح(٢٧٧٢) وقال: «ضعيف»، وفي السلسلة الضعيفة (١/ ٣٩٠) ح(٢٢٣) وقال: «منكر».

وعن عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما-:

أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٢٢١) ح(٢٧٣٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٢٧) ح(١٦٨١) بلفظ «يأتي الركن يوم القيامة أعظم من أبي قبيس له لسان وشفتان يتكلم عمن استلمه بالنية وهو يمين الله التي يصافح بها خلقه»، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٦٢-١٦٣) ح(٧٢٩) وقال: «وفي إسناد الحديث ضعف»، والطبراني في الأوسط (١/ ١٧٧) ح(٥٦٣) وقال: «لم يروه عن عطاء عن عبد الله بن عمرو إلا عبد الله بن المؤمل»، وابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (٢/ ٨٥) ح(٩٤٥) وقال: «وهذا لا يثبت. قال أحمد: (عبد الله بن المؤمل أحاديثه مناكير وقال علي بن الجنيد شبه المتروك)» وقال يحيى بن معين: «ضعيف» ينظر: العلل المتناهية (١/ ٨٧).

وعن أنس ﷺ:

أولاً: أنه روي عن النبي ﷺ بإسناد لا يثبت، والمشهور إنما هو عن ابن عباس.

ثانيًا: لو صح عن النبي ﷺ لم يكن ظاهره أن الحجر صفة لله تعالى ولا هو نفس يمينه؛ لأنه لم يطلق فقال: يمين الله، وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم اللفظ المطلق، ثم قال: ((فمن قبله وصافحه فكأنما صافح الله وقبل يمينه))، ومعلوم أن المشبه غير المشبه به؛ وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلاً، ولكن شبه بمن يصافح الله فأول الحديث وآخره يبين أن الحجر ليس من صفات الله.

ثالثًا: أن معنى الحديث يبين أن الله تعالى كما جعل للناس بيتًا يطوفون به جعل لهم ما يستلمونه؛ ليكون ذلك بمترلة تقبيل يد العظماء، فإن ذلك تقريب للمقبل وتكريم له كما جرت العادة، والله ورسوله ﷺ لا يتكلمون بما فيه إضلال الناس، بل لا بد من أن يبين لهم ما يتقون؛ فقد بين لهم في الحديث ما ينفي من التمثيل، فمن اعتقد أن ظاهره أنه حقيقة اليمين فهو قائل للكذب المبين[1].

أخرجه الديلمي في الفردوس (٢/ ١٥٩) ح(٢٨٠٧)، وفيه علي بن عمر العسكري أورده الذهبي في الضعفاء وقال: «صدوق، لينه البرقاني» المغني في الضعفاء (٢/ ٤٥٢) والعلاء بن مسلمة الرواس، وقال الذهبي: «متهم بوضع الحديث» المغني في الضعفاء (٢/ ٤٤٠).

وأما الرواية الموقوفة فأخرجها عن ابن عباس رضي الله عنهما:

عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٣٩) ح(٨٩١٩-٨٩٢٠)، والأزرقي في أخبار مكة من طرق (١/ ٢٥٧-٢٥٨-٢٥٩)، وابن قتيبة في غريب الحديث (٢/ ٣٣٧)، ومحمد بن أبي عمر-كما في المطالب العالية-وقال ابن حجر: «هذا موقوف جيد» (٦/ ٤٣٢) ح(١٢٢٣)، وذكرها البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٣/ ١٩٠) ح(٢٥٢٤) وقال: «رواه محمد بن يحيى بن أبي عمر موقوفا بإسناد الصحيح».

وروي مقطوعًا عن عكرمة:

أخرجه الأزرقي في أخبار مكة (١/ ٢٥٨)، وذكره الألباني في ضعيف الجامع وزيادته (١/ ٤٠٩) ح(٢٧٧١)، وفي السلسلة الضعيفة (٦/ ٢٠٥) ح(٢٦٨٥)، وقال: «موضوع».

وبما سبق يتبين أن المرفوع ضعيف والصحيح وقفه على ابن عباس. ينظر: المقاصد الحسنة (ص١٨٤) ح(٣٩٠)، وتمييز الطيب من الخبيث لابن الديبع (ص٨٢)، وكشف الخفاء (١/ ٣٩٦)، والسلسلة الضعيفة للألباني (٦/ ٢٠٥) ح(٢٦٨٥).

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٤٦)، الرد على البكري (٢/ ٦٨٦-٦٨٧)، مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٧-٣٩٨-٥٨٠).

وعليه فلا يصح ما نسبه ابن مليح للنبي ﷺ بقوله: ((الركن يمين الله في الأرض...))، وكذا إطلاق السنوسي يمين الله على الحجر دون تقييد؛ فإنه قد يوهم معنًى باطلاً، فالأولى تقييده كما فعله بقية الرحالة المذكورين.

المسألة السابعة: رؤية الله تعالى:

اتفق جمهور الأئمة على جواز رؤية الله عيانًا في الدنيا عقلاً وشرعًا، لكنها لا تقع بإجماع أهل السنة والجماعة.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: «فإن أئمة السنة والجماعة متفقون على أن الله لا يراه أحد بعينه في الدنيا ولم يتنازعوا إلا في نبينا ﷺ خاصة»(١)، وهذا هو الصواب الذي جاءت به الأدلة من الكتاب والسنة.

قال رسول ﷺ: ((تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه ﷻ حتى يموت))(٢)، فهذا حديث صحيح صريح بنفي رؤية الله عيانًا في الدنيا، فرؤية الله بالأبصار في الدنيا ممتنعة لهذه الأدلة ولإجماع سلف الأمة، ولا فرق في ذلك بين ولي ولا غيره، فكل من ادعى أنه رأى ربه بعينيه في الدنيا فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة(٣).

وقد تعرض بعض الرحالة لمسألة رؤية الله سواء أكانت في المنام، أم في الآخرة.

ومن ذلك ما يقوله ابن مليح عن أحد مشايخه: «أنه رأى في منامه تلك الليلة رب العزة سبحانه، فقال له: ما أهمك — وهو أعلم سبحانه-»(٤).

ونقل العياشي عن الغزالي(١) قوله: «من يرى الله ﷻ في المنام فإن ذاته منزهة عن الشكل والصورة، ولكن تنتهي تعريفاته على العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره،

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٩٠)، وينظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٤٧٧، ٤٦٣)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٢٣، ٥١٢)، الحجة في بيان المحجة (١/ ٥٥٢-٥٥٦)، حادي الأرواح لابن القيم (١/ ١٩٧)، شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٥٦، ١٥٧)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٥١)، رؤية الله وتحقيق الكلام فيها لأحمد الحمد (ص١٧٠-١٣٨)، رؤية النبي ﷺ لربه لمحمد بن خليفة التميمي.

(٢) أخرجه مسلم كتاب: الفتن، باب: ذكر ابن صياد (٤/ ٢٢٤٤) ح(٢٩٣١) عن بعض أصحاب ﷺ.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٩، ٦/ ٥١٢)، شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٦٢).

(٤) رحلة ابن مليح (ص١٦)، وينظر: (ص٨٤).

ويكون ذلك المثال حقًّا في كونه واسطة التعريف، فيقول الرائي: رأيت الله تعالى في المنام، لا معنى أني رأيت ذات الله كما يقول في حق غيره»[٢].

ونقل عن أحد مشايخه أنه قال: «لما كانت ليلة الثلاثاء بالمدينة الشريفة، رأيت في المنام خيرًا إن شاء الله، ورأيت الله ﷻ في مثال إنساني، وقد فتح باب الجنة...»[٣].

ويقول النابلسي عن أحد الأولياء: «غلبه النوم فرأى الحق تعالى فيه، فكان بعد ذلك يتكلف النوم ويقول:

رأيت سـرور قلـبي في منـامي فأحببـت التـنفس والمنامـا[٤]

وكذا يقول الورثيلاني عن أحد مشايخه: «له كرامات عظيمة...وقد رأى الله مرارًا في النوم»[٥].

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الشافعي أبو حامد، الملقب حجة الإسلام، فيلسوف متصوف، ولد وتوفي في طابران بخراسان، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدتـه، مـن مؤلفاته: (إحياء علوم الدين)، و(تهافت الفلاسفة) اشتغل بعلوم أهل الكلام مدة ثم تاب عنها، وأقبل على الحديث حتى توفي سنة ٥٠٥هـ. وفيات الأعيان (٤/ ٢١٦)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٢).

(٢) رحلة العياشي (١/ ٩٦).

(٣) المصدر السابق (١/ ٦٠١).

(٤) رحلة النابلسي (ص٢٦٤) وينظر: (ص٢٤٣).

(٥) ينظر: رحلة الورثيلاني (٢/ ٥٤٧، ٦٣١).

وذكر العياشي أنه من الفوائد التي انتقاها من كتاب الطبقات للسبكي[(١)]: في ترجمة شمس الدين بن اللبان[(٢)] أنه قال: «أنكر ابن العربي[(٣)] الرؤية في كتاب العارضة، وقال: إن نعيم الرؤية لا يكون إلا في الجنة، وما في الموقف امتحان، والصحيح خلافه»[(٤)].

أثبت أهل السنة والجماعة إمكان رؤية الله ﷻ في المنام، بما قد روي عن رسول الله ﷺ ذلك في قوله: ((رأيت ربي في أحسن صورة))[(٥)]، يعني: في المنام؛ دل على ذلك ألفاظ الحديث، ومنها: ((فنعست في صلاتي)).

---

(١) هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر تاج الدين ابن تقي الدين، القاضي المؤرخ، ولد في القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها وتوفي بها، من مؤلفاته: (طبقات الشافعية الكبرى)، و(معيد النعم ومبيد النقم)،و (جمع الجوامع)، توفي سنة ٧٧١هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٣/ ٢٣٢-٢٣٣)، حسن المحاضرة (٣٢٨/١-٣٢٩).

(٢) هو محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الأسعردي الدمشقي، شمس الدين ابن اللبان، فقهيه أصولي، نحوي صوفي، من مؤلفاته: (مختصر الروضة)، و(شرح ألفية ابن مالك في النحو)، توفي سنة ٧٤٩هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ٩٤)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/ ٦٠).

(٣) هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي، قاض، من حفاظ الحديث، ولد سنة ٤٦٨هـ في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، صنف المصنفات في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ، منها: (عارضة الأحوذي في شرح الترمذي)، و(أحكام القرآن)، و(العواصم من القواصم) وغيرها، توفي سنة ٥٤٣هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٦)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٩٨-٢٠٣).

(٤) ينظر: رحلة العياشي (٢/ ١٠٠) والأصل من كتاب طبقات الشافعية: «ومنه قال: أنكر القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب الأحوذي ثبوت الرؤية في الموقف، وقال: إن نعيم الرؤية لا يكون إلا للمؤمنين في الجنة، وأن ما جاء في الرؤية في الموقف فإنما هو على سبيل الامتحان والاختبار، والذي نعتقده ثبوت الرؤية وتعميمها للمؤمنين في الموقف على ما صح في الحديث، وذلك صريح في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. انتهى والله أعلم بالصواب». ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٩/ ٩٦).

وقال ابن العربي: الفائدة الخامسة: «وفيها ارتفاع كل إشكال وهي أن الناس في هذه الحال لا يرونه سبحانه في قول العلماء، وإنما محل الرؤية الجنة، وإنما تكون هذه المراجعات بين الحق وبين الواسطة وإلا فإن الله لا يكلم الكفار ولا يرونه ولا يراه أحد إلا بها، ولا يكلمهم إلا في الجنة بإجماع العلماء وغير ذلك من الأقوال طويل، وقليل ما يكون فيه التحصيل». ينظر: عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي لابن العربي (١٠/ ٢٣).

(٥) أخرجه أحمد (٣٦/ ٤٢٢) ح(٢٢١٠٩)، والترمذي كتاب: التفسير، باب: ومن سورة ص (٥/ ٣٦٨) ح(٣٢٣٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل -يعني البخاري- عن هذا الحديث،

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «قد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه؛ فإذا كان إيمانه صحيحًا لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة ولها تعبير وتأويل؛ لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق»(١).

ولهذا لما كان الرسول ﷺ أحسن الناس إيمانًا وأكملهم، قال في الحديث: ((رأيت ربي في أحسن صورة))، ولا يعني ذلك أن رؤية الله في المنام تطابق حقيقته في الواقع ونفس الأمر؛ وإن كمل إيمانه؛ فصورته سبحانه هي أحسن الصور، ولا تماثل صورة أحد من المخلوقين؛ لأن الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالإنسان قد يرى ربه في المنام ويخاطبه، فهذا حق في الرؤيا ولا يجوز أن يعتقد أن الله في نفسه مثل ما رأى في المنام؛ فإن سائر ما يرى في المنام لا يجب أن يكون مماثلا، ولكن لا بد أن تكون الصورة التي رآه فيها مناسبة ومشابهة لاعتقاده في ربه، فإن كان إيمانه واعتقاده مطابقًا أتي من الصور وسمع من الكلام ما يناسب ذلك، وإلا كان بالعكس...وما زال الصالحون وغيرهم يرون ربهم في المنام ويخاطبهم وما أظن عاقلا ينكر ذلك، فإن وجود هذا مما لا يمكن دفعه؛ إذ الرؤيا تقع للإنسان بغير اختياره...وليس في رؤية الله في المنام نقص ولا عيب يتعلق به ﷻ، وإنما ذلك بحسب حال الرائي وصحة إيمانه وفساده واستقامة حاله وانحرافه، وقول من يقول: ما خطر بالبال أو دار في الخيال فالله بخلافه، ونحو ذلك إذا حمل على مثل هذا كان محملاً صحيحًا، فلا نعتقد أن ما تخيله الإنسان في منامه أو يقظته من الصور أن الله في نفسه مثل ذلك، فإنه ليس هو في نفسه مثل ذلك بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان ويتخيلها على حقيقتها، بل هي

فقال: هذا حديث حسن صحيح» وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٢٢) ح(٣٢٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ١٠٩) ح(٢١٦)، والدارقطني في رؤية الله (١/ ١٦٧) ح(٢٥٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٢) ح(١٩١٣)، وصحح الإمام أحمد إحدى طرق هذا الحديث فيما ذكره ابن عدي في الكامل (٦/ ٣٤٥).

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٠)، وينظر: نقض الدارمي (٢/ ٧٣٨)، اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى لابن رجب (ص٣٣-٣٧، ٤٠-٤١).

على خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته، وإن كان ما رآه مناسبا مشابها لها فالله تعالى أجل وأعظم»[(١)].

وأما رؤية المؤمنين لربهم في الموقف فقد تواترت الأحاديث على أن المؤمنين يرون ربهم في الدار الآخرة، في عرصة القيامة وبعد ما يدخلون الجنة.

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: ((هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوًا؟)). قلنا: لا. قال: ((فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما)). ثم قال: ((ينادي مناد: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من برٍّ أو فاجر وغُبَّرَاتٌ من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيرا ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم. ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا مناديًا ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا. قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٧٣-٧٤).

يسجد لله رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا، ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا: يا رسول الله ما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة...))[(١)].

يقول ابن تيمية–رحمه الله–: «فأما (مسألة رؤية الكفار) فأول ما انتشر الكلام فيها وتنازع الناس فيها –فيما بلغنا– بعد ثلاثمائة سنة من الهجرة وأمسك عن الكلام في هذا قوم من العلماء وتكلم فيها آخرون فاختلفوا فيها على ثلاثة أقوال...أحدها: أن الكفار لا يرون ربهم بحال لا المظهر للكفر ولا المسر له...الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغبرات من أهل الكتاب وذلك في عرصة القيامة ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك...الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب –كاللص إذا رأى السلطان– ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابه»[(٢)].

فرؤية المؤمنين لربهم في الموقف ثابتة لا خلاف فيها، وإنما الخلاف في رؤية غيرهم من الكفار والمنافقين.

ويضيف –رحمه الله–: «ثم إن هذا النوع من الرؤية الذي هو عام للخلائق قد يكون نوعًا ضعيفًا ليس من جنس الرؤية التي يختص بها المؤمنون؛ فإن الرؤية أنواع متباينة تباينًا عظيمًا لا يكاد ينضبط طرفاها»[(٣)].

ويقول ابن حجر: «قال الخطابي[(٤)]: هذه الرؤية غير التي تقع في الجنة إكرامًا لهم؛ فإن هذه للامتحان، وتلك لزيادة الإكرام كما فسرت به الحسنى وزيادة، ولا إشكال في حصول الامتحان في الموقف؛ لأن آثار التكاليف لا تنقطع إلا بعد الاستقرار في الجنة أو النار...وقال

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. (٦/ ٢٧٠٦) ح(٧٠٠١)، ومسلم كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٧) ح(١٨٣) واللفظ للبخاري.

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٦-٤٨٨).

(٣) المصدر السابق (٦/ ٥٠٣).

(٤) هو حمد ويقال: أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، أبو سليمان، إمام علامة، حافظ لغوي، له من المصنفات: (معالم السنن)، و(شرح البخاري)، وغيرهما، توفي سنة ٣٨٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣)، البداية والنهاية (١١/ ٣٧١).

الطيبي[1]: لا يلزم من أن الدنيا دار بلاء والآخرة دار جزاء ألاَّ يقع في واحدة منهما ما يخص بالأخرى؛ فإن القبر أول منازل الآخرة، وفيه الابتلاء والفتنة بالسؤال وغيره، والتحقيق أن التكليف خاص بالدنيا، وما يقع في القبر وفي الموقف هي آثار ذلك»[2].

فرؤية المؤمنين لربهم في الموقف رؤية تعريف، وليست هي الرؤية الكاملة التي من النعيم والمذكورة في سورة ق، وهو المزيد كما في قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق: ٣٥].

---

(١) هو الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي، إمام مشهور، من مصنفاته: شرح الكشاف في التفسير، وشرح مشكاة المصابيح في الحديث، توفي سنة ٧٤٣هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٢/ ١٨٥-١٨٦)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٦/ ١٣٧).

(٢) فتح الباري (١١/ ٤٥١).

الفصل الثالث

توحيد القصد والطلب

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف توحيد القصد والطلب وأدلته.

المبحث الثاني: المسائل في توحيد القصد والطلب وتقويمها.

المبحث الثالث: التوسل والاستغاثة.

المبحث الرابع : السحر والتنجيم.

المبحث الخامس : التبرك.

المبحث السادس : البناء على القبور وإسراجها والصلاة فيها والنذر والذبح لها.

المبحث الأول

تعريف توحيد القصد والطلب وأدلته

توحيد القصد والطلب:

هو إفراد الله وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له[(١)].

وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره، وهو أصل دين الرسل، ومفتاح دعوتهم الذي فاتحوا به أقوامهم، كما أخبر الله عنهم في كتابه، فكل رسول أرسل إلى قومه يدعوهم بقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وهذا هو حقيقة دين الإسلام، الذي لا يقبل الله من أحد سواه، وهو معنى قول: (لا إله إلا الله)، وهو الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، بل كل آية في القرآن هي متضمنة لهذا التوحيد، وحقوقه وجزائه، كما دلت على ذلك سورة (الفاتحة)، و(قل يا أيها الكافرون)، وأول سورة (الزمر) وآخرها، وأول سورة (يونس) ووسطها وآخرها، وأول سورة (الأعراف) وآخرها، وجملة سورة (الأنعام) وغالب سور القرآن[(٢)].

فهو الغاية العظيمة التي لأجلها خلق الله الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولذا أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، لبيان هذا التوحيد والدعوة إليه، والتحذير مما يقدح فيه، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وهو أول واجب على المكلف، وآخر واجب عليه، وأول ما يدخل به الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، وهو الفيصل بين الإسلام والشرك، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وإلى أهل الجنة وإلى أهل النار.

وحاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه، ولا في العمل له، ولا في الحلف به، ولا في النذر له، ولا في

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١/ ٣٧، ٦٩، ٩/ ٣٥، ١٠/ ٦٦٩)، منهاج السنة النبوية له (٣/ ١٧٢) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (١/ ٤٣)، لوامع الأنوار البهية (١/ ١٢٩)، كشف الشبهات لمحمد بن عبدالوهاب –ضمن مجموعة التوحيد– (ص١٥٧)، فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن (ص١٦)، القول السديد في مقاصد التوحيد لابن سعدي (١١/٣).

(٢) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٤٤٩)، وتيسير العزيز الحميد (ص٣٦).

الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب، أعظم من حاجة الجسد إلى روحه؛ بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به؛ فإن حقيقة العبد روحه وقلبه، ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، ولا صلاح لها إلا بمحبتها، وعبوديتها له ورضاه وإكرامه لها(١).

وضابط هذا التوحيد هو: تحقيق معنى (لا إله إلاَّ الله)، وهي مركبة من نفي وإثبات، فمعنى النفي: خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت، في جميع أنواع العبادات كائنة ما كانت، ومعنى الإثبات: إفراد الله جلَّ وعلا وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام، وأكثر آيات القرآن في هذا النوع من التوحيد، وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأممهم، قال تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥]، ومن الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ۝٤٥﴾ [الزخرف: ٤٥]، ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٨﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، والآيات في هذا النوع من التوحيد كثيرة(٢).

ولقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة، وتنوعت دلالتها في وجوب إفراد الله بالعبادة، منها:

ما استدل به سبحانه بتفرده بالربوبية، على استحقاقه وحده للعبادة، ووجوب إفراده بالإلهية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

---

(١) ينظر: طريق الهجرتين لابن القيم (١/ ٩٩، ١٠٠).

(٢) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ١٨).

قال ابن كثير[١] -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: «شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته، بأنه تعالى هو المنعم على عَبيده، بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعمَ الظاهرة والباطنة» إلى أن قال: «ومضمونه: أنه الخالق الرازق مالك الدار، وساكنيها، ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يُشْرَك به غَيره؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾»[٢].

وما استدل به سبحانه بتوحيد الأسماء والصفات؛ فسمى الله نفسه بالأسماء الحسنى ووصف نفسه بالصفات العلى، ومن كان كذلك استحق العبادة وحده دون شريك، قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥].

قال السعدي[٣] -رحمه الله- «أي: هل تعلم لله مساميا ومشابها ومماثلا من المخلوقين؟ وهذا استفهام بمعنى النفي، المعلوم بالعقل. أي: لا تعلم له مساميا ولا مشابها؛ لأنه الرب، وغيره مربوب، الخالق، وغيره مخلوق، الغني من جميع الوجوه، وغيره فقير بالذات من كل وجه، الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق لإفراده بالعبودية، وأن عبادته حق، وعبادة ما سواه باطل؛ فلهذا أمر بعبادته وحده، والاصطبار لها، وعلل ذلك بكماله وانفراده بالعظمة والأسماء الحسنى»[٤].

---

(١) هو إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي، عماد الدين أبو الفداء، الإمام الحافظ، المفسر المحدث، المؤرخ، من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، من مؤلفاته: (تفسير القرآن العظيم)، و(اختصار علوم الحديث)، و(البداية والنهاية)، توفي سنة ٧٧٤هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ٤٤٥)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه (٣/ ٨٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١٩٤).

(٣) هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي التميمي، المفسر المحدث، الفقيه، من أعلام القرن الرابع عشر الهجري، من مؤلفاته: (تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان)، و(القول السديد في مقاصد التوحيد)، توفي سنة ١٣٧٦هـ. ينظر: معجم المؤلفين (١٣/ ٣٩٦)، الأعلام (٣/ ٣٤٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي (ص ٤٩٨).

ومن السنة وردت أحاديث كثيرة في الدعوة إلى توحيد القصد والطلب وبيان أهميته، منها:

ما روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم؛ إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله))(١).

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل، فقال: ((يا معاذ))، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: ((يا معاذ))، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: ((يا معاذ))، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: ((هل تدري ما حق الله على عباده؟))، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ((حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا))، ثم سار ساعة، ثم قال: ((يا معاذ بن جبل))، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، فقال: ((هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟))، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ((حق العباد على الله ألاَّ يعذبهم))(٢).

وقال أبو سفيان ﷺ، لما سأله هرقل عن النبي ﷺ ماذا يأمركم؟ قال: يقول: ((اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم))(٣).

ويدل أمره ﷺ بقوله: ((اعبدوا)) على أن الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له، بفعل المأمور، وترك المحظور، والإخلاص لله في ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: الإيمان، باب: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۝٥﴾ [التوبة: ٥]، (١/ ١٧) ح(٢٥)، ومسلم كتاب: الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، يؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها، ووكلت سريرته إلى الله تعالى، وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام (١/ ٥٣) ح(٢٢).

(٢) أخرجه البخاري كتاب: اللباس، باب: إرداف الرجل خلف الرجل (٥/ ٢٢٢٤) ح(٥٦٢٢)، ومسلم كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (١/ ٥٨) ح(٣٠) واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/ ٧) ح(٧).

ويجب الإيمان بأن الله أمر بعبادته وحده لا شريك له، وعبادته تتضمن كمال الذل والحب له، وذلك يتضمن كمال طاعته: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣]، فأمر الرسل بإقامة الدين، وألاَّ يتفرقوا فيه، وهذا الدين هو دين الإسلام، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام، فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده؛ فمن استسلم له ولغيره كان مشركًا، ومن لم يستسلم له كان مستكبرًا عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده، فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله دينا غيره لا من الأولين ولا من الآخرين(١).

فمن جعل لله ندًا من خلقه فيما يستحقه ﷻ من الإلهية والربوبية فقد كفر بإجماع الأمة؛ فإن الله سبحانه هو المستحق للعبادة لذاته؛ لأنه المألوه المعبود الذي تألهه القلوب، وما سواه فهو مفتقر مقهور بالعبودية، فكيف يصلح أن يكون إلها؟. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ١٥﴾ [الزخرف: ١٥]، وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم: ٩٣](٢).

ويقدح في هذا التوحيد الشرك الذي قد يذهبه بالكلية، أو ينافي كماله الواجب.

وقد أورد بعض الرحالة شيئًا من مسائل الشرك، بيانها في المباحث التالية:

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٨٩ - ٩١).

(٢) ينظر: المرجع السابق (١/ ٨٨).

المبحث الثاني

المسائل في توحيد القصد والطلب وتقويمها

ويشتمل على المطلبين التاليين:

المطلب الأول: الحلف بغير الله.

المطلب الثاني: التطير.

المطلب الأول: الحلف بغير الله:

لقد جاء الإسلام بعقيدة التوحيد الخالصة، وسد كل الطرق المؤدية إلى ما ينافي هذا التوحيد أو ينقص كماله؛ ومن ذلك النهي عن الحلف بغير الله، إذ قد جاء في نصوص كثيرة منها:

قوله ﷺ: ((ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفا فليحلف بالله وإلا فليصمت))[(١)]، وقوله ﷺ: ((من حلف فقال في حلفه باللات والعزى؛ فليقل: لا إله إلا الله))[(٢)].

وذلك أن الحلف هو: «توكيد الحكم بذكر معظم على وجه مخصوص»[(٣)].

فالحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والتعظيم حق لله تعالى وحده، والحلف بغيره تعظيم للمخلوق.

والحلف بغير الله من الشركيات التي انتشرت، وسجلها بعض الرحالة، ومن ذلك ما قاله ابن مليح في وصفه لأحد المواطن حين وصلها:

يا بانة الرمل هل مرت بك الإبل ... وساحة السفح هل حطت بك الكلل
وحقكم ويمين الحب صادقة ... قلبي بغير هواكم ليس يشتغل[(٤)]

ونقل النابلسي عن أحدهم إنشاده لأحد العلماء:

وحياةِ وجنتك التي هي جنتا ... ورد ونسرين ذكي المنبت
وحواجب هدب العيون نبالها ... تصمي النفوس وقد أصابت مهجتي
وسوالف نفسي العزيزة بعتها ... في حبها طوعًا لداعي الفتنة

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: الأيمان والنذور، باب: لا تحلفوا بآبائكم (٦/ ٢٤٤٩) ح(٦٢٧٠)، ومسلم كتاب: الأيمان، باب: النهي عن الحلف بغير الله تعالى (٣/ ١٢٦٦) ح(١٦٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري كتاب: الأيمان والنذور، باب: لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت (٦/ ٢٤٥٠) ح(٦٢٧٤) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) المطلع على أبواب المقنع (١/ ٣٨٧)، الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (٤/ ٣٢٩).

(٤) رحلة ابن مليح (ص٣١)، وينظر: (ص٦٥، ١١٥).

لا حافظن على ودادك يـا مـن نفسي الـتي ذلـت لعزتـك الـتي[(١)]

ويقول في ثنائه على أحد مشايخه:

يا سادة ملؤوا الوجـود محاسـنا وبـدوا بـأفق الجـود كالأقمـار

وحياتكم لولا بـوارق ثغـركم مـا شـاق طـرفي رؤيـة الأنـوار

وحياتكم لولا لذيـذ خطـابكم مـا لـذ لي الأوراد مـن أذكـار

وحياتكم لولا سمـاع حـديثكم مـا هـز وجـدي نغمـة الأوتـار

وحياتكم لولا روائـح طيـبكم ما طاب لي عرف الـشذا المعطـار[(٢)]

وأورد الورثيلاني في حديثه عن ضريح أحد الأولياء: من بركاته أن أهل محله يقسمون به صغيرًا وكبيرًا، فقد سمعت أن الولي رحمة الله في قومه ما داموا يعظمونه ويبجلونه[(٣)].

وكذا ما أرسله أحد إخوة الكوازي في كتاب إليه، وفي مطلعه:

وحياتكم وحيـاتكم قـسمًا وفي عمري بغير حياتكم لم أحلـف[(٤)]

وكتب السنوسي في رسالته إلى أحد أهل وده وأصدقائه: «أقسم بالوداد، وما حل بسويداء الفؤاد، من ألم البعاد، ومزيد الاشتياق»[(٥)].

وفي ذلك كله مخالفة لما نُهي عنه؛ إذ لا يحل الحلف بغير الله تعالى، بل قد عده رسول الله ﷺ شركًا فقال: ((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك))[(٦)].

---

(١) رحلة النابلسي (ص٧١).

(٢) المصدر السابق (ص٢٠٨)، وينظر: (ص٧١-٣٠٨-٤٤٤)، رحلة العياشي (١/ ١٦١-١٦٥-١٧٠).

(٣) ينظر: رحلة الورثيلاني (١/ ٦٧، ٦٨).

(٤) رحلة الكوازي (ص٦٠)، وينظر مثل هذه الأبيات: رحلة المرادي (ص١٥-١٦٨).

(٥) رحلة السنوسي (٢/ ١٢٩).

(٦) أخرجه أبو داود كتاب: الأيمان والنذور، باب: في كراهية الحلف بالآباء (٢/ ٢٤٢) ح(٣٢٥١)، والترمـذي كتاب: النذور والأيمان، باب: ما جاء في كراهية الحلف بغير الله (٤/ ١١٠) ح(١٥٣٥) عن ابن عمر ﷺ. وقال الترمذي: «حديث حسن». وقال الحاكم: «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الـذهبي. ينظر: المستدرك على الصحيحين (٤/ ٣٣٠) ح(٧٨١٤)، وقال الألباني: «صحيح». إرواء الغليـل (٨/ ٢٨٢) السلسلة الصحيحة (٥/ ٦٩) ح(٢٠٤٢).

وكونه شركًا إلا أنه يتفاوت حسب اعتقاد الحالف؛ فإن اعتقد تعظيم من حلف به إلى درجة المساواة بالله، فقد أشرك شركًا أكبر مخرجًا من الملة، وإن اعتقد دون ذلك فقد أشرك شركًا أصغر ينافي كمال التوحيد، فإنه لا يتم توحيد العبد حتى لا يجعل لله ندًّا في قلبه وفعله وقوله(١).

وفيما ذكرته الرحالة من المسائل حلف بما يعظم في الدين أو الدنيا؛ كما في تعظيم الولي وغيره؛ وجعل المخلوق مساويًا لله ولو في اللفظ، فيه سوء أدب مع الله تعالى وعدم تقديره حق قدره سبحانه، فالله سبحانه هو المستحق لكل تعظيم وإجلال، فلا يحلف بمخلوق كائنًا من كان.

---

(١) ينظر: نهاية المحتاج (٨/ ١٧٥)، منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل لمحمد عليش (٣/ ١٢)، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني لعلي الصعيدي العدوي (٢/ ٢٥)، تيسير العزيز الحميد (ص٥١٤)، القول السديد في مقاصد التوحيد (٣/ ٤٢)، القول المفيد لابن عثيمين (٢/ ٢١١).

المطلب الثاني: التطير:

جاء الإسلام بتطهير القلوب من كل شوائب الشرك، والتي منها التطير.

وهو: التشاؤم بمرئي أو مسموع[(١)]، وأصل اشتقاقه عند أهل العلم باللغة مأخوذ من زجر الطير ومروره سانحًا أو بارحًا[(٢)]؛ إذ كان أكثر التطير به، ثم استعملوا ذلك في كل شيء من الحيوان وغيره[(٣)]، فصار التطير يعم صورًا متعددة وألوانًا شتى مما قد يتشاءم به.

ومن ذلك التطير بالأسماء، كتشاؤم والدة السويدي في كراهتها لتسميته باسم عم له توفي قريبًا، قال: «حدثتني أمي -رحمها الله تعالى- قالت: سمّاك أبوك يحيى باسم عمّ لك توفّي قبيل ولادتك، وكنت أكره أن تسمّى بذلك تطيرًا وتشاؤمًا، حيث إن صاحب هذا الاسم، وهو عمّك، لم يعش مدة طويلة، فسميت بمرتضى، ثم عرض لك مرض، وأنت طفل رضيع، فدخلت بعض نساء الجيران فرأتك على ذلك الضعف، فقالت: كأنه عبد الله، تريد بعض مجاورينا، وكان نحيفًا في غاية النحافة، فغلب عليك هذا الاسم ولزمك»[(٤)].

وضد التطير التفاؤل، وهو ما يظن عنده الخير، وحقيقته الكلمة الحسنة يسمعها السامع فيما يحسن ظاهره ويرجى وقوعه بخير ويسر[(٥)].

ومنه ما وقع من النابلسي لما نزل قرية الناصرة[(٦)]، قال:

---

(١) ينظر: المفهم في حل ما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٥/ ٦٢٦)، مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٥٦٩).

(٢) السانح: ما جاء عن يمينك إلى يسارك، والبارح ضده، والسانح أحسن حالاً عندهم في التيمن من البارح. ينظر: تهذيب اللغة (٤/ ١٨٧)، لسان العرب (١/ ٢٤٦).

(٣) ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض (١/ ٣٢٤)، شرح السنة للبغوي (١٢/ ١٧٠)، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (٩/ ٢٨٢)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢١٨).

(٤) رحلة السويدي (ص٦٤-٦٥).

(٥) ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم للحميدي (١/ ١٤٠).

(٦) الناصرة فاعلة من النصر، قرية من قرى جبل الجليل، بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً، وذكر بعضهم أن فيها ولد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام. ينظر: الإشارات إلى معرفة الزيارات للهروي (ص٢٩)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (٤/ ٣٩١)، معجم البلدان (٥/ ٢٥١).

قـــد تفألنـــا بنـــصر لنـــا   في هذه الـــدنيا وفي الآخـــره[١]

وكذا تفاؤله برؤية سجادات تشبه ما يفرش في المسجد النبوي فتفاءل بحصول الحج إن شاء الله[٢].

فتفاءل باسم المدينة التي نزل بها، وبما رأى من المرائي واستبشر بها.

ويقول المكناسي:

ليهنك الفأل إن الفأل قـــد حبـــه   رسولنا المصطفى وذاك مشتهر[٣]

إن الفأل مما نُدب إليه كما أن الطيرة مما نُهي عنه، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((لا طيرة وخيرها الفأل))، قالوا وما الفأل يا رسول الله؟ قال: ((الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم))[٤].

وقالﷺ: ((لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح، الكلمة الحسنة، والكلمة الطيبة))[٥].

وإنما نهى رسول الله ﷺ عن الطيرة وأعجبه الفأل؛ لأن العبد إذا أمَّل فضل الله عند سبب قويّ أو ضعيف، فهو على خير في الحال، وإن غلط في جهة الرجاء فالرجاء له خير، فالعبد مأمور بحسن الظن بالله على كل حال، وأما إذا قطع أمله ورجاءه من الله تعالى فإن ذلك شر له؛ لأنه يجلب سوء الظن بالله تعالى[٦].

---

(١) رحلة النابلسي (ص١٠١).

(٢) المصدر السابق (ص٢٥٠).

(٣) رحلة المكناسي (ص١٣٥).

(٤) أخرجه البخاري كتاب: الطب، باب: الفأل (٥/ ٢١٧١) ح(٥٤٢٣)، ومسلم كتاب: السلام، باب: الطـــيرة والفأل ويكون فيه من الشؤم (٤/ ١٧٤٥) ح(٢٢٢٣) واللفظ للبخاري.

(٥) أخرجه البخاري كتاب: الطب، باب: الفأل (٥/ ٢١٧١) ح(٥٤٢٤)، ومسلم كتاب: السلام، باب: الطـــيرة والفأل ويكون فيه من الشؤم (٤/ ١٧٤٦) ح(٢٢٢٤) واللفظ لمسلم، عن أنس بن مالك ﷺ.

(٦) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢١٩-٢٢٠).

كما عدّ رسول الله ﷺ الطيرة شركًا فقال: ((الطيرة شرك، وما منا إلا ولكن يذهبه الله بالتوكل))[١].

وذلك لما فيها من اعتقاد أن شيئًا من مخلوقات الله ينفع أو يضر، فالمتطير إن اعتقد تأثير ما تطير به استقلالاً دون الله، فقد أشرك شركًا أكبر، مخرجًا من الملة؛ لاعتقاده أن مع الله شريكًا في الخلق والإيجاد، وإن اعتقد أن تأثيره سبب في جلب النفع ودفع الضر، فقد أشرك شركًا أصغر؛ لاعتقاده ما ليس بسبب سببًا، وهذا يضعف التوكل على الله ويوهن العزيمة[٢].

فينبغي لمن وجد شيئًا من ذلك، وخاف أن تغلبه الدواعي الطبيعية أن يجاهد نفسه على دفعها ويستعين بالله على ذلك، ولا يركن إليها بوجه ليندفع الشر عنه.

فمن استرسل مع الشيطان في ذلك فقد يعاقب بالوقوع فيما يكره؛ لأنه أعرض عن واجب الإيمان بالله، وأما من كرهها وتوكل على الله ومضى في أمره فلا تضره بإذن الله.

وهو ما فعله العياشي حين إعراضه عما هو من قبيل الطيرة، وعدم الالتفات إليه وملازمته للاستخارة، قال في مقدمة رحلته والمصاعب التي سبقت خروجه للحج: «وقد منّ الله علي بملازمة الاستخارة والإعراض عما هو من قبيل الطيرة وما شاكل ذلك، والاهتبال بالمرائي الموحشة فحيث لم ألتفت إليه بالكلية، فلم أر من الله في كل أحوالي إلا خيرًا»[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب: الطب، باب: في الطيرة (٢/ ٤٠٩) ح(٣٩١٠)، والترمذي كتاب: السير عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الطيرة (٤/ ١٦٠) ح(١٦١٤)، ونقل عن سليمان ابن حرب-شيخ البخاري- قوله: «حديث ((وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل))، هذا عندي قول عبد الله بن مسعود ﷺ»، وابن ماجه كتاب: الطب، باب: من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة (٢/ ١١٧٠) ح(٣٥٣٨)، عن ابن مسعود ﷺ. وصححه الألباني ينظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٧٩١) ح(٤٢٩).

(٢) ينظر: شرح السنة للبغوي (١٢/ ١٧٠)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢١٩)، فتح الباري (١٠/ ٢١٣)، فتح المجيد (ص ٢٧٢)، عون المعبود على شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي (١٠/ ٤٠٥- ٤٠٦)، الدين الخالص لصديق حسن خان (٢/ ١٣٧-١٣٩)، القول السديد على مقاصد التوحيد (٣/ ٣١)، القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٧٧).

(٣) رحلة العياشي (١/ ٥٥-٥٦).

وهذا هو المسلك الواجب على المسلم نحو الطيرة[(١)]؛ فإن المسلم قد يعتريه من ذلك شيء، كما جاء في الصحيح عن معاوية بن الحكم رضي الله عنه أنه سأل الرسول ﷺ عن قوم يتطيرون، فقال: ((ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم))[(٢)].

وقد أرشد النبي ﷺ إلى ما يذهب خاطر التطير إذا عرض للمسلم، من ذلك: التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه، وإفراده تعالى بالخوف والرجاء، وعدم العمل بما خطر له من ذلك، فمن توكل على الله سَلِم وكفاه من كل شر، ولم يؤاخذه الله بما عرض له من التطير[(٣)].

وكذا الدعاء فإنه خير معين على إذهاب الطيرة، ومنه دعاء الاستخارة، الذي كان يعلمه النبي ﷺ أصحابه في الأمور كلها: ((إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: في عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به. قال: ويسمي حاجته))[(٤)].

ففي هذا الدعاء نفي تعلق القلب بغير الله، والافتقار إليه سبحانه؛ بأنه هو وحده العليم، القدير على جلب المنافع ودفع المضار، وليس غيره مما يتشاءم به.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٣/ ٦٧)، المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ٢٧).

(٢) أخرجه مسلم كتاب: المساجد، باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة (١/ ٣٨١) ح(٥٣٧).

(٣) ينظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٥٧٨)، فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢١٣)، وإتحاف المهرة بالكلام على حديث: ((لا عدوى ولا طيرة)) للشوكاني (ص٥٨).

(٤) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٩٦].

المبحث الثالث

التوسل والاستغاثة

ويشتمل على المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: التوسل.

المطلب الثاني: الاستغاثة.

المطلب الأول: التوسل:

التوسل لغة: هو طلب الوسيلة، والوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير، أو المترلة عند الملك والدرجة والقربة، والواسل الراغب، فالتوسل بمعنى التقرب والتوصل إلى الشيء برغبة[١].

وأما شرعًا: فهو «التقرب إلى الله بطاعته، وهذا يدخل فيه كل ما أمرنا الله به ورسوله ﷺ»[٢].

والتوسل المشروع الوارد في الكتاب والسنة وعن صحابة رسول الله ﷺ على أنواع:

الأول: التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال ﷺ في حديث الاستخارة: ((اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب))[٣].

الثاني: التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران: ١٦]، وقال ﷺ: ((انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم...))[٤].

الثالث: التوسل إلى الله بطلب الدعاء من الصالحين الأحياء، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ، فبينما النبي ﷺ يخطب في يوم جمعة،

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٤٨)، معجم مقاييس اللغة (٦/ ١١٠)، الصحاح (٥/ ١٨٤١)، لسان العرب (٦/ ٤٨٣٧)، القاموس المحيط (١/ ١٣٧٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٢٤٧).

(٣) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٩٦].

(٤) أخرجه البخاري كتاب: الإجارة، باب: من استأجر أجيرًا فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره فاستفضل (٢/ ٧٩٣) ح(٢١٥٢)، ومسلم كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال (٤/ ٢٠٩٩) ح(٢٧٤٣) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قام أعرابي فقال: يا رسول هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة[(١)]، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم يترل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ، فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه، حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي أو قال: غيره، فقال: يارسول الله تهدم البناء، وغرق المال فادع الله لنا، فرفع يديه فقال: ((اللهم حوالينا ولا علينا))[(٢)].

ولكن لما ابتعد فئام من الناس عن نور الرسالة، وتخلفوا عن اتباع الكتاب والسنة، أُدخل في التوسل أنواع غير مشروعة، فصار التوسل بسببها لفظًا مجملاً، يتضمن التوسل المشروع والممنوع، وهذا الذي أوقع الناس في جملة من الضلالات في هذا الباب، وهو ما وقع فيه بعض الرحالة، أو من نقلوا عنهم.

ومن أنواع التوسل الممنوع الموجود في بعض الرحلات:

التوسل إلى الله بجاه رسول الله ﷺ وحرمته وحقه، وكذا جاه غيره من الأنبياء والصالحين.

يقول ابن مليح: «كمَّل الله مرادنا بجاه سيدنا محمد ﷺ»[(٣)].

ويقول:

رجوتك يا مولاي فاغفر جرائمي ... بحق الذي زار الحطيم وزمزما[(٤)]

ويقول العياشي:

فيا رب فاجعل لي بجاه محمد ... حبيبك من كل الشدائد مخرجا[(٥)]

---

(١) «قَزَعَة أي: قطعة من الغيم وجمعها: قَزَعٌ» النهاية في غريب الحديث الأثر (٤/ ٨٦).

(٢) أخرجه البخاري كتاب: الجمعة، باب: رفع اليدين في الخطبة (١/ ٣١٥) ح(٨٩١)، ومسلم كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: الدعاء في الاستسقاء (٢/٦١٢) ح(٨٩٧).

(٣) رحلة ابن مليح (ص١٤٥)، وينظر: (ص٢-٦٨-١٤٢).

(٤) المصدر السابق (ص٢٢).

(٥) رحلة العياشي (١/ ٦١)، وينظر: (١/ ٢٩٢).

ويقول: «وأسأله بحرمة المديح والجاه أن يعجل بالشفاء»[١].

ويقول النابلسي:

إليك فاقبل يا إلهي دعاءنا ... ولا تخزنا في حشرنا ساعة العرض
إليك توسلنا بحرمة أحمد ... نبي الهدى من جاء بالنفل والفرض
وجاه ضجيعيه الكريمين من هما ... أبو بكر الصديق مع عمر المرضي[٢]

ويقول الورثيلاني:

وأصلح الكل بحق المصطفى ... وصاحب وتابع ممن صفا[٣]

ويقول عند زيارته لأحد الأضرحة: «ولما زرنا قبر الشيخ وسألنا الله بجاهه أن يمن علينا بما فيه رضاه»[٤].

ويقول المرادي:

رب بجاه المصطفى والصحب ... وآله وكل أهل العرب
رب نحن في قبة العباس ... أنج العباد من ضروب الناس
بجاهه وحسنٍ وفاطمه ... ذات المزايا والطوايا السالمه
بجاه من في الأرض من وليّ ... أو عارف مقرب مرضيّ[٥]

ويقول المكناسي: «اضرع إلى الله العلي الكبير بجاه البشير النذير»[٦].

ويقول الكوازي: «وفقه الله لما يحب ويشاء بجاه خاتم المرسلين»[٧].

والرحالة في توسلهم بجاه رسول الله ﷺ، لا يستندون إلى دليل صحيح، إنما هم مقلدون لمن سبقهم، الذين يستدلون بالحديث الضعيف:

---

(١) رحلة العياشي (١/ ٥٢١).

(٢) رحلة النابلسي (ص ٣٧٦)، وينظر: (ص٤٤، ١٥٩، ١٦٨، ١٦٩، ١٩١).

(٣) رحلة الورثيلاني (١/ ٨١).

(٤) المصدر السابق (١/٢٢)، وينظر: (١/٦٢، ٧٦، ٧٨، ١٠٦، ١١٤، ١٤٥).

(٥) رحلة المرادي (ص١٤٠)، وينظر: (ص١٠٢، ١١٤، ١٣٢، ١٩٦، ٣٣٨، ٣٣٩).

(٦) رحلة المكناسي (ص٣٥١)، وينظر: (ص١٣٤).

(٧) رحلة الكوازي (ص٧٤).

والذي أورده المرادي بقوله: «والتوسل بجاه صفوة الخلق عليه أفضل الصلاة والتسليم القائل: ((توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم))»[(١)].

وبهذه العبارات المنقولة من بعض كتب الرحلات في التوسل إلى الله بجاه المخلوقين أو حقهم أو حرمتهم عند الله تعالى، يتضح مخالفتها للتوسل المشروع، وذلك من وجوه:

١- أن هذا النوع من التوسل من البدع المحدثة المحرمة؛ فالتوسل توقيفي، المشروع منه ما ورد به الشرع، وأما ماعداه مما لم يرد به الشرع، ولم ينقل عن أحد من صحابة رسول الله ﷺ، فهو بلا شك بدعة وضلالة[(٢)].

٢- أن قول السائل لله تعالى: أسألك بحق أو جاه أو حرمة فلان وفلان من الأنبياء والصالحين وغيرهم، يقتضي أن هؤلاء لهم عند الله جاه وهذا صحيح؛ فإن هؤلاء لهم عند الله منزلة وجاه وحرمة يقتضي أن يرفع الله بها درجاتهم، ويقبل شفاعتهم إذا شفعوا مع أنه سبحانه قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ويقتضي أيضا أن من اقتدى بهم فيما سن له الاقتداء بهم فيه كان سعيدًا، لكن ليس نفس مجرد قدرهم وجاههم مما يقتضي إجابة دعائه إذا سأل الله بهم حتى يسأل الله بذلك؛ بل جاههم ينفعه إذا أطاعهم فيما أمروا به عن الله أو تأسى بهم فيما سنوه للمؤمنين، وينفعه أيضًا إذا دعوا له وشفعوا فيه، فأما إذا لم يكن منهم دعاء ولا شفاعة ولا منه سبب يقتضي الإجابة لم يكن متشفعا بجاههم، ولم يكن سؤاله بجاههم نافعًا له عند الله، بل يكون قد سأل بأمر أجنبي عنه ليس سببًا لنفعه، فكذلك إحسان الله إلى هؤلاء المقربين، ومحبته لهم، وتعظيمه لأقدارهم مع عبادتهم له، وطاعتهم إياه ليس في ذلك ما يوجب إجابة دعاء من يسأل بهم، وإنما يوجب إجابة دعائه بسبب منه لطاعته لهم أو سبب منهم لشفاعتهم له فإذا انتفى هذا وهذا فلا سبب.

---

(١) رحلة المرادي (ص٣١٩).

(٢) ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية (٢/ ٨٧)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٢٣٢)، التوسل للألباني (ص٢٩، ٤٦).

نعم لو سأل الله بإيمانه بمحمد ﷺ ومحبته له وطاعته له واتباعه، وبمحبته للصالحين، لكان قد سأله بسبب عظيم يقتضي إجابة الدعاء، بل هذا أعظم الأسباب والوسائل(١).

٣- أن قول السائل: أسألك بحق أو جاه أو حرمة فلان -فإن فلانا وإن كان له حق أو جاهٌ أو حرمة عند الله- فإنه لا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل؛ فكأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي! وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة؟ فهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، ولم ينقل عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من السلف الصالح، والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والاتباع، لا على الهوى والابتداع، كما أن هذا من الاعتداء في الدعاء، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥].(٢).

٤- أن هذا النوع من التوسل الممنوع يجمع بين البدعة من وجه والشرك من وجه آخر:
فهو بدعة؛ لأنه لم يكن معروفًا في عهد النبي ﷺ، وأصحابه ﷺ.

وهو شرك؛ لأن كل من اعتقد في أمر من الأمور أنه سبب ولم يكن سببًا شرعيًا فإنه قد أتى نوعًا من أنواع الشرك؛ وعلى هذا لا يجوز التوسل بذات وجاه الأنبياء ولا الصالحين وغيرهم(٣).

وأما شبهتهم التي استندوا إليها في مشروعية توسلهم بجاه رسول الله ﷺ وذلك بما يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم))، وبعضهم يرويه بلفظ: ((إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم)).

فإن هذا حديث كذب موضوع، فلم يروه أحد من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة في الدين، مع أن جاهه ﷺ عند الله تعالى أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين(٤).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١/ ٢٢٠).
(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٢١١-٢١٠).
(٣) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/ ٣٤٦).
(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٢٦)، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢/ ٢٧٥)، الرد على البكري (١/ ٧٠)، اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤١٥).

المطلب الثاني: الاستغاثة:

الاستغاثة لغة: هي الإعانة والنصرة عند الشدة، استغاث الرجل: صاح: وا غوثاه، ويقول الواقع في بلية: أغثني، أي فرج عني[(١)].

واصطلاحًا: «طلب الغوث وهو إزالة الشدة، كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون»[(٢)].

ومن صور الاستغاثة الواردة في بعض كتب الرحلات:

ما يقول ابن مليح لما رأى قبر النبي ﷺ:

يا سيد الأرسال ظهري مثقل ... فعسى تخف بجاهكم أوقاره
رحماك فيمن أوبقته ذنوبه ... فكأنما إقباله إدباره
وافى حماك يفر من زلاته ... وإليك يا خير الأنام فراره
وأتاك يلتمس الشفاعة والرجا ... يقتاده وظنونه أنصاره
فامنن وسامح واعف واصفح واغتفر ... فلأنت ماحٍ للخطايا غفاره[(٣)]

ويقول في مدح النبي ﷺ:

وإن ضاق بالسما متسع الفضا ... فمدحك يا خير الورى يتوسع
فإن كنت فيها أؤمل نجدة ... ظفرت وأحظى بالذي أنا أطمع
عياذي ملاذي أنتم عند شدتي ... وسؤلي ومرغوبي بكم أتضرع[(٤)]

ويقول عن أحد المشاهد:

منازل سادات ومثوى أئمة ... عزيز علينا أن نلاقي لهم مثلا
فكم من مهمات الأمور توجهت ... لدا بابهم عقدا فكانوا لها حلا

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٠٠)، الصحاح (١/ ٢٨٩)، المصباح المنير (١/ ٢٣٦)، لسان العرب (٥/ ٣٣١٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٠٣).

(٣) رحلة ابن مليح (ص٩٥).

(٤) المصدر السابق (ص١٤٢).

وكم هبة أعطوا وكم حاجة قضوا ... وكم مشكل قد أوضحوا بعد ما ولى[(١)]

ويقول العياشي: «كتبت كتاب سلام واستغاثة إلى القطب العارف بالله المجمع على ولايته واستقامته الشيخ أبي العباس المرسي[(٢)]، من جملة قصيدة توسلت فيها إلى الله بجاهه أن يذب عنا كل بؤس...

ملاذي إن ضاقت لكربتها نفسي ... وغوثي أبو العباس سيدنا المرسي
لذلك التجأت نحوه وجعلته ... ملاذي وإن قصرت في اليوم والأمس
فأنت رئيس الأولياء فكن لنا ... بفضلك من شر الوبا أعظم الترس
لتشفع لنا لله يُذهب بشر ما ... نخاف من الطاعون يُصبح أو يُمسي[(٣)]

ويقول: «وأطنبت في الاستغاثة إلى الله بنبيه الكريم، أن ييسر لي في زيارته من فضله العظيم...وأي نفع ودفع أعظم من المثول بين يدي الرسول ﷺ، بكرةً وعشيًّا في أوقات الشدائد، أستشفع به إلى الله في دفع الأسواء...»[(٤)].

ويقول: «وهناك أنشأت أبياتًا متوسلاً على الله، ومستغيثًا به بمن في مصر من الأولياء، في دفع شر الوباء لضيق القلوب وترادف الكروب، ومنها:

ورضي الله عن كل أئمتنا ... ممن أظهروا دينه وأخمدوا البدعا
أهل المذاهب أرباب المواهب أهـ ... ـل النفع والدفع غوث المرء إن جزعا
بهمُ توسلنا لله يحفظنا ... من كل سوء ويُولينا الذي نفعا
يا سادة الناس يا أهل الولاية يا ... من لا يخيب في برهم طَمعا
إنا لنقرع باب أهل الله حافظنا ... بكم وما خاب من لِبابه قرعا

---

(١) رحلة ابن مليح (ص٦٤)، وينظر: (ص٥٤، ٩٣، ٩٦، ١٠٠، ١١٥).

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد أبو العباس المرسي المالكي المعروف بابن بلال: عالم بالأدب واللغة، كان يقرئهما، صحب الشاذلي، سكن الإسكندرية، وبها توفي سنة ٦٨٦هـ، ولبعض الناس فيه اعتقاد كبير، وقبره يزار. ينظر: طبقات الأولياء (ص٤١٨)، النجوم الزاهرة (٧/ ٣٧١).

(٣) رحلة العياشي (١/ ٢١٣-٢١٤).

(٤) المصدر السابق (١/ ٥٤، ٥٩).

مثلــك يمنــع الجــار فجــاركم ... من كل سوء بفــضل الله قــد منعــا
لك التصرف في هــذه الــبلاد فــلا ... يخيب عبد لغيــث جــودك انتجعــا
فاحم وأجر وأغث عبدًا لبابــك قــد ... حث الركاب ولم يعبــأ بمــن دفعــا
ألا اشــفعوا فلعــل الله يرفعــه ... بفضلكم فلأنــتم خــير مــن شــفعا
إنــا ننــاديكم في كــل نائبــة ... ومــثلكم لنــداء العبــد مــن سمعــا
كــم كربــة ضــاق المــستجير بهــا ... فرجتموها فعــاد الــضيق متــسعا (١)

ويقول:

فيــا نــبي الهــدى إني ببابــك لا ... أرجو سواك لما ألقى من الوجــل
يا صاحب النجوة العظمى أغــث دنفــا ... أودى به الحال في حل ومرتحــل
لا تتركنــه لا يــرى الحادثــات ففــي ... جميل جودك ما يغني عن الحيــل
وكــن لــه ولأســلاف لــه ســلفوا ... واشفع له ولهم يا أسعد الرســل

ويقول:

محمد أشرف الكــونين معتمــدي ... وســيد الــسادة الآتــين والقــدم
يا صاحب الجاه ذخر للعباد أغــث ... وانظر لعبــدك فيمــا حــل مــن ألم
يا أسعد الرسل مالي غير فضلك في ... ما قــد ألم فقــد أودت بــه همــم
ببابــك المُرتجــى في كــل نائبــة ... وقفت أرجو حفاظًا عــالي الأطــم(٢)

ويقول النابلسي:

ألا يــا أوليــاء الله يــا مــن ... سمــوا في كــل أرض بالــضمان
وهم يحمون مــن يلجــا إلــيهم ... يفكون الأسير وكــل عــاني(٣)

ونقل عن أحدهم قوله:

---

(١) رحلة العياشي (١/ ٢١٥-٢١٧).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٦٥-٦٦)، وينظر: (١/ ٦٠-٦٣، ٣٧٢، ٢/ ٤٥٩- ٥٤٣-٥٤٤).

(٣) رحلة النابلسي (ص٦).

نحن في سوح سيد الشهداء	وحماه أعظِمْ به من حماء
أسد الله حمزة ذي الأيادي	عم خير الورى رحى الهيجاء
سندي سيدي معيني مغيثي	ملجئٌ منجئٌ لدى الحوباء
قد حططنا أثقالنا وأتخنا	بفناك الرحيب نوق الرجاء
بذنوب عظيمة عل تمحى	بذَنوب الغفران والإغضاء
طالما سودت بكل قبيح	بيض صحف لنا يد الاعتداء
فاكفنا سوءها وكف المعاصي	واجلِيَنْها بنور شمس الهداء
واكسنا من وشي التقى برودا	دونها ما يحاك في صنعاء
واجعل العفو والسماح قِرانا	فقرى الضيف عادة الكرماء(١)

يقول السويدي: «مرقد سيدنا زكريا -على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام- وقد زرته واستشفعت به لي ولسائر محبيّ»(٢).

ويقول:

إليك رسول اللّه وجّهت وجهتي	وما خاف من يأوي إليك إذن خطبا
وليس لعبد الله غيرك ملجأ	إذا خاف من هول الزحام ذوو القربى
نبيّ الهدى غوثًا لمن جاء ضارعًا	لبابك ملهوفا قد اقترف الذّنبا(٣)

ويقول الورثيلاني: «اكشف عني كربي وغمي وحزني وهمي كما كشفت عن حبيبك ورسولك ﷺ كربه وحزنه وهمه...وأنا استشفع به إليك ﷺ في ذلك»(٤).

ويقول: «فلما شاهدنا جمعهم تيقنا الموت...فكنت استغيث بالنبي ﷺ طالبًا النجاة أو الموت على حسن الخاتمة»(٥).

---

(١) المصدر السابق (ص٣٩٦)، وينظر: (ص ١٣، ٢٢، ٧٢، ٤١٥، ٤٧٢).

(٢) رحلة السويدي (ص١٣٤- ١٣٥).

(٣) المصدر السابق (ص٣٠٩)، وينظر: (ص٢٠٩).

(٤) رحلة الورثيلاني (٢/ ٥٤٧).

(٥) رحلة الورثيلاني (٢/ ٦٣٦)، وينظر: (١/ ٢٥-٢٦، ٣٤، ٤٩، ٧٩-٨٠، ١١٥، ٢٤٧-٢٥٤، ٢/ ٥١٠، ٧١٤).

ويقول المرادي: «ثم جلست بين يدي ضريحه ﷺ للصلاة والسلام عليه واستعطافه والاستشفاع به إلى الله تعالى»[(١)].

ويقول أيضًا: «اللهم إنا قد قصدنا نبيك هذا نستشفع به إليك من ذنوبنا،...وقد جئناك يا رسول الله ظالمين أنفسنا مستغفرين لذنوبنا، وقد سماك الله بالرؤوف الرحيم، فاشفع لمن جاءك ظالمًا لنفسه، معترفًا بذنبه تائبًا إلى ربه...»[(٢)].

ونقل المكناسي عن أحدهم قوله في مدح أحد الأولياء:

أوجــه وجهــي نحــوه متــشفعًا ... إليهم بهم منهم إذا الخطب أعياني

وهم كاشفو ضري وكربي وشــدتي ... وهم فارجو همي وغمي وأحزاني

وهم واهبو الأبصار والسمع والنــهى ... وهم عالمو سري وجهري وإعلاني

وإن مذنب يومًــا أتــى متــدخلاً ... ومعتذرًا حنــوا عليــه بغفــران

وإن ســائل يومًــا أتــاهم بفاقــة ... ومسكنة جادوا عليه بإحــسان[(٣)]

ويقول الكوازي: «زرنا قبر أمنا حواء وسألناها لنا ولأحبائنا الشفاعة عند الله، وعند رسول الله ﷺ يوم العرض»[(٤)].

ويقول محمد باشا فيما دعا به حين زيارة قبر النبي ﷺ: «يا من كلمك الحجر وانشق لك القمر...الصلاة والسلام عليك يا شفيعنا وملاذنا يا شفيع المذنبين عند الله...أتيناك زائرين وقصدناك راغبين، لا تردنا خائبين ولا عن بابك وأعتابك واقفين، لا تردنا خائبين ولا عن باب شفاعتك محرومين، الصلاة والسلام عليك...ها أنا يا سيدي يا رسول الله قد جئتك هاربًا من ذنبي ومن عملي، ومستجيرًا ومتشفعًا بك إلى ربي، فاشفع لي يا شفيع الأمة اشفع...نسألك الشفاعة أن تشفع لنا ولوالدينا»[(٥)].

---

(١) رحلة المرادي (ص١٢٣).

(٢) المصدر السابق (ص١٢٤)، وينظر: (ص ١١٩، ١٢٧ -١٣٠، ١٥٩،١٧٤، ١٧٨،٢٠٢، ٢٠٤-٢٠٦).

(٣) رحلة المكناسي (ص٣٢٤)، وينظر: (ص٢٢٤، ٣٢١، ٣٣١).

(٤) رحلة الكوازي (ص٢٠).

(٥) نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية لمحمد باشا (ص٥٦)، وينظر: مشعل المحمل له أيضاً (ص١٢٨).

ومما استندوا عليه في استغاثتهم بالأموات والتشفع بهم:

ما قاله النابلسي: «ولقد شهدنا الناس...يدورون حول قبر الشيخ عمر[١] -رضي الله عنه- وينادونه بالبركة والدعاء بالخير مستمدين من روحانيته الحاضرة وأسراره الإلهية الباهرة فيمدهم الله ويقضي حوائجهم عملاً بقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥]، ولا أعظم وسيلة عند الله تعالى من أرواح أوليائه»[٢].

ونقل الزياني جواب التونسيين على رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -حين أنكر عليهم استغاثتهم بالأموات- وفيها: « التوسل بالمخلوق مشروع وارد في السنة القويمة ليس بمحظور ولا ممنوع، وأدلته كثيرة محكمة، ويكفي منها توسل الصحابة والتابعين في خلافة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، واستسقائهم عام الرمادة بالعباس، واستدفاعهم به الجدب والبأس، وذلك أن الأرض أجدبت في زمن عمر ﷺ يستسقي الناس ومعه عم الرسول ﷺ العباس...»[٣].

ويقول الورثيلاني عن زيارة الأموات في قبورهم: «فالراجح مطلوبيتها كالحي، وقد قال صاحب (المدخل)[٤]: فإنهم قوم لا يشقى بهم جليسهم؛ لأنهم أحياء في قبورهم يغيثون ويشفعون فيمن أتاهم، وذلك معلوم عند أرباب القلوب فلا يمكن إنكاره ولا استتاره»[٥].

ونقل النابلسي عن أحدهم قوله: «الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين، والأولياء والعلماء والصالحين جائز...وللرسل والأنبياء والأولياء إغاثة بعد موتهم، أما الأنبياء فإنهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الأخبار والشهداء أيضًا أحياء...»[٦].

وغيرها من الشبه التي بثها بعض الرحالة في كتبهم لتبرير ما ارتكبوه[١].

---

(١) هو ابن الفارض، وسبق ترجمته في الصفحة رقم [٧٦].

(٢) رحلة النابلسي (ص٢٨٠).

(٣) ينظر: رحلة الزياني (ص٣٩٨).

(٤) هو محمد العبدري الفاسي، الشهير بابن الحاج، صاحب كتاب: (المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثير من البدع المحدثة والعوائد المنتحلة). ينظر: معجم المؤلفين (١١/ ٢٨٤).

(٥) رحلة الورثيلاني (٢/ ٧٥٤).

(٦) رحلة النابلسي (ص٢٦٩).

وبهذه العبارات المنقولة من بعض كتب الرحلات، يتضح الانحراف في لفظ التوسل، وذلك بإطلاقه على التشفع والاستغاثة بالأموات ودعائهم وطلب الحاجات منهم.

ويمكن بيان ذلك من وجهين:

١) أن عدم التفريق بين هذه الألفاظ غلط؛ لأن لكل واحد من هذه الألفاظ معنى مختلف، فلا بد أولاً من معرفة المعنى الصحيح.

فالتوسل والاستغاثة: سبق بيان معناهما.

وأما التشفع لغة: فالشفع خلاف الوتر، والشافع الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب، والمشفِّع الذي يَقْبَل الشفاعة والمشفَّع الذي تُقْبل شفاعته(٢).

واصطلاحًا: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة(٣).

ولكن بعض الرحالة وأمثالهم لا فرق لديهم بين هذه الألفاظ، فيسمون ما يمارسونه من استغاثة وتشفع بالأموات من الأنبياء والصالحين وغيرهم توسلاً بهم إلى الله.

وهذا المفهوم للتوسل عندهم تحريف لمعناه الوارد في الكتاب والسنة، وفهم سلف الأمة الصالح، وتبديل للمصطلحات الشرعية إلى معانٍ باطلة.

ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها، والشرك إنما حرم لقبحه في نفسه، وكونه متضمنًا مسبة الرب وتنقصه، وتشبيهه بالمخلوقين؛ فلا تزول هذه المفاسد بتغيير اسمه، كتسميته: توسلاً، وتشفعًا، وتعظيمًا للصالحين، وتوقيراً لهم، ونحو ذلك؛ فالمشرك مشرك، شاء أم أبى(٤).

---

(١) ينظر: رحلة النابلسي (ص٢٦٨-٢٧٢، ٣٧٢)، رحلة الورثيلاني (١/ ١٤٦)، رحلة المرادي (ص١٢٤)، ونبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية لمحمد باشا (ص٥٦).

(٢) ينظر: الصحاح (٣/ ١٢٣٨)، تهذيب اللغة (١/ ٢٧٨)، لسان العرب (٤/ ٢٢٨٩).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢/ ٤٥٨)، لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية، شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية للعلامة السفاريني (٢/ ٢٤٦)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٥/ ٦١).

(٤) ينظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٢٩٨-٢٩٩) بتصرف يسير.

٢) أن الدعاء عبادة من أجلّ العبادات وأرفعها وأشرفها، فقد نص القرآن والسنة على أن الدعاء عبادة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: ٦٠]. فأمر الله عباده أن يدعوه، وسماه عبادة، وقالﷺ: ((الدعاء هو العبادة))(١) ثم قرأ هذه الآية.

قال الشيخ السعدي –رحمه الله–: «وقال تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]. فوضع كلمة: (الدِّين)، موضع كلمة (العبادة)، وهو في القرآن كثير جدًّا: يدل على أن الدعاء هو لب الدين وروح العبادة، ومعنى الآية هنا: أخلصوا له إذا طلبتم حوائجكم، وأخلصوا له أعمال البر والطاعة»(٢).

فإذا كان الدعاء عبادة فالتوجه لغير الله كائنًا من كان بالدعاء والاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله والاستشفاع بالرسول ﷺ، أو بغيره بعد موته شركٌ أكبر؛ لأنه من صرف العبادة لغير الله تعالى.

فإن دعاء الأنبياء والصالحين وغيرهم، بعد موتهم وفي مغيبهم، وسؤالهم والاستغاثة والاستشفاع بهم وجعلهم وسائط يدعوهم، ويسألهم جلب المنافع، ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وتفريج الكروب، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، فهذا شرك صريح، وفاعله كافر بإجماع المسلمين، يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل(٣).

يقول محمد صديق القنوجي مستنكرًا لهذا: «ومن العجائب التي لا ينبغي إخفاؤها: أن الملاحيين إذا ترددوا في أمر المركب من جمود الريح أو هبوبها مخالفة، أو شيئًا من الخوف على

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب: الصلاة، باب: الدعاء (١/ ٤٦٦) ح(١٤٧٩)، والترمذي كتاب: الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في فضل الدعاء (٥/ ٤٥٦) ح(٣٣٧٢)، وابن ماجه كتاب: الدعاء، باب: فضل الدعاء (٢/ ١٢٥٨) ح(٣٨٢٨) وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) القواعد الحسان في تفسير القرآن –ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي– (٨/ ١٢٧–١٢٨).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦، ٢٧/ ٦٧)، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢/ ٢٥)، الرد على البكري (١/ ١٣٠).

السفينة وأهلها، كانوا يهتفون باسم الشيخ عيدروس[١] وغيره من المخلوقين، مستغيثين ومستعينين به، ولم يكونوا يذكرون الله ﷻ أبدًا، أو يدعوه بأسمائه الحسنى، وكنت إذا سمعتهم ينادون غير الله، ويستعينون بالأولياء، خفت على أهل المركب خوفًا عظيمًا من الهلاك.

وقلت في نفسي: يا لله العجب! كيف يصل هذا المركب بأهله إلى ساحل السلامة! فإن مشركي العرب قد كانوا لا يذكرون آلتهم الباطلة في مثل هذا المقام، بل يدعون الله تعالى وحده غير مشركين به، كما حكى عنهم سبحانه في محكم كتابه المبين: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وهؤلاء القوم الذين يسمون أنفسهم مسلمين يدعون غير الله، ويهتفون بأسماء المخلوقين، ولقد صدق الله تعالى فيما قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦]»[٢].

يقول ابن القيم-رحمه الله-: «وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا فضلاً عمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله؛ فإن الميت لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببا لإذنه وإنما السبب لإذنه: كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن والميت محتاج إلى من يدعو له كما أوصانا النبي إذا زرنا قبور المسلمين: أن نترحم عليهم، ونسأل لهم العافية والمغفرة، فعكس المشركون هذا، وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج والاستغاثة بهم وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد»[٣].

---

(١) هو عبد الرحمن بن مصطفى بن شيخ العيدروس الحسيني العلوي التريمي، من أهل حضرموت، ونزيل مصر، أشعري صوفي يقول بوحدة الوجود، وتعددت له رحلات في البلدان، وطار صيته في المشرق والمغرب، له مؤلفات منها: (لطائف الجود في مسألة وحدة الوجود)، و(تنميق الأسفار)، توفي بمصر سنة١١٩٢هـ. ينظر: عجائب الآثار (١/ ٥٢٦-٥٢٨)، المعجم المختص للزبيدي (١/٣٧١-٤١٠).

(٢) رحلة الصديق إلى البيت العتيق للقنوجي (ص١٦٤)، وهذه هي المسألة العقدية الفريدة الوحيدة في البحث من رحلة القنوجي.

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٤٦).

الرد على شبههم:

الشبهة الأولى:

وهي في الاستدلال بلفظ الوسيلة، وأن المراد بها هو التعلق بالأموات والاستغاثة بالأولياء فهذا باطل.

فالمراد بالوسيلة -كما قال بذلك أئمة التفسير- هي التقرب إلى الله سبحانه بالإخلاص له، وطاعته والعمل بما يرضيه على وفق ما شرع[1].

فدعوى أن المراد بالوسيلة في الآية الولي الذي يكون له واسطة بينه وبين ربه، تخبط في الجهل وتلاعب بكتاب الله تعالى، واتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار كما صرح به تعالى في قوله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

فالطريق الموصلة إلى رضا الله وجنته ورحمته هي اتباع رسوله ﷺ ومن حاد عن ذلك فقد ضل سواء السبيل[2].

الشبهة الثانية:

في الاستدلال بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا))[3].

فإن هذا الأثر ليس دليلاً لهم، بل هو دليل عليهم، وهذا من أقوى الأدلة على إبطال التوسل الممنوع، وإثبات أن توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما إنما هو توسل مشروع.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٠/ ٢٩٠)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٣)، الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٧١).

(٢) ينظر: أضواء البيان (١/ ٤٠٣).

(٣) أخرجه البخاري كتاب: الاستسقاء، باب: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (١/ ٣٤٢) ح(٩٦٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

فتوسل عمر ﷺ ومن معه من الصحابة ﷺ بالعباس هو توسل بدعاء العباس، يدل عليه:

١- أن عمر ﷺ صرح أن توسلهم بالعباس ﷺ هو من نوع توسلهم بالنبي ﷺ في حياته؛ والصحابة ﷺ إنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه؛ حيث يطلبون منه أن يدعو لهم، وهم يؤمنون على دعائه، فيكون هو وسيلتهم إلى الله، كما في أحاديث الاستسقاء، ومنها: أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة، من باب كان نحو دار القضاء(١) -ورسول الله ﷺ قائم يخطب- فاستقبل ﷺ قائمًا ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: ((اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا))(٢)(٣).

٢- ثبوت دعاء العباس ﷺ لهم بطلب السقيا؛ فإن العباس لما استسقى به عمر ﷺ قال: ((اللهم إنه لم يترل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث))(٤)(٥).

٣- عدول الصحابة ﷺ عن التوسل بالنبي ﷺ، وإجماعهم على تركه، وتوسلهم بعمه العباس ﷺ؛ فلو كان التوسل بالنبي ﷺ حيًّا وميتًا سواء لم يعدلوا عن التوسل به وهو أفضل الخلق، وأكرمهم على ربه، وأقربهم وسيلة إليه، فعدولهم عن التوسل بالأفضل إلى التوسل بالمفضول، وعما لا يشرع ولا ينفع إلى ما يشرع من الدعاء وينفع، وهم في وقت

---

(١) هي دار عمر بن الخطاب ﷺ، وسميت بهذا الاسم؛ لأنها بيعت في قضاء دينه. ينظر: فتح الباري (٢/ ٥٠٢).

(٢) أخرجه البخاري كتاب: الاستسقاء، باب: الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة (١/ ٣٤٤) ح(٩٦٨)، ومسلم كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: الدعاء في الاستسقاء (٢/ ٦١٢) ح(٨٩٧) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٣) ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٨٦)، الرد على البكري (١/ ١١٢، ٢٦٠)، الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية لابن سحمان (ص٢٦٢)، الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق له أيضًا (ص٥٥١-٥٥٢)، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للسهسواني (١/ ٢٨٢)، التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (ص ٦٤).

(٤) أخرجه الزبير بن بكار في الأنساب كما في فتح الباري (٢/ ٤٩٧).

(٥) ينظر: التوسل للألباني (١/ ٦٣-٦٤).

ضرورة ومخمصة، يطلبون تفريج الكربات، وتيسير الخير، وإنزال الغيث بكل طريق ممكن دليل على أن التوسل بالأفضل لم يكن ممكنًا، فالمشروع ما سلكوه دون ما تركوه؛ ولهذا ذكر الفقهاء في كتبهم في الاستسقاء ما فعلوه دون ما تركوه[١].

الشبهة الثالثة:

في إطلاق الحياة على الأنبياء والشهداء والصالحين، ويمكن أن يجاب عن هذه الشبهة من وجوه:

١- أن حياة الأنبياء والشهداء إنما هي حياة برزخية غيبية لا يعلم حقيقتها إلا الله، ولكن الثابت والمعلوم أنها تختلف عن الحياة الدنيوية، فالإنسان في الدنيا يأكل ويشرب ويتنفس ويتزوج ويتحرك ويتبرز ويمرض ويتكلم، ولا أحد يستطيع أن يثبت أن أحدًا بعد الموت حتى الأنبياء عليهم السلام وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ تعرض له هذه الأمور بعد موته.

فإن الحال بعد مفارقة الأرواح للأبدان ليست كالحال في الحياة الدنيا؛ دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة، من وجوه كثيرة لا يمكن استقصاؤها، ويكفي المؤمن قوله ﷺ: ((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث...))[٢] فالميت ليس له قدرة الحي، بل ينقطع عمله بموته، وتطوى صحيفته.

فقياس الحياة البرزخية على الحياة الدنيوية قياس باطل فاسد ومستحيل محال؛ فمن سوَّى بين الحي والميت فيما يطلب منهما؛ فقد سوى بين ما فرق الله والناس بينهما وضل في عقله ودينه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢][٣].

---

(١) ينظر: الرد على البكري (١/ ٢٦٨-٢٦٩)، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢/ ٢٧٩).

(٢) أخرجه مسلم كتاب: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (٣/ ١٢٥٥) ح(١٦٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ينظر: تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس لعبد الله أبابطين (ص٨٢)، البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (ص ٩٨، ١٠٨)، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص ٥٢٩)، صيانة الإنسان (١/ ٤٥٥-٤٦٥)، الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق لابن سحمان (٥٢٠-٥٢١)، كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأفهام له أيضًا (ص٢٦٢-٣٠٣)، التوسل للألباني (١/ ٥٩).

٢- أنه يُعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن رسول الله ﷺ لم يشرع لأمته أن تدعو أحدًا من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا غيرها، ولم يكن الصحابة يترلون حاجتهم بالرسول ﷺ بعد وفاته، حتى في أوقات الجدب كما وقع لعمر بن الخطاب ﷺ، لما خرج ليستسقي بالناس، خرج بالعباس، فأمره أن يستسقي؛ لأنه حيّ حاضر يدعو ربه، فلو كان دعاء الأموات مشروعًا لكان الصحابة ﷺ إليه أسبق، وعليه أحرص، وبحقه أعلم[(١)].

٣- أنه يلزم من تجويز الطلب من الأموات لوازم باطلة في الدين والعقل، منها اعتقاد أن الموتى قد أُعطوا من كمال السمع والإحاطة بالغيب، وكمال القدرة والسلطان، ما لم يكن لهم، وما لم يكن إلا لله، ولهذا يدعو النبي والولي في الوقت الواحد منهم الداعون المختلفون لغاتٍ ولهجاتٍ وحاجاتٍ، ثم لا يَشُكّون أن ذلك النبي أو الولي المدعو المسئول يسمع دعاءهم واستشفاعهم، ولا يرتابون أنه لا يعجزه ولا يفوته شيء، وهذا يدل على أنهم ينحلون الأموات من الصفات مما هو من صفات الله وحده، فالطلب من الأموات يجر إلى هذه الباطلات وغيرها كثير، فلا ريب في بطلانه وفساد عقائد القائلين به[(٢)].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٠٦، ٢٧/ ٨٦)، الفتاوى الكبرى (٣/ ٤٤)، الرد على البكري (٢/ ٤٦٩-٤٧٨، ٧٣١)، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢/ ١٢٦-١٢٧، ٣٠٩)، تيسير العزيز الحميد (ص ٦٣٣)، فتح المجيد (٤٥٤- ٤٥٥)، كشف غياهب الظلام (ص٢٩٢).

(٢) ينظر: الصراع بين الإسلام والوثنية لعبد الله القصيمي (٢/ ٢١٢-٢١٤، ٢٨٨).

المبحث الرابع
السحر والتنجيم

ويشتمل على المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: السحر.

المطلب الثاني: التنجيم.

المطلب الأول: السحر:

السحر لغة: كل ما خفي ولطف ودق سببه ومأخذه فهو سحر[١]، وأصله «صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره»[٢].

واصطلاحا: تباينت تعريفات العلماء للسحر؛ لتعدد أنواعه تعددًا يصعب حصره؛ فلا يمكن تعريفه بتعريف جامع مانع[٣].

ولعل من أجمع ما عُرّف به السحر أنه: عُقُدٌ ورُقَى وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئا يؤثر في الأبدان أو القلوب أو العقول؛ فمنه ما يقتل وما يمرض؛ ويفرق بين المرء وزوجه[٤].

وقد ورد في كتب الرحلات -محل الدراسة- مما يتعلق بالسحر مسائل، يمكن بيانها على النحو التالي:

المسألة الأولى: حقيقة السحر:

ذكر السنوسي خلاف العلماء في حقيقة السحر بقوله: «وقد اختلف الناس في السحر هل هو أمر حقيقي، أم أنه مجرد تخيّل لا حقيقة له؟ وعليه الأكثرون من علماء العصر الجديد، وقال ناصر الدين البيضاوي[٥] في قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه: ٦٦]، أي أنهم طلوا الحبال بالزئبق، فلما طلعت الشمس خيّل لموسى عليه السلام أنها تسعى.

ولبعض أدباء العصر قوله:

---

(١) ينظر: الصحاح (٢/ ٦٧٩)، لسان العرب (٣/ ١٩٥١)، القاموس المحيط (١/ ٥١٨)، المعجم الوسيط (١/ ٤١٩).

(٢) تهذيب اللغة (٤/ ١٧٠).

(٣) ينظر: أضواء البيان (٤/ ٤١).

(٤) ينظر: المغني لابن قدامة (١٠/ ١٠٤)، الكافي له أيضًا (٤/ ١٦٤).

(٥) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر نحوي، أصولي متكلم، صاحب التصانيف منها: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، و(المنهاج) في أصول الفقه وغيرها، توفي سنة ٦٨٥هـ، بتبريز ودفن بها. ينظر: الوافي بالوفيات (١٧/ ٢٠٦)، طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ١٥٥)، البداية والنهاية (١٣/ ٣٦٣).

يا مدعي إثبات سحر ملة   أنشأت في دين المهيمن نحلة»[١]

اختُلف في السحر هل هو حقيقة أم خيال؟ على قولين:

الأول: ذهبت المعتزلة[٢] وغيرهم[٣]، إلى أن السحر خيال فقط ولا حقيقة له، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه: ٦٦].

الثاني: وذهب الجمهور إلى أن السحر منه ما له حقيقة، ومنه ما هو خيال، وهو الصحيح من كلام أهل العلم وهو الذي تؤيده الأدلة[٤].

وقول من نفى حقيقته باطل من وجوه، منها:

الأول: أن إنكار حقيقته مخالف لما قد اتفق عليه أكثر الأمم، من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم، وما يعرفه عامة العقلاء من أنه يؤثر مرضًا وثقلاً وحلاً وعقدًا، وحبًا وبغضًا وتزينًا وغير ذلك من الآثار التي لا ينكرها إلا جاهل معاند[٥].

الثاني: أنه مخالف لما جاءت به الأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة ومن ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا

---

(١) رحلة السنوسي (١/ ١٦١).

(٢) ينظر: تنزيه القرآن للقاضي عبد الجبار (ص٢٨-٢٩)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (٢/ ١٣٢).

(٣) ينظر: فتح الباري (١٠/ ٢٢٢) وقال: «هذا اختيار أبي جعفر الاستراباذي من الشافعية، وأبي بكر الرازي من الحنفية، وابن حزم الظاهري وطائفة».

(٤) ينظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (١/ ١٧٩)، الحجة في بيان المحجة (١/ ٥١٩)، المعلم بفوائد مسلم للمازري (٣/ ١٥٨)، وبدائع الفوائد (٢/ ٧٤٥-٧٤٦)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٤)، تيسير العزيز الحميد (ص٣٢٥)، أضواء البيان (٤/ ٣٥).

(٥) ينظر: تأويل مختلف الحديث (١/ ١٧٩)، أعلام الحديث الخطابي (٢/ ١٥٠٠)، الحجة في بيان المحجة (١/ ٥٢١)، وبدائع الفوائد (٢/ ٧٤٥-٧٤٦).

يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فذكر الله أن السحر مما يُعلم ويتعلم، ومما قد يكفر به، ويفرق به بين المرء وزوجه، وأثبت إمكان وقوع ضرره بإذن الله الكوني، وهذا كله مما يدل على أن للسحر حقيقة وتأثيرًا.

ب- وقد صح أن النبي ﷺ سُحِر فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله...)) الحديث، وفيه قال ﷺ: ((قد عافاني الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شرًا))(١)، فتأثير السحر على رسول الله ﷺ في كونه يُخيل إليه، وفي قوله ﷺ: ((قد عافاني))، والعافية إنما تكون برفع العلة، وزوال المرض دليل على أن له حقيقة وأثرًا(٢).

وغيرها من الأدلة التي تثبت أن للسحر حقيقة مؤثرة.

الثالث: أن استدلالهم بقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦﴾ [طه: ٦٦]، على أن السحر إنما هو تخييل؛ مردود ولا حجة لهم بها؛ لأنها جاءت في قصة سحرة فرعون وكان سحرهم كذلك، ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر تخييل(٣).

المسألة الثانية: حكم تعلم السحر:

قال النابلسي في شرف تعلم العلوم ومن ذلك علوم السحر: «إن العلم من أشرف فضائل الإنسان، وهو المقام الذي ظهرت به مزية هذا النوع الآدمي على غيره من الجماد والنبات والحيوان...والعلوم كثيرة جدًا متعددة الأنواع والأجناس، وكلها مطلوبة مرغوبة فيها شرعا إذا لم تشتمل على ما نهي عنه ووقع الذم له بين الناس، ويكفي مدحه للعلم قوله تعالى في محكم الكتاب: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: الطب، باب: السحر (٥/ ٢١٧٤) ح(٥٤٣٠)، ومسلم كتاب: السلام، باب: السحر (٤/ ١٧١٩) ح(٢١٨٩).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٢/ ٤٦).

(٣) ينظر: فتح الباري (١٠/ ٢٢٥)، تفسير فخر الدين الرازي (١/ ٣٠٧٥)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٩).

﴿ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩]، والعلم المطلق شامل لكل علم محمود مرغوب فيه عند الطلاب، ولو كان علم السحر ونحوه مما حضر أو غاب، وإنما المذموم العمل بمقتضى العلوم المنهي عنها شرعًا بمضرة ونحوها، والله أعلم بالصواب»(١).

والرد على قوله من وجوه، منها:

الأول: استدلاله بالآية «وإدخاله السحر في عموم قوله: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. فيه نظر؛ لأن هذه الآية إنما دلت على مدح العالمين بالعلم الشرعي»(٢)، بل ولم تدل على العلم الشرعي عمومًا؛ بل أخص من ذلك، وهو العلم بدين الله الجزائي، وما وعد الله به من البعث والثواب والعقاب وأن ذلك كله حق(٣).

الثاني: عدم ذمه لتعلم السحر، وجعله المذموم فقط هو العمل به، وهذا مخالف للصواب، فالأدلة من نصوص الكتاب والسنة تدل على ذم متعلمه، وذلك أن الله تعالى ذم الشياطين في تعليمهم للسحر؛ ولأن تعلمه قد يدعو إلى فعله، وفعله محرم؛ فحرم ما يدعو إليه من باب سد الذرائع(٤).

الثالث: أن الصحيح الذي قطع به الجمهور في حكم تعلم السحر وتعليمه أنهما حرامان على تفاوت في دركات تحريمهما(٥).

وحكم تعلمه مرتبط بأسبابه، فقد يكون كفرًا وقد لا يكون كفرًا بل معصيته كبيرة؛ فإن تضمن ما يقتضى الكفر كفر، وإلا فلا وإذا لم يكن فيه ما يقتضى الكفر عزر واستتيب منه(٦).

---

(١) رحلة النابلسي (ص٩٠).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٦).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٢٦٨)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٥٣)، محاسن التأويل للقاسمي (١٤/ ٥١٣٠)، تفسير السعدي (١/ ٧٢٠).

(٤) ينظر: المجموع للنووي (٢١/ ٨٥)، عالم السحر والشعوذة للأشقر (ص٢١٥).

(٥) ينظر: الإقناع (٤/ ٣٠٧)، روضة الطالبين للنووي (٩/ ٣٤٦، ١٠/ ٢٢٥).

(٦) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٦).

ومن أصرح الأدلة على ذلك تصريحه تعالى بأن السحر يضرّ ولا ينفع، قوله تعالى: ﴿مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وإذا أثبت الله أن السحر ضار، ونفى أن يكون نافعا، فكيف يجوز تعلم ما هو ضرر محض ولا نفع فيه!(١).

المسألة الثالثة: الشعبذة وخفة اليد:

ومما يلحق بالسحر في المعنى اللغوي: الشعبذة وخفة اليد.

وهي: في اللغة: شعبذ شعبذة مهر في الاحتيال، وأرى الشيء على غير حقيقته، كالسحر معتمدًا على خداع الحواس، وتزيين الباطل لإيهام أنه حق فهو مشعبذ(٢).

وخفة اليد والشعبذة مبنية على: أن البصر قد يخطئ ويشتغل بالشيء المعين دون غيره، وهو أن المشعبذ الحاذق يظهر عمل شيء يذهل أذهان الناظرين به، ويأخذ عيونهم إليه، حتى إذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء بالتحديق ونحوه، عمل شيئًا آخر عَمَلاً بسرعة شديدة، وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه، فيتعجَّبون منه جدًّا، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمله، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه، لفطن الناظرون لكل ما يفعله، وكلما كان أخذه للعيون والخواطر وجذبه لها إلى سوى مقصوده أقوى كان أحذق في عمله، وكلما كانت الأحوال التي تفيد حسن البصر نوعًا من أنواع الخلل أشد كان هذا العمل أحسن(٣).

وقد نقد السنوسي الشعبذة وخفة اليد بقوله: «هي علوم محرمة، قال صاحب رد المحتار(٤) ما نصه: والشعبذة خفة في اليد كالسحر، ترى الشيء بغير ما عليه أصله، وأفتى ابن حجر في أهل الحلق في الطرقات، الذين لهم أشياء غريبة كقطع رأس إنسان وإعادته، وجعل

---

(١) ينظر: الأم للشافعي (١/ ٢٥٦-٢٥٧)، أضواء البيان (٤/ ٥٥).

(٢) لسان العرب (٣/ ١٩٥١)، المصباح المنير (١/ ١٦٤)، المعجم الوسيط (١/ ٤٨٤).

(٣) ينظر: تفسير الرازي (٣/ ١٩٢)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٨).

(٤) هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن عابدين الدمشقي، فقيه الشام، وإمام الحنفية في عصره، مولده ووفاته بدمشق، له من المصنفات: (رد المحتار على الدر المختار) ويعرف بحاشية ابن عابدين، و(رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار)، و(العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية)، توفي سنة ١٣٤٣هـ. ينظر: فهرس الفهارس (١/ ١٥٧)، الأعلام (٦/ ٢٧٠).

نحو دراهم من تراب وغير ذلك، بأنهم في معنى السحرة إن لم يكونوا منهم، فلا يجوز لهم ذلك، ولا لأحد أن يقف عليهم...وقد ذكر ناصر الدين البيضاوي في قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، بعد أن أوضح حقيقة السحر ما نصه: وأما ما يتعجب منه كما يعمله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والأدوية، أو يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم. قال محشيه: أي ليس بكفر، وأما أصل الحرمة فهي ثابتة له من حيث إنه لعب، وقد صرح العلماء بحرمته وحرمة أخذ الأجرة عليه»(١).

فالكهانة والتنجيم والشعبذة وحلوانها، أي إعطاءً أو أخذًا لعوضٍ عنها حرام، بالنص الصحيح في حلوان الكاهن، والباقي في معناه(٢).

وقد قالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في ذلك: «ويطلق السحر أيضًا على التخييل، وإيهام الناظر إلى الشيء أنه يتحرك مثلاً مع أنه لا يتحرك، حتى يراه الحاضر رؤية وهمية تختلف عن حقيقته ويعتقد على خلاف واقعه...وهذا النوع من السحر حرام؛ لما فيه من التمويه والتلبيس واللعب بالعقول، وقد يتخذ مهنة يكسب منها من يشتغل بها ويبتز أموال الناس بالباطل»(٣).

فما ذكره السنوسي موافق لما ذهب إليه العلماء في حكم الشعبذة وخفة اليد.

المسألة الرابعة: الرُّقى:

الرُّقى: جمع رُقْية، وهي العوذة التي يستشفى بها من كل عارض(٤).

منها ما هو مشروع من القرآن والسنة والأدعية المشروعة، ومنها ما هو غير مشروع.

ومن ذلك ما ذكره العياشي بقوله: «رأيت بخط شيخنا(٥) عزيمة لأم الصبيان، وذلك مس من الجن: باسم الله الرحمن الرحيم ارقاش باعش مرقاش أسطاف اسنطاف خطوف

---

(١) رحلة السنوسي (١/ ١٦٠-١٦١).

(٢) ينظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب للبهوتي (٤/ ٨٢).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الأولى (١/ ٥٤٥) فتوى رقم (٨٤٥).

(٤) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٥٠٠)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٢٥٤)، لسان العرب (٣/ ١٧١١)، فتح الباري (٤/ ٤٥٣).

(٥) يعني أحد شيوخه وهو محمد الغوث صاحب كتاب (الجواهر الخمس).

خطاف شعداس وفرداس، الله رب العزة ياطها وحبوش ارفح وحبوش ارفح شنوح ارمد حشيا القديم الأزلي الأبدي، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾[البروج: ١٠]، أنشدكم بالله العزيز القهار ألا تضروا من يحمل هذا التعويذ، وأن تتركوه وتحفظوه في حرز الله وضمانته...» وغيرها من الرقى التي نقلها[(١)].

فهذه من الرقى الممنوعة، وبيان ذلك من وجوه:

الأول: أن الأصل في الرقى كان هو المنع مطلقًا دل على ذلك حديث: ((نهى رسول الله ﷺ عن الرقى))[(٢)]، فقد كانوا في الجاهلية يرقون بما هو شرك وما لا يفهم، ويعتقدون أن تلك الرقى تؤثر، فأتت الشريعة بتحريم ذلك كله، أبلغ في المنع، وأسد للذريعة، فلما سأل الصحابة ﷺ رسول الله ﷺ وأخبروه أنهم ينتفعون بها رخص لهم في بعضها فقال: ((اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك))[(٣)(٤)].

الثاني: أن ما رُخص فيه من الرقى جائز عند اجتماع ثلاثة شروط:

١) أن تكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته، ومما جاء بالسنة.

٢) أن تكون باللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره.

٣) أن يعتقد أن الرقية سبب للشفاء، لا أنها شافية بذاتها ولا تأثير لها بدون إرادته الله وقدرته[(٥)].

فإن اختل شرط من هذه الشروط في الرقية فهي من الرقى الممنوعة.

---

(١) رحلة العياشي (١/ ٥٥٩-٥٦١).

(٢) أخرجه مسلم كتاب: السلام، باب: استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة (٤/ ١٧٢٦) ح(٢١٩٩) عن جابر ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم كتاب: السلام، باب: لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك (٤/ ١٧٢٧)ح(٢٢٠٠) عن عوف بن مالك ﷺ.

(٤) ينظر: المفهم للقرطبي (٥/٥٨٠-٥٨١).

(٥) ينظر: المعلم بفوائد مسلم (٣/١٦٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٢٥٤)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٦٨)، فتح الباري (١٠/ ١٩٥)، عون المعبود (١٠/ ٢٦٢)، فيض القدير للمناوي (١/ ٧١٣)، تيسير العزيز الحميد (١/ ١٣٣)، نيل الأوطار (٨/٢٤٥)، معارج القبول لحافظ الحكمي (١/ ٣٤).

الثالث: أن الرقى الممنوعة تختلف في حكمها؛ فإن اشتملت على دعاء غير الله، أو استغاثة أو استعاذة أو حلف به، أو اعتقد تأثيرها بذاتها فهي شرك، وإن اشتملت على ما لا يفهم معناه، فهي حرام؛ لأنها مظنة الشرك، وإن لم يعرف الراقي أنها شرك، فليس لأحد أن يرقي بها، وإن ظهر بعض النفع بها، فإن ما حرمه الله ورسوله ﷺ ضرره أكثر من نفعه[١].

الرابع: أن تعليق الرقى نوع من التمائم[٢]، فإن اشتملت على أسماء ملائكة، أو جن، أو ما فيه طلاسم غير معروفة، فهذه محرمة بالاتفاق.

وإن اشتملت على آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وأدعية شرعية، ففيه خلاف بين العلماء من السلف والخلف[٣]، والظاهر أن الراجح المنع، كما قاله جماعة من أهل العلم لوجوه ثلاثة:

الأول: عموم النهي في قوله ﷺ: ((إن الرقى والتمائم والتولة شرك))[٤]، ولا مخصص للعموم.

الثاني: سد للذريعة فقد تكون وسيلة إلى تعليق ما ليس كذلك.

الثالث: أن معلقها في الغالب لا يحترمها، فلابد أن يمتهنها بحملها معه في حال قضاء الحاجة ونحو ذلك[٥].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ١٣، ٢٤/ ٢٧٨)، تيسير العزيز الحميد (١/ ١٣٢-١٣٣).

(٢) وهي العوذ التي تعلق على الإنسان وغيره من أي شيء كان. ينظر: الصحاح (٥/ ١٨٧٨)، لسان العرب (١/ ٤٤٨)، تيسير العزيز الحميد (١/ ٢١٤).

(٣) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٣٧١-٣٧٨)، سنن البيهقي الكبرى (٩/ ٣٥٠-٣٥١)، شرح السنة للبغوي (١٢/ ١٥٨)، التمهيد لابن عبد البر (١٧/ ١٦٠)، زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٤/ ٣٥٧-٣٥٨)، الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٤٤٠)، فتح الباري (٦/ ١٤٢)، تيسير العزيز الحميد (ص١٣٤)، معارج القبول (٢/ ٥١٠).

(٤) أخرجه أبو داود كتاب: الطب، باب: في تعليق التمائم (٢/ ٤٠٢) ح(٣٨٨٣)، وأحمد (٦/ ١١٠) ح(٣٦١٥) عن ابن مسعود ﷺ. وصححه الألباني ينظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٦٤٨) ح(٣٣١).

(٥) ينظر: الآداب الشرعية (٢/٤٤٠)، عارضة الأحوذي (٨/٢٢٢)، تيسير العزيز الحميد (ص١٣٤)، فتح المجيد (ص١٠٩)، القول السديد (٣/١٩-٢٠)، معارج القبول (٢/ ٥١٠)، فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم (١/

المطلب الثاني: التنجيم:

تعريفه لغة: مصدر الفعل نجّم المشتق من النجم، وهو الكوكب، والتنجيم: فعل المنجم، وهو من ينظر في النجوم ويحسب مواقيت طلوعها وسيرها(١).

واصطلاحًا: الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية(٢).

وهو على أنواع، فمنه محرم أو كفر، ومنه مباح أو واجب(٣).

وقد ذكر بعض الرحالة التنجيم، ووصفوه بأنه علم يمدح به صاحبه، وذكروا شيئًا من أنواعه، فقد قال العياشي في ترجمة أحد مشايخه وهو شهاب الدين أحمد بن التاج(٤): «تمهر في علم التنجيم...فنال بذلك وجاهة عند الأمراء وأرباب المناصب، رأيت عنده كتاب الجفر الكبير...وهو سفر كبير نحو الأربعين كراسًا في القالب الكبير مرتبًا على حروف المعجم، وهو كله حروف مقطعة في مربعات صغار...»، ثم ذكر صفة الجفر وكيفية استخدامه. إلى أن قال: «لقيت صاحب الترجمة...وطلبت منه إيضاح المعمى من هذه الأسرار المودعة في الموضوعات الحرفية والأوضاع الجفرية...قال: افرض سؤالك في أي حاجة شئت أوضح لك كيفية استخراجه من طريقة الجامعة التي هي من الجفر الكبير، وكنت إذ ذاك كثير التمني لزيارة المسجد الأقصى بعد الانفصال عن الحرمين الشريفين زادهما الله تشريفًا، فجعلت ذلك موضوع السؤال فأمرني برسم جدول من أحد عشر في

٩٦-٩٧)، مجموع فتاوى ابن باز (٢٥/ ٩٧)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٥/ ٧٣)، السلسلة الصحيحة (١/ ٦٤٨) أحكام الرقى والتمائم لفهد السحيمي (٢٤٣-٢٤٧).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٩٦)، الصحاح (٥/ ٢٠٣٩)، لسان العرب (٦/ ٤٣٥٦-٤٣٥٨)، القاموس المحيط (ص١٤٩٩).

(٢) ينظر: معالم السنن للخطابي (٤/٢٢٩)، مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢)، الفتاوى الكبرى (٥/ ٥٣٦).

(٣) شرح السنة للبغوي (١٢/ ١٨٣)، معالم السنن (٤/٢٢٩-٢٣٠)، القول في علم النجوم للخطيب البغدادي (ص١٢٦)، الترغيب والترهيب للمنذري (٤/ ١٩)، تيسير العزيز الحميد (ص٣٧٨-٣٧٩).

(٤) هو شهاب الدين أحمد المعروف بابن التاج الدمشقي الأصل، المدني المؤقت بالحرم النبوي، وكاتب الإنشاء للشريف سعد بن الشريف، مهر في الحساب والتوقيت والتنجيم، وكان حسن الإنشاء والتحرير، جيد المحاضرة لطيف النادرة، توفي بمكة المشرفة سنة ١٠٨١هـ. ينظر: خلاصة الأثر (١/ ١٧٨-١٧٩)، ونشر المثاني (٤/ ١٧٣١-١٧٣٢).

أربعة...» ثم ذكر صعوبة هذا العلم وعدم جدواه دنيا وأخرى، إلى أن قال: «فإن قيل: قد لوحت ثم صرحت بذم هذا العلم مع أن كبار الأئمة كالشيخ محيي الدين...قد بالغوا في مدحه، وقالوا: إنه من الأسرار التي اختص بها الأنبياء عليهم السلام وورثهم من العارفين الكمل، ونسبوه إلى جعفر الصادق[1]، وأنه ورثه من آبائه إلى الإمام علي بن أبي طالب، وأن لهم فيه تأليفًا...فالجفر كتاب للإمام علي بن أبي طالب يستخرج منه أحوال الحوادث إلى آخر الدهر برموز وحروف مقطعة»، ثم نقل نص ما كتبه له صاحب الترجمة، وكذلك نقل من كتاب (الجفر الجامع والنور اللامع)، إلى أن قال: «والذي تحصل من مطالعة كثير من كلام أهل هذا الفن أن هذا العلم لا يكفي في تحصيله وتحقيقه الأوضاع الرسمية والقوانين التعليمية»[2].

ذكر العياشي من طرق التنجيم علم أسرار الحروف[3]، ومنه الجفر[4] وهو: كتاب تستخدم فيه أسرار الحروف، بعد ربط الحروف العربية بمنازل القمر الثمانية والعشرين، من حيث دلالتها على أحداث العالم؛ لمعرفة الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم، ومنه يمكن استخراج الإجابة عن أي سؤال كان وفي أي وقت ومكان[5].

---

(١) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق؛ لصدقه في مقالته، سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ولد عام ٨٠ هـ، كان عالمًا زاهدًا عابدًا، توفي بالمدينة سنة ١٤٨هـ، ودفن بالبقيع. ينظر: حلية الأولياء (٣/ ١٩٢)، صفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٣٩١)، وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٣٢٧)، الوافي بالوفيات للصفدي (١١/ ٩٨).

(٢) رحلة العياشي (٢/ ١١- ٢٧)، وينظر: (١/ ٥٤٢).

(٣) «وهو علم باحث عن خواص الحروف إفرادًا وتركيبًا، وموضوعه: الحروف الهجائية، ومادته: الأوفاق، والتراكيب، وصورته: تقسيمها كمًّا وكيفًا، وتأليف الأقسام والعزائم، وما ينتج منها، وفاعله: المتصرف، وغايته التصرف على وجه يحصل به المطلوب إيقاعًا وانتزاعًا» كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (١/ ٦٥٠)، وهو في الحقيقة ليس علمًا، وإن سماه أصحابه وغيرهم علمًا. ينظر: الاستقامة لابن تيمية (٢/١٦١).

(٤) جلد ولد المعز مما له أربعة أو خمسة أو ستة أشهر، وقيل: الجمل الصغير، والجدي بعدما يفطم ابن ستة أشهر. ينظر: لسان العرب (١/ ٦٤٠).

(٥) ينظر: كتاب المواقف للإيجي (٢/ ٦٠)، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون لعبد رب النبي نكري (١/ ٢٦١)، المعجم الوسيط (١/ ١٢٦)، موقف الإسلام من السحر لحياة با أخضر (١/ ٢٢٢).

وأصل هذا الكتاب، أن هارون بن سعيد العجلي[١]، وهو رأس الزيدية[٢]، كان له كتاب يزعم أنه يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم، ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص، وقد وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالاتهم على طريق الكرامة والكشف، الذي يقع لمثلهم من الأولياء، وكان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور صغير، فرواه عنه هارون العجلي وكتبه وسماه الجفر؛ باسم الجلد الذي كتب فيه، وصار هذا الاسم علمًا على هذا الكتاب، ويزعمون أن فيه علم الحوداث كلها من طريق الآثار والنجوم[٣].

وهذا كله باطل، ويمكن بيان بطلانه من وجوه:

الأول: أن ادعاء علم الغيب عن طريق الحروف وربطها بالنجوم حرام؛ بالكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٧]، فأعلمُ الخلق وهم الرسل والملائكة لا يعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله، فالله تعالى يعلم رسله من غيبه ما يشاء، فجميع وسائل ادعاء الاطلاع على الغيب سوى ذلك ممتنعة وهي من الضلال الذي نهى الله عنه[٤].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥]، وهذا من أقوى أنواع الحصر؛ لأنه بالنفي والإثبات، فالله هو المنفرد بعلم

---

(١) هو هارون بن سعد العجلي الكوفي، صدوق في نفسه لكنه غالٍ في الرفض بغيض، لا تحل عنه الرواية بحال، توفي سنة ١٤٥هـ. ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩/ ٩٠)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٧/ ٦١)، تهذيب التهذيب (٣٤/ ٦).

(٢) الزيدية: فرقة من فرق الشيعة، وهم المنتسبون إلى زيد بن علي، ويقولون بإمامته، وخلود أهل الكبائر في النـــار، وقد افترقت الزيدية إلى فرق متعددة. ينظر: مقالات الإسلاميين (ص٦٥)، التنبيه والرد للملطي (ص٣٣)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص١٦)، التبصير في الدين للإسفراييني (ص ٢٩).

(٣) ينظر: تاريخ ابن خلدون (١/ ٤١٥-٤١٦).

(٤) ينظر: الموافقات للشاطبي (٤/ ٤٧١)، أضواء البيان (١/ ٤٨٢).

الغيب، فمن ادعى شيئًا من الغيب، أو صدق من ادعى فقد جعل لله شريكًا فيما هو من خصائصه وكذب الله ورسوله ﷺ[(١)].

ومن السنة قوله ﷺ: ((من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد))[(٢)].

قال الشوكاني[(٣)]: «قوله: ((زاد ما زاد)) أي زاد من علم النجوم كمثل ما زاد من السحر، والمراد أنه إذا ازداد من علم النجوم فكأنه ازداد من علم السحر، وقد علم أن أصل علم السحر حرام، والازدياد منه أشد تحريما، فكذا الازدياد من علم التنجيم»[(٤)].

وقال ﷺ: ((مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدًا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر))[(٥)].

وأما الإجماع فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وصناعة التنجيم التي مضمونها الأحكام والتأثير وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية،

---

(١) ينظر: القول السديد (٣/٣٠)، القول المفيد (٢/ ٥).

(٢) أخرجه أبو داود كتاب: الطب، باب: في النجوم (٢/ ٤٠٨) ح(٣٩٠٥)، ابن ماجه كتاب: الأدب، باب: تعلم النجوم (٢/ ١٢٢٨) ح(٣٧٢٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وصححه الألباني. ينظر: السلسلة الصحيحة (٢/ ٤٢٠) ح(٧٩٩).

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني الصنعاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن)، ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها ومات حاكمًا بها، من مؤلفاته: (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع)، و(فتح القدير)، توفي سنة ١٢٥٠هـ. ينظر: الأعلام (٦/ ٢٩٨).

(٤) نيل الأوطار للشوكاني (٧/ ٢١٦).

(٥) أخرجه البخاري كتاب: الاستسقاء، باب: لا يدري متى يجيء المطر إلا الله (١/ ٣٥١) ح(٩٩٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية صناعة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل»(١).

الثاني: أن دعوى نسبته للأنبياء ولأهل البيت دعوى باطلة لا دليل عليها، فالاستدلال على الحوادث الأرضية بالحركات العلوية والاختيارات للأعمال، مما يعلم قطعًا أنه لم يؤمر به نبي من الأنبياء قط؛ إذ فيه من الكذب والباطل ما يتره عنه العقلاء الذين هم دون الأنبياء بكثير، فكيف يجوز نسبته إلى نبي كريم؟!

وقد نُسب إلى جعفر الصادق -وليس بنبي- من جنس هذه الأمور، أي: الاستدلال على الحوادث المستقبلية مما هو من كلام أهل النجوم والفلسفة، بل كذب عليه أكثر مما كذب على من قبله، فالآفة وقعت من الكذابين عليه لا منه، وحتى إن كل من أراد أن ينفق أكاذيبه نسبها إلى جعفر، مما نزه الله جعفرًا عنه، حتى إنه نسب إليه كتاب (الجفر) والكلام في النجوم وغيرها من الأكاذيب، وكل ذلك كذب عليه باتفاق أهل العلم به(٢).

فهذا الكتاب لا تصح نسبته إلى علي ﷺ ولا إلى جعفر الصادق، فلم تتصل روايته ولا عرف عينه، وإنما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل، ولو صح السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه، فإذا لم توجد رواية صحيحة السند، فلا يصح عقلاً وشرعًا ثبوته.

فإن المسلمين يعلمون بالاضطرار أن عليًا ﷺ لا يقول مثل هذا؛ بل إن أهل العلم منهم قد علموا بالنقول الصحيحة الثابتة عن علي ﷺ ما يبين أن كل من ادعى عن آل البيت من أنهم اختصوا بعلم خصهم به النبي ﷺ دون غيرهم فقد كذب عليهم(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢)، وينظر: روضة الطالبين للنووي (١٠/ ٢٢٥)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٥١٧)، فتح الباري (١١/ ٣٥١)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل للمرداوي (١٠/ ٢٦٤)، الأشباه والنظائر للسيوطي (ص٤١٧)، رد المحتار (١/ ٤٤-٤٥).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٧٨-٧٩، ٣٥/ ١٨٢-١٨٣)، منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٨٤، ٤/ ٢٥)، بغية المرتاد (ص ٣٢٨-٣٢٩).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢١٧)، تاريخ ابن خلدون (١/ ٤١٦).

فقد ثبت في الصحيح عن أبي جحيفة ﷺ قال: ((قلت لعلي ﷺ هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر))(١).

الثالث: أن هذا العلم ليس من الإسلام في شيء، وإنما حدث عندما ترجمت كتب الفلاسفة. يقول ابن خلدون: «علم أسرار الحروف وهو المسمى لهذا العهد بالسيميا(٢) نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة، فاستعمل استعمال العام في الخاص.

وحدث هذا العلم في الملة بعد صدر منها، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر، وتدوين الكتب والاصطلاحات ... فحدث لذلك علم أسرار الحروف وهو من تفاريع علم السيمياء لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله...وحاصله عندهم وثمرته تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان»(٣).

الرابع: أن هذا العلم هو كما أشار إليه العياشي بقوله: «لم أجد له جدوى دنيا وأخرى» هو نوع من الكهانة المحرمة؛ لأنه ليس له أساس علمي صحيح، بل أوهام لا حقيقة لها؛ فقد أبطل النبي ﷺ ارتباط الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية بقوله: ((إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله، فإذا رأيتموهما فصلوا))(٤)، وقد سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال لهم: ((ليسوا بشيء))(٥)، فقول

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: الجهاد والسير، باب: فكاك الأسير (٣/ ١١١٠) ح(٢٨٨٢).

(٢) «لفظ سيميا عبراني معرب أصله سيم يه ومعناه: اسم الله» أبجد العلوم (ص٤٢٢).

(٣) تاريخ ابن خلدون (ص٦٦٤)، وينظر: (ص٤١٢).

(٤) أخرجه البخاري كتاب: الكسوف، باب: الصلاة في كسوف الشمس (١/ ٣٥٣) ح(٩٩٤)، ومسلم كتاب: الكسوف، باب: ذكر النداء بصلاة الكسوف الصلاة جامعة (٢/ ٦٢٨) ح(٩١١) عن ابن مسعود ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري كتاب: الأدب، باب: قول الرجل للشيء ليس بشيء وهو ينوي أنه ليس بحق (٥/ ٢٢٩٤) ح(٥٨٥٩)، ومسلم كتاب: السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان (٤/ ١٧٥٠) ح(٢٢٢٨) عن عائشة رضي الله عنها.

الكهان فيما يتعاطونه من علم الغيب ليس له أصل يبنى عليه، ولا ثمرة تجنى منه، فلا تعلق به بوجه[١].

(١) ينظر: الموافقات (١/ ١٢٢-١٢٣)، فتح الباري (١٠/ ٥٩٥)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/ ١٩١).

المبحث الخامس

التبرك

ويشتمل على المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: التبرك المشروع.

المطلب الثاني: التبرك الممنوع.

المطلب الأول: التبرك المشروع:

من معتقد أهل السنة والجماعة أن البركة من الله تعالى؛ فلا تطلب إلا منه تعالى، وطلبها من غيره شرك، كطلب الرزق، وجلب النفع، ودفع الضر من غيره ﷻ[(١)].

والله تعالى قد جعل بعض الأعيان والأقوال والأفعال سببًا للبركة، وهذه لا تعرف بركتها وطريقة التبرك بها، إلا عن طريق الشرع.

ومن صور التبرك المشروع الواردة في كتب الرحلات -محل الدراسة- ما يأتي:

١) التبرك بشرب ماء زمزم:

قال النابلسي: «وشربنا من ماء زمزم بنية الشفاء»[(٢)]، ثم نقل عددًا من الآثار في فضل زمزم، ومن ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم))[(٣)]، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((زمزم طعام طعم وشفاء سقم))[(٤)][(٥)].

---

(١) ينظر: التبرك المشروع والممنوع لعلي العلياني (ص١٧).

(٢) رحلة النابلسي (ص٤٦٣)، وينظر: رحلة الورثيلاني (٢/ ٤٥٤)، رحلة السنوسي (٢/ ١٧٥).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٩٨) ح(١١١٦٧). وقال الحافظ المنذري: «رواه الطبراني في الكبير، ورواته ثقات وابن حبان في صحيحه» الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٥) ح(١٨١٣)، وكذا قال الهيثمي. ينظر: مجمع الزوائد (٣/ ٦٢١) ح(٥٧١٢)، ورمز له السيوطي بأنه حسن. ينظر: الجامع الصغير (٢/ ٧) وحسن إسناده الألباني وقال: « ولبعض الحديث شاهد من حديث أبي ذر مرفوعًا بلفظ: ((إنها مباركة وهي طعام طعم وشفاء سقم)) » السلسلة الصحيحة (٣/ ٤٤) ح(١٠٥٦).

(٤) أخرجه البزار في مسنده (٩/ ٣٦١) ح(٣٩٢٩)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ١٨٦) ح(٢٩٥).
قال الهيثمي: «رواه البزار والطبراني في الصغير ورجال البزار رجال الصحيح» مجمع الزوائد (٣/ ٦٢١) ح(٥٧١١)، وقال المنذري: «رواه البزار بإسناد صحيح» الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٥) ح(١٨١٤).
رمز له السيوطي بأنه صحيح. ينظر: الجامع الصغير (٢/ ٤) ح(٤٥٦١). وصححه الألباني وقال: « رواه البزار بإسناد صحيح» صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٩) ح(١١٦٢).

(٥) ينظر: رحلة النابلسي (ص٤٤٩ -٤٥٠).

وقال المرادي: «ومن خواصه أنه يُشبع، ويروي ويطلق المعقول، ويعقل المبطون، ويقوى الإنسان على شرب الكثير منه ولا ينشأ منه ضرر، وقد ورد: ((ماء زمزم لما شرب له))[(١)]. وهو صحيح المعنى للتجربة، فقد ذكر غير واحد من أهل الصلاح أنه جربه في أمر مخصوص فأكثر فصحّ»[(٢)].

إن زمزم هي البئر المباركة المشهورة في المسجد الحرام، نبعت زمن إبراهيم ﷺ، لما ترك إسماعيل ﷺ وأمه بمكة فأصابهما العطش، وبحثت عن ماء؛ فأنعم الله عليهما بماء زمزم.

ومن فضله وبركته إرواء شاربها، بل وإشباعه حتى تكفيه عن الطعام، كما ثبت ذلك في الصحيح عن أبي ذر ﷺ في حديثه الطويل، عن قصة إسلامه، وفيه قال رسول الله ﷺ: ((متى كنت ها هنا؟))، قال: قلت قد كنت ها هنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم، قال: ((فمن كان يطعمك؟))، قال: قلت ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني[(٣)]، وما أجد على كبدي سخفة جوع[(٤)]، قال ﷺ: ((إنها مباركة، إنها طعام طعم))[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه كتاب: المناسك، باب: الشرب من زمـزم (٢/ ١٠١٨) ح(٣٠٦٢)، وأحمـد في مسنده (٢٣/ ١٤٠) ح(١٤٨٤٩). عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. قال الدمياطي: «رواه أحمد وابـن ماجـه بإسناد حسن». المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح (ص٤٣٤) ح(٨٩٢)، وقال ابن القيم: «الحديث حسن». زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٣٩٣). وقال الزركشي: «وقد جاء الحديث من طرق صـحيحة». إعـلام الساجد بأحكام المساجد (ص٢٠٦). وقال السيوطي: « أخرجه ابن ماجه في سننه من حديث جابر بإسناد جيد» الحاوي للفتاوي (١/ ٣٤٠)، وقال الألباني: «صحيح» إرواء الغليل (٤/ ٣٢٠) ح(١١٢٣).

(٢) رحلة المرادي (ص١١٢)، وينظر: رحلة ابن مليح (ص٨٠).

(٣) «تكسرت عكن بطني، أي: طياته سمنا أي ينطوي بعضها على بعض» مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض (٢/ ٨٢)، وينظر: معجم مقاييس اللغة (٤/ ١٠٢).

(٤) «وما على كبدي سخفة جوع، بفتح السين هو رقته وهزاله» مشارق الأنوار (٢/ ٢١٠)، وينظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ١٤٤).

(٥) أخرجه مسلم كتاب: فضائل الصحابة ﷺ، باب: من فضائل أبي ذر ﷺ (٤/ ١٩١٩) ح(٢٤٧٣).

وعن ابن عباس ﷺ قال: ((كنا نسميها شباعة -يعني زمزم- وكنا نجدها نعم العون على العيال))[١].

وفي ذلك قال ابن القيم -رحمه الله-: «شاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريبًا من نصف الشهر، أو أكثر، ولا يجد جوعًا، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يومًا، وكان له قوة يجامع بها أهله، ويصوم، ويطوف مرارًا»[٢].

٢) التبرك بالصلاة في مسجد قباء:

المساجد بيوت الله في الأرض، وهي خير البقاع وأشرفها، قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ [النور: ٣٦].

ومنها مسجد قباء[٣]، وقد تناوله بعض الرحالة بالذكر، ومن ذلك ما قاله ابن مليح: «خرجنا لزيارة مسجد قباء وهو ظاهر البركة، وكان النبي ﷺ يأتيه راكبا وماشيا...»[٤].

وقال العياشي: «مسجد قباء وهو المسجد الذي أسس على التقوى، وينبغي زيارة هذا المسجد، ويختار كونها يوم سبت، كما ورد في الصحيح: ((أن رسول الله ﷺ كان يأتي قباء كل سبت راكبًا أو ماشيًا، وكان عبد الله يعني ابن عمر يفعله رضي الله عنهما))[٥]، وورد في فضل هذا المسجد آثار كثيرة منها...وعنه ﷺ أنه قال: ((الصلاة في مسجد قباء كعمرة))[٦]، إلى غيرها من الأحاديث والأخبار»[٧].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٧١) ح(١٠٦٣٧). قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات» مجمع الزوائد (٣/ ٦٢٢) ح(٥٧١٣). وقال الألباني: « صحيح لغيره، ورواه الطبراني في الكبير وهو موقوف صحيح الإسناد» صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٩) ح(١١٦٣).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٤/ ٣٩٣).

(٣) وأصله اسم بئر هناك عرفت القرية بها، وهي مساكن لبعض الأنصار. ينظر: معجم البلدان (٤/ ٣٠١).

(٤) رحلة ابن مليح (ص١٠٤).

(٥) أخرجه البخاري أبواب التطوع، باب: من أتى مسجد قباء كل سبت (١/ ٣٩٩) ح(١١٣٥).

(٦) أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الصلاة في مسجد قباء (٢/ ١٤٥)، وابن ماجه كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في الصلاة في مسجد قباء (١/ ٤٥٣) ح(١٤١١) عن أسيد بن ظهير الأنصاري ﷺ. وقال الترمذي: «حديث حسن غريب». وصححه الألباني. ينظر: الجامع الصغير وزيادته (١/ ٧٣٢).

(٧) رحلة العياشي (١/ ٣٨٧)، وينظر: رحلة الورثيلاني (٢/ ٥٤٢).

وقال النابلسي: «ووصلنا إلى المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فدخلنا إليه وصلينا تحية المسجد وصلاة الضحى»(١).

إن مسجد قباء هو أول مسجد بني بالمدينة على الإطلاق(٢)، وهو المعني بقوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٨]. على أحد قولي العلماء في تفسير الآية(٣).

وكان الرسول ﷺ يأتي قباء تارة راكبًا، وتارة ماشيًا، فيصلي فيه ركعتين، وكان يفعل ذلك كل سبت، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: ((كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قباء راكبًا وماشيًا))، وفي رواية بزيادة: ((فيصلي فيه ركعتين))(٤).

وفي الصحيح: ((كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيًا وراكبًا، وكان عبد الله رضي الله عنه يفعله))(٥).

ومما ورد في فضله عن النبي ﷺ أنه قال: ((الصلاة في مسجد قباء كعمرة))(٦).

وبناء عليه فيستحب لأهل المدينة ولمن زارها، أن يزور مسجد قباء للصلاة فيه، اتباعًا لسنة المصطفى ﷺ، ورجاء للحصول على الأجر العظيم المترتب على ذلك.

ومع هذا فلا يسافر إليه ولا يقصد إنشاء السفر لأجله، لقوله ﷺ: ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا))(٧).

---

(١) رحلة النابلسي (ص٤٢١) وينظر: (ص٣٨٩-٣٩٠).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٦٩-٤٧٠).

(٣) قيل: هو مسجد قباء، وقيل: هو مسجد النبي ﷺ. ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٥-٢١٦).

(٤) أخرجه البخاري أبواب التطوع باب: إتيان مسجد قباء ماشيًا وراكبًا (١/ ٣٩٩) ح(١١٣٦)، ومسلم كتاب: الحج، باب: فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه وزيارته (٢/ ١٠١٦) ح(١٣٩٩).

(٥) سبق تخريجه في الصفحة رقم [١٧١].

(٦) سبق تخريجه في الصفحة رقم [١٧١].

(٧) أخرجه البخاري أبواب التطوع، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١/ ٣٩٨) ح(١١٣٢)، ومسلم كتاب: الحج، باب: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (٢/ ١٠١٤) ح(١٣٩٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقد شمل النهي عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة بما فيها مسجد قباء؛ مع ما له من فضيلة، فمن باب أولى أن يشمل غيره من المساجد.

المطلب الثاني: التبرك الممنوع:

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: التبرك بالآثار المكانية:

١) التبرك بالآثار المكانية للنبي ﷺ:

رسول الله ﷺ مبارك الذات والآثار؛ ولذا فإن صحابته ﷺ تبركوا بذاته، وبآثاره ﷺ في حياته، وأقرهم ﷺ بذلك، ثم تبركوا ﷺ ومن بعدهم من سلف الأمة الصالح بآثاره الحسية بعد وفاته، مما يدل على مشروعية هذا التبرك.

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها، وليست فيه، قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأتيت فقيل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق، واستنقع[١] عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدها[٢]، فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع النبي ﷺ فقال: ((ما تصنعين يا أم سليم؟)) فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا قال: ((أصبتِ))[٣].

وبهذا الحديث الصحيح وأمثاله مما ثبت عن السلف الصالح أنهم تبركوا بآثاره الحسية المنفصلة منه كشعره أو عرقه ونحوهما، كما كانوا يتبركون بآثاره التي كان يستعملها كثيابه ونعليه مما وجد منها بعد وفاته في الأزمنة القريبة؛ حيث يمكن التأكد ببرهان واضح في إثبات بقائها وصحة نسبتها له ﷺ[٤].

---

(١) اجتمع عرقه، «يقال: استنقع الماء، إذا اجتمع» تهذيب اللغة (١/ ١٧٦).

(٢) العتيدة هي ما تجعل فيه المرأة طيبها. ينظر: تهذيب اللغة (٢/ ١١٥)، مشارق الأنوار (٢/ ٦٥).

(٣) أخرجه مسلم كتاب: الفضائل، باب: طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به (٤/ ١٨١٥) ح(٢٣٣١).

(٤) أما في الأزمنة المتأخرة فآثاره ﷺ قد فقدت وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين، ولا سيما مع مرور مئات السنين على تلك الآثار، وإمكان الكذب في ادعاء نسبتها إلى النبي ﷺ؛ لنيل بعض الأغراض، كما وضعت الأحاديث ونسبت إلى رسول الله ﷺ كذبًا. ينظر: التوسل للألباني (١/ ١٤٥)، التبرك أنواعه وأحكامه للجديع (ص٢٦٠).

ولكن بركة ذاته الكريمة، وآثاره الشريفة لا تتعدى إلى الآثار المكانية أيضًا -كمواضع سار فيها ﷺ أو صلى أو نزل بها ونحو ذلك- فلا تكون مباركة لأجل ذلك ولا يجوز التبرك بها[١].

وفي كتب الرحلات -محل الدراسة- يظهر اهتمام كثير من الرحالة في تتبع آثار النبي ﷺ المكانية، وتبركهم بها على صور متعددة.

فمن هذه الآثار المتبرك بها:

أولاً: المساجد المنسوبة للنبي ﷺ:

ذكر الرحالة عددًا كثيرًا من المساجد المنسوبة للنبي ﷺ في مكة والمدينة وما حولهما وفي مقدمتهم الرحالة العياشي، فقد فصل القول في ذلك بقوله: «ذِكر المساجد التي تزار بالمدينة لنسبتها للنبي ﷺ فمنها مسجد الجمعة[٢]، فقد روي أن النبي ﷺ لما خرج من قباء في هجرته أدركته الجمعة، وهو أول جمعة صلاها عليه السلام بالمدينة[٣].

ومنها مسجد الفضيخ[٤]، فقد روي عن جابر رضي الله عنه أنه قال: حاصر النبي ﷺ بني النضير، وكان يصلي في موضع مسجد الفضيخ ست ليال، فلما حرمت الخمر، خرج الخبر إلى أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ونفر من الأنصار، وهم يشربون فيه فضيخًا، فحلوا وكاء السقاء فهرقوه فيه، فبذلك سمي مسجد الفضيخ[٥].

---

(١) ينظر: هذه مفاهيمنا لصالح آل الشيخ (ص٢٠٦)، التبرك أنواعه وأحكامه (٢٤٣-٣٤١، ٢٥٥)، الآثار والمشاهد وأثر تعظيمهما على الأمة للجفير (١٨٤-٢٠٠).

(٢) يقع حاليًّا على يمين المتوجه من مسجد قباء إلى المدينة المنورة على شارع قباء النازل، ويبدو واضحًا للخارج من مسجد قباء على بعد حوالي ٨٠٠متر في الجهة الشمالية منه. ينظر: المساجد الأثرية في المدينة النبوية لمحمد إلياس عبدالغني (ص٦٦).

(٣) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤٩٤/١)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودي (١٦٧/٣).

(٤) الفضيخ شراب يتخذ من البسر وحده من غير أن تمسه النار. ينظر: مختار الصحاح (٢١٢/١)، ويقع في الجهة الشرقية من مسجد قباء على بعد نحو كيلو متر واحد، وهو على يمين القادم من مسجد قباء. ينظر: المساجد الأثرية (ص١٦٤).

(٥) ينظر: تاريخ المدينة النبوية لابن شبة (١/ ٤٥)، وفاء الوفا (٣/ ١٦٩).

ومنها مسجد الإجابة[١]، وفيه عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم حتى إذا مر بمسجد بني معاوية[٢] دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلاً، ثم انصرف إلينا فقال ﷺ: ((سألت ربي ثلاثا فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة...))[٣]. قال السيد[٤]: «فليتحر ذلك مع الدعاء قائمًا»[٥]، قلت: وقد زرنا هذا المسجد والحمد لله مرارا، وصليت فيه ودعوت الله بما أرجو إجابته لنفسي ولإخواني وأشياخي والمسلمين.

ومنها مسجد الفتح، والمساجد التي قبله، وتعرف اليوم كلها بمساجد الفتح والأول هو المراد بمسجد الفتح عند الإطلاق، ويقال له أيضًا مسجد الأحزاب والمسجد الأعلى. وفي مسند أحمد أن النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح ثلاثًا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين فعرف البشر في وجهه، قال جابر ﷺ: فلم يترل بي أمر مهم غليظ إلا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الإجابة[٦].

---

(١) يقع على بعد٣٨٥م شمالي البقيع، ويبعد عن مبنى التوسعة السعودية الثانية للمسجد النبوي الشريف ٥٨٠م، تم بناؤه وتوسعته في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز –رحمه الله–. ينظر: المساجد الأثرية في المدينة النبوية (ص٣٣-٣٤).

(٢) هو معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن النجار الأوسي، الأزدي القحطاني، جد جاهلي يماني، بنوه بطن كبير، فيه مشاهير، منهم امرؤ القيس الشاعر، والأشعث بن قيس الصحابي وكثيرون. ينظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢/ ٣٣٥) وفاء الوفا (١/ ٣٥٠)، الأعلام (٧/ ٢٦٣)، معجم قبائل العرب لعمر كحالة (٣/ ١١٢٠).

(٣) أخرجه مسلم كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٤/ ٢٢١٦) ح(٢٨٩٠) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٤) هو علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن، المعروف بالسمهودي: مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها، ولد سنة ٨٤٤هـ، في سمهود (بصعيد مصر) ونشأ في القاهرة، وأكثر من ملازمة المناوي، واستوطن المدينة سنة ٨٧٣هـ، وتوفي بها سنة٩١١هـ، ومن مصنفاته: (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى)، و(خلاصه الوفا) اختصر به الأول. ينظر: الضوء اللامع (٥/ ٢٤٥)، خلاصة الأثر (١/ ٤٣)، الأعلام (٤/ ٣٠٧).

(٥) وفاء الوفا (٣/ ١٨٠)، وينظر: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي (١/ ٣٨).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢/ ٤٢٥) ح(١٤٥٦٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٤٦) ح(٧٠٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٩٧) ح(٣٨٧٤)، المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٤٣) ح(١٨٥٠)، وحسنه الألباني ينظر: صحيح الأدب المفرد (١/ ٢٥٦) ح(٧٠٤)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٤) ح(١١٨٥).

وأما المساجد في قبلته فأحدها الذي يلي المسجد الأعلى يعرف بمسجد سلمان الفارسي[١]، وثانيها يلي قبلة هذا المسجد يعرف بمسجد علي بن أبي طالب[٢]، وثالثها بمسجد أبي بكر وهو أصغرها[٣].

ومنها مسجد القبلتين[٤] وسمي مسجد القبلتين؛ لأن القبلة حولت فيه، فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين[٥]. قلت: -أي العياشي- ولم أزره إلا مرة وصليت ما كتب»[٦].

ومن المساجد المنسوبة للنبي ﷺ بمكة مسجد العقبة[٧]، يقول العياشي: «جلسنا فيه ساعة وصلينا فيه الظهر...وهذا المسجد هو المكان الذي بايع فيه الأنصار ﷺ بيعة العقبة،

وقال ابن تيمية: «وهذا الحديث يعمل به طائفة من أصحابنا وغيرهم، فيتحرون الدعاء في هذا كما نقل عن جابر، ولم ينقل عن جابر ﷺ أنه تحرى الدعاء في المكان بل في الزمان، فإذا كان هذا في المساجد التي صلى فيها النبي ﷺ وبنيت بإذنه ليس فيها ما يشرع قصده بخصوصه من غير سفر إليه إلا مسجد قباء فكيف بما سواها؟». اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٣٣).

(١) يقع أسفل مسجد الفتح من جهة الجنوب، وقيل: قد بني في عهد عمر بن عبد العزيز عند بنائه لمسجد الفتح. ينظر: المساجد الأثرية في المدينة النبوية (ص١٤٣).

(٢) يقع في الجنوب الغربي من مسجد سلمان الفارسي ﷺ، وقد أزيل سنة ١٤١٤هـ. ينظر: المساجد الأثرية (ص١٤٥).

(٣) يقع في النهاية الجنوبية لمنطقة مساجد الفتح على جزء مرتفع. ينظر: المساجد الأثرية (ص١٤٧).

(٤) يقع في الجهة الشمالية الغربية من المدينة المنورة، وهو على يمين القادم إلى المدينة المنورة من طريق خالد بن الوليد ﷺ. ينظر: المساجد الأثرية (ص١٨٥).

(٥) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٤٢) وفاء الوفا (٣/ ١٩٥).

(٦) رحلة العياشي (١/ ٣٨٧-٣٩٥) باختصار، وينظر: رحلة الورثيلاني (٢/ ٥٤٢-٥٥٢)، رحلة المرادي (ص١٤٤)، وممن تبرك ببعض هذه المساجد، ابن مليح ينظر: (ص١٠٦)، والنابلسي ينظر: (ص ٤٠٢).

(٧) وهو المكان الذي تمت فيه بيعة العقبة، وهي البيعة التي بايع رسول الله ﷺ فيها الأنصار بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب ﷺ، ومضى القرن الأول ولم يكن عليه مسجد، وإنما بني في أواسط القرن الثاني. ينظر: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين الفاسي (١/ ٣٤٧)، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف لابن الضياء (١/ ١٨١)، التاريخ القويم لمحمد طاهر الكردي (٥/ ٣١٠).

فهو من المساجد المنسوبة إلى النبي ﷺ؛ المتبرك بها، وهو معدود من الأماكن التي يستجاب فيها الدعاء»[(١)].

وغيرها من المساجد المنسوبة للنبي ﷺ مما تبرك الرحالة بزيارته والصلاة والدعاء فيه[(٢)].

ثانيًا: الآبار المنسوبة للنبي ﷺ:

ومن ذلك ما أورده العياشي[(٣)] بقوله: «ذكر الآبار التي ورد أن النبي ﷺ تفل فيها أو شرب أو توضأ فيها، فاكتسبت بذلك فضلاً على غيرها فصارت مقصودة بالزيارة والاستشفاء بمائها، ولم نذكر منها إلا ما زرناه وشربنا من مائه، وهي سبعة:

أولها: بئر أريس[(٤)]، وفي الصحيح خبر خروج النبي ﷺ، وأن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه خرج في إثره حتى دخل بئر أريس، وتوسط فيها وكشف عن ساقيه وأن أبا بكر جاء ففعل مثل ذلك، ثم جاء عثمان وبشر الجميع بالجنة الحديث بطوله[(٥)]، وفي الصحيح أيضًا: أن خاتم النبي ﷺ كان في يد أبي بكر بعده ثم في يد عمر ثم في يد عثمان حتى سقط في بئر أريس فلم يوجد[(٦)]...وهذه العين المباركة من أغزر العيون، فما أعظم بركتها وأوسع نفعها، ولقد شاهدت من يستشفي بمائها فيشفى، ولقد حملنا بعض مائها للاستشفاء.

---

(١) رحلة العياشي (١/ ٣١٧، ٣٢٣-٣٢٤)، وممن تبرك بهذا المسجد المرادي ينظر: (ص٨٧)، والنابلسي ينظر: (ص ٤٠١).

(٢) ينظر: رحلة العياشي (١/ ٣٦٦،٣٧٦-٣٦٧، ٣٩٠-٣٩٥، ٤٠٦- ٤٠٨، ٢/ ٣٨١-٣٨٢)، رحلة ابن مليح (ص٩١)، رحلة الورثيلاني (٢/ ٥٤٥، ٥٥١-٥٥٢)، ورحلة المرادي (ص٧٢).

(٣) نقلاً عن كتاب وفاء الوفا للسيد السمهودي (١/ ٤٠٩).

(٤) أريس نسبة إلى رجل من يهود يقال له: أريس، ومعناه بلغة أهل الشام الفلاح. ينظر: معجم البلدان (١/ ٢٩٨)، وتقع غربي مسجد قباء بنحو ٣٨مترًا. ينظر: آثار المدينة المنورة لعبد القدوس الأنصاري (ص٢٤١).

(٥) أخرجه البخاري كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذا خليلاً)) (٣/ ١٣٤٣) ح(٣٤٧١)، ومسلم كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٤/ ١٨٦٧) ح(٢٤٠٣).

(٦) أخرجه البخاري كتاب: اللباس، باب: خاتم الفضة (٥/ ٢٢٠٢)، ح(٥٥٢٨)، ومسلم كتاب: اللباس والزينة، باب: لبس النبي ﷺ خاتما من ورق نقشه محمد رسول الله، ولبس الخلفاء له من بعده (٣/ ١٦٥٥) ح(٢٠٩١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

الثانية: بئر البُصة[١]، وقد شربنا من مائها مراراً وتوضأنا واغتسلنا والمنة لله وحده.

الثالثة: بئر بُضاعة[٢]، وقد كنت أيام مرض بالمدينة أبعث إلى مائها فأغتسل به فأجد الراحة.

الرابعة: بئر حاء[٣]، وقد دخلتها والحمد لله مرارا، واستصحبنا شيئًا من زرع تلك الحديقة المسقي بمائها.

الخامسة: بئر رومة[٤].

السادسة: بئر غرس[٥] عن علي ﷺ قال: قال ﷺ: ((إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئر غرس))[٦]، وقد زرتها مرة ولله الحمد.

السابعة: بئر اليسيرة[٧]، وقد زرتها والحمد لله وشربت من مائها»[٨].

---

(١) بص يبص بصيصا: برق ولمع، وبصَّ لي بيسير: أعطاني، والماء: رشح. ينظر: القاموس المحيط (١/ ٧٩٠).

(٢) بئر بضاعة يكسر ويضم والبضاعة بالكسر طائفة من مالك تبعثها للتجارة. ينظر: مختار الصحاح (١/ ٢٢)، وتبعد عن سقيفة بني ساعدة بالسحيمي بمسافة نحو ٤ دقائق بالمشي العادي. ينظر: آثار المدينة (ص٢٥٠).

(٣) تقع في ناحية المدينة الشمالية الشرقية. ينظر: آثار المدينة (ص٢٤٨).

(٤) تقع بشمالي غربي المدينة، وتبعد عنها نحو نصف ساعة. ينظر: آثار المدينة (ص٢٤٤).

(٥) تقع شمال غرب حديقة الغرس، وطريق بئر غرس من المدينة، هكذا باب العوالي – طريق قربان – ميْلٌ إلى الشرق في زقاق ضيق – البئر. ينظر: آثار المدينة (٢٤٦-٢٤٧).

(٦) أخرجه ابن ماجه كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في غسل النبي ﷺ (١/ ٤٧١) ح(١٤٦٨)، وضعفه الألباني. ينظر: السلسة الضعيفة (٣/ ٣٨٣) ح(١٢٣٧).

(٧) وهي بئر لبني أمية من الأنصار عند منازلهم، خارجة من الحرم. ينظر: أخبار مكة (٢/٢١١)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي (٧/٢٢٩).

(٨) رحلة العياشي (١/ ٤٠٩- ٤١٦) باختصار، وينظر: رحلة الورثيلاني (٢/ ٥٦٨-٥٧٥)، رحلة المرادي (ص١٤٤)، وممن تبرك ببعض هذه الآبار: ابن مليح ينظر: (ص١٠٥)، والنابلسي ينظر: (٣٩١، ٤٣٥، ٤٠٧)، والزياني ينظر: (٣٢٤-٣٢٥).

وغيرها من الآبار المنسوبة للنبي ﷺ مما تبرك الرحالة به شربًا واستشفاءً(١).

ثالثًا: الجبال:

يقول العياشي: «ذكر الأماكن التي ينبغي أن تزار بمكة ونواحيها، فمنها غار جبل ثور(٢) الذي اختفى فيه رسول ﷺ وأبو بكر ﷺ، في هجرتهما، وصرح القرآن بذكره في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، وخرجت لزيارته مع جماعة من أصحابنا، وقد ذكر بعض من ألف في أخبار مكة وجبالها أن من زار هذا الغار، وكان به حزن آلمه، وسأل الله إذهابه، يذهبه عنه ولا يحزن بعد ذلك»(٣).

ويقول أيضًا: «ومنها جبل حراء(٤)، وفضله مشهور وهو الغار الذي كان ﷺ يتحنث فيه قبل النبوة، وفيه نزل الوحي أول ما نزل، وفيه نزلت سورة (اقرأ) لما في الصحيح، وفي أعلاه، شبه مسجد يصلي في الناس، ويصلي فيه الناس للبركة، وقد جلسنا هناك فصلينا فيه دعونا»(٥).

ومنها: الغار الذي نزلت به سورة (المرسلات) على النبي ﷺ(٦)، والذي يقول عنه العياشي: «والناس يقصدونه للصلاة فيه والدعاء»(٧).

---

(١) ينظر: رحلة ابن مليح (ص١٢٠)، رحلة العياشي (١/ ٣٠٨-٤١٥-٤١٦، ٢/ ٣٨٨)، رحلة الورثيلاني (١/ ٤٢٥، ٤٤٧ ٢/ ٤٩٠-٥٧٤)، رحلة النابلسي (ص٣٦٣-٣٦٤)، رحلة المرادي (ص١٤٤).

(٢) يقع جهة المسفلة على طريق اليمن، ويبعد عن المسجد الحرام بثلاثة كيلو مترات أو أربعة. ينظر: التاريخ القويم (٢/ ٣٨٤).

(٣) رحلة العياشي (٢/ ١٥١-١٥٢).

(٤) يقع بأعلى مكة، على يسار الذاهب لمنى، وعامة أهل مكة يسمونه: (جبل النور). ينظر: التاريخ القويم (٢/ ٤٠٨).

(٥) رحلة العياشي (٢/ ١٦٤).

(٦) يعرف بغار المرسلات، وهو مشهور به، وعن ابن مسعود ﷺقال: ((بينما نحن مع النبي ﷺ في غار بمنى، إذ نزل عليه: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ﴾، وإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية، فقال النبي ﷺ: ((اقتلوها))، فابتدرناها فذهبت، فقال النبي ﷺ: ((وقيت شركم، كما وقيتم شرها))). أخرجه البخاري كتاب: جزاء الصيد، باب: ما يقتل المحرم من الدواب (٢/ ٦٥٠) ح(١٧٣٣). والآن لم يبق للغار أثر. ينظر: التاريخ القويم (٥/ ٣٠٨).

(٧) رحلة العياشي (١/ ٣٢٤)، وينظر: رحلة المرادي (ص٨٧).

وغيرها من الجبال المتبرك بها[١].

رابعًا: الموالد:

يقول العياشي: «ولم نزر في هذه المدة إلا الدار التي ولد فيها النبي ﷺ وقد اتخذت الآن مسجدًا ومزارًا عظيمًا، يجتمع إليه الوفود من كل جانب أيام المولد النبوي»[٢].

ويقول النابلسي: «وذهبنا لزيارة محل مولد النبي ﷺ...فوقفنا هناك ودعونا الله تعالى»[٣].

ويقول المرادي: «فأتينا دار عبد الله بن عبد المطلب، وصارت اليوم مزارًا كأحد المساجد، وفيها موضع...يقال: إنه مولد النبي ﷺ ووسطه منخفض شيئًا ما، كأنه صنع كذلك بيانًا للمحل يقصد، أو الناس يقصدون وسط الموضع للتبرك، فيكثرون من مسّه ومسحه حتى أثرت فيه الأيادي»[٤].

خامسًا: أثر قدمه ﷺ:

يقول العياشي: «إنه عند رأس قبر السلطان قايتباي[٥] حجر مبني عليه بناء حسن فيه أثر قدمين شاع عند الناس أنهما قدما النبي ﷺ، والناس يزورونها ويذكرون أنها من الذخائر التي ظفر بها السلطان قايتباي أيام سلطنته، فجعلت عند قبره رجاء بركتها»[٦].

وذكر النابلسي أنه تبرك بأثر قدمه ﷺ، وقال عند تبركه:

---

(١) ينظر: رحلة النابلسي (ص٤٠٢).

(٢) رحلة العياشي (١/ ٣٥٨).

(٣) رحلة النابلسي (ص٤٦٣).

(٤) رحلة المرادي (ص٩٨-٩٩).

(٥) هو الملك الأشرف قايتباي المحمودي الأشرفي الظاهري، أبو النصر سيف الدين: سلطان الديار المصرية، من ملوك الجراكسة، كان من المماليك وانتهى أمره إلى أن كان أتابك (قائد) العساكر في عهد الظاهر تمربغا سنة ٨٧٢ هـ، وخلع المماليك تمربغا في السنة نفسها، وبايعوا (قايتباي) بالسلطنة، فتلقب بالملك الأشرف، كان تابعًا لطريقة الصوفية في التقشف، وله اهتمام بالعمران، توفي بالقاهرة سنة ٩٠١هـ. ينظر: النجوم الزاهرة (١٦/ ٣٩٥)، بدائع الزهور في وقائع الدهور للحنفي (١/ ٣٩١، ٢/ ٥٩٣).

(٦) رحلة العياشي (١/ ٢٣٤).

قدم النبي بمصر جئنا نحوه — متبركين بنوره الفياض
حصلت به كل السعادة والمنى — للزائرين وسائر الأغراض
أثر شريف قد بدا في صخرة — من مسها يشفى من الأمراض[(١)]

وغيرها من الآثار المكانية المنسوبة للنبي ﷺ مما يتبرك به الرحالة[(٢)].

وبما سبق سرده من المسائل يظهر اهتمام الرحالة بالتبرك بالآثار المكانية للنبي ﷺ كالتي نزل بها، أو صلى فيها، اتفاقًا من غير قصد وغير ذلك.

وتبركهم كان في تتبعهم وقصدهم لها والصلاة والدعاء عندها، والتمسح والتقبيل لها، بل وتعدى ذلك إلى الاستشفاء بماء الآبار واستصحاب بعض مائها أو نباتها تبركًا.

والله تعالى لم يشرع للمسلمين مكانًا يقصد للصلاة إلا المسجد، ولا مكانا يقصد للعبادة إلا المشاعر، تُقصد بالذكر والدعاء والتكبير لا الصلاة، بخلاف المساجد، فإنها هي التي تقصد للصلاة، وما ثم مكان يقصد بعينه إلا المساجد والمشاعر، وما سوى ذلك من البقاع فإنه لا يستحب قصد بقعة بعينها للصلاة ولا الدعاء ولا الذكر؛ إذ لم يأت في شرع الله ورسوله ﷺ قصدها لذلك، وإن كان مسكنًا لنبي أو منزلاً له أو ممرًّا.

فإن الدين أصله متابعة النبي ﷺ وموافقته بفعل ما شرعه لنا، والاقتداء به في أفعاله التي شرع الاقتداء به فيها بخلاف ما كان من خصائصه.

فأما الفعل الذي لم يشرعه لنا، ولا أمرنا به، ولا فعله فعلاً سن لنا أن نتأسى به فيه، فهذا ليس من العبادات والقرب، فاتخاذ هذا قربة مخالفة له ﷺ[(٣)].

وعليه فإن المواضع التي صلى بها رسول ﷺ غير المسجد الحرام، والمسجد النبوي، ومسجد قباء، كبعض المساجد التي ذكرها الرحالة مما هو بمكة أو بالمدينة وما حولهما، المبنية على آثار رسول الله ﷺ، مما لم يقصده بذاته، وكذا المواضع -غير المشاعر- كمواضع صلاته

---

(١) رحلة النابلسي (ص٢٣٩-٢٤٠)، وينظر: (ص٢٥١، ٢٩٣).

(٢) ينظر: رحلة ابن مليح (ص٩١-١٠٠-١٠٤)، رحلة العياشي (١/ ٣٩٠، ٢/ ١٥١-١٧٦، ٤٢٢)، رحلة النابلسي (ص٣٩٥، ٤٦٠)، رحلة الكوازي (ص٢٤، ٤١)، وغيرها من المواضع.

(٣) ينظر: مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥/ ٩٨).

وجلوسه ونحو ذلك، والجبال، والآبار التي شرب منها -غير زمزم- أو اغتسل منها، فإنه لا يصح التبرك بها بأي صورة من صور التبرك.

ويمكن بيان ذلك من وجوه، منها:

الأول: أن التبرك عبادة، والعبادة توقيفية، ومبناها على الاتباع لا على الابتداع، ولم يرد دليل صحيح على جواز التبرك بتلك المواضع وقصدها للصلاة أو الدعاء.

فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها بحيث يخصها بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينًا ولا نوعًا، فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض سواء أكانت البقعة شجرة، أم قناة جارية، أم جبلاً، أم مغارة، وسواء قصدها ليصلي، أم ليدعو أم ليقرأ، أم ليذكر الله سبحانه، أم لينسك عندها[1].

الثاني: لم ينقل عن الصحابة ﭫ تبركهم بتحري الصلاة أو الدعاء ونحو ذلك، في الأماكن التي صلى فيها النبي ﷺ ونزل فيها اتفاقًا، لا في حياته ﷺ ولا بعد مماته، مع أنهم أعلم الناس بهذه الآثار المكانية، وأعلمهم بشرع الله، وأشدهم محبة لرسول الله ﷺ واتباعًا لسنته، ولو كان عندهم مستحبًا لكانوا أسبق إليه ﭫ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «فكل من كان عالمًا بحال رسول الله ﷺ وحال أصحابه ﭫ من بعده، يعلم أنهم لم يكونوا يقصدون شيئًا من هذه الأمكنة؛ فجبل حراء الذي كان رسول الله ﷺ يتعبد فيه قبل البعثة، لما أكرمه الله بنبوته ورسالته وفرض على الخلق الإيمان به وطاعته واتباعه، أقام بمكة بضع عشرة سنة هو ومن آمن به من المهاجرين الأولين، الذين هم أفضل الخلق، ولم يذهب هو ولا أحد من أصحابه إلى حراء، ثم هاجر إلى المدينة واعتمر أربع عمر، وكانت الرابعة مع حجة الوداع وحج معه جماهير المسلمين، لم يتخلف عن الحج معه إلا من شاء الله، وهو في ذلك كله لا هو ولا أحد من أصحابه يأتي غار حراء، ولا يزوره ولا شيئًا من البقاع التي حول مكة ثم بعده خلفاؤه الراشدون وغيرهم من السابقين الأولين لم يكونوا يسيرون إلى غار حراء، ولا الغار الذي بجبل ثور ونحوهما، للصلاة فيهما والدعاء، ولا بنى رسول الله ﷺ بمكة مسجدًا غير المسجد الحرام، بل تلك

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣١٤-٣١٥).

المساجد كلها محدثة كمسجد المولد وموضع بيعة العقبة، وسائر المساجد المبنية بمكة كالمساجد المبنية عند الجمرات ومسجد يقال له غار المرسلات فيه نزلت سورة المرسلات ونحو ذلك لم يشرع النبي ﷺ قصد شيء من هذه البقاع لصلاة ولا دعاء ولا غير ذلك.

فالمسجد الحرام هو المسجد الذي شرع لنا قصده للصلاة والدعاء والطواف وغير ذلك من العبادات، ولم يشرع لنا قصد مسجد بعينه بمكة سواه، ولا يصلح أن يجعل هناك مسجد يزاحمه في شيء من الأحكام، وما يفعله الرجل في مسجد من تلك المساجد من دعاء وصلاة وغير ذلك، إذا فعله في المسجد الحرام كان خيرًا، له بل هذا سنة مشروعة، وأما قصد مسجد غيره هناك تحرِّيًا لفضله فبدعة غير مشروعة.

وليس بالمدينة مسجد يشرع إتيانه إلا مسجد قباء، وأما سائر المساجد فلها حكم المساجد العامة ولم يخصها النبي ﷺ بإتيان؛ ولهذا كان الفقهاء من أهل المدينة لا يقصدون شيئا من تلك الأماكن إلا قباء خاصة»[1].

فما نقله الرحالة وفعله بعضهم عند هذه المواضع، من التبرك بها هو من البدع المحدثة، التي لا أصل لها في الشرع فلم يكن السلف يعدونها عبادة وقربة.

الثالث: نهي السلف عن هذا قولاً وفعلاً[2].

ومن ذلك ما ورد عن عمر الفاروق ﵁ لما رأى أقوامًا يبتدرون مسجدًا، فقال: ((ما هذا؟)) قالوا: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال: ((هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم، اتخذوا آثار أنبيائهم بِيَعًا، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل، ومن لم تعرض له الصلاة فليمضِ ولا يعتمدها))[3].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٢٤-٤٣٣) بتصرف يسير.

(٢) ينظر: البدع والنهي عنها لابن وضاح (١/ ٤٩).

(٣) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (١/ ٤٨-٤٩) واللفظ له، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٣٧٦). قال ابن تيمية: «كما ثبت بالإسناد الصحيح» مجموع الفتاوى (١/ ٢٨١)، وقال الألباني: «رواه سعيد بن منصور في سننه، وابن وضاح القرطبي في البدع والنهي عنها، بإسناد صحيح على شرط الشيخين». تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي (ص٥٠).

وعنه ﷺ أنه بلغه أن ناسًا يأتون الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ، فأمر بها فقطعت(١).

وكان عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– إذا أتى المسجد الأقصى يصلي فيه، ولا يأتي الصخرة، وكذلك غيره من السلف(٢).

ويذكر هذا العياشي بقوله: «ورد أن عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما– ارتحل إلى المسجد الأقصى فلما دخله لم يزد على أن صلّى فيه ركعتين ودعا ورجع من يومه، ولم يقف إلى صخرة ولا إلى غيرها من الآثار والمشاهد الكائنة هناك مع كثرتها؛ إذ لم يصح في الحديث إلا إتيانه للصلاة به، فاقتصر على ما صح عنده، ولم يعرج على غيره»(٣).

وقد كره الإمام مالك وغيره من علماء المدينة، إتيان تلك المساجد وتتبع آثار النبي ﷺ، ما عدا قباء وأحدًا(٤)(٥).

فلم يستحب علماء السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان تتبعَ تلك المساجد والمزارات، ولم يكن جمهورهم يقصدون الصلاة في مكان بعد المساجد الثلاثة إلا مسجد قباء؛ لأن النبي ﷺ لم يقصد مسجدًا بعينه يذهب إليه إلا هو، وقد كان بالمدينة مساجد كثيرة؛ لكن ليس في قصد مسجد دون أمثاله فضيلة(٦).

الرابع: أن العلة في النهي عن التبرك بهذه الآثار؛ حماية للتوحيد، وسدًّا لذريعة الشرك والغلو والفتنة، والتشبه بأهل الكتاب والوثنيين مما قد نُهينا عنه.

فالبقاع التي يعتقد لها خصيصة كائنة ما كانت، كالتي سار فيها رسول الله ﷺ أو نزل فيها فلا يجوز التبرك بها، وتعظيمها بأي نوع من التعظيم؛ بل ينبغي تجنب الصلاة فيها، وإن

---

(١) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (١/ ٤٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٣٧٥)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ١٠٠)، وقال ابن حجر: «عند ابن سعد بإسناد صحيح». فتح الباري (٧/ ٤٤٨). وقال الألباني: «رواه ابن وضاح، ورجال إسناده ثقات». تخريج أحاديث فضائل الشام (ص٥١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٣٦).

(٣) رحلة العياشي (١/ ٣٥٩-٣٦٠).

(٤) أي زيارة شهداء أحد والسلام عليهم، وقد نقل الشاطبي عن ابن وضاح القرطبي قوله: قباء وحده. ينظر: الاعتصام للشاطبي (١/ ٣٤٧).

(٥) ينظر: البدع والنهي عنها (١/ ٥٠).

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٦٩).

لم يقصد المصلي تعظيمها؛ لأن هذا وسيلة إلى تعظيم البقاع التي لم يشرع لنا تعظيمها، ووسيلة من وسائل الشرك، وما تتبع قوم آثار أنبيائهم إلا ضلوا وهلكوا[١].

الخامس: أن ما ورد في نسبة هذه الآثار للنبي ﷺ؛ إما صحيح كصلاته ﷺ في مسجد القبلتين وغير ذلك، ولكن ليس فيه ما يدل على مشروعية التبرك بهذه الآثار لما سبق من الأدلة، وإما ضعيف فلا تصح نسبة الأثر للنبي ﷺ، كموضع ولادته، فضلاً عن جواز التبرك به.

فالمؤرخون قد اختلفوا في تحديد موضع ولادة النبي ﷺ؛ لعدم وجود أدلة صحيحة تثبت ذلك، ويورد ذلك العياشي فيقول: «والعجب أنهم عينوا محلاً من الدار مقدار مضجع، وقالوا له: موضع ولادته ﷺ! ويبعد عندي كل البعد تعيين ذلك من طريق صحيح أو ضعيف؛ لما تقدم من الخلاف في كونه في مكة أو غيرها، وعلى القول بأنه فيها ففي أيّ شعابها؟ وعلى القول بتعيين هذا الشعب ففي أي الدور؟ وعلى القول بتعيين الدار فيبعد كل البعد تعيين الموضع من الدار، بعد مرور الأزمنة والأعصار، وانقطاع الآثار، والولادة وقعت في زمن الجاهلية، وليس هناك من يعتني بحفظ الأمكنة سيّما مع عدم تعلق غرض لهم بذلك، وبعد مجيء الإسلام فقد علم من حال الصحابة وتابعيهم، ضعف اعتنائهم بالتقييد بالأماكن التي لم يتعلّق بها عمل شرعي، لصرفهم اعتنائهم ﷺ لما هو أهم، من حفظ الشريعة، والذب عنها بالسنان واللسان، وكان ذلك هو السبب في خفاء كثير من الآثار الواقعة في الإسلام من مساجده عليه السلام ومواضع غزواته...مع وقوع ذلك في المشاهد الجليلة، فما بالك بما وقع في الجاهلية»[٢].

وكذلك ما يقول العياشي في تشكيكه لوجود أثر قدم رسول الله ﷺ على حجر: «أنّا لم نر من نص على أنه ظفر بشيء من هذه الآثار من المؤرخين، بل قد ذكر جماعة من حفاظ المحدثين أن ما استفاض واشتهر خصوصًا على ألسنة الشعراء والمداح من أن رجل النبي ﷺ غاصت في الحجر لا أصل له، ولم يذكر أحد من أن أثر الخليل عليه السلام موجود في غير

---

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣١٨-٣١٩)، هذه مفاهيمنا (ص٢٠٦).

(٢) رحلة العياشي (١/ ٣٥٨-٣٥٩) باختصار، ونقل ذلك عنه الورثيلاني (٢/ ٤٨٠).

حجر المقام، قلت: وبالمدينة المشرفة ومكة والقدس آثار يقال: إنها آثار النبي ﷺ من قدم ومرفق، والله أعلم بصحة ذلك»[١].

٢) التبرك بالآثار المكانية لغير النبي ﷺ:

وفي ذلك يقول العياشي: «ومما زرناه أيضًا مولد فاطمة رضي الله عنها، في دار خديجة رضي الله عنها...وزرنا أيضًا مولد علي رضي الله عنه، وزرنا أيضًا دار أبي بكر رضي الله عنه، وغالب هذه الأمكنة اتخذت مساجد ومزارات»[٢].

ويقول: «فطلعنا إلى جبل الرحمة[٣] حيث القبة المنسوبة لآدم عليه السلام، ووقفنا فيه ساعة ثم جئنا إلى الصخور التي قيل إنها موقفه عليه السلام، وليس به، فوقفنا بها ساعة، ولم نزل كذلك ننتقل من موضع إلى موضع رجاء بركة الواقفين حتى غابت الشمس»[٤].

ويقول النابلسي: «ثم ذهبنا إلى المكان المشهور بمقام الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وصلينا الضحى هناك ودعونا الله تعالى بما تيسر من الدعاء...وهو الموضع الذي رأى إبراهيم الكوكب الذي ذكره الله في كتابه، وهو معروف من قصده وصلى فيه ودعا أجاب الله دعاءه، فإن ذلك الجبل كان فيه لوط وجماعة من الأنبياء وآثارهم في مواضع الجبل»[٥].

ويقول في أبيات له:

وقد تبركنا بآثار بدت ... من قدم الخليل باليقين

---

(١) رحلة العياشي (١/ ٢٣٤)، والملاحظ أن العياشي مع علمه بعدم ثبوت تعيين هذه الأماكن، وإيراده خبر ابن عمر لما ارتحل إلى المسجد الأقصى فلم يقف إلى الصخرة ولا إلى غيرها من الآثار؛ إلا أنه تبرك بهذه المواضع، قال عمن تبرك ومن ترك: الكل إن شاء الله مصيب. ينظر: رحلة العياشي (١/ ٣٦٠).

(٢) رحلة العياشي (١/ ٣٥٩)، وينظر: (١/ ٣٠٤).

(٣) هو اسم جبل إلال أو عرفة، وهو قائم في أرض عرفات في وسط سهل حدها الشرقي، على بعد نحو ألف متر من مسجد نمرة، وتسميته بجبل الرحمة لم تعرف –حسب التتبع– إلا في أواخر القرن الرابع الهجري. ينظر: جبل إلال بعرفات، تحقيقات تاريخية شرعية لبكر أبو زيد (ص١٢–٣٠).

(٤) رحلة العياشي (١/٣١٩).

(٥) رحلة النابلسي (ص١٩).

في صخرة لانت لـــه لمـــا دعـــا   من فوقها كاللين في العجـــين[(١)]

ويقول أيضًا: «وقصدنا التبرك بآثار العلماء الصالحين، كما هو دأبنا في زيارة أماكن الصالحين التي كانوا يسكنونها في حال حياتهم أو يجلسون فيها، في البلاد التي كنا ندخلها كبيت المقدس وغيرها»[(٢)].

ويقول السويدي: «حجر يقال: إن إبراهيم الخليل عليه السلام كان يحلب غنمه عليها، وإن لها رائحة أزكى من المسك، بحيث يخشى الإنسان على نفسه من شدة الرائحة، وقد تبركت بها، وأخذت من ترابها ومسحت به وجهي ولحيتي وسائر بدني، والحمد لله على ذلك»[(٣)].

ويقول المرادي: «ذكر ما وقفنا عليه من الآثار التي بمكة المشرفة تزار: دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه فصليت في محرابها ما شاء الله وذكرت الله، وصليت على رسوله ﷺ...ثم جئنا دار خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- فتبركنا بها...»[(٤)].

ويقول: «وقد دخلت مسجد عمرو بن العاص رضي الله عنه، وصليت عند محراب عمرو تبركًا بآثار الصحابة رضي الله عنهم وتعرضًا لنفحات الله»[(٥)].

سبق بيان عدم مشروعية التبرك بآثار النبي ﷺ المكانية، فإذا لم يكن مشروعًا في حق صفوة الخلق وأشرف الأنبياء والمرسلين، الذي كانت بركته ذاتية، وله من خصائص التبرك في حياته ما له، فمن عداه لا يشرع في حقهم من باب أولى، فلا يجوز أن يتبرك بآثارهم ومواضع عبادتهم وجلوسهم[(٦)].

---

(١) المصدر السابق (ص١٢٣)، وينظر: (ص٢٠).

(٢) رحلة النابلسي (ص٢٢٤)، وينظر: (ص١١٦، ١١٨، ١٢٢، ١٢٥، ٤٠٨، ٤٨٤).

(٣) رحلة السويدي (ص١٣٨)، وينظر: (ص١٣٩).

(٤) رحلة المرادي (ص٩٧-٩٨).

(٥) المصدر السابق (ص١٨٩).

(٦) ينظر: التبرك للجديع (ص٣٨٤).

المسألة الثانية: التبرك بآثار الصالحين:

ومن أبرز صوره ما ذكره بعض الرحالة من التبرك بمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، فيقول النابلسي: «طلبنا زيارة المصحف العثماني...فأخرج لنا صندوقًا ففتحه، وإذا فيه مصحف الإمام عثمان وعليه أثر الدم في بعض الآيات فقبلناه وتبركنا به»(١).

ويقول عن جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه بمصر: «وفيه مصحفان، مصحف يقال: إنه بخط عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومصحف يقال: إنه بخط علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فزرناهما وتبركنا بهما ودعونا الله عندهما»(٢).

ويقول محمد باشا: «ويميل لزيارة المصحف العثماني...ولا يفتح هذا المصحف إلا عند حادث عظيم كحرب أو وباء فتجتمع العالم في الحرم...ويفتحون المصحف ويقرؤون فيه ما تيسر من القرآن»(٣).

وكذلك التبرك بملابس الصالحين وأدواتهم، يقول العياشي: «وفيها سلاح معلق يتبركون به؛ يزعمون أنه من سلاح الصحابة»(٤).

ويقول المكناسي: «ثم زرنا عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه...بوسط المدينة وقوسه معلق بها إلى الآن، وكذا قلنسوته ووضعتها على رأسي تبركًا»(٥).

ويتبين مما سبق التبرك بآثار الصالحين، وهو تبرك ممنوع، وذلك من وجوه، منها:

الأول: أن التبرك بالآثار، إنما كان يفعله الصحابة مع النبي ﷺ، ولم يفعلوه مع بعضهم لا في حياته ولا بعد مماته، ولم يفعله التابعون مع الصحابة رضي الله عنهم مع علو قدرهم.

الثاني: أن اقتصار الصحابة رضي الله عنهم على النبي ﷺ في التبرك بآثاره، يدل على أن هذا التبرك هو من خصائص النبي ﷺ، وهي بركة جعلها الله في نبيه ﷺ.

---

(١) رحلة النابلسي (ص٣٣).

(٢) رحلة النابلسي (ص٢٤٤)، وينظر: رحلة المكناسي (ص١٧٧)، رحلة المرادي (ص١٨٩).

(٣) مشعل المحمل في سفر الحج برًّا (ص ١٢٦)، وينظر: نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية (ص٤٥).

(٤) رحلة العياشي (٢/ ٤٨٤)، وينظر: (١/ ٢٣٤).

(٥) رحلة المكناسي (ص١٧٠).

فالتبرك بآثاره خاص به كغيره من خصائصه، فلا يقاس عليه غيره[١].

الثالث: أن في المنع عن ذلك سدًّا لذريعة الشرك؛ لأن جواز التبرك بآثار الصالحين يفضي إلى الغلو فيهم وتعظيمهم[٢].

المسألة الثالثة: التبرك بالقبور:

كان رسول الله ﷺ قد نهى عن زيارة القبور في أول الإسلام سدًّا للذريعة، وبعد أن تمكن التوحيد في قلوب الصحابة، أذن للرجال بزيارتها بقوله: ((نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها))[٣].

والقصد الشرعي من الزيارة إنما هو للاعتبار والدعاء للموتى مع السلام عليهم؛ كما فعل النبي ﷺ وعلَّم أصحابه ﷺ أن يفعلوه، وليست الزيارة للتبرك بالقبور.

وقد وقع من بعض الرحالة تبرك بالقبور، ويظهر ذلك واضحًا من عنوان رحلة المكناسي وهو: (إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب).

ويقول ابن مليح عن مشهد الحسين بن علي ﷺ: «والناس من الازدحام على هذا المشهد الكريم والإحداق به، والتبرك به...مالا يصفه الواصفون، ولكن اختصرت القليل من الكثير ووقفت موقف العجز والتقصير»[٤].

ويقول: «وبداخل هذا الباب روضة مالك بن سنان ﷺ، حامل راية النبي ﷺ، يتبرك الناس بزيارته والوقوف عند ضريحه ﷺ ونفعنا به آمين»[٥].

---

(١) ينظر: الاعتصام (٢/ ٩)، الحِكَم الجَدِيرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ: ((بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة)) لابن رجب (ص٤٦)، فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن (ص١٢١)، فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١/ ١٠٤).

(٢) ينظر: الاعتصام (٢/ ٩)، الحكم الجديرة بالإذاعة (ص ٢٤)، رسالة الشرك ومظاهره للميلي (ص١٤٨)، الدين الخالص للقنوجي (٢/ ٢٣٩)، فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١/ ١٠٤).

(٣) أخرجه مسلم كتاب: الجنائز، باب: استئذان النبي ﷺ ربه ﷺ في زيارة قبر أمه (٢/ ٦٧٢) ح(٩٧٧) عن بريدة ﷺ.

(٤) رحلة ابن مليح (ص٥٠).

(٥) المصدر السابق (ص١٠٢).

ويقول العياشي: «قبر يقال: إنه قبر عبد الله الطيب الطاهر، ولد سيدنا محمد ﷺ والناس يتبركون به»(١).

ويقول النابلسي في مقدمته: «لقد كنت فيما تقدم من الزمان أتمنى الاستيعاب في زيارة الصالحين من الأحياء والأموات...إلى أن هيأ الله لنا الأسباب...نزور الأولياء ونتبرك بقبور السادة الأصفياء»(٢).

ويقول السنوسي في مشهد أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: «وقد تبركت بزيارة مقامه»(٣).

ومن مظاهر هذا التبرك وصوره التي صرح بها الرحالة:

ما يقوله ابن مليح عن قبر أحد الأولياء، أن أهل البلدة التي فيها القبر وغيرهم: «يستشفون بتراب قبره، ويحمل لقضاء الحوائج، وكنت لما سمعت ذلك أخزن من تراب قبره شيئا وحملته معي لأجل التبرك إلى أن رجعت من فريضة الحج وبلغت المقصود والحمد لله...»(٤).

ويقول ابن مليح عن قبر أحدهم: «وقبره رضي الله عنه هنالك مشهور يتبرك الناس به، ويزورونه ويدعون عنده نفعنا الله به وبأمثاله ورزقنا رضاهم»(٥).

ويقول النابلسي: «ثم مررنا على قبر ضرار بن الأزور الصحابي...وضريحه عليه أنس ومهابة وجلالة وقبره ظاهر يزار ويتبرك به في محلّة الجذما»(٦).

ويقول عن مشهد الحسين رضي الله عنه: «وهذا المشهد يقصده الناس للزيارة والدعاء والتبرك والتماس الحوائج»(٧).

---

(١) رحلة العياشي (٢/ ١٧٥)، وينظر: (١/١٩٣، ٢٠٦، ٢٨٦، ٢٩٠).

(٢) رحلة النابلسي (ص٣).

(٣) رحلة السنوسي (٢/ ٦٤)، وينظر: (٢/ ٧٦).

(٤) رحلة ابن مليح (ص١٣-١٤).

(٥) المصدر السابق (ص١١٥).

(٦) رحلة النابلسي (ص١٤)، وينظر: (ص٤٤، ٥٥).

(٧) المصدر السابق (ص٥٣).

ويقول أيضًا: «وزرنا النبي ﷺ وكانت هذه الليلة تسمى عند أهل المدينة ليلة الكنيس؛ لأن في صبيحتها يكنسون الحرم الشريف، ورأينا بعض الناس من عادتهم أن من عليه دينا منهم يجمع شيئًا من حب القمح بمقدار ما عليه من الدين ويضعه في خرقة بيضاء ويعقدها ويرميها في داخل الحجرة الشريفة من الشباك المكرم، ويقولون: إن ذلك سبب لقضاء ما عليهم من الدين ببركة النبي ﷺ، وقد جربوا ذلك مرارًا حتى إن بعض من معنا من أصحابنا فعل ذلك تبركًا بالنبي ﷺ رجاء وفاء الدين فمن الله تعالى عليه بذلك»[١].

ويقول المرادي: «قبر نفيسة[٢]، وقبرها معروف مشهور، قيل: الدعاء عنده مستجاب،... لم يزل المصريون ممن أصابته مصيبة، أو لحقتهم فاقة يمضون إليه، فيدعون الله فيستجيب لهم فجرب ذلك عندهم...وقد كنت ولله الحمد حتى يرضى، أزور ضريح هذه السيدة الجليلة ضحوة كل سبت»[٣].

ويقول المكناسي عن قبر الصحابي أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: «وزرنا قبره المبارك، وتبركنا به رضي الله عنه ونفعنا به ولله الحمد»[٤].

ويقول: «قبر أبي أيوب رضي الله عنه معلوم إلى اليوم، معظم يستسقون به فيسقون»[٥].

ويقول أيضًا: «فبدأنا بتربة المجاهد الضرغام، صاحب الفتوحات والمغازي العظام، سيف الله أبي سليمان خالد ابن الوليد رضي الله عنه...فتبركنا بزيارته، ومشاهدة تربته»[٦].

ويقول الزياني: «وتوجهوا بنا إلى زيارة الشيخ أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه،...إلى أن فرغنا من الزيارة وتبركنا بمقامه وتربتها المباركة»[٧].

---

(١) رحلة النابلسي (ص ٤٣٠).

(٢) هي نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، القرشية الهاشمية، دخلت الديار المصرية مع زوجها إسحاق بن جعفر، فأقامت بها، وكانت ذات مال فأحسنت إلى الناس، وكانت عابدة زاهدة كثيرة الخير، قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها فيطلقون فيها عبارات بشعة مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك، توفيت بمصر سنة ٢٠٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٦)، البداية والنهاية (١٠/ ٢٨٦).

(٣) رحلة المرادي (ص١٩٩-٢٠١)، وينظر: (ص ١٨، ٥٤،١٢٧، ١٤٨، ١٩١).

(٤) رحلة المكناسي (ص٧٣).

(٥) المصدر السابق (ص٨٣).

(٦) المصدر السابق (١٦٠-١٦١)، وينظر: (ص٧٢، ١٣٦، ١٥٤، ١٧٨، ٣٣٠).

(٧) رحلة الزياني (ص١٠٠)، وينظر: رحلة العياشي (١/ ٧٩)، رحلة الورثيلاني (٢/ ٧٧١)، رحلة السويدي (ص ٤٨، ١٣٧، ١٩٨).

إن قبور الأنبياء والصالحين وغيرهم، ليس فيها شيء من البركة، فالتبرك بها محرم وبدعة منكرة من وجوه، منها:

الأول: أنه لا دليل من الكتاب والسنة يدل على مشروعية التبرك بالقبور، ولم ينقل عن سلف الأمة من الصحابة والتابعين أنهم فعلوا ذلك؛ بل كانوا ينهون عن مثل ذلك؛ كما نهاهم النبي ﷺ عن أسباب ذلك ودواعيه[(١)].

يقول ابن القيم -رحمه الله-: «فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحا لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علمًا لذلك، ودعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التي خلفت بعدهم، وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير، وهم متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعاه ولا دعا به ولا دعا عنده، ولا استشفى به ولا استسقى به ولا استنصر به، ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله؛ بل على نقل ما هو دونه ومثل هذا مما لا يشرعه الله ورسوله ﷺ ألبتة؛ بل استحباب الدعاء عندها شرع عبادة لم يشرعها الله ولم يترل بها سلطانا، وقد أنكر الصحابة ما هو دون هذا بكثير»[(٢)].

الثاني: أن قصد الصلاة عند قبور الأنبياء أو الصالحين تبركًا بالصلاة في تلك البقعة، هو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «عين المحادة لله ورسوله ﷺ، والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن الله به؛ فالمسلمون قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ، من أن الصلاة عند أي قبر كان لا فضل فيها ولا مزية خير بل مزية شر»[(٣)].

الثالث: أن الدعاء عند القبور، ينقسم إلى نوعين:

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٢٩)، اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٦٩).

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ٢٠٤).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٣٤)، وينظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ١٢٧).

أحدهما: أن يحصل الدعاء في البقعة بحكم الاتفاق، كمن يدعو الله في طريقه، ويتفق أن يمر بالقبور، أو من يزورها فيسلم عليها، ويسأل الله العافية له وللموتى، فهذا ونحوه لا بأس به.

الثاني: أن يتحرى الدعاء عندها، بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه في غيره، فهذا منهي عنه؛ إما نهيَ تحريم أو تنزيه، وهو إلى التحريم أقرب، والفرق بين البابين ظاهر(١).

الرابع: أن الاستشفاء بالقبور، واعتقاد حصول الشفاء ببركة تراب القبر مخالف للنقل والعقل، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧]، بل هو شرك وبدعة؛ لأنه إثبات تأثير شيء لم ينزل الله به سلطانًا، والله تعالى لم يجعل تربة القبور سببًا للشفاء، ولم يكن من عادة السلف الصالح أن يفعلوا مثل هذا التبرك، فيكون من هذه الناحية بدعة أيضًا، وإذا اعتقد المتبرك أن لصاحب القبر تأثيرًا أو قدرة على دفع الضرر أو جلب النفع كان ذلك شركًا أكبر(٢).

يقول الشيخ حافظ الحكمي(٣) -رحمه الله-: «واستعمالهم لتربة القبور على أنواع؛ فمنهم من يأخذها ويمسح بها جلده، ومنهم من يتمرغ على القبر تمرغ الدابة، ومنهم من يغتسل بها مع الماء، ومنهم من يشربها وغير ذلك، وهذا كله ناشئ عن اعتقادهم في صاحب ذلك القبر أنه ينفع ويضر، حتى عدوا ذلك الاعتقاد فيه إلى تربته فزعموا أن فيها شفاء وبركة لدفنه فيها، حتى إن منهم من يعتقد في تراب بقعة لم يدفن ذلك الولي بزعمه بل قيل له: إن جنازته قد وضعت في ذلك المكان، وهذا وغيره من تلاعب الشيطان بأهل هذه العصور زيادة على ما تلاعب بمن قبلهم نسأل الله العافية»(٤).

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٣٦-٣٣٧) بتصرف يسير، وينظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٣٠، ١٨٠-١٨١).

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/ ٢٤٩).

(٣) هو حافظ بن أحمد بن علي بن أحمد الحكمي، علامة سلفي، ولد ونشأ وتعلم في جيزان جنوب المملكة من مؤلفاته: (سلم الوصول إلى علم الأصول) أرجوزة، و(معارج القبول) شرح لها، و(أعلام السنة المنشورة)، توفي سنة ١٣٧٧هـ. ينظر: الأعلام (٢/ ١٥٩).

(٤) معارج القبول (٢/ ٤٩٨-٤٩٩).

الخامس: أن التبرك بالقبور من أقرب وسائل الشرك، وأوسع أبوابه، وقد سدهما النبي ﷺ، بل دعا ربه بقوله: ((اللهم لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))(١).

فربما تدرج بهم تبركهم بالقبور، من اعتقاد البركة عند هذه القبور إلى تعظيم أصحابها -المقبورين- فتبركهم إن لم يكن شركًا فهو وسيلة إليه.

المسألة الرابعة: التبرك الزماني الممنوع:

اتفق العلماء من السلف الصالح على أن تعظيم أزمنة معينة، وتخصيصها بالعبادة والاحتفال بها كالاحتفال بما يعرف بليلة المولد النبوي، وليلة الإسراء والمعراج، وغيرها من المواسم غير الشرعية، تبركًا بزمانها أمر محدث مبتدع في الدين.

ومن صور التبرك الزماني الممنوع الواردة في كتب الرحلات -محل الدراسة-:

- الاحتفال بليلة المولد النبوي:

يقول العياشي في وصف الاحتفال بتلك الليلة: «لما استهل ربيع النبوي نظف الحرم وفرش...ولما قربت ليلة المولد الشريف وهي الثانية عشر، بولغ في تنظيفه وتزيينه، وغسلت مصابيحه...فإذا كان بعد صلاة العصر من اليوم الحادي عشر أخذ القناديل الكبار وصفت في صحن المسجد...ووضعت الشموع الغليظة الصافية اللون في وسط تلك القناديل...، فإذا صليت المغرب أوقدت المصابيح كلها وأخذ الناس في الاجتماع، فإذا صليت العشاء جلس الأمراء في الفراش المعدة لهم كل في مرتبته، وجلس الشعراء أمامهم والمنشدون وضربت خيمة قريبة من باب النساء، ووضعت فيها أنواع الأشربة الحلوة، فإذا امتلأ المسجد وغص بأهله وجلس كل واحد في موضعه قام المنشدون فينشدون من غرر القصائد في مدح النبي ﷺ ما انتخبوه وأعدوه لذلك الموضع بألحان عجيبة، وبإزائهم جماعة يردون عليهم بأصوات حسنة، فيجيء السقاؤون بأنواع الأشربة الحلوة فيسقون الأمراء ثم المنشدين، ومن معهم من أتباعهم ثم سائر الناس، ثم يؤتى بأنواع الرياحين والأزهار ثم تفرق على الحاضرين،

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (١٢/ ٣١٤) ح(٧٣٥٨)، والبزار في مسنده (١٦/ ٤٨) ح(٩٠٨٧) عن أبي هريرة ﷺ. وصححه الألباني. ينظر: غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (ص ٩٨) ح(١٢٥).

ثم يؤتى بأطباق من اللوز والسكر وأنواع الحلاوي فتفرق أيضًا، وينثر ما بقي منها على عامة الناس، ولا يزالون كذلك حتى يمضي من الليل ما شاء الله، النصف أو قريبًا منه وهذه الليلة من الليالي الغر المسترخص شراؤها بباقي العمر، لولا ما شأنها من كثرة النساء في المسجد...»(١).

- الاحتفال بمولد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ﷺعم النبي ﷺ:

يقول العياشي: «ولأهل المدينة موسم كبير في شهر رجب يحتفلون فيه لزيارة حمزة والشهداء ﷺ، يأتي الناس إليه من أقطار الحجاز من مكة واليمن والطائف، فيحشر هناك خلائق لا يحصون يقاربون ما يجتمع في موسم الحج ويخرج أهل المدينة بأولادهم ونسائهم...، ويخرج أمراء المدينة وعسكرها، وتنتصب الأسواق العظيمة هنالك يخرجون من أوائل رجب، ويتلاحق الناس كل على قدر حاله فيتكامل خروجهم في اليوم الثاني عشر، وهو اليوم المشهود عندهم ويوم الزينة، فلا يبقى في المدينة إلا أهل الأعذار ومن شاكلهم، ويحصل هنالك في تلك الليلة من أنواع اللهو والطرب واللعب...ويبيت الناس طول ليلتهم ويومهم في القراءة...ويوقد هنالك من الشمع شيء كثير»(٢).

- الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج:

يقول العياشي: «وبعد الرجوع من أحد نزل الوافدون بالمدينة ينتظرون الرجبية وهي ليلة سبع وعشرين منه ليلة المعراج وقدم خلق كثير من الأعراب، وكانت بالمدينة سوق عظيمة، وامتلأ المسجد وجوانبه فما من يوم إلا ويزداد الخلق فيه كثرة...فإذا كانت ليلة السابعة والعشرون تكامل حسن الناس، فمن لم يدخل المسجد من قريب العصر قلما يجد موضعًا لصلاة المغرب والعشاء، فيغص المسجد بمن فيه ويفتح الحرم طول الليل، ويبيت الناس في ذكر وقراءة وصلاة كل على حسب ما يسنح له إلى الصباح...»(٣).

---

(١) رحلة العياشي (١/ ٤٣٦-٤٣٧)، وينظر: (١/ ٥٤، ٣٥٨)، رحلة ابن مليح (ص٢٣)، رحلة النابلسي (ص١٠٦، ١٣٣، ٣٦٣)، رحلة المكناسي (ص١٠١-١٠٤)، رحلة السنوسي (٢/ ٣٢٤).

(٢) رحلة العياشي (١/ ٣٩٧)، وينظر: رحلة الورثيلاني (٢/ ٥٥٤-٥٥٥)، رحلة النابلسي (ص٤٠١).

(٣) رحلة العياشي (١/ ٤٦٥)، وينظر: (٢/ ١٣٥)، رحلة المكناسي (ص١٣٥).

إن كل ما سبق من أنواع الاحتفالات لا يمكن أن يكون من الدين في شيء على الإطلاق، ومما يدل على ذلك:

١- أن الاحتفال بهذه الأزمنة وتخصيصها بنوع من العبادات التماسًا لبركتها؛ ليس له أصل من كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، ولم يؤثر عن أحد من السلف الصالح أصحاب القرون الثلاثة المفضلة(١).

فاتخاذ موسم غير المواسم الشرعية كبعض ليالي شهر ربيع الأول، التي يقال: إنها ليلة المولد، أو بعض ليالي رجب أو غيرها؛ فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف ولم يفعلوها والله ﷻ أعلم(٢).

وينكر الزياني هذا فيقول: «هل فعل رسول الله ﷺ لحمزة عمه سيد الشهداء موسمًا، وهل فعل سيد هذه الأمة أبي بكر لسيد الأرسال صلوات الله عليه موسمًا...»(٣).

٢- اختلاف المؤرخين في تعيين هذه الليالي -كليلة المولد والإسراء والمعراج- على أقوال متعددة(٤)، فلو كان الاحتفال مشروعًا لعيّن الصحابة ﷺ تلك الليالي واعتنوا بها، ولكانت معلومة مشهورة.

٣- لو ثبت تعيين هذه الليالي فإن تخصيصها بنوع عبادة، والاحتفال بها طلبًا لبركتها، واتخاذ ذلك قربة وتعبدًا لله، بدعة في الدين؛ لأن العبادات توقيفية لا بد فيها من دليل شرعي.

فتخصيص يوم من الأيام وتمييزه عن غيره بشيء من الطاعات أمر توقيفي، إنما يصار في معرفته إلى الشريعة، ولم تخصص الشريعة يومًا من الأيام باتخاذه عيدًا للإسلام سوى يومي العيدين عيد الفطر وعيد النحر، وما يتبعه من أيام التشريق الثلاثة، وسوى العيد النبي وهو يوم الجمعة، فإنه عيد الأسبوع، وليس للمسلمين أن يتخذوا عيدًا سوى هذه الأيام،

---

(١) ينظر: المورد في عمل المولد للفاكهاني (ص٢٠-٢١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٩٨).

(٣) رحلة الزياني (ص٤٦٧).

(٤) ينظر: فتح الباري (٧/ ٢٠٣)، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب (ص٩٣، ٩٥).

«فاتخاذ الذكريات والموالد أعيادًا حدث في الإسلام منكر مستكره لم يشرعه الله، وليس من دينه في شيء»[١].

٤- لو كان الاحتفال بهذه الأزمنة من الدين لبيّنه رسول الله ﷺ؛ فقد أكمل الله به الدين قال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣] ولسارع إليه السلف الصالح؛ فإنهم كانوا أحرص الناس على الخير أخذًا به وسبقًا إليه؛ لكن لم يؤثر عنهم شيء من ذلك أصلاً، ولا خير في هدي لم يكن من هديهم، فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال ﷺ: ((أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن ولي عليكم عبد حبشي؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة))[٢].

٥- أن الاحتفال بالأزمنة المرتبطة بالحوادث واتخاذها عيدًا، فيه تشبه بأهل الكتاب في ابتداعهم باتخاذ أزمنة أحوال المسيح عليه السلام مواسم للعبادة، وكذا اليهود[٣].

فمن خص أزمنة معينة من عنده بعبادات، كان من جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمان أحوال المسيح عليه السلام مواسم وعبادات، كيوم الميلاد، ويوم التعميد[٤]، وغير ذلك من أحواله[٥].

---

(١) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣/ ٥١).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة (٢/ ٦١٠) ح(٤٦٠٧) واللفظ له، والترمذي كتاب: العلم عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٥/ ٤٤) ح(٢٦٧٦)، وقال: «هذا حديث صحيح»، وابن ماجه كتاب: الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (١/ ١٦) ح(٤٣)، وأحمد بن حنبل (٢٨/ ٣٦٧) ح(١٧١٤٢)، وصححه الألباني. ينظر: السلسلة الصحيحة (٢/ ٦١٠) ح(٩٣٧).

(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٩٤)، مجموع فتاوى ابن باز (١/ ١٨٥).

(٤) صفة المعمودية عند النصارى: أن الذي يريد أن يدخل في دينهم أو التائب منه تتقدم الأقسَّة منه فيمنعونه من اللحم والخمر أيامًا، ثم يعلمونه اعتقادهم وإيمانهم، فإذا تعلم ذلك اجتمع له القسيسون فتكلم بعقيدة إيمانهم أمامهم، ثم يغطسونه في ماء يغمره وهي تعبِّر عن إماتة الذنوب وقتلها، وهذا التعميد لم يجر له في التوراة ذكر، ولم يشرع الله قط لموسى، لكن كتب النصارى في الإنجيل أن يحيى عمد عيسى بوادي الأردن فخرج منه روح القدس كالحمامة على الماء، وزعمت النصارى أيضًا أن عيسى قال للحواريين: إذا مررتم بالأجناس فعمدوهم على اسم الأب والابن والروح القدس» ينظر: الإعلام بما في دين النصارى للقرطبي (١/ ٤٠٣).

(٥) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٥٩) بتصرف يسير.

٦- أن غالب هذه الاحتفالات مع كونها بدعة لا تخلو من أمور منكرة تخل بأصل الدين فضلاً عما سواه، ففي هذه الموالد يترنم أصحابها بالمدائح النبوية التي في غالبها الإطراء للنبي ﷺ المنهي عنه؛ لقوله ﷺ: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله))[1]، بل بعضها يتضمن الشرك الصريح، وذلك بالغلو في رسول الله ﷺ بدعائه وطلب المدد منه، واعتقاد أنه يعلم الغيب وغير ذلك.

وكذلك ما يحصل فيها من الاختلاط بين الرجال والنساء، واشتماله على أنواع عظيمة من البذخ والتبذير وإضاعة الأموال، إلى غير ذلك من المنكرات.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: الأنبياء، باب: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ [مريم: ١٦] (٣/ ١٢٧١) ح(٣٢٦١) عن عمر بن الخطاب ﷺ.

المبحث السادس

البناء على القبور وإسراجها والصلاة فيها والنذر والذبح لها

لقد نهى رسول الله ﷺ عن الشرك وحذر منه، وسد كل الذرائع الموصلة إليه، ومن أهم وسائل الشرك وأخطرها تعظيم القبور، والتعلق والافتتان بها.

وقد ذكر كثير من الرحالة جملة من البدع المحدثة المتعلقة بالقبور، منها شد الرحال لقبر النبي ﷺ، ويجدر تقديمها بالدراسة؛ لأوليَّتها وسبقها لباقي البدع:

شد الرحال لقبر النبي ﷺ:

سبق بيان حرمة شد الرحال بقصد التعبد إلى أي بقعة من بقاع الأرض غير المساجد الثلاثة، وذلك في مبحث التبرك؛ إلا أن بعض الرحالة خالف في هذا، خصوصًا فيما يتعلق بقبر النبي ﷺ، ويمكن عرض هذه المخالفات من خلال ما يلي:

ما عنونه ابن مليح لرحلته: (أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب وسيد الأعاجم والأعارب)؛ إذ فيه تصريح بشد الرحال.

وقال العياشي:

هنيئًا لقلبي هذه دار سيدي ... دنت فدنت كل مسرة من يدِ
وقد كنت من أقصى الغرب أطلب وقفة ... من الله قبل الموت في خير مشهد
وأرجو وصالاً مذ سنين كثيرة ... فها أنا ذا أرجوه في اليوم أو غد [(1)]

وقال النابلسي في مقدمته: «لقد كنت فيما تقدم من الزمان، مع جملة من الأصحاب والإخوان، أتمنى الاستيعاب في زيارة الصالحين من الأحياء والأموات...ويكون ختم ذلك بالحج الشريف، وزيارة النبي ﷺ في ذلك البلد المنيف»[(2)].

وقال كذلك: «واتفق لنا خمسة أعياد في هذه السنة، عاد فيها السرور لنا وتكرر الفرح، عيدان معهودان شرعًا عيد الفطر وعيد الأضحى، وثلاثة أعياد غير معهودة شرعًا: زيارتنا للنبي ﷺ فقد ورد فيها الثواب الجزيل والجزاء العظيم الجليل...عن ابن عمر رضي الله

---

(١) رحلة العياشي (١/ ٣٦٩)، وينظر: رحلة الورثيلاني (١/ ٤٦).
(٢) رحلة النابلسي (ص٣)، وينظر: (ص٥).

عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((من زار قبري وجبت له شفاعتي))[(١)]...وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: ((من حج قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي))[(٢)]...»[(٣)].

وقال الورثيلاني: «فينبغي أن ينوي بسفره رضا الله تعالى، وأن يشغل نفسه بالتوجه إلى الله وإلى بيته ومواجهة نبيه ﷺ، ومواجهة أصحابه وآله وعترته، ومواجهة أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام»[(٤)].

ويقول في ذكره لعدد من قبور الأولياء: «ومنهم الولي المشهور...قبره مزار معلوم لدى الخاصة والعامة يقصده الزوار من بعد»[(٥)].

إن زيارة قبر النبي ﷺ مع شد الرحال لا تخلو من ثلاثة أحوال:

الأولى: أن تكون بقصد المسجد النبوي فقط، فهذه مشروعة؛ لأن المسجد النبوي مستثنى من النهي عن شد الرحال، ولفضيلة الصلاة فيه عن غيره من المساجد بألف صلاة إلا المسجد الحرام.

---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه كتاب: الحج، باب: المواقيت (٢/ ٢٧٨) ح(١٩٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥١) ح(٣٨٦٢)، وأشار ابن خزيمة إلى تضعيفه. ينظر: المقاصد الحسنة (ص ٦٤٧)، وقال ابن عبد الهادي: « هذا حديث غير صحيح ولا ثابت، بل هو حديث منكر عند أئمة هذا الشأن، ضعيف الإسناد عندهم، لا يقوم بمثله حجة ولا يعتمد على مثله عند الاحتجاج إلا الضعفاء في هذا العلم، وقد بين أئمة هذا العلم والراسخون فيه والمعتمد على كلامهم والمرجوع إلى أقوالهم ضعف هذا الخبر ونكارته» الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص٢١).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٣٥١) ح(٣٣٧٦)، والدارقطني في سننه كتاب الحج، باب: المواقيت (٢/ ٢٧٨) ح(١٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب: الحج، باب: زيارة قبر النبي ﷺ (٥/ ٢٤٦) ح(١٠٠٥٤)، وقال ابن عبد الهادي: «الحديث منكر جدًّا» الصارم المنكي (ص ٦٣)، وقال الألباني: «موضوع» السلسلة الضعيفة (١/ ١٢٠) ح(٤٧).

(٣) رحلة النابلسي (ص٣٧٢).

(٤) رحلة الورثيلاني (١/٤٦).

(٥) المصدر السابق (١/٥٩).

الثانية: أن تكون بقصد المسجد النبوي وزيارة قبر النبي ﷺ معًا، فهذه مشروعة؛ إذ الأصل هو المسجد ويدخل القبر تبعًا.

الثالثة: أن تكون بقصد زيارة قبر النبي ﷺ فقط، فهذه قد وقع الخلاف فيها، والصحيح أنها غير مشروعة؛ لنهي النبي ﷺ عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة[١].

وأما ما أورده النابلسي من أحاديث على جواز شد الرحال لزيارة قبر النبي ﷺ، فهي أحاديث ضعيفة، بل موضوعة، لا يعتمد على شيء منها في الدين، فليست في كتب المسلمين المعتمدة، ولا نقلها إمام من أئمتهم[٢].

ولو كان شيء من هذه الأحاديث ثابتًا، لكان الصحابة أسبق الناس للعمل به، وبيانه والدعوة إليه؛ لأنهم أعلم بشرع الله، وأنصحهم لله ولخلقه، فلما لم يُنقل عنهم شيء من ذلك دل ذلك على أنه غير مشروع[٣]، وإذا لم يشرع شد الرحال لقبر الرسول ﷺ فشد الرحال لقبر غيره أولى بالمنع.

أما البناء على القبور وإسراجها والصلاة فيها والنذر والذبح لها، وما يلحق بها من محدثات، فقد ظهر جليًّا في كلام كثير من الرحالة.

فمن ذلك ما قاله ابن مليح: «رأس مولانا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو تابوت مغشي بالحديد قد بني عليه بنيان محتفل، يقصر الوصف عنه ويقصر الطرف فيه، ولا يحيط الإدراك به، مجلل بأنواع الديباج، محفوف بعقائل من شمع أبيض موضوعة في قواعد فضة، وصفف أعلاه بأمثال التفافيح ذهب في مصنع شبيه الروضة، يقيد الأبصار حسنا وجمالا، فيه من الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع، مالا يتخيله المتخيلون، ولا يلحق أدنى وصفه الواصفون، والمدخل إلى هذه الروضة المباركة على مسجد في الحسن

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٤٢-٣٤٣)، الرد على الأخنائي (ص٤٠٠)، الصارم المنكي (ص٥٨)، فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٦/ ١٢٦).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٦/ ١٤٩)، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢/ ١٤٣)، الرد على الأخنائي (ص٢٥٢-٢٥٤).

(٣) ينظر: التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة لابن باز (ص١٠٤).

والغرابة...وتحت هذه القبة الضريح المبارك، بساطها مرمر من بديع الاتساق، وقف فيه الحسن على ساق، وشبابيك العود البديع التخريم مكوكب بمسامير الفضة والذهب...وأستار الديباج البديعة السياج، وعقائل من شمع قائمة على قواعد من ذهب وفضه، تبهر العيون جمالا، وتضاهي البدور كمالا»[١].

وقال: «روضة سيد الشهداء سيدنا حمزة بن عبد المطلب ﷺ، عم النبي ﷺ وصنو أبيه، وعليه بناء عظيم، وهو ﷺ وأرضاه مدفون في قبة»[٢].

وقال العياشي في زيارته لأحد القبور: «قمنا بزيارته وقراءة ما تيسر من القرآن عند قبره، والمبالغة في الدعاء»[٣].

وقال: «فزرنا قبر خليل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام وقبور بنيه الكرام، سيدنا إسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام، وقبور أزواجهم، والقبور كلها في مغارة تحت أرض المسجد وفي المغارة طاقه مفتوحة في وسط المسجد، مثل البئر قد علقت فيها مصابيح توقد ليلا ونهارا، وفي أرض المسجد شبابيك على شكل القبور مغطاة بستور من ديباج، في مقابلة قبور الأنبياء التي في المغارة، إلا قبر يوسف عليه السلام فإنه في آخر المسجد في ركنه الغربي في محل يغلق عليه ولا يفتح إلا في أوقات مخصوصة...فقد صار ذلك المحل مسجدا تقام فيه الجمعة والجماعات على مر الأعصار، والعلماء الأخيار يفدون عليه ويسمونه في تأليفهم وأسمعتهم مسجدا»[٤].

وقال في زيارته لبعض القبور: «ودعونا الله عند كل مشهد بما نرجو قبوله، لنا ولإخواننا ولأحبابنا الذين خلفناهم ببلادنا...»[٥].

---

(١) رحلة ابن مليح (ص٥٠-٥٣).

(٢) المصدر السابق (ص١٠٦).

(٣) رحلة العياشي (١/ ١٩٣)، وينظر: (١/ ١١٢،١٢٧، ١٤٣، ١٤٥، ١٥٨، ١٨٨، ١٨٩، ٢٠٠، ٢٣٤، ٣١٥، ٣٧٦، ٢/ ٥٣٩).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٤٥٧).

(٥) المصدر السابق (١/٣٧٥).

وقال: «قبر الإمام...محمد بن إدريس الشافعي ﷺ، وعليه بناء عظيم ومسجد...وهو من المشاهد الكريمة والمآثر العظيمة، له أوقاف كثيرة، ويتخذ عند قبره في كل ليلة سبت مولد، يجتمع فيه ناس كثيرون يضيق بهم المسجد وأفنيته، مابين فقراء وأمراء ورجال ونساء، يبيتون طول الليل بين ذكر بجماعة وقراءة قرآن وصلاة لا يفترون...»(١).

وقال: «جرت عادة أهل المدينة شرفها الله، بزيارة قبر سيدنا حمزة ﷺ، كل يوم خميس...ولا أعلم لاختيار الزيارة في الخميس سببًا؛ إلا أن يكون ما ورد أن الأموات يعلمون بزائرهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده، فلما كان يوم الجمعة يضيق المشي فيه بسبب الاشتغال بمقدمات الصلاة وزيارة البقيع، ويوم السبت لزيارة قباء لم يبق إلا يوم الخميس»(٢).

وقال: «فإن عادة النساء بمصر يخرجن ليلة العيد ويومه إلى المقابر ويبقين هنالك برهة من الزمان، وتلك عادة مذمومة فما بالك بيوم عيد...»(٣).

وقال الورثيلاني عن زيارته لأحد الأضرحة: «هذا ولما زرنا الشيخ وسألنا الله حوائجنا الدينية والدنيوية»(٤).

وقال عن أحد القبور: «وهو مشهور يزار وعليه مسجد»(٥).

وقال: «ثم إني لم أهمل الأموات، وإني قصدت جميعهم في كل وطن مشيته، وكل بلد أتيته، إلا أن قسنطينة، كل مسجد فيها من مساجد الصلاة إلا وفيه شيخ وليّ صالح دفن في المسجد وينسب إليه، ويقال مسجد فلان...»(٦).

---

(١) رحلة العياشي (١/٢٦١)، وينظر: (١/٢٦٢)، ونقل ذلك عنه الورثيلاني (١/٣٢٩).

(٢) رحلة العياشي (١/ ٣٩٦)، وينظر: (١/٣١٢، ٤٣٩، ٢/١٧٥)، ونقل ذلك عنه الورثيلاني (٢/ ٤٧٧).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٣٥).

(٤) رحلة الورثيلاني (١/٢٢)، وينظر: (١/٢٠٣).

(٥) المصدر السابق (١/١٣٥)، وينظر: (١/١٦٣، ٢٠٧، ٢١٩).

(٦) المصدر السابق (٢/ ٨٠٠).

أما النابلسي فقال: «وأول ما شرعنا في زيارة رأس السيد الحصور عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بالجامع الأموي، جوار دارنا فوقفنا بالحضور، وشرعنا في قراءة الفاتحة والدعاء عند ذلك المقام المشهور»[(١)].

وقال: «ثم ذهبنا إلى زيارة وحشي الصحابي المشهور، وثوبان مولى رسول الله ﷺ الصحابي المشهور أيضًا رضي الله عنهما، فأتينا إلى جامع كبير...وهما في قبر يُرى من داخل ذلك الجامع المذكور أحدهما بجانب الآخر...فوقفنا عند قبرهما وقرأنا لهما الفاتحة ودعونا الله تعالى بما تيسر لنا من الدعاء...ثم ذهبنا فزرنا قبر أبي موسى الأشعري، الصحابي المشهور في مسجد صغير هناك على حسب ما يقال: إنه مدفون فيه، فقرأنا له الفاتحة ودعونا الله تعالى...ثم مررنا على قبر هناك، يقال: إنه قبر عبد الله بن مسعود الصحابي ﷺ فقرأنا له الفاتحة»[(٢)]. وهكذا عادته في كل رحلته تقريبًا لكل ضريح يزوره يفعل كذا.

وقال عن أحد الأضرحة: «له موسم يقصده الناس وينفقون الأموال الجزيلة، ويقرؤون عند قبره الورد الشريف»، وأضاف أن الناس يزورنه وينذرون له النذور[(٣)].

وقال عن قبر أحد الأولياء: «أخبرنا بعضهم أن أناسا ذهبوا إلى مزاره وذبحوا رأس غنم...»[(٤)].

وأورد حين زار قبر عمر بن عبد العزيز[(٥)] أبيات لأحد الشعراء ومنها:

ولـــو أني رأيـــت قـــبرك لاســـتحييت مـــن أن أرى ولا حييتـــك
وقليل أن لو بـــذلت دمـــاء البـــدن ضـــربا علـــى الـــذرى وســـقيتك[(٦)]

---

(١) رحلة النابلسي (ص٦)، وينظر: (ص٧، ١٤، ٢١، ٢٧، ٢٤٥).

(٢) المصدر السابق (ص٣٦-٣٨).

(٣) المصدر السابق (ص١٤٣)، وينظر: (ص١٥، ١٨، ٦٥، ١٤٥، ٢٩٩).

(٤) المصدر السابق (ص١٦٣).

(٥) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي المدني ثم المصري، أبو حفص، الخليفة الزاهد، الإمام الراشد، وطابت مدة خلافته وكانت سنتين ونصف السنة، توفي سنة ١٠١هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤)، شذرات الذهب (١/ ١١٩).

(٦) رحلة النابلسي (ص٣٦).

وقال المرادي: «فسلكنا بمشقة إلى ضريح مولانا إدريس بن إدريس[١] الذي لا يبقى في قلب قاصده تدنيس، ولا في قالبه تدليس، ولا في ذهنه تلبيس، فأدينا سنة القدوم من السفر في مسجده المصحوب بالظفر، وعطفنا على زيارة ضريحه المظفر...وسألنا من المولى خير العاجل والآجل المديد الموفر...»[٢].

وقال عن مشهد الصحابي أبي لبابة الأنصاري ﷺ: «فكنت أكثر الترلاء إليه فقرأت عند ضريحه ما شاء الله من القرآن...وهو في قيد جيدها داخل مسجد يدخل إليها منه»[٣].

وقال المكناسي: «وقبر أبي أيوب خارج عن المدينة وعليه عمارة كثيرة، وقد توجهنا إلى زيارته مرارا، فنركب البحر في زورق، فدخلنا مدفنه المبارك فإذا قبة حافة مشتملة على ذخائر من الأواني الفضية والحسك العظام لوقد الشمع، وزرنا قبره المبارك وتبركنا به ﷺ ونفعنا به ولله الحمد، وبإزائه مسجد تقام فيه الجمعة»[٤].

وقال الزياني: «ومشهد الإمام علي ﷺ، وعليه مدينة عظيمة حسنة عامرة الأسواق، وأهلها كلهم روافض، يزعمون أن قبره بها، وتربته عليها قبة عظيمة مفروشة بأنواع البسط، وستور من ديباج، وقناديل ذهب لإيقاد الشمع...وخزائن معمورة بما يأتي من جميع النذور من كل بلد...»[٥].

وقال السويدي: «وهو مشهد ولي من أولياء الله تعالى، على قبره قبة صغيرة»[٦].

وقال محمد صادق باشا: «وتوجهت إلى شباك التوبة، وهو الشباك المتوسط بين شباكين من نحاس منقوش كالشباك ومكتوب عليها آيات قرآنية، وذلك الشباك مواجه للقبر

---

(١) هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، أفلت من وقعة فخ، ومعه مولى يقال له: راشد، لحق بمصر نازحًا إلى المغرب، واجتمع عليه البرابرة بالمغرب فبايعوه وقاموا بأمره، توفي سنة ١٧٥هـ، ودفن بوليلى. ينظر: مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني (ص١٢٩)، تاريخ ابن خلدون (٤/ ١١). ومدينة وليلى تقع بين موضع فاس ومكناسة بجانب جبل زرهون. ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (١/ ١٤٧).

(٢) رحلة المرادي (ص٣٣٥)، وينظر: (ص٨٠، ١١٨-١١٩).

(٣) المصدر السابق (ص٢٦).

(٤) رحلة المكناسي (ص٧٢)، وينظر: (ص٧٦، ٨٢، ٨٧، ٩٠، ٩١، ١٣٦، ١٤١).

(٥) رحلة الزياني (ص١٨٤).

(٦) رحلة السويدي (ص٧٨).

الشريف، يقفون أمامه للزيارة وهو من ضمن باب الحجرة النبوية...وهذا الشباك ثلاث طاقات مستديرة في اتساع اليد، يرى من الأولى الكوكب الدري المعلق على ستر المقام الشريف من داخل الحجرة على علو ذراع من الأرض، وهو قطعة من حجر ألماس كبير كبيضة الحمامة في وزن اثنين وتسعين قيراطًا، وبأسفلها فص من زمرد كبير مثمن، وهما في شبكة من الذهب معلقان بالمواجهة الشريفة، ومن تحتهما فجوة صغيرة مستورة بستائر المقام، يوضع فيها تراب الصندل في السابع عشر من ذي القعدة الحرام في كل عام، وعند دوران الحول تقتسمه الأغوات ويعطون منه الزوار بقصد التبرك»(١).

ويقول: «والسنة لداخل مكة الغُسل إن تيسر وإلا فالوضوء...فيزور عن يساره ضريح السيدة خديجة أول زوجات المصطفى ﷺ وأول من آمن به على الإطلاق رضي الله تعالى عنها، ويزور عن يمينه ضريح السيدة آمنة أم الرسول عليه السلام وبعدهما قبتان؛ إحداهما: مبنية على السيد عبد المطلب، وأبيه هاشم جدي الرسول ﷺ، والثانية: مبنية على ضريح عمه أبي طالب الذي هو أبو الإمام علي رضي الله عنه»(٢).

ويقول السنوسي: «وخرج بنا المزورون إلى المقبرة خارج البلد، وفي مبدئها قبة منسوبة لأمنا حواء، يقولون: إنها على مدفن رأسها»(٣).

وما سبق عرضه مما أورده الرحالة، وما تضمنه من بدع كله ضلال ولا شك، يوضحه ما يلي:

أولاً: بناء المساجد على القبور مما اتفق الأئمة(٤) على عدم جوازه؛ بل جميع الأمة ينهون عن ذلك، متابعة للأحاديث، وخالف هذا الاتفاق بعض من لا يحتج بقوله في ذلك.

فقد جاءت الأحاديث الصحيحة الصريحة متضافرة على تحريم بناء المساجد على القبور؛ وذلك لما يفضي إليه من الشرك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزل رسول الله ﷺ

---

(١) نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية لمحمد صادق باشا (ص٤٣).

(٢) مشعل المحمل لمحمد صادق باشا (ص١٠٠-١٠١)، وينظر: نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية له (ص٤٧).

(٣) رحلة السنوسي (٢/ ١٦١)، وينظر: (٢/ ٢٤٧).

(٤) ينظر: الآثار لمحمد ابن الحسن (٢/ ١٩٠)، الأم (١/ ٢٧٨)، التمهيد (١/ ١٦٨)، المهذب للشيرازي (١/ ١٣٩)، الكافي في فقه ابن حنبل (١/ ٢٧٠)، مجموع الفتاوى (٢٢/ ١٩٤، ٢٤/ ٣١٨، ٢٧/ ٧٧، ٤٨٨-٤٨٩).

طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال -وهو كذلك-: ((لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، يحذر ما صنعوا(١)، وعن ابن عباس ﷺ قال: ((لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج))(٢)، وعن جابر ﷺ قال: ((نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه))(٣).

فبناء المساجد على القبور حرام بل كبيرة من الكبائر للّعن الوارد في الأحاديث، وبدعة محدثة؛ فإنه لم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام، ولم يكن قد أحدث مشهد لا على قبر نبي ولا صالح أصلاً؛ بل عامة هذه المشاهد محدثة بعد ذلك، كان ظهورها وانتشارها حين ضعفت الدولة العباسية، وتفرقت الأمة، وكثر فيهم الزنادقة الملبسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع(٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «ولهذا لما لم يكن بناء المساجد على القبور التي تسمى (المشاهد) وتعظيمها من دين المسلمين؛ بل من دين المشركين؛ لم يحفظ ذلك فإن الله

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل (٣/ ١٢٧٣) ح(٣٢٦٧)، ومسلم كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهى عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهى عن اتخاذ القبور مساجد (١/ ٣٧٧) ح(٥٣١).

(٢) أخرجه أبو داود كتاب: الجنائز، باب: في زيارة النساء القبور (٢/ ٢٣٨) ح(٣٢٣٦)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب: الجنائز، باب: التغليظ في اتخاذ السرج على القبور (١/ ٦٥٧) ح(٢١٧٠)، وفي المجتبى كتاب: الجنائز، باب: التغليظ في اتخاذ السرج على القبور (٤/ ٩٤) ح(٢٠٤٣)، الترمذي أبواب الصلاة، باب: ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا (٢/ ١٣٦) ح(٣٢٠)، وأحمد (٣/ ٤٧١) ح(٢٠٣٠)، والبغوي في شرح السنة (٢/ ٤١٦) ح(٥١٠)، من طريق أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقد اختلف المحدثون في تعيين أبي صالح، أهو باذان أم مهران؟، والجمهور على أنه باذان. ينظر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير (٢/ ٣١٣).

والحديث حسنه الترمذي والبغوي في شرح السنة (٢/ ٤١٦) ح(٥١٠)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٥١)، والسيوطي في الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص١١٣)، والألباني وقال: «إلا اتخاذ السرج فإنه منكر» تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص ٥٢).

(٣) أخرجه مسلم كتاب: الجنائز، باب: النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه (٢/ ٦٦٧) ح(٩٧٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٦٦).

ضمن لنا: أن يحفظ الذكر الذي أنزله كما قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]، فما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة محفوظ، وأما أمر المشاهد فغير محفوظ؛ بل عامة القبور التي بنيت عليها المساجد إما مشكوك فيها، وإما متيقن كذبها»[١].

ثانيًا: بناء القباب والزوايا والمقامات على القبور أمر محدث كذلك، بل هو من شر المحدثات، واتفق على هذا الناس، سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة ﷺ إلى هذا الوقت[٢]، وقد جاءت النصوص بالنهي عن ذلك وأمرت بإزالته، منها:

عن أبي الهياج الأسدي[٣] قال: قال لي علي بن أبي طالب ﷺ: ((ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته))[٤]، وعن جابر ﷺ قال: ((نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه))[٥].

ثالثًا: إسراج القبور حرام باتفاق العلماء، وكبيرة من الكبائر لِورود لَعْن فاعله، فعن ابن عباس —رضي الله عنهما– قال: ((لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج))[٦].

ولو كان أمرًا مباحًا لم يلعن النبي ﷺ من فعله؛ ولأن فيه تضييعًا للمال في غير فائدة، ووسيلة إلى تعظيم القبور وجعلها نصبًا يوفض إليه المشركون، يشبه تعظيم الأصنام[٧].

رابعًا: وضع الستور على القبور بدعة منكرة باتفاق الأئمة، لم تكن موجودة في عهد رسول الله ﷺ، ولا في عهد الصحابة والتابعين، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أخذت

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٦٩-١٧٠).
(٢) ينظر: شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص ٨).
(٣) هو حيان بن حصين أبو الهياج الأسدي الكوفي تابعي ثقة، روى له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي. ينظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٢٢٣)، تهذيب الكمال للمزي (٧/ ٤٧١)، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي (١/ ٣٥٩)، تقريب التهذيب لابن حجر (ص١٨٤).
(٤) أخرجه مسلم كتاب: الجنائز، باب: الأمر بتسوية القبر (٢/ ٦٦٦) ح(٩٦٩).
(٥) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٠٩].
(٦) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٠٩].
(٧) ينظر: المغني (٢/ ٣٨٢)، مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٠٠-٣٠١، ٢٧/ ١٤٧)، إغاثة اللهفان (١/ ١٨٨، ١٩٧، ٢١٩)، زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٥٢٥)، الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص ١١٣)، الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (١/ ٢٤٤، ٢٧٢).

نمطا فسترته على الباب، فلما قدم فرأى النمط عرفت الكراهية في وجهه، فجذبه حتى هتكه أو قطعه، وقال: ((إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين))[١].

فمَنَع رسول الله ﷺ من ستر حيطان بيوت الأحياء، فالمنع من ستر قبور الأموات من باب أولى؛ ولما فيه من العبث وصرف المال في غير غرض شرعي، بل إنه وسيلة من وسائل الشرك المفضية إلى تعظيم القبور[٢].

يقول الصنعاني الأمير[٣]: «فإن هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد، وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه، غالب -بل كل- من يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة، إما على قريب لهم أو على من يحسنون الظن فيه من فاضل أو عالم أو صوفي أو فقير أو شيخ أو كبير، ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الأموات من دون توسل به، ولا هتف باسمه بل يدعون له ويستغفرون، حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم فيأتي من بعدهم فيجدون قبرًا قد شيد عليه البناء، وسرجت عليه الشموع، وفرش بالفراش الفاخر، وأرخيت عليه الستور، وألقيت عليه الأوراد والزهور، فيعتقد أن ذلك لنفع أو لدفع ضر، ويأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل، وأنزل بفلان الضرر وبفلان النفع، حتى يغرسوا في جبلته كل باطل؛ ولهذا الأمر ثبت في الأحاديث النبوية اللعن على من أسرج على القبور، وكتب عليها وبنى عليها، وأحاديث ذلك واسعة معروفة، فإن ذلك في نفسه منهيٌّ عنه، ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه، وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتا فيه صورة ولا كلب (٣/ ١٦٦٦) ح(٢١٠٧).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ٨٦)، اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٨٢)، كشاف القناع (٢/ ١٣٩)، الإبداع في مضار الابتداع (ص١٨١-١٨٢)، فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١/ ١٤٣).

(٣) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف بالأمير، عالم مجتهد، من مؤلفاته: (سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني)، و(توضيح الأفكار، شرح تنقيح الأنظار)، توفي سنة١١٨٢هـ. ينظر: البدر الطالع للشوكاني (٢/ ١٣٣)، الأعلام (٦/ ٣٨-٣٩).

(٤) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للصنعاني (ص٢٥-٢٦).

خامسًا: قراءة القرآن على القبور بدعة محدثة، فلم يقل أحد من علماء السلف بأنها مستحبة، بل جمهورهم على أنها حرام، فقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن ذلك مما لا أصل له في الشرع؛ بل الأحاديث في صفة زيارة القبور، تشعر بعدم مشروعيتها(١).

فلم يثبت عن رسول الله ﷺ أنه قرأ سورة من القرآن للأموات، ولو كان ذلك مشروعًا لفعله ﷺ، ولبينه لأصحابه ﷺ، فقد ثبت عنه ﷺ أنه كان يزور القبور ويدعو للأموات بأدعية علمها أصحابه وتعلموها منه، من ذلك: ((السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية))(٢)(٣).

سادسًا: الدعاء عند القبر قد يكون للميت أو لغيره، يقول ابن عثيمين(٤) -رحمه الله-: «أما الدعاء للميت عند قبره فلا بأس به، فيقف الإنسان عند القبر ويدعو له بما يتيسر، مثل أن يقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، وما أشبه ذلك.

وأما دعاء الإنسان لنفسه عند القبر فهذا إذا قصده الإنسان فهو من البدع أيضًا؛ لأنه لا يخصص مكان للدعاء إلا إذا ورد به النص؛ وإذا لم يرد به النص، ولم تأت به السنة فإنه -أعني تخصيص مكان للدعاء- أيًا كان ذلك المكان يكون تخصيصه بدعة»(٥).

سابعًا: النذر هو إلزام مكلف مختار نفسه بالقول، عبادة لله تعالى غير لازمة له بأصل الشرع(٦)، ويدل على كونه عبادة قول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣١٧)، اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٧٩)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٦٥-٤٦٦)، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٤٦)، أحكام الجنائز للألباني (ص ١٩١).

(٢) أخرجه مسلم كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٢/ ٦٧١) ح(٩٧٥) عن بريدة ﷺ.

(٣) ينظر: البدع والمحدثات وما لا أصل له، جمع: حمود المطر (ص٣٤٦- ٣٥٢).

(٤) هو محمد بن صالح بن محمد العثيمين التميمي، أبو عبد الله، العالم الفقيه، قرأ القرآن على يد جده لأمه عبد الرحمن الدامغ، تولى إمامة وخطابة الجامع الكبير بعنيزة، بعد وفاة شيخه عبد الرحمن السعدي، ودرس في الحرمين الشريفين، وكان عضوًا في هيئة كبار العلماء، من مؤلفاته: (القول المفيد في شرح كتاب التوحيد)، و(القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى)، توفي سنة١٤٢١هـ. ينظر: الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين لعصام المري (ص١٧، ١٩، ٢٣، ٣٩٣).

(٥) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/ ٣١٠).

(٦) ينظر: الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل للحجاوي (٤/ ٣٥٧)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج للشربيني (٤/ ٣٥٤)، شرح منتهى الإرادات للبهوتي (٣/ ٤٧٢)، الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب

﴿٧﴾ [الإنسان: ٧]، فمدح الله تعالى الموفين بالنذر، وهو تعالى لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب، أو ترك محرم، وذلك هو العبادة، فالنذر عبادة، لا يجوز صرفها إلا لله، فمن نذر لغيره متقربًا إليه فقد أشرك[(١)].

فالنذر للقبور أو لأحد من أهل القبور، لاشك في تحريمه، بل لا خلاف بين من يعتد به من علماء المسلمين أنه من الشرك الاعتقادي؛ لأن الناذر لم ينذر هذا النذر لغير الله إلاَّ لاعتقاده في المنذور له أنه يضر وينفع، ويعطي ويمنع، إما بطبعه، وإما بقوة السببية فيه، ويجلب الخير والبركة ويدفع الشر والعسرة، ولا يجوز الوفاء بهذا النذر؛ لحديث النبي ﷺ: ((من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه))[(٢)(٣)].

ثامنًا: التقرب بالذبح عبادة، فلا تصرف إلا لله وحده، قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾[الكوثر: ٢]، وقال ﷺ: ((لعن الله من ذبح لغير الله))[(٤)]، فالذبح لغير الله كأصحاب القبور وغيرهم، شرك أكبر مخرج من الملة[(٥)].

أما الذبح لله عند القبور فبدعة محرمة، ووسيلة من وسائل الشرك[(٦)]، فعن ثابت بن الضحاك ﷺ قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة[(٧)]، فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة، فقال النبي ﷺ: ((هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية

الإمام مالك للدرديري (٢/ ٢٤٩)، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب (ص٢٨٠).

(١) ينظر: تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٥٤).

(٢) أخرجه البخاري كتاب: الأيمان والنذور، باب: النذر في الطاعة (٦/ ٢٤٦٣) ح(٦٣١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٤٦، ٣٥/ ٢٥٣)، التوضيح عن توحيد الخلاق (ص٢٨٢)، سبل السلام للصنعاني (٢/ ٥٥٨).

(٤) أخرجه مسلم كتاب: الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله (٣/ ١٥٦٧) ح(١٩٧٨) عن علي بن أبي طالب ﷺ.

(٥) ينظر: شرح السنة للبربهاري (٣١/١)، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي (٧٩/١)، الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني (ص٧٥-٧٦).

(٦) ينظر: المغني (١١/ ٣٥٣)، المجموع شرح المهذب للنووي (٥/ ٣٢٠)، المدخل لابن الحاج (٣/ ٢٦٧).

(٧) «بوانة بضم الباء وقيل بفتحها: هضبة من وراء ينبع» النهاية في غريب الحديث (٤٣٠/١)، وقال الصنعاني: «موضع بالشام، وقيل أسفل مكة دون يلملم» سبل السلام شرح بلوغ المرام (٣٧١/٤).

يعبد؟)) قالوا : لا، قال: ((هل كان فيها عيد من أعيادهم؟)) قالوا : لا، قال رسول الله ﷺ: ((أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم))[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: «لا يشرع لأحد أن يذبح الأضحية ولا غيرها عند القبور، بل ولا يشرع شيء من العبادات الأصلية كالصلاة والصيام والصدقة عند القبور، فمن ظن أن التضحية عند القبور مستحبة وأنها أفضل: فهو جاهل ضال مخالف لإجماع المسلمين...فيجب الإخلاص والصلاة والنسك لله، وإن لم يقصد العبد الذبح عند القبر؛ لكن الشريعة سدت الذريعة كما نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقت طلوع الشمس، ووقت غروبها؛ لأنه حينئذ يسجد لها الكفار، وإن كان المصلي لله لم يقصد ذلك»[(٢)].

تاسعًا: تخصيص يوم لزيارة القبور كيوم العيد ويوم الجمعة، واتخاذها عيدًا، بدعة محدثة فقد نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ قبره عيدًا منبهًا به على غيره[(٣)]، قال ﷺ: ((لا تجعلوا قبري عيدا))[(٤)]، والشرع لم يحدد يومًا معينًا لزيارة القبور، بل تزار في أي وقت تيسر للزائر من ليل أو نهار.

وأما ما ذكره العياشي من أن الأموات يعلمون بزائرهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده[(٥)]، فلم يثبت ذلك بدليل صحيح، فتخصيص معرفته للزائر بيوم الجمعة لا وجه له[(١)].

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب: الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر (٣/ ٢٣٦) ح(٣٣١٥)، وصححه الألباني. ينظر: تحقيق مشكاة المصابيح (٢/٢٨٢) ح(٣٤٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/٤٩٥، ٤٩٦)، وينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص١٨٨).

(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٢١)، إغاثة اللهفان (١/ ١٩١)، فيض القدير للمناوي (٤/ ٢٦٣).

(٤) أخرجه أبو داود كتاب: المناسك، باب: زيارة القبور (١/ ٦٢٢) ح(٢٠٤٢)، وأحمد بلفظ: ((لا تتخذوا)) (١٤/ ٤٠٣) ح(٨٨٠٤) عن أبي هريرة ﷺ. والحديث حسنه ابن تيمية في الرد على الإخنائي (١/ ٢٦٦)، وابن عبد الهادي في الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص٣٠٨)، وابن حجر في هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة كما قال في المقدمة (١/ ٤١٦)، والسخاوي في القول البديع (ص١٦١)، والألباني في هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة (١/ ٤١٦).

(٥) روي عن محمد بن واسع أنه قال: ((بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده))، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٨) ح(٩٣٠١). وممن ذكر ذلك من أهل: ابن القيم في زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤١٦)، والروح (ص ٦)، والسيوطي في شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص٢٠٢)، والسمهودي في وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (٤/ ٢٢٢)، والحطاب الرعيني في مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل (٣/ ٥١).

عاشرًا: زيارة النساء للمقابر اختلف أهل العلم في حكمها، والراجح تحريمها، وأنها من الكبائر؛ لحديث: ((لعن رسول الله ﷺزائرات القبور))[٢]؛ وسدًا لذريعة ما قد يترتب على زيارتهن من المفاسد كالنياحة والجزع، وافتتان الرجال بها، وليس في زيارتهن من المصلحة ما يعارض هذه المفاسد وأشباهها، فليس في زيارتهن إلا دعاؤهن للميت واعتبارهن به وذلك ممكن في بيوتهن، فمنعهن من الزيارة من محاسن الشريعة[٣].

---

(١) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة المجموعة الأولى (٩/ ١٠٧، ١٠٩، ١١٢)، ومجموع فتاوى ابن باز (١٣/ ٣٣٦-٣٣٧)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٦/ ١٢)، ومجموع فتاوى لصالح الفوزان (٢/ ٦٢٤)، بحث أحكام زيارة القبور بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية العدد الخامس والثمانون لفهد العمري (ص ٢٨٦-٢٨٧).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٠٩].

(٣) ينظر: المدخل لابن الحاج (١/ ٢٦٧، ٢٨٦)، مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٤٤-٣٥٦، ٣٦٠-٣٦٣)، حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (٩/ ٤٤-٤٥)، تيسير العزيز الحميد (ص٢٩١)، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص٥٩٨)، مجموع فتاوى ابن باز (٥/ ٣٣٢)، القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٢٨-٤٣٤)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٧/ ٢٠١).

الفصل الرابع

سائر أصول الإيمان

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني: الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الرابع: الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الأول

الإيمان بالملائكة

ويشتمل على المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: تعريف الملائكة والأدلة على الإيمان بهم.

المطلب الثاني: المسائل في الإيمان بالملائكة وتقويمها.

المطلب الأول: تعريف الملائكة والأدلة على الإيمان بهم:

تعريف الملائكة:

لغة: جمع مَلَك، وأصله ملأك، على وزن مَفْعَل، فخفف بنقل حركة الهمزة فيه إلى الساكن قبله، وحذف الألف، وهو مشتق من الألوكة، وهي الرسالة؛ وسميت الملائكة بهذا لأنها رسل الله إلى خلقه(١).

واصطلاحًا: خلق من خلق الله، خلقهم من نور، وطبعهم على طاعته، فهم عباد الله المكرمون، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، ولهم صفات وأعمال وكلوا بها خاصة، ولا يعلم عددهم إلا الله(٢).

والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، وحقيقته جزء من الإيمان بالغيب الذي أُمر العبد بالإيمان به، والإيمان بالملائكة يتضمن أمورًا هي:

- الإيمان بوجودهم، فقد ورد ذكر الملائكة كثيرًا في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.
- الإيمان بما عُلم اسمه كجبريل عليه السلام، ومن لم يُعلم اسمه فالإيمان بهم إجمالاً، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].
- الإيمان بما عُلم من صفاتهم، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [فاطر: ١].
- الإيمان بما عُلم من أعمالهم، قال ﷺ: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر))(٣)(٤).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٤٤٧)، معجم مقاييس اللغة (١/ ١٣٢-١٣٣)، المصباح المنير (١/ ١٩)، الصحاح (٤/ ١٦١١)، فتح الباري (٦/ ٣٠٦).

(٢) ينظر: إغاثة اللهفان (٢/ ١٢٥-١٣١)، فيض القدير (٤/ ٨)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٤٧)، معارج القبول (٢/ ٦٥٦).

(٣) أخرجه البخاري كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر (١/ ٢٠٣) ح(٥٣٠)، ومسلم كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (١/ ٤٣٩) ح(٦٣٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/٣٠٢-٣٠٨)، شعب الإيمان للبيهقي (١/ ١٦٣-١٦٦)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٧٩-٢٨١)، الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي (ص٩-١٠).

المطلب الثاني: المسائل في الإيمان بالملائكة وتقويمها:

المسألة الأولى: قدرة الملائكة على التشكل:

يقول النابلسي في ذكره لمناقب الصحابي دحيه الكلبي ﷺ: «كان جبريل ﷺ يأتي النبي ﷺ في صورته»[١].

لقد منح الله الملائكة القدرة على التشكل فيظهرون في صور مختلفة، يراهم البشر عليها[٢]؛ فقد صح مجيء جبريل ﷺ على صورة الصحابي دحية الكلبي ﷺ[٣]، وكان رجلاً جميلاً، ويضرب به المثل في حسن الصورة[٤].

المسألة الثانية: هل يرى الملائكة ربهم؟:

يقول العياشي في ذكر الفوائد التي انتقاها من كتاب (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي: «قال عز الدين بن عبد السلام[٥] في (القواعد الصغرى): إن الملائكة لا يرون ربهم»[٦].

هذه المسألة لم يرد فيها نص صحيح صريح، والظاهر -والله تعالى أعلم- أن الملائكة لا يرون ربهم في الدنيا؛ وذلك لعموم قوله ﷺ: ((حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))[٧][٨].

---

(١) رحلة النابلسي (ص٣٢).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/ ١٢٦)، فتح الباري (١/ ٢١)، الحبائك (ص٢٦١-٢٦٣).

(٣) جاء ذلك عند البخاري كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي وأول ما نزل (٤/ ١٩٠٥) ح(٤٦٩٥)، ومسلم كتاب: فضائل الصحابة ﷺ، باب: من فضائل أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها (٤/ ١٩٠٦) ح(٢٤٥١) عن أسامة بن زيد ﷺ.

(٤) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٣٨٥).

(٥) هو عبد العزيز عز الدين بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن المهذب السلمي الدمشقي، الشافعي، الملقب بسلطان العلماء، ولد ونشأ في دمشق، تفقه ودرس وأفتى وصنف، وبرع في المذهب، وبلغ رتبة الاجتهاد، ثم ولي القضاء بمصر، من مؤلفاته: (بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ)، و(قواعد الأحكام في إصلاح الأنام)، توفي بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٢٠٩-٢١٥)، فوات الوفيات (٢/ ٣٥٠).

(٦) رحلة العياشي (٢/٩٤).

(٧) أخرجه مسلم كتاب: الإيمان، باب: في قوله ﷺ: ((إن الله لا ينام))، وفي قوله: ((حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)) (١/ ١٦١) ح(١٧٩) عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٨) ينظر: دقائق التفسير لابن تيمية (٢/ ٤٨٣)، فتح الباري (١٣/ ٤٣١).

أما في الآخرة فقد اختلف أهل العلم في ذلك، فذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى أنهم لا يرونه؛ وأضاف: «فإن قيل: لعل الملائكة يرون ربهم كما يراه الأبرار، قلت: يمنع منه عموم قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقد استثني منه المؤمنون فبقي على عمومه في الملائكة الأبرار»[١].

وذهب طائفة من أهل العلم إلى أن الملائكة يرون ربهم يوم القيامة[٢]، والله تعالى أعلم.

المسألة الثالثة: المفاضلة بين البشر والملائكة:

يقول العياشي في ذكر الفوائد التي انتقاها من كتاب (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي: «وقال –السبكي الأب– البشر أفضل من الملك، ولكن لا يجب على المكلف اعتقاد ذلك، ولو لقي المكلف الله ساذجًا من هذه المسألة لم يبال»[٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– عن هذه المسألة: «وكنت أحسب أن القول فيها محدث حتى رأيتها أثرية سلفية صحابية، فانبعثت الهمة إلى تحقيق القول فيها»[٤].

فقد تكلم فيها الناس قديمًا وحديثًا، وتعددت أقوالهم فيها، وخلاصتها ثلاثة:

الأول: تفضيل الملائكة على البشر مطلقًا، وهو قول المعتزلة[٥]، والصوفية وبعض أهل السنة والأشاعرة[٦].

الثاني: تفضيل صالحي البشر على الملائكة، وهو المشهور من مذهب أهل السنة[٧]، ومن وافقهم من الأشاعرة[٨].

---

(١) القواعد الصغرى للعز بن عبد السلام (ص١٥٢).

(٢) ينظر: الإبانة للأشعري (ص٥٣)، الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (ص١٥٣)، الحبائك (ص٢٦٥)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (١٠/ ٤١٠)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٤٩)، مطالب أولي النهى للرحيباني (١/ ٦٤٣).

(٣) رحلة العياشي (٢/١٢٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٥٧).

(٥) ينظر: مقالات الإسلاميين (ص٤٣٩)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (٢/ ٤٤٠).

(٦) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٨١).

(٧) ينظر: صيد الخاطر لابن الجوزي (ص٨٨)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٨١)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٩٨).

(٨) ينظر: المواقف للإيجي (٣/ ٤٥٣).

الثالث: التوقف وعدم القطع فيها بقول[1].

وتحقيق القول في ذلك ما ذكره ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: «إن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية؛ فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير صالحو البشر أكمل من حال الملائكة»[2]، ثم استدل على هذا بأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف[3].

وهذه المسألة هي كما نقله العياشي عن تاج الدين السبكي، من فضول المسائل فلا يتوقف عليها أصل من أصول العقائد[4].

يقول ابن أبي العز -رحمه الله-: «وكنت ترددت في الكلام على هذه المسألة، لقلة ثمرتها، وأنها قريب مما لا يعني...وحملني على بسط الكلام هنا؛ أن بعض الجاهلين يسيئون الأدب بقولهم: كان الملك خادمًا للنبي ﷺ! أو: أن بعض الملائكة خدام بني آدم!! يعنون الملائكة الموكلين بالبشر، ونحو ذلك من الألفاظ المخالفة للشرع، المجانبة للأدب، والتفضيل إذا كان على وجه التنقص أو الحمية والعصبية للجنس لا شك في رده»[5].

---

(١) ينظر: شعب الإيمان (١/ ١٨١)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٨٢)، فتح القدير (٣/ ٢٤٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٤٣).

(٣) ينظر: المصدر السابق (٤/ ٣٥٠-٣٩٢).

(٤) ينظر: شعب الإيمان (١/ ١٨١).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٨١-٢٨٢).

المبحث الثاني

الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام

ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف الإيمان بالرسل وأدلته.

المطلب الثاني: المسائل الواردة في الأنبياء والرسل وتقويمها.

المطلب الثالث: المسائل الواردة في نبينا محمد ﷺ وتقويمها.

المطلب الرابع: المسائل الواردة في كرامات الأولياء وتقويمها.

المطلب الأول: تعريف الإيمان بالرسل وأدلته:

الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، بل لا يتحقق الإيمان بالله ﷻ بدون الإيمان بالأنبياء عليهم السلام، فالإيمان بهم هو الطريق إلى الإيمان بالله تعالى.

ومعنى الإيمان بهم: هو التصديق الجازم بأن لله رسلاً رجالاً من البشر؛ لقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١]، فاصطفاهم الله واختارهم بغير اكتساب منهم ولا اجتهاد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣]، وبعثهم بالتوحيد يدعون أقوامهم إليه وينهونهم عن الشرك، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وأنهم بلّغوا ما أمروا به، وأيدهم الله بالآيات الدالة على صدقهم، وأنهم أتقياء بررة، بلّغوا الأمانة، وأدوا الرسالة، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. أولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ ختم الله به النبوة والرسالة، وجعلها عامة لجميع الأمم، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨].

والإيمان بالرسل يتضمن أمورًا منها:

الأول: الإيمان بجميع الرسل، وبجميع ما أنزل إليهم، فمن آمن ببعض وكفر ببعض، أو آمن ببعض ما أنزل الله إليهم وكفر ببعض فهو كافر، فلا تفريق بالإيمان بالرسل ولا تبعيض ولا اختلاف، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٠ — ١٥٢].

الثاني: الإيمان بكل من سمى الله من الأنبياء، مثل: محمد وإبراهيم وموسى، وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام، وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً، صلى الله عليهم

وعلى آلهم وأتباعهم، حيث نعتقد أن الله بعث في كل أمة نذيرًا: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤].

الثالث: الإيمان بما صح من أخبار الرسل.

الرابع: العمل بشريعة الرسول الذي أرسل إلينا وهو أفضلهم وخاتمهم محمد ﷺ[١].

---

(١) ينظر: تعظيم قدر الصلاة للمروزي (١/ ٣٩٣)، المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٣٧-٢٣٨)، شعب الإيمان (١/ ٢٧٩)، مجموع الفتاوى (٧/ ٣١٣، ١٢/ ١١)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم لابن رجب (١/ ١٠٢-١٠٣)، فتح الباري (١/ ١١٨)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٦٣)، معارج القبول (٢/ ٦٧٧)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/ ٣١١-٣١٥).

المطلب الثاني: المسائل الواردة في الأنبياء والرسل وتقويمها:

مسألة الأنبياء المختلف في نبوتهم:

ما ذكره الله ﷻ من أسماء الرسل في القرآن الكريم يجب الإيمان بأعيانهم، ومن لم يُسم في القرآن وجب الإيمان به إجمالاً، والتفصيل يحتاج إلى دليل، وقد ذكر بعض الرحالة وسمَّوا عددًا من الأنبياء الذين لم تثبت لهم نبوة بالقرآن ولا بالسنة[١].

وأبرز من أثبتوا له النبوة خالد بن سنان:

يقول العياشي في ذكره لعبد الرحمن الأخضري[٢]: «وسمعت أنه هو الذي أظهر القبر المنسوب لنبي الله خالد بن سنان، وهذا القبر هو من المزارات المشهورة، في تلك البلاد... فقد ورد في بعض الأحاديث أنه نبي من العرب، بعث بين عيسى ﷺ ونبينا ﷺ، وأنه بأرض الحجاز...وقد مدحت نبي الله خالد بن سنان بأبيات لما مررت بهذا المشهد سنة أربع وستين»[٣].

ويقول المرادي : «ضريح سيدنا خالد هكذا اشتهر على ألسنة الخاص والعام...وهو عند أهل ذلك البلد من الأنبياء عليهم السلام، ولم نقف على من عرّف به ولا أعلم من الأنبياء من اسمه خالد إلا خالد بن سنان...»[٤].

ويقول الورثيلاني: «وذلك عامَ مشينا لزيارة سيدي خالد ﷺ على القول بنبوته، وقد شهر غير واحد من المتأخرين رسالته...وكانت معجزته نارًا، وكانت رسالته قبل رسالة سيدنا محمد ﷺ بمدة قريبة»[٥].

---

(١) ينظر: رحلة النابلسي (ص٦٧، ٨٧، ٨٨، ٩٥، ٩٧، ٩٩، ١٣٩، ١٤٨)، رحلة السويدي (ص٦٩)، رحلة الزياني (ص ١٥١، ١٧٨، ٢٣٨، ٣١١، ٥٣٦)، رحلة المكناسي (ص١٣٠، ١٥١، ٢٣٥).

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضري الحضرمي الأشبيلي، ولي الدين، أبو زيد، أديب منطقي، مالكي، من مؤلفاته: (السلم المرونق)، في المنطق وشرحه، و(الجوهر المكنون في ثلاثة فنون)، و(الدرة البيضاء في أحسن الفنون والأشياء)، توفي سنة ٩٨٣ هـ. ينظر: تعريف الخلف برجال السلف (ص٢١٣-٢١٥)، الأعلام (٣/ ٣٣١)، معجم أعلام الجزائر (ص١٤).

(٣) رحلة العياشي (٢/ ٥٤٢).

(٤) رحلة المرادي (ص١٦).

(٥) رحلة الورثيلاني (١/ ١٤)، وينظر: (١/ ١١٦)، رحلة الزياني (ص١٥٠).

خالد بن سنان هو: «خالد بن سنان بن غيث بن عبس»[(١)].

قال ابن كثير -رحمه الله-: «ذكر جماعة مشهورون في الجاهلية خبر خالد بن سنان العبسي الذي كان في زمن الفترة، وقد زعم بعضهم أنه كان نبيًا والله أعلم». ثم ذكر جملة من الأحاديث والأخبار عن نبوته وعلق عليها بقوله: «والمرسلات التي فيها أنه نبي لا يحتج بها هاهنا»[(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «ليست له صحبة ولا أدرك النبي ﷺ»، ثم ذكر جملة من الأحاديث في ذكره ونبوته ومعجزاته، وضعفها لضعف رواتها[(٣)].

فالصحيح والله تعالى أعلم أن خالد بن سنان كان رجلا صالحًا وليس بنبي، وذلك لأنه لم يصح في إثبات نبوته حديث، بل قد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات[(٤)]، ليس بيني وبينه نبي))[(٥)].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي (١/ ٦٧).

(٢) البداية والنهاية (٢/ ٢٦٨-٢٦٩).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٣٦٩-٣٧٣).

(٤) العَلات بفتح المهملة: الضرائر، وأولاد العلات الإخوة الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد، والمراد أن الأنبياء إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة. ينظر: النهاية في غريب الأثر (٣/ ٥٥٩)، فتح الباري (٦/ ٤٨٩).

(٥) أخرجه البخاري كتاب: الأنبياء، باب: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: ١٦] (٣/ ١٢٧٠) ح(٣٢٥٨) واللفظ له، ومسلم كتاب: الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام (٤/ ١٨٣٧) ح(٢٣٦٥)، بألفاظ أخرى متقاربة.

المطلب الثالث: المسائل الواردة في نبينا محمد ﷺ وتقويمها:

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: أفضلية النبي ﷺ على سائر الأنبياء عليهم السلام:

الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أفضل الخلق، وهم كذلك متفاضلون فيما بينهم، فأفضل الرسل أولو العزم وهم محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وأفضل هؤلاء كلهم رسولنا محمد ﷺ.

وقد نقل الزياني عن السبكي الوالد قوله: «سيد البشر... وهو أفضل من آدم وأولاده، وجميع الأنبياء».

ونقل عن أحدهم قوله:

رســـولنا أفـــضل بالإطبـــاق   من كل مخلوق علـــى الإطـــلاق

ثم قال: «فقد دلت الآيات والأخبار، وأقاويل العلماء الكبار، على أن مولانا محمدًا هو سيد الموجودات، وإن تفاوتت في الدرجة فهو في أعلى الدرجات...وأما قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فهو اعتبار الإيمان بهم، وبما أنزل عليهم، لا في التفضيل؛ فقد ورد بنص الكتاب قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. فالتفاضل مما يجب الإيمان به وهذا كله ظاهر...»[(١)].

لاشك أن التفاضل بين الأنبياء والرسل أمر ثابت منصوص عليه في كتاب الله ﷻ كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

وأفضل الأنبياء على الإطلاق نبينا محمد ﷺ، بل هو أشرف الخلق وخيرهم أجمعين، دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

(١) رحلة الزياني (٤٢٤-٤٢٧).

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، والمعني بقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ هو محمد ﷺ، كما قال بذلك المفسرون(١).

ومن السنة قوله ﷺ: ((فُضِّلت على الأنبياء بست؛ أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب...))(٢)، وقوله ﷺ: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع))(٣).

ومن الإجماع: فقد أجمعت الأمة على أن محمدًا ﷺ أفضل الخلق، كما هو مقرر عند أئمة السلف(٤).

وأما قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فالمعنى: لا نفرق بالإيمان بهم وبما جاءهم من عند الله، فنؤمن ببعضهم ونكذّب ببعضِهم، ولكن نؤمن بهم جميعهم بكل نبي أرسل، وبكل كتاب أنزل(٥).

وأما الفرق بين الرسل في المكانة والمنزلة، والتفاوت بينهم في الفضل والدرجة، فلا شك أنهم يتفاضلون، مالم يكن التفضيل على وجه الفخر والحمية للفاضل والانتقاص من المفضول(٦)، وبهذا يمكن الجمع بين الآيتين(٧).

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (١/ ٣٠٨)، تفسير القرطبي (٣/ ٢٦٣)، الدر المنثور (٢/ ٣).

(٢) أخرجه مسلم كتاب: المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٣٧١) ح(٥٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم كتاب: الفضائل، باب: تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٤/ ١٧٨٢) ح(٢٢٧٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ينظر: الشريعة للآجري (٣/ ١٥٥٢)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (١/ ٢٢٦)، تفسير فخر الدين الرازي (٦/ ١٦٥)، شرح النووي على مسلم (١٥/ ٣٧)، مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٨٣)، تفسير ابن كثير (٥/ ٨٨)، مباحث المفاضلة في العقيدة لمحمد الشظيفي (ص١٥٣).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٦/ ٥٦٩-٥٧٠)، تفسير ابن كثير (٢/ ٧٠).

(٦) ينظر: معالم السنن (٤/ ٣٠٩)، المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ١١٧)، مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٣٦)، منهاج السنة النبوية (٧/ ١٨٥)، شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٢٠)، تفسير ابن كثير (٥/ ٨٧)، فتح الباري (٦/ ٤٤٦).

(٧) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة -المجموعة الأولى- (٣/ ٢٦٠-٢٦١)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/ ٣١٢، ٣٣٠-٣٣١).

وعليه يتبين أن ما ذكره الزياني من تفاضل الأنبياء وأفضلية النبي ﷺ على جميع الأنبياء، صحيح وموافق للحق ولما عليه أهل العلم.

المسألة الثانية: الشك في نسب النبي ﷺ:

رسول الله ﷺ هو أفضل الخلق نفسًا، وأفضلهم نسبًا، قال ﷺ: ((إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم))(١).

يقول الزياني: «فمن شك في محمد هل هو قرشي أو يماني أو تميمي أو عجمي، فهو كافر غير عارف بدينه؛ إلا أن يعذر بالجهل...»(٢).

وما قاله الزياني صحيح؛ فمن شك في كون النبي ﷺ عربيًا قرشيًا وكان ممن يظن به علمُ ذلك، وطالت صحبتُه للمسلمين، كفر؛ لأن ذلك يستلزم تكذيبه ﷺ، وتضليل الأمة، وغير ذلك من العظائم في الدين، وإن كان ممن يظن به جهل ذلك كمن هو حديث عهد بالإسلام، أو بمخالطة المسلمين، فيعذر بجهله ويعرَّف بذلك، ولا يعذر بعد التعريف(٣).

المسألة الثالثة: الحقيقة المحمدية:

من العقائد الصوفية التي تأثر بها الرحالة، ودونوها في رحلاتهم، ما يسمى بالحقيقة المحمدية وهي أن رسول الله ﷺ هو أول مخلوق، وأنه مخلوق من نور، وهذا النور هو من نور الله تعالى، ومن نوره ﷺ انقسمت وانبثقت المخلوقات، فالكون كله خلق من نوره ﷺ، وهو المدد لكل ما في الكون، والكون إنما خلق لأجله ﷺ(٤).

يقول ابن مليح في مدحه للرسول ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم كتاب: الفضائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (٤/ ١٧٨٢) ح(٢٢٧٦) عن واثلة بن الأسقع ﷺ.

(٢) رحلة الزياني (ص٥٠).

(٣) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢٨٥)، روضة الطالبين (١٠/ ٧٠)، الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي ضمن كتاب الجامع في ألفاظ الكفر تحقيق: د.محمد الخميّس (٢٢٦-٢٢٨، ٢٧١، ٢٧٣ -٢٧٤).

(٤) ينظر: الفتوحات المكية لابن عربي (٢/ ٢٢٦-٢٢٧)، شرح فصوص الحكم لعبد الرزاق القاشاني (ص٢٦٦-٢٦٧)، الإنسان الكامل للجيلي (ص٤٨)، الإبريز لأحمد بن المبارك السجلماسي (ص ٣٧٤-٣٨٤).

إنسان عين الكون سر وجـــوده　　　يس أكـــسير المحاســـن طـــه[^1]

ويقول العياشي عمن لقيه بمصر وهو أبو الحسن الشبراملیسي: «وكان يُقرأ عليه كتاب (المواهب اللدنية)، وقرر تقريرات عجيبة في حديث: ((أول ما خلق الله نور محمد)) ﷺ[^2]. وقرر وجه انقسام ذلك النور وكيفيته...وحاصل جوابه أن معنى الانقسام زيادة نور على ذلك النور المحمدي فيؤخذ ذلك الزائد، ثم يزاد عليه نور آخر، ثم كذلك إلى آخر الانقسام، قلت: وهذا جواب مقنع بحسب الظاهر، والتحقيق والله أعلم وراء ذلك، وذلك إنما يدركه على الحقيقة من عرف معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور: ٣٥]...وأقرب تقرير يعطي القرب من فهم معنى الحديث أن يقال: لما كان النور المحمدي أول الأنوار الحادثة التي تجلى بها النور القديم الأزل»[^3]، ثم قرر هذه المسألة، وضرب الأمثلة لبيانها، وأطال الكلام فيها.

ويقول العياشي في مدحه لرسول الله ﷺ: «هو أصل الموجودات، ومنبع فيضها ومددها على اختلاف أجناسها وامتداد فروعها؛ لأن روحه المقدسة أول مخلوق على ما جاء في الأحاديث»[^4].

ويقول السويدي في زيارته لقبر النبي ﷺ: «هذا ذو الرتبة التي لا ترقى، هذا نور الأنوار، هذا المصطفى المختار، هذا الفجر الساطع، هذا المشفع الشافع، هذا الذي لولاه لما برز العالم إلى الوجود»[^5].

---

[^1]: (١) رحلة ابن مليح (ص١٤٤).
[^2]: (٢) حديث باطل لا أصل له، قال السيوطي: «ليس له إسناد يعتمد عليه» الحاوي للفتاوي للسيوطي (١/ ٣١٣)، وعزاه القسطلاني لعبد الرزاق، ولم يصرح أن عبد الرزاق هو ابن همام الصنعاني، ولا نص أنه في المصنف أو غيره من كتبه، فلا يستبعد أن يكون النقل -على فرض صحته- عن عبد الرزاق الكاشاني من غلاة الصوفية. ينظر: مجموع في كشف حقيقة الجزء المفقود من مصنف عبد الرزاق لمحمد بن زياد التكلة (ص ١٠٠، ١٠٢)، وللاستزادة ينظر: مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر لعبد الله بن الصديق الغماري، وتنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق، لمحمد بن أحمد الشنقيطي المدني.
[^3]: (٣) رحلة العياشي (١/ ٢٥٣-٢٥٦).
[^4]: (٤) رحلة العياشي (١/ ٤٩٨)، وينظر: (١/ ٣٠٣، ٢/ ٣١٣).
[^5]: (٥) رحلة السويدي (ص٢٠٥).

ونقل عن أحدهم قوله:

إلى علياك تعنو الأنبياء ... ومن نجواك يقتبس الضياء
براك الله من نور نبيا ... ولا أرض هناك ولا سماء
فكنت وآدمٌ في ظهر غيب ... ولا طين هناك وليس ماء
فبدء الكون أنت بغير شك ... وسر الكائنات ولا مراء[١]

يقول المرادي:

خليلي إن عاينتما أرض طيبة ... ونور الذي من نوره الشمس

وأورد أيضًا:

أنت الرسول الذي ترجى شفاعته ... عند الصراط إذا مازلت القدم
لولاك ما خلقت شمس ولا قمر ... ولا نجوم ولا لوح ولا قلم[٣]

ويقول الورثيلاني: «بجاه من خلقت الدنيا والآخرة من أجله ﷺ»[٤].

ونقل الزياني عن السبكي الوالد قوله: «فلا يطنب في مدح أحد إلا في مدح سيد البشر، الذي خلق الله من نوره الشمس والقمر»[٥].

ويقول السنوسي في قصيدة له:

خير البرية أحمد الهادي الذي ... عم الفضا بالفضل والبركات
أصل الوجود ومنبع الأسرار ... قد خص بالقرآن والآيات[٦]

إن هذه العقيدة الصوفية عقيدة باطلة فاسدة، ويتبين فسادها من وجوه:

الأول: أن هذه العقيدة مخالفة لما دلّ عليه الكتاب والسنة، وبيان ذلك فيما يأتي:

---

(١) المصدر السابق (ص٩٤).
(٢) رحلة المرادي (ص٣٢٣).
(٣) المصدر السابق (ص١٢٧).
(٤) رحلة الورثيلاني (١/١٤٥).
(٥) رحلة الزياني (ص٤٢٤).
(٦) رحلة السنوسي (١/ ٦٥).

١- دعوى أن رسول الله ﷺ هو أول مخلوق، فإن النصوص مع اختلافها في تحديد أول ما خلق الله إلا أنه لم يصح أنه ﷺ أول المخلوقات(١).

٢- دعوى أن رسول الله ﷺ خلق من نور، فإن ذلك ينافي بشريته ﷺ؛ فقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال ﷺ: ((إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني))(٢)، والبشر إنما خلقوا من تراب لا من نور، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [فاطر: ١١].

٣- دعوى أنه مدد لكل ما في الكون، فإن الكون كله وما فيه ملك لله وحده، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة: ١٧]، وقد أمر الله رسوله ﷺ بأن يصرح بأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال ﷺ: ((يا معشر قريش، أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا))(٣)، فصرح ﷺ لأقاربه ولغيرهم بما يتوهمه بعضهم أنه يغني عنهم من الله شيئًا، فإذا كان لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فكيف يملك لغيره نفعًا أو ضرًّا؟ ولو كان من أقرب أقربائه؛ لأن ذلك إنما هو من خصائص الله وحده(٤).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٧٥)، فتح الباري (٦/ ٢٨٩)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٤١-٢٤٢).

(٢) أخرجه البخاري أبواب: القبلة، باب: التوجه نحو القبلة حيث كان (١/ ١٥٦) ح(٣٩٢)، ومسلم كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: السهو في الصلاة والسجود له (١/ ٤٠٠) ح(٥٧٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الشعراء (٤/ ١٧٨٧) ح(٤٤٩٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ينظر: تيسير العزيز الحميد (ص٢١٥).

٤- دعوى أن الكون خلق من أجله ﷺ، فإن الله تعالى إنما خلق الكون لغاية عظيمة وهي عبادته سبحانه، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

الثاني: أنه يمتنع بضرورة العقل أن نور محمد ﷺ مخلوق قبل خلق السموات والأرض، وقبل العرش، والقلم واللوح؛ وأن جميع المخلوقات تفرعت جزءًا بعد جزء، وخلقًا بعد خلق، إنسها، وجنها، وجنتها، ونارها، وحتى الملائكة من نور محمد ﷺ، وأن هذا مما يعلم أنه من الكذب والحكايات التي لا أصل لها(١).

الثالث: أنه ليس لإثبات هذه العقيدة دليل صحيح يستند إليه، فلا حجة لهم إلا شُبَهٌ يتناقلونها عن أسلافهم المتصوفة، ومن ثَمَّ تكلف الاستدلال لها بأحاديث موضوعة، كالحديث الذي ذكره العياشي ونقله من (المواهب اللدنية): ((أول ما خلق نور نبيك ﷺ))(٢).

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: «ما ذكر من أن الله قبض من نور وجهه قبضة وأن القبضة كانت هي النبي ﷺ، فهذا كذب باتفاق أهل المعرفة... ونحو ذلك مثل ما يذكرون أن النبيﷺ كوكبٌ أو أن العالم كله خلق منه، أو أنه كان موجودًا قبل أن يُخلق أبواه... وأمثال هذه الأمور، فكل ذلك كذب مفترى باتفاق أهل العلم بسيرته، والأنبياء كلهم لم يخلقوا من النبي ﷺ بل خلق كل واحد من أبويه ونفخ الله فيه الروح»(٣).

الرابع: أن هذه العقيدة دخيلة على عقيدة الإسلام، وإنما هي عبارة عن مزيج مركب من عقائد الديانات المحرفة والفلسفات الوثنية القديمة(٤)، فالحقيقة المحمدية تطبيق باطل كبطلان تلك العقائد التي نشأ منها.

---

(١) ينظر: الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية لسليمان بن سحمان (ص٢٦).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص٣٤)، الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية لمحمد تقي الدين الهلالي (ص٧٠)، السلسلة الصحيحة (١/ ٢٥٧) ح(١٣٣)، محبة الرسول بين الاتباع والابتداع لعبد الرءوف بن محمد عثمان (١/ ١٨٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٦٦-٣٦٧).

(٤) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٣/ ٣٨٤)، الصواعق المرسلة الشهابية (ص١٨)، الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ (ص٢٨٠)، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق لزكي مبارك (١/ ٢٠٣، ٢١٢، ٢٨١)، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية لإدريس محمود إدريس (١/ ٣٩٥)،

الخامس: أن هذه العقيدة أفضت إلى عقائد أخرى فاسدة، كعقيدة وحدة الوجود، وأن الله هو ذات الموجودات، فالرسول خلق من نور الله، ثم خلق من نور الرسول ﷺ بقية المخلوقات، وأن الرسول ﷺ هو المخلوق الأول وعنه صدرت الموجودات، وأن ذات الرسول ﷺ هي الذات التي تفيض منها كل العلوم وتنزل منها كل الرسالات، إلى غيرها من العقائد الفاسدة[1].

المسألة الرابعة: دعوى إيمان أبوي النبي ﷺ:

قد حاول بعض أهل العلم وغيرهم الدفاع عن آباء النبي ﷺ وذلك بالقول بإسلامهم ونجاتهم من النار.

وقد أورد الزياني هذه المسألة بقوله: «تنبيه وإعلام: اعلم أن آباء النبي ﷺ كانوا على التوحيد من لدن آدم إلى عبد الله بن عبد المطلب، وأن أبويِ النبي ﷺ كانا ناجيَين، وقد أحياهما الله له فآمنا به؟.

قال الشيخ جلال الدين السيوطي[2] في رسالته المسماة (بالدرة المنيفة في الآباء الشريفة): وذهب كثير من الأئمة الأعلام إلى أن أبويِ النبي ﷺ ناجيين محكوم لهما بالنجاة في الآخرة... واختلف القائلون بالنجاة على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: أن الله أحياهما فآمنا به، وذلك في حجة الوداع، والحديث في ذلك ورد عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: إن النبي ﷺ نزل بالحجون[3] يرى عليه الكآبة والحزن،

(١/ ٢٠٣، ٢١٢، ٢٨١)، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية لإدريس محمود إدريس (١/ ٣٩٥)، خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء للصادق بن محمد بن إبراهيم (١٠٠-١٠٩)، الحقيقة المحمدية أمْ الفلسفة الأفلوطينية لعائض الدوسري (ص١٧).

(١) ينظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق (ص١١٦)، خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء (ص٩٩)، والحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلطونية (ص١١٦).

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر الخضيري، المشهور بجلال الدين، علامة حافظ، شافعي الذهب، صاحب المؤلفات الكثيرة، منها: (تدريب الراوي)، و(الحاوي للفتاوي)، و(الدر المنثور في التفسير بالمأثور)، توفي سنة٩١١هـ. ينظر: الضوء اللامع (٤/ ٦٥-٧٠)، النور السافر (ص٥١-٥٤)، شذرات الذهب (٥١/٨).

(٣) الحُجُون جبل بأعلى مكة قرب مقبرة المعلاة. ينظر: معجم البلدان (٢/ ٢٢٥)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية لعاتق البلادي (ص٩٣-٩٤).

فأقام ما شاء الله، ثم رجع مسرورًا، فسئل عن ذلك، قال: ((سألت ربي فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها))(١)، وروي من حديث عائشة رضي الله عنها أيضًا: ((أحيا أبويه ﷺ حتى آمنا به))(٢)، وجعلوا هذا الحديث ناسخًا لما خالفه من الأحاديث لتأخره، ولم يبالوا بضعفه؛ لأن الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل والمناقب وهذه منقبة... انتهى.

والحاصل: أنه قد انتصب لتقوية ذلك الاستدلال عليه من الكتاب والسنة، فحول العلماء الأعلام الأخيار، وحسبنا الاختصار والاقتصار.

ولقد ورد أيضًا في آبائه ﷺ أنهم موحدون من الكتاب والسنة، وللأئمة في ذلك مباحث وأقوال واختلاف وتصانيف، فللإمام (السيوطي) في ذلك ستة مؤلفات كالسيوف المرهفات(٣)؛ جزاه الله عن أمة محمد من رضوانه أفضل الجزاء...»(٤).

---

(١) أخرجه ابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه (ص٤٨٩) ح(٦٥٦)، ومن طريقه الخطيب في السابق واللاحق (ص٣٤٤)، وعنه الجورقاني في الأباطيل والمناكير (١/ ٣٧٧) ح(٢٠٧)، والدارقطني وابن عساكر كلاهما في كتابيهما غرائب مالك. ينظر: لسان الميزان (٥/ ٣٠٩). وقال ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع بلا شك، والذي وضعه قليل الفهم عديم العلم؛ إذ لو كان له علم لعلم أن من مات كافرًا لا ينفعه أن يؤمن بعد الرجعة؛ لا بل لو آمن عند المعاينة لم ينتفع... قال شيخنا أبو الفضل بن ناصر: هذا حديث موضوع وأمُّ رسول الله ﷺ ماتت بالأبواء بين مكة والمدينة ودفنت هناك وليست بالحجون» الموضوعات (١/ ٢٨٤)، وقال ابن دحية: «هذا حديث موضوع يرده القرآن والإجماع»، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني (١/ ١٠٣)، وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة ونقل عن ابن كثير قوله: «إنه حديث منكرٌ جدًا وإن كان ممكنًا بالنظر إلى قدرة الله تعالى لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه» (ص٦٧) ح(٣٦)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ٢٤٥)، وابن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة (١/ ٣٧٨) ح(١٦)، والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٦١) ح(١٥٠).

(٢) ذكره السهيلي بقوله: «وروي حديث غريب لعله أن يصح، وجدته بخط جدي أبي عمران أحمد بن أبي الحسن القاضي -رحمه الله- بسند فيه مجهولون، ذكر أنه نقله من كتاب انتسخ من كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد يرفعه إلى عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها» فذكر الحديث. الروض الأنف (٢/ ١٨٧).

(٣) منها: (التعظيم والمنة في أن أبوي النبي ﷺ في الجنة)، و(الفوائد الكامنة في إيمان السيدة آمنة). ينظر: فهرس الفهارس والأثبات (٢/ ١٠١٦).

(٤) رحلة الزياني (ص٤٥٥-٤٥٨)، وينظر: (ص ٤٤٥)، رحلة النابلسي (ص١٠٧).

إن ما نبه عليه الزياني من أن آباء النبي ﷺ كلهم كانوا على التوحيد، ونقله عن السيوطي هو من الأمور المبتدعة عند الصوفية، وكذلك فهو قول باطل لوجوه، منها:

الأول: أن هذا القول مخالف لما دلّ عليه الكتاب والسنة والإجماع(١).

فأما مخالفته للكتاب فقد دل عليها قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ [النساء: ١٧ – ١٨]، وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة: ١١٣].

وأما مخالفته للسنة فقد دل عليها قوله ﷺ: ((استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي))(٢)، وعن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: ((في النار))، فلما قفَّى دعاه فقال: ((إن أبي وأباك في النار))(٣).

وأما الإجماع: «فغير خفي أن الأمة مجمعون من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا على كفر قصيّ فمن بعده، وأن أبوي النبي ﷺ ماتا على الكفر»(٤).

الثاني: أن في كلام الزياني وما نقله عن السيوطي مع ما فيه من الافتراء فيه تناقض؛ فتارة يقول: إن آباء النبي ﷺ على التوحيد، وأخرى يقول: إن أبويه كانا كافرين لكن الله أحياهما وآمنا(٥).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٣٢٥)، رسالة في حق أبوي الرسول ﷺ (ص ٢١)، أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول ﷺ لعلي القاري (ص٦٣).

(٢) أخرجه مسلم كتاب: الجنائز، باب: استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه (٢/ ٦٧١) ح(٩٧٦) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم كتاب: الإيمان، باب: بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين (١/ ١٩١) ح(٢٠٣).

(٤) رسالة في حق أبوي الرسول ﷺ لإبراهيم الحلبي (ص ٢٧)، وينظر: أدلة معتقد أبي حنيفة (ص ٨٤).

(٥) ينظر: أدلة معتقد أبي حنيفة (ص ١٣٣).

الثالث: أن الأحاديث التي استدل بها السيوطي ونقلها عنه الزياني أحاديث لم تصح عن أحد من أهل الحديث؛ بل أهل المعرفة متفقون على أنها كذب مختلق، فلا نزاع بينهم أنها من أظهر الموضوعات كذبًا، كما نص عليه أهل العلم، ولم ترد هذه الأحاديث في الكتب المعتمدة في الحديث، ولا ذكرها أهل كتب المغازي والتفسير وإن كانوا قد يروون الضعيف مع الصحيح، فإن مثل هذا لو وقع لكان مما تتوافر الدواعي لنقله؛ لأنه من أعظم الأمور خرقًا للعادة من وجهين: من جهة إحياء الموتى، ومن جهة الإيمان بعد الموت، فكان نقل مثل هذا أولى من نقل غيره، فلما لم يروه أحد من الثقات علم أنه كذب[1].

الرابع: أن الأحاديث مع ضعفها باتفاق المحدثين بل القول بوضعها عند المحققين، لا يمكن أن تكون ناسخة فالنسخ لا يجوز في الأخبار، وإنما هو من مختصات الإنشاء والأحكام[2].

الخامس: أن القول بكفر آباء النبي ﷺ لا ينقصه ذلك عند الله شيئًا، ولا يقدح في نسبه ﷺ؛ لكن قد تكون محبة القائلين بذلك للنبي ﷺ وتوقيره جمحت بهم إلى الغلو الممنوع[3].

المسألة الخامسة: رؤية النبي ﷺ في المنام، وحكم أمره في الرؤيا:

فصّل العياشي القول في رؤية النبي ﷺ، وإن وافقت صفته أو خالفت، وعن أمر النبي ﷺ في المنام هل يلزم أو لا؟ وعن أمره إن وافق الشرع أو خالفه، فذكر حديث الرؤيا بألفاظه ومنها قوله ﷺ: ((ومن رآني في المنام فقد رآني حقًّا؛ فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي))[4]، وقوله ﷺ: ((من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي))[5]،

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٣٢٤-٣٢٥).

(٢) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٤/ ٧١)، نواسخ القرآن لابن الجوزي (ص٢٢)، أدلة معتقد أبي حنيفة (ص٩٠-٩١).

(٣) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي (١/ ١٩٢)، منهاج السنة النبوية (٤/ ١٩٢)، تعليق المعلمي في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني (ص٣٢٢)، السلسلة الصحيحة للألباني (٦/ ١٨١).

(٤) أخرجه البخاري كتاب: العلم، باب: إثم من كذب على النبي ﷺ (١/ ٥٢) ح(١١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم كتاب: الرؤيا، باب: قول النبي ﷺ من رآني في المنام فقد رآني (٤/ ١٧٧٥) ح(٢٢٦٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقولهﷺ : ((من رآني في المنام فسيراني في اليقظة))[(١)]، وغيرها من ألفاظ الحديث الصحيحة المختلفة ومرجعها كلها إلى تأكيد صحة الرؤيا.

ثم ساق كلام العلماء في رؤيته ﷺوأنها رؤيا حق، وفيما يأمر به النبي ﷺ في المنام، وما يلزم منه وما لا يلزم، إلى أن قال: «وحاصل ما تقدم كله أن الرؤيا حق، فإن وافق المرئي صفته فلا تأويل، وإلا فيؤول، وكذلك أوامره ﷺ إن وافقت الشرع بقيت على ظاهرها وأفادت تأكيدًا وإرشادًا لمصلحة وإلا أولت، ولو قال قائل: إن هذه الأخبار المنقولة عنه ﷺ، في النوم تُنَزَّل منزلة ضعيف الحديث وشاذه، فيعمل به في الفضائل، وتحصل به الشواهد والاعتبارات، لم يبعد ذلك؛ لأن الشارع لم يلغ الرؤيا من الاعتبار أصلاً سيما رؤياه ﷺ التي هي حق ومعصومة من تمثيل الشيطان، وقد عدّ الشرع جنس الرؤيا إذ جعل منها مبشرات، وجعلها جزءًا من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، نعم تخالف أخبار الرؤيا أخبار اليقظة في أن أخذ الأحكام من الكتاب والسنة وفهمهما له طريق معلوم مدون مهذب في أصول الفقه والنحو وغير ذلك، بما يتوقف عليه الاجتهاد، وتأويل ما يؤول من الكتاب والسنة يؤول على تلك الطريقة بخلاف أخبار الرؤيا؛ فإن لفهمها وتأويل المؤول منها طرقًا غير ذلك لا تكاد تنضبط؛ ولذلك لم يكلفنا الشرع بالعمل بمدلولاتها لغموضها ودقة مدركها وخفي إشارتها، فإن فهم الإنسان منها ما يوافق المشروع عمل به، وإلا توقف من غير أن يحكم ببطلانها»[(٢)].

إن من رأى النبي ﷺ على صفته فقد رآه حقًّا ورؤياه حق، وأما من رآه على غير صفته فقد اختلف العلماء في رؤياه على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن رؤياه للنبي ﷺ حق على أي حال، وافقت صفته ﷺ المعروفة أم خالفت[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: التعبير، باب: من رأى النبي ﷺ في المنام (٦/ ٢٥٦٧) ح(٦٥٩٢)، ومسلم كتاب: الرؤيا، باب: قول النبي ﷺ من رآني في المنام فقد رآني (٤/ ١٧٧٥) ح(٢٢٦٦) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) رحلة العياشي (١/ ١٠٤- ١٠٥)، وينظر: (١/ ٨٥-١٠٥).

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم للنووي (١٥/ ٢٥)، فتح الباري (١٢/ ٣٨٤).

القول الثاني: أن رؤياه للنبي ﷺ حق إن وافقت صفته ﷺ، وإن خالفت صفته المعروفة كانت رؤيا مثال[١].

القول الثالث: أن رؤياه للنبي ﷺ حق إن وافقت صفته ﷺ، وإن خالفت صفته المعروفة لم تكن بحق، والرائي لم ير النبي ﷺ، وهذا قول كثير من العلماء، وإليه أشار الإمام البخاري -رحمه الله- في كتابه (الجامع الصحيح) فيما رواه معلقًا بعد حديث: ((من رآني في المنام فسيراني في اليقظة))[٢]، قال أبو عبد الله يعني نفسه قال ابن سيرين[٣]: «إذا رآه على صورته»[٤].

قال ابن حجر-رحمه الله-: «وعلى ذلك جرى علماء التعبير فقالوا: إذا قال الجاهل رأيت النبي ﷺ، فإنه يسأل عن صفته، فإن وافق الصفة المروية وإلا فلا يقبل منه»[٥].

قال القرافي[٦]-رحمه الله-: «قال العلماء إنما تصح رؤية النبي عليه السلام لأحد رجلين: أحدهما: صحابي رآه فعلم صفته فانطبع في نفسه مثاله، فإذا رآه جزم بأنه رأى مثاله المعصوم من الشيطان، فينتفي عند اللبس والشك في رؤيته عليه السلام.

---

(١) ينظر: عارضة الأحوذي (٩/ ١٣١-١٣٢)، المفهم (٦/ ٢٣)، شرح النووي على مسلم (١٥/ ٢٥)، فتح الباري (١٢/ ٣٨٤).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٣٨].

(٣) هو محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة البصري مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، من أئمة التابعين، ثقة عالم، عابد كبير القدر كان لا يرى الرواية بالمعنى، توفي بالبصرة سنة ١٢٠هـ. ينظر: صفة الصفوة (٢/ ١٤٢)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٦-٦٢٢).

(٤) صحيح البخاري كتاب: التعبير، باب: من رأى النبي ﷺ في المنام (٦/ ٢٥٦٧) ح(٦٥٩٢).

(٥) فتح الباري (١٢/ ٣٨٧).

(٦) هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، شهاب الدين الصنهاجي القرافي أبو العباس، علامة مالكي، نسبته إلى القرافة (المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي) بالقاهرة، له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، منها: (أنوار البروق في أنواء الفروق)، و(الذخيرة)، و(شرح تنقيح الفصول)، توفي سنة ٦٨٤هـ. ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون (١/ ٦٢-٦٧) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي (١/ ٣١٦)، شجرة النور (١/ ١٨٨-١٨٩).

وثانيهما: رجل تكرر عليه سماع صفاته المنقولة في الكتب حتى انطبعت في نفسه صفته ﷺ، ومثاله المعصوم كما حصل ذلك لمن رآه، فإذا رآه جزم برؤية مثاله ﷺ كما يجزم به من رآه فينتفي عنه اللبس والشك في رؤيته ﷺ، وأما غير هذين فلا يحصل له الجزم، بل يحتمل أنه رآه، ويحتمل أنه من تخييل الشيطان»(١).

أما عن أمر النبي ﷺ في المنام فأمر بشيء أو نهى عنه فالواجب أن يعرض على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، فإن وافق الشرع عُمل به، وهذا القول والعدم سواء؛ لأن العمل يكون بما ثبت من الشرع لا به؛ فالشرع قد كمل، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وتكون الرؤيا تأنيسًا للرائي وبشارة أو نذارة(٢).

وإن أمر النبي ﷺ بما يخالف الشرع، فما تقرر في الشرع لا يتغير بسبب ما يراه النائم، وهذا بإجماع العلماء(٣)؛ لأنه لا نسخ بعد موته ﷺ لشريعته الثابتة في حياته، فمن رأي شيئًا من ذلك فلا عمل على الرائي، ورؤياه غير صحيحة، وينزه النبي ﷺ عن ذلك؛ إذ لو رآه حقًّا لم يخبره بما يخالف شريعته ﷺ(٤).

---

(١) الفروق للقرافي (٤/ ٤١٥)، وينظر: الذخيرة له أيضًا (١٣/ ٢٧٣).

(٢) ينظر: المدخل لابن الحاج (٤/ ٢٨٧-٢٨٨)، طرح التثريب للعراقي (٨/ ٢١٥) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني (٢/ ٢٠٢)، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران (ص ١٤٩).

(٣) شرح النووي على مسلم (١/ ١١٥).

(٤) الاعتصام (١/ ٢٦٢).

المطلب الرابع: المسائل الواردة في كرامات الأولياء وتقويمها:

كرامات الأولياء هي أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد بعض أوليائه؛ لإيمانهم وتقواهم، وببركة اتباعهم للنبي ﷺ، ولحِكَم يعلمها الله، وهي باقية إلى قيام الساعة.

ومذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بكرامات الأولياء، وأنها حق قد دلّ على ثبوتها الكتاب والسنة، والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين[١].

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧]، نص الله تعالى على خرقه العادة لها، فكان يجد زكريا عليه السلام عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، رزقًا ساقه الله إليها وكرامة أكرمها الله بها[٢].

وقال رسول الله ﷺ: ((بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتًا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج[٣]، قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته[٤]، فقال: له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأرد فيها ثلثه))[٥].

---

(١) ينظر: العقيدة لأحمد بن حنبل (ص١٢٥-١٢٦)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٩/ ٧٢)، مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٦)، النبوات (ص١٤٢-١٤٣)، اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٦٢)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٥٠٧)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٩٢)، تيسير العزيز الحميد (ص ٣٥٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٦/ ٣٥٤، ٣٥٦)، تفسير القرطبي (١١/ ٨٠)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦)، تفسير الشنقيطي (٣/ ٣٩٧)، تفسير السعدي (ص١٢٨).

(٣) الشراج جمع شرجة، وهي: مسيل الماء من الحرة إلى السهل. ينظر: النهاية في غريب الأثر (٢/ ٤٥٦).

(٤) سحوت الشيء إذا قشرته وأزلته، ومنه المسحاة وهي المجفرة من الحديد. ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٥٣٦)، غريب الحديث للخطابي (١/ ٣٢٥)، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص١٧٥).

(٥) أخرجه مسلم كتاب: الزهد والرقائق، باب: الصدقة في المساكين (٤/ ٢٢٨٨) ح(٢٩٨٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وكان الصحابي الجليل خبيب بن عدي ﷺ أسيرًا عند المشركين بمكة، ووجدوه يومًا يأكل من قطف عنب في يده، وهو موثق في الحديد، وما بمكة من ثمر(١).

وكان مطرف بن عبد الله(٢) إذا دخل بيته سبحت معه آنية بيته(٣).

ولقد اهتم بعض الرحالة بأمر الكرامات، وأوردوا أخبارها، فمن ذلك ما يقوله ابن مليح عن أحد الأولياء: «كان ﷺ ممن أبرزه الله للعبادة، وانقاد له الخلق انقيادًا، وأنطقه الله بالمغيبات وخرق له العادات»(٤).

ويقول عن آخر: «وتؤثر عنه كرامات وخوارق للعادة، من أشهرها المرأة التي أسر الفرنج ولدها، فلاذت به فأحضره إليها في قيوده وله كرامات ﷺ»(٥).

ويقول العياشي في ترجمته لأحد الأولياء ممن لقيه بالمدينة: «ذكر لي صاحب الترجمة أنه لقي في بعض حجاته رجلاً فقيهًا... وحكى عنه أحوالاً غريبة منها، أنه رافقه من مكة إلى المدينة، وكان يختم في كل يوم كذا وكذا ختمة، فلما وصلنا إلى المدينة ودخلنا المسجد النبوي، وتقدمنا إلى الزيارة... فلما فرغت من الزيارة على الوجه المعتاد رجعت إلى الروضة وجلست انتظره، فأبطأ علي هنيهة، فإذا هو داخل، فقلت له: ما أبطأك عني؟ فقال لي: ختمت ختمة أمام وجه النبي ﷺ، ثم جئتك، وهذا لا يستبعد على سبيل الكرامة وخرق العادة، ولا شك أن من ألف قراءة القرآن واعتاد به، قد يبلغ إلى ختم ثلاث أو ما يقرب من ذلك في اليوم، وأما مثل ما تقدم فلا يكون إلا كرامة وخرقًا العادة، وقد ذكر الناس في كرامات الأولياء من يختم العشر والعشرين وأزيد في اليوم الواحد، وأغرب ما سمعنا من ذلك

---

(١) تمام الحديث أخرجه البخاري كتاب: الجهاد والسير، باب: هل يستأسر الرجل، ومن لم يستأسر، ومن ركع ركعتين عند القتل (٣/ ١١٠٨) ح(٢٨٨٠).

(٢) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير، الحرشي العامري البصري، أبو عبد الله، تابعي مشهور ولد في عهد النبي ﷺ، ثقة عابد زاهد له فضل وورع، توفي سنة ٨٧هـ. ينظر: الطبقات الكبرى (٧/ ١٤١)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧)، الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٢٦١-٢٦٠).

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد (ص١٩٦) ح(١٣٤٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٠٦)، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٣١)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ١٩٥).

(٤) رحلة ابن مليح (ص٢١).

(٥) المصدر السابق (ص٦٤).

ما حكاه غير واحد ممن ألف في كرامات الأولياء أن بعض أصحاب الشيخ أبي مدين[(١)] حج في السنة التي حج فيها الشيخ السهروردي، فذكر له عنه أنه يختم في اليوم والليلة سبعين ألف ختمة، فبعث بعض ثقات أصحابه يختبر له ذلك، فوجده يطوف بالبيت وهو يقرأ، فتبعه من الركن إلى قريب من الحجر، فختم عددًا كثيرًا من الختمات، وفي هذا خرق عادة للقارئ والسامع؛ لأن سماع مثل هذا في هذه المدة لا يمكن عادة، وهذا قريب من ختمة في كل نفس»[(٢)].

ويقول العياشي عمن يسمّيه سيدي عبد السلام الأسمر[(٣)]: «قد أظهر قبورًا كثيرة للأولياء بذلك الساحل، وأظهرت فرسه أيضًا آخرين، وذلك أنه إذا ركب على فرسه ربما تمر بمكان فتبحث برجلها في الأرض، فيقول لهم الشيخ: احفروا هنا قبر ولي فيجدونه، فظهرت بذلك مزارات كثيرة، وفقراء الساحل إلى الآن يعرفونها ويقولون: هذا من الذين أظهرهم فرس الشيخ، ولا بدع في ذلك، فإن الكرامة في ذلك لراكب الفرس لا للفرس... وهو رجل صالح كثير الكرامات عالي المقامات... وكان نزولنا خارج زاوية الولي سيدي عبد السلام الأسمر الصالح الشهير التصريف، الغني بشهرته عن التعريف، وهو رجل من أهل المائة العاشرة، كثير الكرامات عالي المقامات... وله تصرف قوي ويؤثر عند أهل البلد من تصرفاته آثار كثيرة يطول استقصاؤها، وأخباره في قهر الجبابرة وفك الأسرى من أيدي الإفرنج في حياته وبعد مماته شهيرة...»[(٤)].

---

(١) هو شعيب بن حسين الأندلسي التلمساني، أبو مدين، شيخ أهل المغرب، زاهد، صوفي من مشاهيرهم، كان من أهل العمل والاجتهاد، منقطع القرين في العبادة والنسك، جال وساح، واستوطن بجاية مدة، ثم تلمسان وبها توفي سنة ٥٩٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢١٩-٢٢٠)، الوافي بالوفيات (١٦/ ٩٥).

(٢) رحلة العياشي (٢/ ١٢٧- ١٢٨).

(٣) هو عبد السلام بن سليم بن محمد الأسمر الفيتوري، عابد صوفي، كثير العبادة دائم الذكر ويصل به ما يسمى بالوجد والهيام، وكانت هذه الحال سببًا لنكير العلماء عليه، حتى اضطر إلى الجلاء عن وطنه زلطين، وطاف بالبلاد، ثم عاد إلى وطنه وبها توفي سنة ٩٨١هـ. ينظر: معجم المؤلفين (٥/ ٢٢٣)، أعلام ليبيا لأحمد الزّاوي (٢٢٢-٢٢٥).

(٤) رحلة العياشي (١/ ١٨٣-١٨٤)، وينظر: (٢/ ٤٧٩).

ويقول النابلسي عن أحد المشايخ: «له كرامات وخوارق عادات؛ منها أن رجلاً كان له ولد ذهب إلى الحج فجاء الخبر إلى والده أن ابنه توفي في طريق الحج، فحصل عنده شدة الحزن، فجاء إليه هذا المجذوب، وقال له: ولدك طيب بالصحة والعافية وهذا الخبر ليس له أصل فلم يصدقه في ذلك، وأعرض عنه فقال له المجذوب: تعال وجذبه جذبة فرأى نفسه بين الحجاج فرأى الرجل ولده هناك بالسلامة ثم عاد في لمحة إلى بلده»(١).

وينقل عن أحدهم: «أخبرنا جماعة أنهم رأوه يقظة من مدة ماضية بين السماء والأرض»(٢).

ويقول:

وله الكرامات الـتي تعنـو لهـا	كل النفـوس وبـاهر الآيـات
قد جاءه المديون يـشكو دينـه	بتتـابع الحـسرات والزفـرات
فبدا له في شـكل طـير نـاطق	بلـسان قـاري في أتم لغـات
حتى وفـا دينـا عليـه ببيعـة	من مال ذي شغف وذي رغبات
ولقد رآه في المنـام وقـال ذي	روحي أتتك بأحسن الهيئـات(٣)

ويقول النابلسي عن أحد الأولياء: «ثم أخبرني أنه يجتمع بالنبي ﷺ يقظة، وحكى لي عن أشياء كثيرة وقعت له مع النبي ﷺ، وكان يقول لي في أثناء ذلك خوفًا علي في مقام التصديق: أنا أعلم أن النبي ﷺ كان يقول كما ورد عنه في الحديث: ((من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار))(٤)، وأعرف معنى ذلك، وأقول له: وأنا أيضا مطلع على ما قالته العلماء في جواز رؤية النبي ﷺ يقظة ووقوع ذلك لجماعة من الأولياء والعلماء الصادقين... ولا شبهة عندي في صحة ذلك، وكان لا يكاد يجد له مصدقًا على ذلك في

---

(١) رحلة النابلسي (ص٦٨).

(٢) المصدر السابق (ص١٦٥).

(٣) المصدر السابق (ص١٩٩-٢٠٠).

(٤) أخرجه البخاري كتاب: العلم، باب: إثم من كذب على ﷺ (١/ ٥٢) ح(١١٠)، ومسلم المقدمة، باب: تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ (١/ ١٠) ح(٣) عن أبي هريرة ﷺ.

المدينة المنورة، وغالبهم ينكر عليه، وصورته وهيئته ليست مظنة الكذب؛ لأنه كبير في السن معمر...»[١].

ويقول المرادي عن أحدهم: «كان يخرج ليلاً إلى مكة، ويصلي ما شاء الله ثم يأتي القدس كذلك ثم يعود لمصر من ليلته والمؤذن يؤذن للفجر...»[٢].

ويقول الورثيلاني عن أحدهم: «طار في الهواء ساعة زمانية مع جماعة من أهل الخير»[٣].

ويقول عن آخر: إنه قام من قبره وأصحابه مجتمعون عليه يقرئهم ويعلمهم: «إذ مات رحمه الله وترك ختمة لم تكتمل، فكملها لهم في قبره بعد موته، وهي كرامة عظيمة»[٤].

ويقول الورثيلاني عن ولي آخر: «له كرامات مشهورة ومناقب، وقد سمعت بعض من يوثق به أنه يتصرف كما كان حيًّا فإنه يغيث من استغاث به»[٥].

ويقول الورثيلاني أيضًا عن ولي آخر: «كان ذا كرامات وخصوصًا في باب المرائي، ظهرت له في ذلك عجائب، وكان يخاطب في النوم ما يكون في اليقظة قبل وجوده، والتقى بالخضر عليه السلام...»[٦].

ويقول الورثيلاني في ذكره لقبر أحدهم: «فلما توفي ظهرت له كرامات كثيرة وصار قبره من أعظم المزارات، فما ظهر منها أنهم قالوا: جلس جماعة من القراء حول قبره يقرؤون قرب موته كعادتهم، وبين أيديهم شمعة تضيء بليل فوقعت إلى الأرض فانطفأت فتحيروا فلم يجدوا من يوقدها لهم، فانشق القبر عيانًا فخرج منه وأوقد لهم الشمعة فرجع، ومنها...»[٧].

---

(١) رحلة النابلسي (ص٣٧٨)، وينظر: (ص٦٣، ١٦١، ١٦٣، ١٦٥).
(٢) رحلة المرداي (ص٢٣٤)، وينظر: (ص٢٠٠).
(٣) رحلة الورثيلاني (١/ ٦٩).
(٤) المصدر السابق (١/ ٤٢).
(٥) المصدر السابق (١/ ٥٩).
(٦) المصدر السابق (١/ ٢٠١).
(٧) المصدر السابق (٢/ ٥٠٩ -٥١٠)، وينظر: (١/ ٢٩، ٣٩-٤٠، ٣٥٣).

وبسرد هذه الكرامات وأمثالها مما في كتب الرحلات تتبين المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة من وجوه:

أولاً: شدة اهتمام الرحالة بذكر خوارق العادات لكل من يصفونه وليًا، حيًّا كان أو ميتًا، والمبالغة في إثباتها، بل وتجاوز ذلك إلى اختلاقها.

ثانيًا: اعتقادهم وظنهم أن كل خارق للعادة هو كرامة، والكرامة دليل على الولاية، وهذا باطل، فليس كل من جرى على يده خارق للعادة يستلزم أن يكون وليًا.

فإن العادة قد تخرق للكفار والمشركين، في أنواع العلوم والمكاشفات والقدرة والتأثيرات، من قبل الشياطين، كالكهان والسحرة وعباد المشركين وأهل الكتاب، فهؤلاء أولياء الشيطان.

وإنما أولياء الرحمن هم كما قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٣].

فالمجنون لا يصح منه الإيمان ولا التقوى، فامتنع أن يكون وليًّا لله، وإن سُمع منه نوع مكاشفة ونحو ذلك، فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد خرق العادة على كون الشخص وليًّا لله وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله، فكيف إذا علم منه ما يناقض ذلك!.

ثم إن الكرامات قد تكون بحسب حاجة العبد، فيأتيه منها ما يسد حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية لله مستغنيًا عنها فلا تأتيه؛ لعلو درجته وغناه عنها، لا لنقص ولايته، ولهذا كانت الكرامات في التابعين أكثر منها في الصحابة ﷺ[1].

ثالثًا: أن كثيرًا من هذه الخوارق مما يخالف الشرع، كدعوى مشاركة الله فيما هو من خصائصه سبحانه، من التصرف بالكون والعلم بالغيب، وكذا رؤية النبي ﷺ والخضر وغيرهما ممن يسمونهم أولياء يقظة.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٥٣، ١١/ ٢٨٣، ٢٩٤-٢٩٥)، المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٢٠)، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٤٧-٥١)، النبوات (٢/ ١٠٢١)، فتح الباري (٧/ ٣٨٣)، تيسير العزيز الحميد (ص٣٣٦).

فإن كل خارقة حدثت أو تحدث إلى قيام الساعة يجب أن تعرض على الشرع؛ فإن وافقت فهي حق وصدق وكرامة من الله سبحانه، وإن خالفت فهي باطل وكذب وتلبيس من إبليس(١).

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: «وقد اتفق أهل المعرفة والتحقيق أن الرجل لو طار في الهواء، أو مشى على الماء، لم يتبع إلا أن يكون موافقًا لأمر الله ورسوله ﷺ، ومن رأى من رجل مكاشفة أو تأثيرًا فاتبعه في خلاف الكتاب والسنة كان من جنس أتباع الدجال؛ فإن الدجال يقول للسماء: أمطري فتمطر، ويقول للأرض: أنبتي فتنبت، ويقول للخربة: أخرجي كنوزك فيخرج معه كنوز الذهب والفضة، ويقتل رجلاً ثم يأمره أن يقوم فيقوم، وهو مع هذا كافر ملعون عدو لله»(٢).

رابعًا: أن غلوهم في إثبات الكرامات؛ ليجعلوها دليلاً على أمور شركية وبدعية تتعلق بالولي صاحب الكرامة.

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٧٧-٣٧٨)، الموافقات (٢/ ٤٨١)، قطر الولي على حديث الولي (ص٢٣٤).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣١٤)، وينظر: (١١/ ١٧٣).

المبحث الثالث

الإيمان باليوم الآخر

ويشتمل على المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: تعريف الإيمان باليوم الآخر وأدلته.

المطلب الثاني: المسائل في الإيمان باليوم الآخر وتقويمها.

المطلب الأول: تعريف الإيمان باليوم الآخر وأدلته:

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، فمن أنكره فقد كفر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

وقد دل الكتاب والسنة على وجوب الإيمان به، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال ﷺ عن الإيمان كما في حديث جبريل عليه السلام: ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره))(١).

ومعنى الإيمان باليوم الآخر هو التصديق الجازم بإتيانه والعمل بموجب ذلك، مما أخبر الله في كتابه، أو أخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت(٢).

وهو يتضمن أربعة أمور:

الأول: ما يسبق اليوم الآخر مما يُلحق به من الإيمان بالموت، والبرزخ، وأشراط الساعة.

الثاني: الإيمان بالبعث بعد الموت.

الثالث: الإيمان بالحساب والجزاء.

الرابع: الإيمان بالجنة والنار(٣).

---

(١) أخرجه مسلم كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى (١/ ٣٦) ح(٨) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) ينظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية (ص٩٥).

(٣) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٣٣٦)، شعب الإيمان (١/ ٢٣٥)، مجموع الفتاوى (٣/ ١١٥)، شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٠١)، فتح الباري (١/ ١١٨)، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة للحكمي (ص٥٥).

المطلب الثاني: المسائل في الإيمان باليوم الآخر وتقويمها:

المسألة الأولى: البرزخ:

البرزخ: هو الحائل بين الشيئين[١]، وهو من وقت الموت إلى البعث فمن مات فقد دخل في البرزخ[٢].

والأرواح في البرزخ متفاوتة في مستقرها أعظم تفاوت، فمنها أرواح في حواصل طير خضر وهي أرواح الشهداء.

وقد نقل العياشي عن السبكي في ترجمته لعبد الكريم علم الدين العراقي[٣] أنه قال على وجه السؤال: «في حديث: إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، لا يخلو إما أن يحصل للطير حياة بتلك الروح وهو عين ما تقوله التناسخية[٤]، أو لا، وهو مجرد حبس الأرواح وسجنها. قال السبكي: الجواب أن يلتزم الثاني ولا يلزم كونه مجرد حبس وسجن؛ لجواز أن يقدر الله لها في تلك الحواصل من السرور والنعيم ما لا تجده في الفضاء الواسع. قلت: وهذا الجواب عندي غير كاف، ولا بد من أبسط من هذا، ولا يسعه هذا المحل»[٥].

وما ذكره العياشي موافق لما قد دل عليه حديث رسول الله ﷺ حين سئل عن حياة الشهداء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ٣٣٣).

(٢) ينظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٢٢٢).

(٣) هو عبد الكريم بن علي بن عمر الأنصاري الشيخ علم الدين العراقي الضرير، وهو مصري وإنما قيل له العراقي؛ لأن أبا إسحاق العراقي شارح المهذب هو جده من جهة الأم، رحل إلى العراق ثم عاد إلى مصر، وهي بلده فسمي العراقي، وضع كتابًا في الانتصار للزمخشري من ابن المنير، وصنف مختصرًا في أصول الفقه، توفي سنة٧٠٤هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (١٠/ ٩٥)، أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي (٣١٣٨-١٣٩)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٣/ ٢٠١).

(٤) التناسخ: انتقال روح الميت من جسد إلى آخر في دورات متتالية، وتعيين الجسد الذي تحل فيه ثانية رهن بسلوكها في حياتها الأولى، وهي عقيدة انتشرت في ملل ونحل منحرفة كثيرة، تعارض الإيمان باليوم الآخر وتخالف العقول السليمة. ينظر: الفصل في الملل والنحل (١/ ٧٦-٧٧)، الملل والنحل (٢/ ٥٤)، الأدلة النقلية التي استدل بها أصحاب التناسخ عرضها ونقض استدلالهم بها للدكتور محمد العلي، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام العدد ٣٧.

(٥) رحلة العياشي (٢/ ١١١).

يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فقال: ((أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل))(١).

وهذه هي أرواح بعض الشهداء لا كلهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه.

وهذا من النعيم الذي أكرم الله به الشهداء في البرزخ غير ما أعده لهم في الجنة؛ فإن الشهداء لما بذلوا أجسادهم للقتل في سبيل الله عوضهم عنها بهذه الأجساد في البرزخ، هي الطير التي تكون في حواصلها؛ ليكمل بذلك نعيمها ويكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الأجساد، فإذا كان يوم القيامة رد أرواحهم إلى تلك الأبدان التي كانت فيها في الدنيا.

وإذا كان هذا المعنى قد دلت عليه السنة الصريحة فهو حق يجب اعتقاده(٢).

يقول ابن القيم –رحمه الله–: «إن تسمية ما دلت عليه السنة الصريحة من جعل أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تناسخًا لا يبطل هذا المعنى، وإنما التناسخ الباطل ما تقوله أعداء الرسل من الملاحدة وغيرهم الذين ينكرون المعاد، إن الأرواح تصير بعد مفارقة الأبدان إلى أجناس الحيوان والحشرات والطيور التي تناسبها وتشاكلها، فإذا فارقت هذه الأبدان انتقلت إلى أبدان تلك الحيوانات فتنعم فيها أو تعذب، ثم تفارقها وتحل في أبدان أُخر تناسب أعمالها وأخلاقها، وهكذا أبدًا فهذا معادها عندهم»(٣).

ولا يلزم من أن أرواح الشهداء في حواصل الطير كونه مجرد حبس وسجن للأرواح؛ لأن الحديث ثابت في بيان النعيم لأرواح الشهداء، وليس للأقيسة والعقول في هذا حكم،

---

(١) أخرجه مسلم كتاب: الإمارة، باب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون (٣/ ١٥٠٢) ح(١٨٨٧) عن ابن مسعود ﷺ.

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٣/ ٣٣)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٩٩)، الروح (ص١١٣-١١٤)، روضة المحبين لابن القيم (ص٤٦٠)، أهوال القبور لابن رجب (ص١٢٧).

(٣) الروح (ص١١٤).

وكله من المجوزات، فلا مانع من أن تكون في الأجواف حقيقة ويوسعها الله لها حتى تكون أوسع من الفضاء، أو يجعل في تلك الحواصل من النعيم ما لا يوجد في الفضاء الواسع[1].

المسألة الثانية: أشراط الساعة:

وهي الأمارات والعلامات الدالة على قرب وقوعها[2].

وذلك أن وقت قيام الساعة من الغيب الذي استأثر الله بعلمه، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فلا يعلم أحد قيام الساعة إلا الله وحده.

وقد ورد في الكتاب والسنة كثير من أشراط الساعة، وصنَّف العلماء قديمًا في علاماتها.

وأشار بعض الرحالة إلى بعضها، فمنها:

ما قاله الورثيلاني: «خاتمة: ينبغي أن أذكر شيئًا من شروط قيام الساعة؛ ليكون الناظر فيها على حذر، وليستعد لها أيضا ما يصلح أن يكون زادا فقلت وعلى الله اعتمدت:

قال صاحب كتاب (الجمان في مختصر أخبار الزمان) ما نصه: ولنختم إن شاء الله هذا التأليف المختصر بالعلامات التي تكون بين يدي الساعة إلى انقراض الدنيا: واعلم أنه لا خلاف بين أهل العلم أن مبعثه ﷺ من علاماتها الكبرى لقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ثم انشقاق القمر من علاماتها الكبرى، وأما الصغرى فكثير ذكرها ﷺ في أحاديث كثيرة مختلفة، وأما العلامات الكبرى فثمانية، قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، فبعث النبي ﷺ، وانشقاق القمر، ونحن ننتظر الستة وهي: الدجال، ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من

---

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٣٢)، الديباج على صحيح مسلم للسيوطي (٤/ ٤٨٤)، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور له أيضًا (ص٢٤٠)، فيض القدير (٢/ ٥٣٤).

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢/ ٤٦٠)، المفهم (١/ ١٤٧).

مغربها، وخروج الدابة، والزلزلة والدخان، وأما الصغرى...»، وذكر منها: انتشار الزنا، وظهور الكاسيات العاريات، وكثرة القتل[(١)].

ومن أشراط الساعة التي ذكرها الرحالة خروج المهدي[(٢)]، وقد أطال المكناسي في ذكر ذلك فتكلم عن ظهور رجل يدّعي أنه مقدمة المهدي، وذكر حديث رسول ﷺ في ذلك: عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يخرج رجل من وراء النهر يقال له: الحارث بن حراث، على مقدمته رجل يقال له: منصور يوطئ أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله ﷺ، وجب على كل مؤمن نصره (أو قال) إجابته))[(٣)].

ثم ذكر بعض أحاديث رسول الله ﷺ التي تتعلق بخبر المهدي، فعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام...))[(٤)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((ذكر رسول الله ﷺ بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلا من عترتي من أهل بيتي، فيملأ به الأرض قسطا كما ملئت ظلمًا وجورًا، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطرها شيئًا إلا صبته مدرارًا، ولا تدع الأرض من مائها شيئًا إلا أخرجته، حتى

---

(١) رحلة الورثيلاني (٢/ ٨١٣-٨١٤)، وينظر: (٣/ ٨١٥-٨٢٠)، رحلة العياشي (٢/ ١٢٧، ٣٢٧)، رحلة النابلسي (ص١٤٣-١٤٤)، رحلة الزياني (ص ٢٤٨)، رحلة المرادي (ص٦١).

(٢) ينظر: رحلة الورثيلاني (٢/ ٥٨٣)، رحلة المكناسي (ص١٠٥)، رحلة الزياني (ص٢٥٨).

(٣) أخرجه أبو داود كتاب: المهدي (٢/ ٥١١) ح(٤٢٩٠). قال المنذري: «وهذا أيضًا منقطع، وقال فيه أبو داود: قال هارون؛ يعني: ابن المغيرة. وقال الحافظ أبو القاسم الدمشقي: هلال بن عمرو، وهو غير مشهور عن علي» مختصر سنن أبي داود (٦/ ١٦٢) ح(٤١٢٢)، وقال الألباني: «ضعيف» صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص١٤٥٦) ح(١٤٥٥٥)، وهداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة (٥/ ١٢١-١٢٢) ح(٥٤٨٦).

(٤) سبق ترجمته في الصفحة رقم [٦٢].

تتمنى الأحياء الأموات، يعيش في ذلك سبع سنين أو ثمان أو تسع سنين))[١]، ثم أورد شرح ألفاظ هذه الأحاديث[٢]. إلى أن قال: «ولما جمح بنا جواد القلم إلى خبر المهدي المنتظر، فلنورد بعض ما يتعلق بخبره ومقدماته، فنقول: ذكر الحافظ السيوطي في تأليفه (العرف الوردي في أخبار المهدي) عند ذكر الفتن المتصلة بخروجه: وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه فيُقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو))[٣]. وعنه أيضًا: ((يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا))[٤]... فإن قيل: على أي مذهب من المذاهب الأربعة يجري الأحكام المهدي ونبي الله عيسى عليه السلام بعده؟ نقول: قال في كتاب (الإشاعة لأشراط الساعة)[٥]... ما نصه: تنبيه: وقع لبعض جهلة الحنفية أنه ادعى أن كلاً من عيسى والمهدي يقلدان مذهب الإمام أبي حنيفة... وكان بعض من يتسم بالعلم من الحنفية ويتصدر للتدريس يشهر هذا القول، ويفتخر به ويقرره في مجلس درسه بالروضة المشرفة، فذكر لي ذلك، فأنكرته عليه وجهلت قائله وناقله ومقرره، فلما بلغه إنكاري نسبني إلى التنقيص في حق الإمام أبي حنيفة وحاشاه من ذلك...»[٦]، ثم نقل قول المخالف والرد عليه ونقضه[٧].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥١٢) ح(٨٤٣٨) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «سنده مظلم»، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٣٧١) ح(٢٠٧٧٠) واللفظ له. وقال الألباني: «ضعيف» تحقيق مشكاة المصابيح (٥/ ١٢١) ح(٥٣٥٨).

(٢) ينظر: رحلة المكناسي (ص١٠٥-١٢٠)، وقد أورد شرح ألفاظ الأحاديث من كتاب (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) لعلي القاري-رحمه الله-.

(٣) أخرجه مسلم كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب (٤/ ٢٢١٩) ح(٢٨٩٤).

(٤) أخرجه البخاري كتاب: الفتن، باب: خروج النار (٦/ ٢٦٠٥) ح(٦٧٠٢)، ومسلم كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب (٤/ ٢٢١٩) ح(٢٨٩٤).

(٥) يعني: محمد بن عبد الرسول الحسني الموسوي الشهرزوري البرزنجي.

(٦) رحلة المكناسي (ص١٢٠-١٢٦).

(٧) ينظر: المصدر السابق (ص ١٢٧-١٣١).

وأشراط الساعة قد قسّمها العلماء إلى قسمين:

الأول: الأشراط الصغرى:

وهي ما يكون من نوع المعتاد، وغير خارق للعادة، وتتقدم قيام الساعة بأزمان متطاولة[(١)].

ومنها ما أورده الورثيلاني والمكناسي، ويدل على كل منها:

١- انتشار الزنا، ودليله: قول النبي ﷺ: ((إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا))[(٢)].

٢- كثرة القتل، ودليله: قول النبي ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج قالوا: وما الهرج؟ يا رسول الله، قال: القتل القتل))[(٣)].

٣- ظهور الكاسيات العاريات، ودليله: ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت ﷺ يقول: ((سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال، يترلون على أبواب المسجد نساؤهم كاسيات عاريات...))[(٤)].

٤- بعثة النبي ﷺ، ودليله: قوله ﷺ: ((بعثت أنا والساعة كهاتين))، وضم السبابة والوسطى[(٥)].

---

(١) ينظر: التذكرة للقرطبي (ص١٢١٧)، فتح الباري (١/ ١٢١، ١٧٨، ١٣/ ٨٥).

(٢) أخرجه البخاري كتاب: العلم، باب: رفع العلم وظهور الجهل (١/ ٤٣) ح(٨٠) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري كتاب: الاستسقاء، باب: ما قيل في الزلازل والآيات (١/ ٣٥٠) ح(٩٨٩)، ومسلم كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما (٤/ ٢٢١٣) ح(١٥٧) واللفظ له، عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل (١١/ ٦٥٤) ح(٧٠٨٣)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٦٤) ح(٥٧٥٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٣) ح(٨٣٤٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، وقال الألباني: «حسن» صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٢٢) ح(٢٠٤٣).

(٥) أخرجه البخاري كتاب: الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: ((بعثت أنا والساعة كهاتين)) (٥/ ٢٣٨٥) ح(٦١٣٩)، ومسلم كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة (٤/ ٢٢٦٨) ح(٢٩٥١) عن أنس بن مالك ﷺ.

٥- انشقاق القمر، وقد انشق القمر في زمن النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر))[١].

وقد عد هاتين العلامتين الأخريين من نقل عنه الورثيلاني من أشراط الساعة الكبرى، خلافًا لما اصطلح عليه العلماء أنهما من أشراط الساعة الصغرى؛ لأنها تسبق قيام الساعة بأزمان متطاولة، والله تعالى أعلم.

٦- خروج المهدي، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ في خروج المهدي آخر الزمان، وأنه من أهل بيته ﷺ[٢]، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يكون في آخر أمتي خليفة، يحثي المال حثيًا لا يعده عددًا))[٣]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العربَ رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي))[٤]، وغيرها من الأحاديث الصحيحة الثابتة؛ وما أورده المكناسي من أحاديث ضعيفة لم تثبت.

الثاني: الأشراط الكبرى:

وهي ما يكون من نوع غير معتاد، وخارق للعادة، وتظهر متتابعة قرب قيام الساعة[٥].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر (٣/ ١٣٣١) ح(٣٤٣٨)، ومسلم كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: انشقاق القمر (٤/ ٢١٥٩) ح(٢٨٠٢) واللفظ للبخاري.

(٢) ينظر: المنار المنيف (ص١٤٢)، فتح الباري (٦/ ٤٩٣، ٤٩٤)، الحاوي للفتاوي (٢/ ٨١)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٢)، الإشاعة في أشراط الساعة للبرزنجي (ص١٣٩)، عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر لعبد المحسن العباد (ص٩٦).

(٣) أخرجه مسلم كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (٤/ ٢٢٣٤) ح(٢٩١٣).

(٤) أخرجه الترمذي كتاب: الفتن عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في المهدي (٤/ ٥٠٥) ح(٢٢٣٠) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأبو داود كتاب: المهدي (٢/ ٥٠٨) ح(٤٢٨٢) واللفظ له. وقال الألباني: «حسن صحيح» صحيح سنن أبي داود (٣/ ٢٠) ح(٤٢٨٢).

(٥) ينظر: التذكرة (ص١٢١٧)، فتح الباري (١/ ١٢١، ١٧٨، ١٣/ ٨٥).

وهي مجموعة في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ((ما تذاكرون؟)) قالوا: نذكر الساعة، قال: ((إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات؛ فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم))(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟))(٢).

وأما القول بحكم المهدي وعيسى ﷺ بمذهب أبي حنيفة؛ فهو كما أشار إليه المكناسي، قول باطل لا أصل له، خاصة أن المذاهب الأربعة حادثة بعدُ(٣).

المسألة الثالثة: أحوال الآخرة:

أولاً: نعيم الجنة:

الجنة هي الدار التي أعدها الله للمؤمنين الذين أطاعوه واتبعوا أمره، فهي دار الثواب في الآخرة، ودار النعيم والسرور، وهي على درجات، وأهلها خالدون فيها يتمتعون بأصناف النعيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، دائمًا لا ينقطع أبدًا.

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥].

ومن المسائل التي ذكرها الرحالة فيما يتعلق بأنهار الجنة ما قاله العياشي: «ونحن على ساحل النيل الذي هو أشرف الأنهار الأربعة الخارجة من الجنة»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة (٤/ ٢٢٢٥) ح(٢٩٠١).

(٢) أخرجه البخاري كتاب: الأنبياء، باب: نزول عيسى بن مريم ﷺ (٣/ ١٢٧٢) ح(٣٢٦٥)، ومسلم كتاب: الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ (١/ ١٣٥) ح(١٥٥).

(٣) ينظر: الحاوي (٢/ ١٤٨)، وحاشية قليوبي (٤/ ٢٢٩)، رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين (١/ ١٥١، ١٥٢).

(٤) رحلة العياشي (١/ ٢٢٠)، وذكر مثل ذلك الورثيلاني نقلاً عن شيخه أحمد بن ناصر الدرعي. ينظر: (١/ ٢٩٣).

وما قاله الزياني: «روي أن أربعة من أنهار الجنة: سيحون وجيحون والنيل والفرات»[١].

قد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((سيحان وجيحان[٢] والفرات والنيل كل من أنهار الجنة))[٣].

وقد اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث على أقوال:

الأول: أن الحديث على ظاهره، وأن هذه الأنهار من الجنة حقيقة، لكن لما نزلت إلى الأرض صار لها حكم أنهار الدنيا.

الثاني: أن الحديث تشبيه لهذه الأنهار بأنهار الجنة؛ لما فيها من الصفاء والعذوبة والجريان والبركة.

الثالث: أن الإيمان سيعم هذه البلاد، وأن الأجسام المتغذية بمياه هذه الأنهار مصيرها الجنة، وهو بعيد[٤].

والله أعلم بالمراد.

---

(١) رحلة الزياني (ص٣١٣)، وينظر: (ص٣١٥)، والحديث أخرجه البزار في مسنده (١٥/ ١٩) ح(٨١٩٩)، والنسائي في الإغراب (ص٢٣٦) ح(١٦٦) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) اختلف أهل العلم في تعيينهما فقد حكى الإمام النووي الاتفاق على المغايرة بين سيحون وجيحون وسيحان وجيحان، قال: «فأما سيحان وجيحان المذكوران في هذا الحديث اللذان هما من أنهار الجنة في بلاد الأرمن، فجيحان نهر المصيصة وسيحان نهر إذنه، وهما نهران عظيمان جدًا أكبرهما جيحان فهذا هو الصواب في موضعهما» شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٧٦)، وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٢٣، ٢٤٣٣)، فيض القدير (٤/ ١٥٥، ٥٥٨)، بحث في سيحون وجيحون وما ذكره أئمة اللغة في ذلك ضمن الفتح الرباني للشوكاني.

وذكر القاضي عياض والقرطبي وابن كثير: أن سيحان وجيحان كذا جاء ذكرهما في الحديث أنهما من أنهار الجنة، ويقال أيضا: سيحون، وجيحون وهما نهران ببلاد خراسان، وسيحون غربي مجرى جيحون ودونه في القدر. ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ١٦٨-١٦٩، ٢/ ٢٣٤)، المفهم (١/ ١٨٦)، البداية والنهاية (١/ ٢٩).

(٣) أخرجه مسلم كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: ما في الدنيا من أنهار الجنة (٤/ ٢١٨٣) ح(٢٨٣٩).

(٤) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٨/ ٣٧٢)، شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٧٧) البداية والنهاية (١/ ٢٧)، فتح الباري (٧/ ٢١٤)، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٦/ ٦٧٤).

وقد أشار الرحالة إلى فضائل بعض البقاع وأنها من الجنة، ومن ذلك ما ذكروه عن جبل أحد.

يقول العياشي: «جبل أحد... ولذا كان من جبال الجنة إذ المرء مع من أحب...»[(١)].

ويقول الورثيلاني: «وفضل جبل أحد على الجملة معلوم مشهور... أنه على باب من أبواب الجنة»[(٢)].

وقد استدل بعض الرحالة بأحاديث في فضائل جبل أحد وأنه من جبال الجنة، ولكنها أحاديث لا تصح، منها: ((أحد هذا جبل يحبنا ونحبه، على باب من أبواب الجنة))[(٣)].

وهذا حديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به.

وقد توسعوا في ذلك فذكروا بقاعًا أخرى وعدوها من الجنة، لم تصح بها الأدلة[(٤)].

ثانيًا: عذاب النار:

النار هي الدار التي أعدها الله للكافرين، ولمن عصاه وخالف أمره، فهي دار العقوبة في الآخرة، ودار الذل والهوان، وهي على دركات، والكفار خالدون فيها يذوقون أصناف العذاب دائمًا لا ينقطع أبدًا.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٤ – ٦٥].

---

(١) رحلة العياشي (١/ ٤٠٢).

(٢) رحلة الورثيلاني (ص ٤٨٤)، وينظر: (٢/ ٥٦١).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٣١٥) ح(٦٥٠٥)، والدولابي في الكنى والأسماء (١/ ١٢٧) ح(٢٦٠)، وابن بشران في الأمالي (ص٢١٧) ح(٤٩٨)، والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٤/ ٣٣٥) ح(٦٩٧٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٩) ح(٥٩١٢) وقال: «رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عبد المجيد بن أبي عبس لينه أبو حاتم، وفيه من لم أعرفه»، وقال الألباني: «ضعيف» سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٤/ ١٢٢) ح(١٦١٨)، والجملة الأولى من الحديث متفق عليها بلفظ: ((هذا جبل يحبنا ونحبه)).

(٤) كبطحان ورضوى، ومقبرة القرافة وغيرها. ينظر: رحلة العياشي (١/ ٢٦٣، ٤١٩)، رحلة الورثيلاني (١/ ٢٠٨)، رحلة النابلسي (ص٣٢٢)، رحلة الزياني (ص٣١٥-٣٢٩)، رحلة المرادي (ص٢٠٨).

وممن خالف في ذلك بعض الصوفية، وعلى رأسهم إمام الطائفة الاتحادية ابن عربي ومذهبهم: أن أهل النار مآلهم إلى نعيم ولكن في النار، فيعذبون فيها إلى أن تنقلب طبيعتهم فتصير نارية، فيتلذذوا بها لموافقة طبعهم(١).

وقد ذكر هذا المكناسي ضمن المسائل المنكرة على ابن عربي -في معرض الدفاع عنه- كلام الأخير بحروفه: قال ﷺ في كتابه (الفتوحات المكية): «السكنى لأهل النار لا يخرجون منها كما قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ يعني في النار، ولم يقل فيه ويريد العذاب، فلو قال عند ذكر العذاب خالدين فيه أشكل الأمر، فلما عاد الضمير على النار لم يلزم العذاب... وما ورد في العذاب شيء يدل على الخلود فيه، كما ورد في الخلود في النار، ولكن العذاب لا بد منه في النار وقد غيّب عنا الأجل في ذلك... إلا أن الظواهر تعطي الأجل في ذلك، ولكنها كمية مجهولة لم يرد بها نص... وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، فليس ذوقهم للعذاب خاصًّا بتألمهم به دائمًا، بل يمكن أن يقال يذوقونه أولاً عند مسهم له محض ألم وجيع، ثم يتطورون في طور آخر فيذوقونه لذة وعذوبة، فيبقى العذاب أبدًا ويبقى ذوقهم له أبدًا ولكن تتبدل جهة الذوق فقط، فليس في هذه الآية صريح تسرمد الألم والوجع على أهل النار فتأمل»، وقال ابن عربي في موضع آخر: «فتتنوع عليهم أسباب الألم ظاهرة وهم يجدون عنها اللذة في نفوسهم باطنًا، بعد ما يأخذ العذاب الألم منهم حق العقوبة الموازي لمدة الكفر في الدنيا، فإذا فرغ الأمد جعل لهم في نعيم في النار والسلاسل، بحيث لو دخلوا الجنة تألموا لعدم موافقة المزاج الذي ركبهم الله عليه، فهم يتلذذون بالنار والزمهرير وما فيها من لدغ الحيات والعقارب، كما يتلذذ أهل الجنة بالظلال والنور ولثم الحور الحسان الذي مزاجهم يقتضي ذلك...»، إلى أن قال المكناسي: «فإن قلت: ما نتيجة العذاب حينئذ إذا لم يتألموا به؟ قلت: نتيجته أن ينقلب عذوبة خاصة بهم في حقهم بعد انقضاء مدة الألم، لا كالعذوبة

---

(١) ينظر: الفتوحات المكية (٢/ ٦٤٧، ٦٧٣، ٣/ ٧٧)، فصوص الحكم (١/ ١٦٩-١٧٠).

التي يدركها أهل الجنة في نعيمهم، فكلما زاد العذاب وقوي زاد تنعمهم الخاص به، كما أشار إليه الشيخ رضي الله عنه في أبيات الفصوص:

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد والأمر واحد وبينهما عند التجلي تباين
يسمى عذابًا من عذوبة طعمه وذاك له كالقشر والقشر صائن

إلى آخر ما قاله المكناسي في نقله عن ابن عربي[1].

وهذا مذهب باطل، يمكن بيان بطلانه من وجوه، منها:

الأول: أن هذا المذهب مما يعلم بالاضطرار فساده من دين الإسلام؛ لمخالفة دلالة الكتاب والسنة والإجماع.

فنصوص الكتاب والسنة قد جاءت كثيرة صريحة تثبت الوعيد بالنار وأنها دار عذاب، وتصف ما فيها من أنواع العذاب ودوامه، فأما دلالة الكتاب فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة: ١٦١ – ١٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦].

فأهل النار خالدون في عذابها من غير تخفيف ولا توقيت، بل مستمر لا ينقطع أبدًا.

وأما دلالة السنة: فعذاب النار مما كان يستعيذ منه الرسول ﷺ فيدعو قائلاً: ((اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال))[2].

---

(١) رحلة المكناسي (ص ٢٠٩-٢١٩).

(٢) أخرجه البخاري كتاب: الجنائز، باب: التعوذ من عذاب القبر (١/ ٤٦٣) ح(١٣١١)، ومسلم كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: ما يستعاذ منه في الصلاة (١/ ٤١٢) ح(٥٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ويصف رسول الله ﷺ أهون الناس عذابًا في النار بقوله: ((إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان[١] من نار يغلي منهما دماغه، كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابًا))[٢].

وقال رسول الله ﷺ: ((إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي منادٍ يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم))[٣].

وأما دلالة الإجماع فقد أجمع العلماء على أن النار حق، وأنها دار عذاب وعقاب سرمدًا لكل كافر[٤].

الثاني: أن هذا المذهب مخالف لصريح العقل، يقول ابن القيم –رحمه الله–: «وهذا خيال فاسد وتقدير في النفس، وإلا فالحقيقة الخارجية تكذب هذا الخيال الباطل؛ بل لو صب عليه أدنى شيء من عذابه لصاح واستغاث وطلب العفو والعافية، وحكمة الله تقتضي تعجيز هذه النفوس الجاهلة الرعناء الحمقاء بأدنى شيء يكون من الألم والوجع؛ حتى يتبين لها دعاويها الكاذبة وشطحها الباطل، وهذا سيد المحبين وسيد ولد آدم استعاذتُه بالله من عذابه وبلائه وسؤاله عافيته ومعافاته معلومةٌ في أدعيته، وتضرعُه إلى ربه وابتهاله إليه في ذلك، وهي أكثر وأشهر من أن تذكر ها هنا، وإن ما في سيد المحبين أسوة وقدوة ولكن قد ابتلي كثير من أهل الإرادة بالشطح، كما ابتلي كثير من أهل الكلام بالشك، والمعافى من عافاه الله من هذا وهذا، فنسأل الله عافيته ومعافاته»[٥].

---

(١) مثنى شراك، وهو: السير الذي يكون في النعل على ظاهر القدم. ينظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ١٢٩).

(٢) أخرجه مسلم كتاب: الإيمان، باب: أهون أهل النار عذابًا (١/ ١٩٦) ح(٢١٣) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار (٥/ ٢٣٩٧) ح(٦١٨٢)، ومسلم كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء (٤/ ٢١٨٩) ح(٢٨٥٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) ينظر: الفقه الأكبر لأبي حنيفة (ص٦٣)، الإبانة الصغرى لابن بطة (ص٢٢٩)، الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم (ص٢٢١)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٤٠٣).

(٥) طريق الهجرتين (ص٤٣٤-٤٣٥).

الثالث: أن هذا القول لم يسبق ابنَ عربي إليه أحدٌ من العوام فضلاً عن الخواص، بل قد أجمع العلماء على كفر من قال بهذا بلا نزاع؛ لأنه يلزم من ذلك تكذيب الرسول ﷺ، وما جاء به؛ لثبوت النصوص الصحيحة الصريحة في إثبات العذاب[١].

يقول القاضي عياض[٢] -رحمه الله-: «من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا ﷺ، ولكن جوّز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه أو لم يدعها، فهو كافر بإجماع، كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض، وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة، فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة، والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها، ومفهوم خطابها، وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم؛ فمضمن مقالاتهم إبطال الشرائع وتعطيل الأوامر والنواهي، وتكذيب الرسل»[٣].

الرابع: أن رد ابن عربي لما دل عليه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]، وأنها لا تدل على تسرمد الألم والعذاب باطل؛ فالآية دلت على أنه كلما احترقت جلودهم احتراقًا تامًّا بدَّلهم الله جلودًا غيرها ليدوم لهم، وليبلغ العذاب منهم كل مبلغ، فالإحساس لعمل النار في الجلد الذي لم يحترق، أبلغ من إحساسه لعملها في المحترق، وكما تكرر منهم الكفر والعناد وصار وصفًا لهم وسجية؛ كرر عليهم العذاب؛ جزاء وفاقا[٤].

---

(١) ينظر: الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم (ص٢٢١-٢٢٢)، مجموع الفتاوى (١٩/ ١٥٠)، الصفدية (١/ ٢٤٥-٢٤٧)، تنبيه الغبي إلى كفر ابن عربي للبقاعي (ص١٥٩)، كشف الغطاء لحسين الأهدل (ص١٨٤)، الرد على القائلين بوحدة الوجود للهروي (ص٨٥).

(٢) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي، ثم السبتي المالكي، أبو الفضل، المشهور بالقاضي، إمام علامة حافظ، من مؤلفاته: (الإكمال في شرح كتاب مسلم)، و(مشارق الأنوار)، توفي سنة ٥٤٤هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٣/ ٤٨٣-٤٨٥)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢١٢-٢١٧).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢٨٣-٢٨٤)، وينظر: (٢/ ٢٩٠).

(٤) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي (٣/ ١٧٦)، تفسير السعدي (ص١٨٢).

الخامس: أنه ثَمَّةَ تناقض في قول ابن عربي، فتارة يقول: إن للعذاب أجلاً ولكنه مجهول قد غيّب ولم يرد به نص، وأخرى يقول: إن للعذاب أجلاً وهو مدة توازي مدة الكفر في الدنيا، والصحيح -والله تعالى أعلم- أن العذاب مستمر على أهل النار، يقول الشيخ الشنقيطي(١)-رحمه الله-: «ولا غرابة في ذلك؛ لأن خبثهم الطبعي دائم لا يزول، فكان جزاؤهم دائما لا يزول، والدليل على أن خبثهم لا يزول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣]، فقوله ﴿خَيْرًا﴾ نكرة في سياق الشرط؛ فهي تعمّ، فلو كان فيهم خيرًا ما في وقت لعلمه الله، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]. وعودهم بعد معاينة العذاب، لا يستغرب بعده عودهم بعد مباشرة العذاب؛ لأن رؤية العذاب كالوقوع فيه؛ لا سيما وقد قال تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨]»(٢).

والملاحظ أنه مع قبح هذا القول وشناعته، ووضوح بطلانه وإنكار العلماء له قديمًا، إلا أنه بقي حتى القرن الثالث عشر من يحمل هذا الفكر ويبرره، كالمكناسي هنا وغيره، مما يبين خطر المقالات الشاذة على العامة وبعض الخاصة.

---

(١) هو محمد بن الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي، علاّمة متفنن في علوم عدة، رحل من موريتانيا واستقر في المملكة العربية السعودية، ودرّس فيها وأفتى، من مؤلفاته: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، توفي في مكة سنة ١٣٩٣هـ. ينظر: ترجمة الشيخ أعدها تلميذه عطية محمد سالم في آخر (أضواء البيان) (٤٦٩/٩)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣٧١/٦).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص٩٧).

المبحث الرابع

الإيمان بالقضاء والقدر

ويشتمل على المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: تعريف الإيمان بالقضاء والقدر وأدلته.

المطلب الثاني: المسائل في الإيمان بالقضاء والقدر وتقويمها.

المطلب الأول: تعريف الإيمان بالقضاء والقدر وأدلته:

الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، وهي الواردة في حديث جبريل ﷺ، قال ﷺ: ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره))(١).

وقد دلّ على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر أدلة كثيرة من الكتاب والسنة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

ومن السنة قوله ﷺ: ((لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه))(٢).

ويتضمن الإيمان بالقضاء والقدر أربع مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله أزلاً وأبدًا بكل شيء، سواء كان ذلك مما يتعلق بفعله أم بفعل مخلوقاته.

المرتبة الثانية: الإيمان بكتابة الله لمقادير الخلائق في اللوح المحفوظ؛ ومما يدل على هاتين المرتبتين قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله لكل شيء، سواء أكان ذلك مما يتعلق بفعله أم بفعل مخلوقاته، فما شاء كان وما لم يشأْ لم يكن؛ قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

المرتبة الرابعة: الإيمان بخلق لكل شيء، فما من موجود إلا اللهُ خالقه، بما في ذلك أفعال العباد؛ قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢](٣).

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٤٩].

(٢) أخرجه الترمذي كتاب: القدر عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء لا عدوى ولا هامة ولا صفر (٤/ ٤٥١) ح(٢١٤٤) عن جابر ﷺ. قال الألباني: «صحيح» السلسلة الصحيحة (٥/ ٥٦٦) ح(٢٤٣٩).

(٣) ينظر: السنة للخلال (٣/ ٥٢٩-٥٣٣)، الشريعة للآجري (٢/ ٧٠٢)، مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٨-١٥٠)، شفاء العليل لابن القيم (ص٢٩-٣٣)، جامع العلوم والحكم (٤/ ١٤-١٥)، معارج القبول (٣/ ٩٢٠-٩٤٠)، رسالة في القضاء والقدر لابن عثيمين (٢٠-٢٥).

المطلب الثاني: المسائل في الإيمان بالقضاء والقدر وتقويمها:

من أبرز المسائل الواردة في كتب الرحلات -محل الدراسة- مسألة خلق أفعال العباد الاختيارية، والتي هي من أهم مسائل القدر، ومذهب أهل السنة والجماعة فيها أن الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]، والعباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وعليها يستوجبون المدح والذم، قال تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]، وأن للعباد مشيئةً وقدرة، ولكنها تحت مشيئة الله الكونية وقدرته، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩](١).

وقد انحرف الناس في هذه المسألة إلى مذاهب مشهورة:

الأول: مذهب الجبرية، وهو أن العباد مجبورون على أفعالهم، ولا قدرة لهم ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله فيهم الأفعال كما يخلقها في الجمادات، فلا فاعل في الحقيقة إلا الله، وإنما تنسب الأفعال إلى العباد مجازًا، وبهذا قالت الجهمية(٢).

الثاني: مذهب القدرية، وهو أن العباد خالقون لأفعالهم، مستقلون بذلك عن قدرة الله وإرادته، وبها استحقوا المدح والذم والثواب والعقاب، فلو كان الله خالقًا لأفعال العباد لما جاز ذلك، ولا يجوز نسبتها إلى الله إلا مجازًا، وبهذا قالت المعتزلة(٣).

---

(١) ينظر: خلق أفعال العباد (ص٤٧)، صريح السنة للطبري (ص٢١)، عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (ص٨٥)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للعمراني (١/ ١٦٨)، لمعة الاعتقاد لابن قدامة (٢٣-٢٥)، مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧٤، ٨/ ١١٧- ١١٨، ٢٣٨)، العقيدة الواسطية (ص١٠٨)، شفاء العليل (ص٥١)، شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٢٥، ٤٤٠).

(٢) ينظر: الملل والنحل (١/ ٨٥)، الفرق بين الفرق (ص١٩٩)، مقالات الإسلاميين (ص٢٧٩)، اعتقادات المسلمين والمشركين للرازي (ص٦٨).

(٣) ينظر: الملل والنحل (١/ ٤٥)، الفرق بين الفرق (ص٩٤)، مقالات الإسلاميين (ص٥٣٩)، شرح الأصول الخمسة (ص٣٢٣، ٧٧٨-٧٧٩)، اعتقادات المسلمين والمشركين (ص٣٨).

الثالث: مذهب ادعى أصحابه أنه وسط بين المذهبين، وهو أن الله خالق أفعال العباد، وهم مكتسبون للفعل الذي أحدثه الله على أيديهم، ولا تأثير لقدرة العباد فيها، وإنما تنسب الأفعال إلى العباد كسبًا[١].

ثم اختلفوا في حقيقة هذا الكسب على أقوال[٢]، وملخصها كما نقله ابن القيم -رحمه الله-: «الكسب عبارة عن الاقتران العادي بين القدرة المحدثة والفعل، فإن الله سبحانه أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وإرادته لا بهما»[٣].

وفي مسألة كسب العبد ونسبة فعل العبد إليه وإلى قدرة الرب يقول العياشي: «هي من معضلات المسائل التي حارت فيها أفكار المتقدمين، ولم تحصل على طائل في تحقيق معناها آراء المتأخرين، فقصارى أمرهم فيها اعتقاد انفراد الرب تعالى بالخلق والتقدير، واعتقاد أن للعبد في أفعاله الاختيارية كسبًا به صح نسبة الأفعال إليه، وثبت التكليف وعليه ترتب الثواب والعقاب، وهذا معتقد جميع أهل السنة، وهو الحق الذي لا محيص عنه، ولكنهم إذا ضيقوا في تحقيق معنى هذا الكسب تباينت آراؤهم بين مائل إلى ما يقرب إلى الجبر، ومائل إلى ما يقرب إلى القدر، وأهل السنة لا يقولون بواحد منهما، فقد قال الإمام سعد الدين[٤] في شرح العقائد بعد ما ذكر كلامًا في معنى الكسب ما نصه: وهذا القدر من المعنى ضروري؛ إذ لم نقدر على أزيد من ذلك في تلخيص العبارة المفصحة عن تحقيق كون فعل العبد بخلق الله تعالى وإيجاده مع ما للعبد فيه من القدرة والاختيار... فما دام العبد يعتقد في المسألة معتقدًا ليس بجبر ولا استقلال، فهو على الجادة وإن عجز عن تحقيقه... نقول في

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين (ص٥٣٩)، الفرق بين الفرق (ص٣٢٨)، شعب الإيمان (١/ ٢٠٩)، لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة لأبي المعالي الجويني (١/ ١٢١)، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (٥٥-٥٦)، غاية المرام في علم الكلام (ص٢٢٣)، المواقف (٢/ ١١٩)، شرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني (٢/ ١٢٧).

(٢) ينظر: المصادر السابقة.

(٣) شفاء العليل (ص١٢٢).

(٤) هو مسعود بن عمر بن عبد الله الشيخ، سعد الدين التفتازاني، عالم شافعي، ولد بتفتازان من بلاد خراسان، له تصانيف منها: (شرح مقاصد الطالبين)، و(شرح العقائد النسفية)، توفي بسمرقند سنة ٧٩٢هـ. ينظر: الدرر الكامنة (٦/ ١١٢)، وبغية الوعاة (٢/ ٢٨٥).

الكسب: هو صفة من صفات العبد يحس كل أحد بوجودها فيه، وثبوتها في محله فيها يفرق بين أفعاله الاختيارية والضرورية، ولكنه لا يدري حقيقتها ولا يحقق كل التحقيق نسبة أفعاله إليها، مع اعتقاد انفراد الله تعالى بخلق العبد وخلق أفعاله غير مفتقر إلى معين، واعتقاد أن لكسب العبد دخلا في وجود أفعاله على وجه لا يضايق فيها القدرة الإلهية ولا يزاحمها ولا يعينها... أقوى دليل على كون معتقد العبد موافقًا للسنة في هذه المسألة كونه ليس مع أحد الجانبين، ودليل كونه في غاية التوسط الذي هو غاية التحقيق كونك كلما اعتبرته مع أحد الطرفين ظننته أقرب إليه من الطرف الآخر كقطب الدائرة ومركزها، فعلامة توسطه أنك كلما اعتبرته مع قطر من أقطارها ظننته أقرب إليه من الآخر... إذا سمعت قوله: لقدرة العبد تأثير قلت: هذا قريب من مذهب القدرية، وإذا سمعت قوله: إنما هي قدرة واحدة، ولا قدرة للعبد أصلاً إلا ما يظهر من أثر قدرة الحق في محله، قلت: هذا قريب من مذهب الجبرية، وهذا لعمري غاية التحقيق لمن علمه، وهو حري بالاعتقاد لمن فهمه، وبالتسليم لمن لم يفهمه...»[(١)].

ويقول الورثيلاني: «فقد انفصلنا بين الظهر والعصر، وفقد كل واحد منا الاصطبار، وزال منا أيضًا الاختيار؛ لأن العبد مجبور في قالب مختار»[(٢)].

ويمكن الرد على هذا المذهب بوجوه، منها:

الأول: أن هذا المذهب مخالف لما دلت عليه نصوص الشرع، من نسبة الأفعال للعباد حقيقة، وأنها كسب لهم يستحقون عليها الثواب والعقاب، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: ١٧].

وكذلك التفريق بين الخلق والمخلوق، والفعل والمفعول، فحركات العباد واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة، وهي مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة، وليست هي نفس فعله وخلقه

---

(١) رحلة العياشي (١/ ٥٢٥- ٥٣٠)، وذكر العياشي أنه قرأ على شيخه صفي الدين القشاشي رسالة في مسألة الكسب، وانتصر الشيخ في ذلك لقول الإمام الجويني في النظامية التي هي من آخر مؤلفاته، وساق في نهاية ترجمة الملا إبراهيم الكوراني رسالة في الكسب وهي تلخيص لمقاصد رسالة الشيخ القشاشي. ينظر: (٦٠٤- ٦٢٠).
(٢) رحلة الورثيلاني (٢/ ٥٣٢)، وينظر: (٢/ ٧٣٢).

الذي هو صفته القائمة به، فالذي قام بالرب ﷻ هو علمه وقدرته ومشيئته وتكوينه، والذي قام بالعباد هو فعلهم وكسبهم وحركاتهم[١]، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [النجم: ٤٣]، فالمضحك المبكي هو الله خالق الضحك والبكاء في العبد، والضاحك الباكي هو العبد، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة: ٨٢]، فلولا أن الله الذي أضحك وأبكى لم يوجد لا ضاحك ولا باك، فهو الذي أجرى على قلب هذا ما أضحكه وعلى قلب هذا ما أبكاه[٢].

الثاني: أن تفسيرهم للكسب بهذا المعنى مخالف لمعناه لغة وشرعًا؛ إذ معناه في اللغة هو الطلب والجمع[٣]، وفي الشرع السعي والعمل، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦][٤].

الثالث: أن تفسيرهم للكسب بهذا المعنى في محاولتهم للتوسط بين الطرفين غير معقول، حيث أثبتوا كسبًا لا حقيقة له، ويظهر ذلك فيما نقله العياشي عن سعد الدين التفتازاني مما يدل عن عجزه في بيان حقيقة معناه مع كونه عالمًا؛ ولهذا صار الناس يسخرون بمن قال هذا، ويقولون: إنه من محالات الكلام[٥].

الرابع: أن تفسيرهم للكسب بهذا المعنى يعود إلى مذهب الجبرية، كما صرح بذلك الورثيلاني[٦]، فالنزاع بينهم وبين الجبرية لفظي؛ إذ النتيجة لهما واحدة، فزعموا أن

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١١٩)، منهاج السنة النبوية (٢/ ١٧٧، ٣٣٣)، شفاء العليل (ص٥٢).

(٢) ينظر: شفاء العليل (ص١٣٤).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٤٨)، الصحاح (١/ ٢١٢)، لسان العرب (٥/ ٣٨٧٠)، القاموس المحيط (ص١٦٧).

(٤) ينظر: شفاء العليل (ص١٢٠).

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١٢٨)، منهاج السنة النبوية (١/ ٣٣٣، ٣/ ٦٥)، شفاء العليل (ص٥٠).

(٦) وقبله قال فخر الدين الرازي: «والإنسان مضطر في صورة مختار». التفسير الكبير (٢٤/ ١٥٤).

العبد كاسب، وليس بفاعل حقيقة، وله قدرة لا تأثير لها؛ وقدرة لا تأثير لها نفي للقدرة أصلاً، فوجود هذه القدرة كعدمها، وهذا هو حقيقة قول الجبرية[1].

الخامس: أن القول بنفي تأثير قدرة العبد على فعله يلزم منه لوازم باطلة، منها: تكذيب دعوة الرسل، وبطلان الشرائع المبنية على الأمر والنهي، ويلزم من بطلان ذلك بطلان الثواب والعقاب، وهذا كاف في بيان بطلان هذا المذهب[2].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٢٨، ٨/ ١١٨)، منهاج السنة النبوية (١/ ٢٩١، ٣/ ٦٧).

(٢) ينظر: شفاء العليل (ص١٣٩).

الفصل الخامس

مسائل الإمامة والصحابة والإيمان

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: الإمامة.

المبحث الثاني: الصحابة.

المبحث الثالث: الإيمان.

المبحث الأول: الإمامة:

الإمامة لغة: مصدر من الفعل أمَّ، يقال: أمَّ القوم وأمَّ بهم تقدمهم، والإمام هو الرئيس وكل من ائتم به قوم، سواء كانوا على الصراط المستقيم أم ضالين(١).

واصطلاحًا: يقول ابن خلدون: «هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»(٢).

وقد ذكر الورثيلاني ما يجب تجاه الأئمة فقال: «إن الولاة من الأمراء تجب طاعتهم إذا كانوا يصلّون، مالم يأمروا بمعصية، فإن أمروا بها فلايسمع منهم»(٣)، ثم نقل جملة من الأحاديث في وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية، ومنها عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((على المرء المسلم السمع والطاعة))(٤)، وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة))(٥)(٦).

وما ذكره الورثيلاني موافق للحق إذ مذهب أهل السنة والجماعة هو وجوب السمع والطاعة للأئمة المسلمين وولاة أمرهم برهم وفاجرهم، مالم يأمروا بمعصية، والدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، والصبر عليهم وإن عدلوا عن العدل وجاروا، ولايرون

---

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٥٧٢)، تهذيب اللغة (١٥/ ٤٥٧)، لسان العرب (١/ ١٣٣)، القاموس المحيط (ص١٣٩٢).

(٢) تاريخ ابن خلدون (١/١٩١).

(٣) رحلة الورثيلاني (٢/ ٧٩٥).

(٤) أخرجه مسلم كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (٣/ ١٤٦٩) ح(١٨٣٩).

(٥) أخرجه البخاري كتاب: الأحكام، باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٦/ ٢٦١٢) ح(٦٧٢٣)، ومسلم كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (٣/ ١٤٦٨) ح(١٨٣٨) بنحوه.

(٦) ينظر: رحلة الورثيلاني (٢/ ٧٩٥-٧٩٦).

الخروج عليهم، وقتالهم بالسيف، ويرون قتال الفئة الباغية؛ حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل كما دل على ذلك كله الكتاب والسنة(١).

يقول الإمام البربهاري(٢)-رحمه الله-: «ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين، لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن ليس عليه إمام برا كان أو فاجرا، والحج والغزو مع الإمام ماضٍ، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة»(٣).

ويقول ابن أبي العز-رحمه الله-: «فتأمل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩]، كيف قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؟ لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول للدلالة على أن من أطاع الرسول فقد أطاع الله، فإن الرسول ﷺ لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله، وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد بالاستغفار والتوبة وإصلاح العمل»(٤).

---

(١) ينظر: الإبانة الصغرى لابن بطة (ص٣٠٥-٣٠٧)، الشريعة (٣٧٣-٣٩٧)، عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث (ص١٠٠)، رياض الجنة بتخريج أصول السنة لابن أبي زمنين (ص٢٨١)، لمعة الاعتقاد لابن قدامة (ص١٨١)، مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٦-١٧)، منهاج السنة النبوية (٣/ ٢٣١).

(٢) هو الحسن بن علي بن خلف البربهاري، أبو محمد، الإمام الفقيه، من أهل بغداد، شيخ الحنابلة في وقته، ومتقدمها في الإنكار على أهل البدع والمباينة لهم باليد واللسان، وكان له صيت عند السلطان، من مؤلفاته: (شرح كتاب السنة)، توفي سنة ٣١٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٠-٩٤)، طبقات الحنابلة (٢/ ١٦-٤٦).

(٣) شرح السنة للبربهاري (ص٢٨-٢٩).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٧٣-٣٧٤).

المبحث الثاني: الصحابة:

الصحابة لغة: جمع صحابي، مشتق من الصحبة، وهي مصدر صحب ويدل على مقارنة الشيء ومقاربته[(١)].

واصطلاحًا: اختلف العلماء في تعريف الصحابي، وقال ابن حجر-رحمه الله-: «وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام.

فيدخل فيمن لقيه: من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.

ويخرج بقيد (الإيمان) من لقيه كافرًا ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى، وقولنا: (به) يخرج من لقيه مؤمنًا بغيره، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة. وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنه سيبعث أو لا يدخل؟ محل احتمال.

ويدخل في قولنا: (مؤمنًا به) كل مكلف من الجن والإنس؛ فحينئذ يتعين ذكر من حفظ ذكره من الجن الذين آمنوا به بالشرط المذكور... وهل تدخل الملائكة؟ محل نظر؛ قد قال بعضهم: إن ذلك ينبني على أنه هل كان مبعوثا إليهم أو لا؟...

وخرج بقولنا: (ومات على الإسلام) من لقيه مؤمنا به ثم ارتد، ومات على ردته والعياذ بالله... ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت، سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا؛ وهذا هو الصحيح المعتمد... وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين؛ كالبخاري، وشيخه أحمد بن حنبل، ومن تبعهما»[(٢)]، كما ذهب إليه الجمهور من المحدثين والأصوليين وغيرهم[(٣)].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٤/ ١٥٣-١٥٤)، الصحاح (١/ ١٦١)، لسان العرب (٤/ ٢٤٠٠).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٦-٧)، وينظر: فتح الباري (٧/ ٣- ٥)، تدريب الراوي للسيوطي (٢/ ٢٠٩)، مقدمة ابن الصلاح (ص١٧١)، فتح المغيث للعراقي (٣/ ٩٣)، ومن كتب الأصوليين: العدة في أصول الفقه لأبي يعلى الفراء (٣/ ٩٨٨)، الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات للمارديني (ص٥).

(٣) ينظر: فتح الباري (٧/ ٣- ٥)، تدريب الراوي للسيوطي (٢/ ٢٠٩)، مقدمة ابن الصلاح (ص١٧١)، فتح المغيث للعراقي (٣/ ٩٣)، ومن كتب الأصوليين: العدة في أصول الفقه (٣/ ٩٨٨)، الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات (ص٥).

وقد تعرض بعض الرحالة لشيء من مسائل الصحابة، ويمكن بيانها على النحو التالي:

أولاً: صحبة عقبة بن نافع:

يقول الورثيلاني عن عقبة بن نافع[(١)] وتسميته بالصحابي: «وإن كان ليس بصحابي، وإنما سمي صحابيا لكونه ولد في زمان النبي ﷺ، فمن نظر إلى ذلك سماه صحابيا، وإلا فالصحابي حقيقة هو من اجتمع بالنبي ﷺاجتماعًا متعارفًا عليه، بحيث تقضي العادة أن ذلك الاجتماع يفيد الصحبة احترازًا عن الاجتياز، فلا تثبت به الصحبة ولايشترط فيها الرؤية والرواية عنه، وإنما هو تابعي؛ لأن من رأى الصحابة تابعي»[(٢)].

فالذي يظهر أن الورثيلاني اشترط الاجتماع بالنبي ﷺ، لكنه لم يشترط الموت عليه.

وقد وافق القول الراجح في نفي الصحبة عن عقبة بن نافع؛ فإن من عده صحابيًّا لكونه ولد زمن النبي ﷺ؛ وذلك من باب استيفاء ذكر القرن الأول الذي عاصره النبي ﷺ، وأثبت أنهم خير القرون من أمته، وإلا فلا وجه لعدِّه في جملة الصحابة، وليس بصحابي على الحقيقة، والله أعلم[(٣)].

ثانياً: تفاضل الصحابة والواجب تجاههم:

استنكر العياشي على أحد مشايخه في شرحه لحديث: ((يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد))[(٤)]، تمثيله لهذين الرجلين بحمزة ﷺ سيد الشهداء، وبين قاتله وحشي ﷺ؛ فإنه

---

(١) هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط الأموي القرشي الفهري، من كبار القادة الفاتحين في صدر الإسلام، ولد في حياة النبي ﷺ وكان ذا شجاعة، وحزم، وديانة، لم يصح له صحبة، خاله عمرو بن العاص، شهد فتح مصر، أنشأ القيروان، وكان نائب إفريقية لمعاوية، وليزيد، قتل سنة ٦٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٧)، الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٦٤).

(٢) رحلة الورثيلاني (١/ ١٤٩-١٥٠)، وينظر: (١/١٢٤)، رحلة المرادي (ص٢٢-٢٥).

(٣) ينظر: كتاب تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة للعلائي (ص٢٢).

(٤) أخرجه البخاري كتاب: الجهاد والسير، باب: الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل (٣/ ١٠٤٠) ح(٢٦٧١)، ومسلم كتاب: الإمارة، باب: بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة (٣/ ١٥٠٤) ح(١٨٩٠) عن أبي هريرة ﷺ.

أسلم بعد ذلك، فيكونان ممن يضحك الله إليهما، فيقول العياشي: «وحشي الحبشي الذي أعرض عنه ﷺ بوجهه يوم جاءه مسلمًا، وقال له: ((إن استطعت أن تغيب وجهك عني فافعل))[(١)] ولم تعرف له صحبة للنبي ﷺ بعد ذلك ولا لقاء آخر يرضى فيه عنه، ولا قرب منه عليه السلام، والعجب كل العجب من هذا المدرس، والله يغفر لنا وله، كيف سولت له نفسه هذه التسوية، وعلى تقدير صحتها، وما أبعدها عن الصحة، كيف قدر لسانه بذلك...أن يسوى أحدا من الرعاع بعظماء أهل بيته ﷺ، خصوصًا زعيمهم الذي قيل أنه أفضلهم، فما بالك إذا سوى بقاتله الذي اشتد سخط الرسول ﷺ عليه...وما قصدت بذلك انتقاص وحشي رضي الله عنه، ولا ذكره بسوء، ولا التعرض لإذايته لما له من فضيلة الصحبة في تلك اللحظة الواقعة بعد النسبة الإسلامية، إلا أن الضرورة دعت إلى ذكر ما تقدم امتعاضًا لمقام السيد حمزة أسد الله ورسوله ﷺ، وردًا على المسوي بينهما، ولولا ذلك لكان الأولى الإعراض عن ذكره بالكلية كما فعل ﷺ...»[(٢)].

إن استنكار العياشي على شيخه بضربه المثل بحمزة ووحشي رضي الله عنهما والتسوية بينهما موافق للحق، فوحشي رضي الله عنه لم يستشهد في سبيل الله كما نقل ذلك أهل السير[(٣)]، والتفاضل بين الصحابة رضي الله عنهم قد دلت عليه أدلة الشرع فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: ١٠].

ويعتذر العياشي أخيرًا عما قاله، بأنه لم يقصد التنقص من وحشي رضي الله عنه، إلا أن الضرورة دعته لذلك.

فمن أصول أهل السنة والجماعة تجاه الصحابة رضي الله عنهم كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: «من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ؛ كما وصفهم الله

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: المغازي، باب: قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه (٤/ ١٤٩٤) ح(٣٨٤٤).

(٢) رحلة العياشي (٢/١٢٩-١٣١).

(٣) ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٢/ ٤٠٤)، أسد الغابة لابن الأثير (٥/ ٤٥٦)، الوافي بالوفيات (٢٧/ ٢٥٣).

به في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[الحشر: ١٠]، وطاعة النبي ﷺ في قوله: ((لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))[(١)]، ويقولون: ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم ويفضلون من أنفق من قبل الفتح وهو صلح الحديبية وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل...ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كاذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره؛ بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر؛ حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات مما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ إنهم خير القرون وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر به عنه...ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر، مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذًا خليلًا)) (٣/ ١٣٤٣) ح(٣٤٧٠) عن أبي سعيد الخدري ﷺ، ومسلم كتاب: فضائل الصحابة، باب: تحريم سب الصحابة ﷺ (٤/ ١٩٦٧) ح(٢٥٤٠) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) العقيدة الواسطية (ص١١٥-١٢٢)، وينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٢٤١/٧)، لمعة الاعتقاد (ص١٧٥).

المبحث الثالث: الإيمان:

الإيمان لغة: جاء في تهذيب اللغة: «وأما (الإيمان) فهو مصدر: آمن يؤمن إيمانًا؛ فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن (الإيمان) معناه: التصديق»[(١)].

ورد شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- هذا المعنى اللغوي، حيث بيَّن فساده من ستة عشر وجهًا[(٢)]، وقال: «ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد»[(٣)].

وشرعًا: فهو اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، وهذا هو ما عليه أهل السنة والجماعة[(٤)]، وضده الكفر[(٥)].

وقد عرض السنوسي لشيء من مسائل الإيمان، فأورد فتوى لأحد مشايخه وفيها: «قد حقق عمدة الأعلام الشيخ الكمال بن الهمام[(٦)] في المسايرة أنه لا بد في حقيقة الإيمان من عدم ما يدل على الاستخفاف من قول أو فعل، إلى أن قال: وبالجملة فقد ضم إلى التصديق بالقلب أو بالقلب واللسان في تحقيق الإيمان أمور الإخلال بها إخلال بالإيمان اتفاقًا، كالاستخفاف بنبي وبالمصحف، والكعبة كان ذلك دليلاً على أن التصديق مفقود...انتهى

---

(١) تهذيب اللغة (١٥/ ٣٦٨)، وينظر: الصحاح (٥/ ٢٠٧١)، معجم مقاييس اللغة (١/ ١٣٣)، لسان العرب (١/ ١٤١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٨٩-٣٠٣، ٥٢٩-٥٣٣).

(٣) المصدر السابق (٧/ ٦٣٨).

(٤) ينظر: الإيمان للقاسم بن سلام (ص١٠)، الإيمان للعدني (ص٧٩)، الشريعة للآجري (ص١١٩)، الحجة في بيان المحجة (١/٤٣٨)، شرح السنة للبربهاري (ص٢٧)، عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص٧٨)، الإيمان لابن تيمية (ص١٣٧)، جامع العلوم والحكم (٤/ ١٦).

(٥) ينظر: تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥١٧)، التبصير في الدين (ص١٧٣)، مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٩، ١٢/ ٣٣٥).

(٦) هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود، السيواسي ثم الإسكندري، ثم القاهري الحنفي كمال الدين، المعروف بابن الهمام، عالم بالفقه والأصول واللغة والتصوف، يعتبر أحد أعلام الماتريدية، من مؤلفاته: (التحرير في أصول الفقه)، و(المسامرة في أصول الدين) -وعليه حاشيتان: للكمال بن أبي شريف، وهو أشعري، ولزين الدين قاسم الحنفي، وهو ماتريدي- توفي بالقاهرة سنة ٨٦١هـ. ينظر: الضوء اللامع (٨/ ١٢٧-١٣٢)، بغية الوعاة (١/ ١٦٦-١٦٨)، الماتريدية دراسة وتقويمًا لأحمد الحربي (ص١٢٧).

كلامه، وفي شرح العقائد أن الاستخفاف في حكم التكذيب، وهو أمارة عدم التصديق، ودليل الاستخفاف كالاستخفاف...»[١].

ذهب جمهور الأشاعرة والماتريدية إلى أن الإيمان مجرد التصديق بالقلب[٢]، وذهب بعضهم إلى أنه التصديق بالقلب والإقرار باللسان[٣].

وعليه فالكفر عندهم مجرد التكذيب بالقلب، والكفر القولي والعملي إنما هو علامة على التكذيب[٤]، ومذهبهم هذا باطل من وجوه، منها:

الأول: أن الإيمان ليس مجرد التصديق، بل هو اعتقاد وقول وعمل، دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقد أجمع المفسرون على أن المراد صلاتكم إلى بيت المقدس[٥]؛ فعن البراء بن عازب ﵁: ((أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أو صلاها صلاة العصر، وصلى

(١) رحلة السنوسي (١/١١٨-١٢٢).

(٢) ينظر: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع للأشعري (ص١٢٣)، التوحيد للماتريدي (ص٣٧٣)، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني (ص١٨٩)، أصول الدين للبغدادي (ص٢٤٨)، الإرشاد للجويني (ص٣٩٧)، التمهيد لقواعد التوحيد للنسفي (ص٣٧٨)، المواقف (٣/٥٢٧، ٥٣٣)، شرح العقائد النسفية للتفتازاني (ص٧٩)، منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر لعلي القاريِّ (ص٢٥١-٢٥٢)، إتحاف المريد لعبد السلام اللقاني، مطبوع مع حاشية ابن الأمير (ص٨٧)، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (ص١٣٥)، تحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجوري (ص٩٤).

(٣) ينظر: شرح العقائد النسفية (ص٧٨-٧٩)، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (ص١٣٥)، تحفة المريد على جوهرة التوحيد (ص٩٤).

(٤) ينظر: المواقف (٣/ ٥٤٤)، تمهيد الأوائل (ص٣٩٤)، أصول الدين (٢٤٨، ٢٦٦)، التمهيد لقواعد التوحيد (ص٣٧٩)، شرح العقائد النسفية (ص١٠٦).

(٥) المنهاج في شعب الإيمان (١/٣٧).

معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجالاً قتلوا لم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣]))(١).

ومن السنة قوله ﷺ: ((الإيمان بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان))(٢).

وقد أجمع سلف الأمة على أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل(٣)، قال الإمام الشافعي-رحمه الله-: «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لايجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر»(٤).

الثاني: أن الكفر ليس مجرد التكذيب، بل للكفر الاعتقادي أنواع غير التكذيب، ككفر الإعراض والشك، فالتكذيب أخص من الكفر(٥).

وقد جاء في الشرع تسمية بعض الأقوال والأعمال كفرًا، وحكم بكفر صاحبها(٦).

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: التفسير، سورة البقرة، باب: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[البقرة: ١٤٢]. (١٦٣١/٤) ح(٤٢١٦).

(٢) أخرجه البخاري كتاب: الإيمان، باب: أمور الإيمان (١/ ١٢) ح(٩)، ومسلم كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان (١/ ٦٣) ح(٣٥) واللفظ له، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ينظر: الإيمان لابن منده (١/ ٣٣١)، الإيمان للقاسم بن سلام (ص٦٦)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٨٨٦/٥)، الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٤٧) شرح السنة للبربهاري (ص٢٧)، عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (ص٧٨)، الإيمان لابن تيمية (ص١٣٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٠٩).

(٥) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٧٩)، مدارج السالكين (١/ ٣٣٧)، مفتاح دار السعادة (١/ ٩٧)، معارج القبول (٢/ ٥٩٣).

(٦) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٠٩)، المحلى لابن حزم (١١/ ٤١١)، مجموع الفتاوى (٧/ ٥٥٦)، الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية (ص٥١٣-٥٢٣)، الصلاة وحكم تاركها لابن القيم (ص٧٠).

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَبِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥ – ٦٦].

فأخبر الله تعالى أنهم كفروا بعد إيمانهم، بما قالوا؛ مع أنهم قالوا الكفر لعبًا من غير اعتقاد له[١].

ويقول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

يقول ابن كثير –رحمه الله–: «فدل على أن مخالفته ﷺ في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه يحب الله ويتقرب إليه، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل»[٢].

الثالث: في قولهم أن قول الكفر بالقول والعمل ليس كفرًا بمجردهما، لكنهما دليل على الكفر، وعلامة على التكذيب –كما قيل في الاستخفاف بالنبي أو بالمصحف–.

يقول ابن حزم[٣]–رحمه الله–:«وأما سب الله تعالى فما على ظهر الأرض مسلم يخالف في أنه كفر مجرد؛ إلا أن الجهمية، والأشعرية –وهما طائفتان لا يعتد بهما– يصرحون بأن سب الله تعالى، وإعلان الكفر، ليس كفرًا، قال بعضهم: ولكنه دليل على أنه يعتقد الكفر، لا أنه كافر بيقين بسبه الله تعالى، وأصلهم في هذا أصل سوء خارج عن إجماع أهل الإسلام، وهو أنهم يقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، وإن أعلن بالكفر، وعبادة الأوثان بغير تقية ولا حكاية، لكن مختارا في ذلك الإسلام...ثم يقال لهم: إذ ليس شتم الله تعالى كفرا عندكم، فمن أين قلتم: إنه دليل على الكفر؟ فإن قالوا: لأنه محكوم على قائله بحكم الكفر؟ قيل لهم: نعم، محكوم عليه بنفس قوله، لا بمغيب ضميره الذي لا يعلمه إلا الله

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٢٠)، الصارم المسلول (ص٥٢٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢).

(٣) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي، فقيه متكلم، أديب ووزير ظاهري، من مؤلفاته: (الفصل في الملل والنحل)، و(الدرة فيما يجب اعتقاده)، توفي سنة ٤٥٦هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤)، شذرات الذهب (٣/ ٢٩٩).

تعالى، فإنما حكم له بالكفر بقوله فقط، فقوله هو الكفر، ومن قطع على أنه في ضميره، وقد أخبر الله تعالى عن قوم: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، فكانوا بذلك كفارًا، كاليهود الذين عرفوا صحة نبوة رسول الله ﷺ كما يعرفون أبناءهم، وهم مع ذلك كفار بالله تعالى قطعًا بيقين، إذ أعلنوا كلمة الكفر»[1].

---

(١) المحلى (١١/ ٤١١-٤١٢).

الفصل السادس

الفرق والديانات

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: الصوفية.

المبحث الثاني: الشيعة.

المبحث الثالث: أهل الكلام.

المبحث الرابع: الديانات.

المبحث الأول

الصوفية

ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: الطرق الصوفية.

المطلب الثاني: ذكر الله بالاسم المضمر.

المطلب الثالث: السماع الصوفي.

المطلب الرابع: الرقص الصوفي.

المطلب الخامس: تفضيل الأولياء على الأنبياء.

المطلب السادس: ولاية المجاذيب.

المطلب السابع: رأي بعض الرحالة في ابن عربي.

تعريف الصوفية:

تعددت وتباينت أقوال العلماء والباحثين وحتى من قِبل الصوفية أنفسهم في تحديد أصل الاشتقاق اللغوي للفظ: (الصوفية) أو (صوفي).

فكثير منهم من جعل أصلها عربيًّا ثم اختلفوا في تعيين هذا الأصل، فقيل: من الصوف، وقيل: من الصفاء، وقيل: من الصُفة، وقيل: من الصف الأول، إلى غير ذلك من الأقوال[(١)].

ومنهم من جعل أصلها أعجميًّا مشتقًّا من كلمة (سوفيا)[(٢)].

وذهب بعضهم إلى أنه ليس لهذا الاسم قياس ولا اشتقاق، فهو كاللقب عليهم[(٣)].

ولعل الراجح من هذه الأقوال هو النسبة إلى الصوف؛ لموافقته للغة، ولأن الغالب في لباسهم هو الصوف، فالصوف يدل على الزهد والتنسك، وهذا عند المتقدمين من الصوفية[(٤)].

وكما تعددت الأقوال في أصل الصوفية واشتقاقها، فكذلك الأقوال في تعريفها؛ حتى أهلها لم يضبطوا لها معنى محددًا[(٥)].

فلا يمكن تعريفها تعريفًا جامعًا مانعًا؛ إذ لم يكن للصوفية منهج واضح وقواعد ثابتة، فقد مرت الصوفية عبر التاريخ بتغيرات ومراحل، ولكل مرحلة معنى، وحالة تحفها، فمن

---

(١) ينظر: التعرف لمذهب التصوف للكلاباذي (ص٢١-٢٥)، قواعد التصوف لابن زروق (ص١٩-٢٠).

(٢) ينظر: ذكر ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة لأبي الريحان البيروني (ص٢٤-٢٥)، التصوف المنشأ والمصدر لإحسان إلهي ظهير (ص٣١).

(٣) ينظر: الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري (ص٤٦٤)، شفاء السائل وتهذيب المسائل لابن خلدون (ص٥٣)، كشف المحجوب للهجويري (ص٢٢٧).

(٤) ينظر: اللمع للطوسي (ص٤١)، مجموع الفتاوى (١١/ ٦-٧)، تاريخ ابن خلدون (١/٤٦٧) ويظهر أن ابن خلدون يرى: إن كان مشتقًا فهو من الصوف، وقد يكون رجع عن قوله هذا إلى أنه غير مشتق؛ كما في كتابه (شفاء السائل) وهو آخر كتبه. ينظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي لمحمد لوح (١/ ٣٧)، الصوفية معتقدًا ومسلكا لصابر طعيمة (ص٢٤)، التصوف المنشأ والمصدر (ص٣١-٣٢)، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق (ص٥٤)، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام لعلي النشار (٣/ ٣٦).

(٥) ينظر: اللمع (ص٤٥-٤٧)، التعرف لمذهب التصوف (ص٢٥-٢٦)، الرسالة القشيرية (ص٤٦٤-٤٦٩)، إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة (ص١٦-١٨).

التدرج في الزهد وشدة العبادة ونوع اللباس، إلى بدع وخرافات، ثم إلى إلحاد وخروج عن الملة[١].

المطلب الأول: الطرق الصوفية:

الطريقة في اللغة: الحال والسيرة، وطريقة الرجل مذهبه[٢].

وأما في اصطلاح المتصوفة: «هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله، من قطع المنازل والترقي في المقامات»[٣].

لقد عرض الرحالة الصوفية لبعض الطرق الصوفية وأثنوا على مشايخها ورجالها.

وفي هذا يقول العياشي في ترجمة حسن العجيمي[٤]، والذي لقيه بمكة: «جمع صاحبنا هذا رسالة استوعب فيها طرق أئمتنا الصوفية الموجودة في هذه الأزمنة غالبًا، وذكر ما يتميز به أهل كل طريق... ورسالته المذكورة مشتملة على أربعين طريقًا...أما المحمدية، فمنسوبة إلى سيدنا محمد ﷺ ووجه اختصاصها بالانتساب إليه، مع أن الكل راجعة إليه ومستمدة منه، أن صاحبها بعد تصحيح بدايته وسلوكه على منهج الاستقامة المُبَيَّن في الكتاب والسنة يشتغل بالصلاة على النبي ﷺ إلى أن تستولي محبته على قلبه...وقد سلك على هذا المقام جماعة من المشايخ قديمًا وحديثًا، وقد ذكر صاحب الرسالة جماعة منهم...وأما الحاتمية فمنسوبة إلى الشيخ محي الدين بن العربي، وهي معلومة، وأما القادرية...وقد استوفى صاحب الرسالة أسانيده إلى أرباب الطوائف المتقدمة وما تتميز به كل طائفة...»[٥].

---

(١) ينظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي لمحمد لوح (١/ ٤٠-٤١)، الصوفية معتقدًا ومسلكًا لصابر طعيمة (ص٢٤-٢٥)، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية (ص٣٧).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (٩/ ١٠)، لسان العرب (٤/ ٢٦٦٥).

(٣) معجم اصطلاحات الصوفية للقاشاني (ص٨٥).

(٤) هو حسن بن علي بن محمد بن عمر العجيمي المكي الحنفي، أبو علي، فقيه محدث صوفي، توفي بالطائف سنة١١١٣هـ. ينظر: نشر المثاني (٥/١٨٨٦)، فهرس الفهارس (٢/ ٨١٠).

(٥) رحلة العياشي (٢/٢٩٤-٣٠١)، وينظر: (١/٣٣٥، ٣٣٤، ٤٨٤)، رحلة النابلسي (ص٤٤-٤٩-٦١-٨٥-١٠٤-١٩٣)، رحلة المرادي (ص١١٦، ١٧٢، ١٨١، ٢٣٦، ٢٤٠، ٣٠٥)، رحلة الورثيلاني (١/٣٣)، رحلة المكناسي (ص١٥٥-١٥٦، ٣١٤)، رحلة السنوسي (٢/١٠٣ ، ٣/٣٣، ٦٧-٩٢).

لقد ظهرت الطرق الصوفية منذ أمد بعيد، وعرفت قديمًا، ولكنها تطورت عبر القرون، فلكل طريقة بيعة وأوراد ونوع لباس خاص، وموالد وأضرحة معينة، وزوايا يجتمعون فيها، ولكل شيخِ طريقةٍ أتباعٌ ومريدون.

يقول ابن الجوزي[1]-رحمه الله-: «وهذا الاسم -أي الصوفية- ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها: أن التصوف عندهم رياضة النفس، ومجاهدة الطبع، برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة، من الزهد والحلم والصبر، والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا، والثواب في الأخرى...وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم في أشياء، ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني، فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم، وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات...ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أو في العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة...وهؤلاء بين الكفر والبدعة، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم فمن هؤلاء من قال بالحلول، ومنهم من قال بالاتحاد، وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سننًا»[2].

ففارقت الطُّرْقِية أئمة المسلمين وجماعتهم، ببدعهم المخالفة للكتاب والسنة، في أصول الدين الاعتقادية والعملية[3].

---

(١) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله القرشي التيمي البغدادي الحنبلي، جمال الدين أبو الفرج المشهور بابن الجوزي، الشيخ الإمام العلامة، الحافظ الواعظ، برز في علوم كثيرة، له مؤلفات كثيرة منها: (زاد المسير)، و(الوجوه والنظائر)، و(جامع المسانيد)، و(الموضوعات)، و(المنتظم في التاريخ)، توفي سنة ٥٩٧هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥-٣٧٩)، البداية والنهاية (١٣/ ٣٤).

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص١٤٥-١٤٨).

(٣) ينظر: الطرق الصوفية للسهلي (ص١١، ١٥).

وإن حجم هذه الطرق وتكاثرها وتطورها لم يتوقف، فما من طريقة تظهر، حتى تتفرع عنها طرق كثيرة، وتتفرع عن هذه الفروع فروع، وهكذا؛ لأن كل من عنّ له أن يبتدع طريقًا فعل وسماها باسم، وادعى نسبتها وصلتها بالنبي ﷺ[1].

---

(١) ينظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للحجوي (٣/٥٩-٦١)، الصوفية معتقدًا ومسلكًا (ص٤٠)، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضًا ونقدًا (ص٥٧).

المطلب الثاني: ذكر الله بالاسم المضمر:

أورد النابلسي سؤالاً في شأن ذكر الله على طريقة الصوفية وإجابة علماء الأزهر في ذلك الحين عنه، وهو «سؤال عما عليه السادة الدمرداشية[١] وما خلف خلفهم، وحذا حذوهم كالخلوتية[٢]... من ذكر الله والصلاة على رسول الله ﷺ، والحلقة المسماة بالهوية ودورانهم مشتغلين بقولهم: هو هو هو، قاصدين بذلك ذكر الله، فهل ذلك جائز لا اعتراض على فاعله؟...»[٣].

فأجابوا بإجابات متقاربة في إباحة ذلك واستحسانه، فأثنى أحدهم على ما هم عليه وأنه أمر مطلوب مرغوب، موافق للكتاب والسنة، وأن من تعرض لهذه الجماعة بالاعتراض فقد تعرض للمقت من الله؛ إذ كيف يعترض على ما هو ممدوح مندوب.

ويزعم آخر أن ما هم عليه خير عظيم، وفضل جسيم بإجماع الأمة، موافقين للكتاب والسنة، وأن الحلقة المسماة بالهوية وقول: هو هو هو، والدوران أمر جائز[٤].

وهذا مخالف للحق، فإن الذكر المشروع هو ما كان كلامًا تامًّا مفيدًا، وهو الذي به تنتفع القلوب، وتحصّل الأجور، وأما الذكر بالاسم المضمر (هو) ونحوها فخطأ في اللغة، إذ الكلام المفيد في اللغة هو الجملة التامة المعنى[٥]، والذكر بـــ: هو هو ليس كلامًا تامًّا ولا مفيدًا، ولا يدل على مدح ولا تعظيم، كما أنه بدعة محدثة؛ فلا أصل له في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، ولا هو مأثور عن أحد من سلف الأمة، وإنما لهج به قوم من ضلال

---

(١) هي طريقة من طرق الصوفية، شيخها حسين أمين الصياد عن السيد عبد الرحيم مصطفى الدمرداش، مـــصري، قريب. ينظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ (ص٣٦٩)، الصوفية معتقدا ومسلكًا (ص٤١).

(٢) الخلوتية: هي طريقة من طرق الصوفية، تنسب إلى محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتي، كان من أتبـــاع الطريقة السهروردية، ثم استقل بطريقته، مات بمصر سنة ٩٨٦هـ، وللخلوتية تفريعات يتعذر حـــصرها. ينظـــر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ (ص٣٦٤)، الصوفية معتقدا ومسلكًا (ص٤١).

(٣) رحلة النابلسي (ص٢٦٥).

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص٢٦٥-٢٧٢).

(٥) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام (١/ ١١).

المتأخرين، وهو وسيلة إلى أنواع البدع والضلالات، والأحوال الفاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد(١).

ثم إن هذا اللفظ وهو: (هو)، إنما هو ضمير من جملة الضمائر، التي لا تدل بمفردها على معين، وإنما هو بحسب ما يفسرها من مذكور أو معلوم، فيبقى معناها بحسب قصد المتكلم ونيته؛ ولهذا قد يذكر به من يعتقد أن الحق الوجود المطلق(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والذكر بالاسم المضمر المفرد أبعد عن السنة، وأدخل في البدعة، وأقرب إلى إضلال الشيطان؛ فإن من قال: يا هو يا هو، أو: هو هو، ونحو ذلك؛ لم يكن الضمير عائدًا إلا إلى ما يصوره قلبه، والقلب قد يهتدي وقد يضل، وقد صنف صاحب (الفصوص) كتابًا سماه كتاب (الهو) وزعم بعضهم أن قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] معناه وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو (الهو)، وقيل: هذا وإن كان مما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من أبين الباطل فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء»(٣).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٢٦-٢٢٩، ٥٥٦، ٥٦١-٥٦٢)، درء تعارض العقل والنقل (٤/ ٣٦٢)، العبودية (ص١٤٧)، طريق الهجرتين (ص٤٩٨)، مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل للحطاب الرعيني (٨/ ٣٨٧)، تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للصنعاني (ص٢٧)، السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات للشقيري (ص٢٧٥).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٦٥).

(٣) المصدر السابق (١٠/ ٢٢٧-٢٢٨)، وينظر: العبودية (ص١٣٨-١٣٩).

المطلب الثالث: السماع الصوفي:

هو الاستماع للأشعار الملحنة بصوت حسن وبالآلات، مع حركة الأجساد وتمايلها، بنية التعبد لله تعالى[١].

استطرد الورثيلاني في ذكره للسماع عند الصوفية ومما قاله في ذلك: «وقد عمت البلوى والعياذ بالله، بانكباب أبناء الطوائف على السماع بالدفوف والمزامير، وسائر الآلات والأشعار والألحان، واتخذوا ذلك صراطًا مستقيمًا، واتبعوا فيه شيطانًا رجيمًا، ونبذوا السنة وراء ظهورهم، وزالت هيئة الشريعة من صدورهم، وكان لهم ذلك ديدنًا في سائر الأزمان، فصاروا مسخرة للشيطان...»، إلى أن نقل ما ورد عن أبي علي الدقاق[٢] -رحمه الله-: «السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم، مباح للزهاد لحصول مجاهدتهم، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم انتهى»، ثم عقب على ما نقله بقوله: «وكلام أبي علي الدقاق هذا هو فصل الخطاب، والتوسط بين الخطأ والصواب»[٣].

وقد اهتم النابلسي بمجالس السماع، يقول عن زيارته لقبر أحد الصالحين: «وقامت المنشدون، وصار السماع المطرب على الآلات بالقانون»[٤]، ويقول في موضع آخر: «ثم عدنا إلى المترل وكان الهم عنا بمعزل، وحضر عندنا السماع بالآلات الفاخرة، بعد العشاء الآخرة، الأخلاء والمحبون»[٥]، ويقول عن زيارته لضريح عمر بن الفارض: «ثم انضم الناس بعضهم إلى بعض، وقام المنشدون واحدًا بعد واحد، ينشدون كلام الشيخ عمر، ويكررون ويبكون ويخشعون ويضجون ويتواجدون، وتدهم الأحوال لكل من يكون هناك، حتى إن

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٢٧٣، ٢٨٢)، عوارف المعارف للسهروردي (٢/ ١٣)، الفتوحات الإلهية لابن عجيبة (ص١٨٣)، حاشية العروسي (٤/ ١٢٢).

(٢) هو الحسن بن علي بن محمد الدقاق النيسابوري، أبو علي الأستاذ الزاهد شيخ الصوفية، وشيخ أبي القاسم القشيري صاحب الرسالة القشيرية، توفي في ذي الحجة سنة ٤٠٦هـ، وقيل: سنة ٤١٢هـ. ينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٨/ ١٣٦)، العبر في خبر من غبر (٣/ ٩٥)، الوافي بالوفيات (١٢/ ١٠٣).

(٣) رحلة الورثيلاني (١/٢٢٩-٢٤٢)، وينظر:(١/٥٩-٦٠)، رحلة العياشي (١/ ١٨٦-١٨٧).

(٤) رحلة النابلسي (ص١٥٣).

(٥) المصدر السابق (ص١٥٨).

بعض المنشدين أو المستمعين ربما صرخ ونزع ثيابه وخرج يدوس على الناس هايما على رأسه»[١].

وهذا السماع الذي يدين به الصوفية مخالف للشرع للأسباب التالية:

١- أن السماع الشرعي، ما كان لآيات الله تعالى، وهو سماع النبيين وأتباعهم المؤمنين، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ: ((اقرأ عليَّ))، قلت: يا رسول الله أأقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: ((نعم))، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]، قال: ((حسبك الآن))، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[٢].

ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة في الترغيب في هذا السماع الشرعي، ومدح من يقبل عليه ويحبه، وذم من يعرض عنه ويبغضه.

٢- أن السماع للقصائد الملحنة وما يصحبها من التصفيق باليد والضرب بالدف والرقص ونحو ذلك، سماعٌ محدث، لم يفعله أحد من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولم يجعلوا هذا طريقًا إلى الله تبارك وتعالى، ولا يعدونه من القرب والطاعات بل يعدونه من البدع المذمومة[٣].

---

(١) رحلة النابلسي (ص١٩٧)، وينظر: (ص١٦٠- ٢٠٤).

(٢) أخرجه البخاري كتاب: فضائل القرآن، باب: قول المقرئ للقارئ: حسبك (٤/ ١٩٢٥) ح(٤٧٦٣)، ومسلم كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر (١/ ٥٥١) ح(٨٠٠) واللفظ للبخاري.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٤٢٧، ١١/ ٥٧، ٢٩٧-٢٩٨، ٥٣١-٥٣٦، ٦٢٧) وغيرها من المواضع.

٣- أن من أباح هذا السماع المحدث واستحبه، لم يحتج على ذلك بدليل من الكتاب والسنة ولا بأثر عن السلف؛ فإن هذا السماع مخالف للكتاب والسنة، وقد أنكره الأئمة ومنهم الشافعي وأحمد -رحمهم الله-[١].

٤- مخالفتهم لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة والإجماع على تحريم المعازف.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾ [لقمان: ٦]، وقد فسر جمع من أهل العلم قوله: ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ بأنه الغناء والمعازف[٢].

ومن السنة قوله ﷺ: ((ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف))[٣].

وأما الإجماع فقد حكى غير واحد اتفاق العلماء على تحريم استماع المعازف[٤]،«ومن حكى فيها خلافًا فقد غلط، أو غلب عليه هواه حتى أصمه وأعماه»[٥].

---

(١) ينظر: تلبيس إبليس (ص٢٠٥)، الاستقامة (١/ ٢٨١، ٣٨٥)، مجموع الفتاوى (١١/ ٥٩١-٥٩٢)، إغاثة اللهفان (١/ ٢٢٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٢٧-١٢٩)، تفسير البغوي (٦/ ٢٨٤-٢٨٥)، تفسير القرطبي (١٤/ ٥٢)، تفسير ابن كثير (٦/ ٣٣٠-٣٣١).

(٣) ذكره البخاري في صحيحه تعليقًا مجزومًا به، كتاب: الأشربة، باب: ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه (٥/ ٢١٢٣) ح(٥٢٦٨) وأخرجه متصلاً البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٢١) ح(٢٠٧٧٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٨٢) ح(٣٤١٧)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ١٥٤) ح(٦٧٥٤) عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري. وهذا الحديث صرح بصحته، وقوة إسناده، أكثر من عشرة من الحفاظ. ينظر: تحريم آلات الطرب للألباني (ص٣٨-٥١)، وممن صححه ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (٦/ ٣٨)، وابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ٢٥٩)، وابن حجر في تغليق التعليق على صحيح البخاري (٥/ ٢٢).

(٤) ينظر: تحريم النرد والشطرنج للآجري (ص٢)، منهاج السنة النبوية (٣/ ٢٥٦-٢٥٧)، نزهة الأسماع لابن رجب (ص٥٩-٦٠)، الزواجر (ص٣٣٧-٣٣٨)، تحريم آلات الطرب للألباني (ص١٠٥). «ويستثنى من ذلك ما رخص فيه كالدف للنساء في الأعياد والأعراس» نزهة الأسماع (ص٥٠).

(٥) كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع لابن حجر الهيتمي (ص٧٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: «فمن فعل هذه الملاهي على وجه الديانة والتقرب فلا ريب في ضلالته وجهالته، وأما إذا فعلها على وجه التمتع والتلعب فمذهب الأئمة الأربعة: أن آلات اللهو كلها حرام»(١).

٥- أن في صفة السماع البدعي ونتيجته ضدَّ ما في السماع الشرعي، فهذا حق ويورث العلم والإيمان، وذاك باطل يورث الكفر والنفاق، ولهذا تحضره الشياطين وتتنزل عليهم فيه، فيحصل لهم تنزلات شيطانية بحسب ما فعلوه من مزامير الشيطان؛ أما سماع أهل الإيمان فتحضره الملائكة وتتنزل عليهم فيه، فإن الملائكة تنزل عند سماع القرآن وعند ذكر الله؛ كما في الصحيح: ((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده))(٢)(٣).

٦- أن قلوب كثير من المتصوفة قد فتنت بهذا السماع واتخذوه دينًا وديدنًا، وجعلوا له منزلة تضاهي سماع القرآن، وربما قدموه عليه، فيسمعون القرآن بقلوب لاهية، وألسن لاغية وحركات مضطربة، وأصوات، ولا تقبل عليه قلوبهم، ولا ترتاح إليه نفوسهم، فإذا سمعوا الأشعار والألحان أصغت القلوب، وخشعت الأصوات، وسكنت الحركات؛ وذلك لأن القلب إذا تعوّد سماع القصائد والأبيات والتَذَّ بها، حصل له نفور عن سماع القرآن والآيات، فيستغني بسماع الشيطان عن سماع الرحمن(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية —رحمه الله-: «وبالجملة قد عرف بالاضطرار من دين الإسلام: أن النبي ﷺ لم يشرع لصالحي أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة مع ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب أو الدف، كما لم يبح لأحد أن يخرج عن متابعته واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة لا في باطن الأمر ولا في ظاهره، ولا

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٧٦).

(٢) أخرجه مسلم كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٤/٢٠٧٤) ح(٢٦٩٩) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) ينظر: تلبيس إبليس (ص٢١٩)، مجموع الفتاوى (١١/ ٦٣٥)، الاستقامة (١/ ٣١٢).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٦٣٤)، الاستقامة (١/ ٣٠٧)، إغاثة اللهفان (١/ ٢٤١).

لعامي ولا لخاصي، ولكن رخص النبي ﷺ في أنواع من اللهو في العرس ونحوه؛ كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس والأفراح، وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكف بل قد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: ((التصفيق للنساء والتسبيح للرجال))(١)، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال(٢)»(٣).

ويقول أيضًا: «بل أفضى الأمر إلى أن يجتمع في هذا السماع على الكفر بالرحمن، والاستهزاء بالقرآن، والذم للمساجد والصلوات، والطعن في أهل الإيمان والقربات، والاستخفاف بالأنبياء والمرسلين، والتحضيض على جهاد المؤمنين، ومعاونة الكفار والمنافقين، واتخاذ المخلوق إلها من دون رب العالمين، وشرب أبوال المستمعين، وجعل ذلك من أفضل أحوال العارفين، ورفع الأصوات المنكرات... فصار السماع المحدث دائرًا بين الكفر والفسوق والعصيان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكفره من أغلظ الكفر وأشده، وفسوقه من أعظم الفسوق... فصار فيه من الفواحش الظاهرة والباطنة، والإثم والبغي بغير الحق والإشراك بالله، ما لم يترل به سلطانًا، والقول على الله بغير علم ما لا يحصيه إلا الله، فإنه تنوع وتعدد وتفرق أهله فيه، وصاروا شيعًا لكل قوم ذوق ومشروب، وطريق يفارقون به غيرهم، حتى في الحروف المنشدة والأصوات الملحنة، والأذواق الموجودة والحركات الثائرة والقوم المجتمعين...، ثم مع اشتماله على المحرمات كلها أو بعضها يرون أنه من أعظم القربات، بل أعظمها وأجلها قدرًا وأن أهله هم الصفوة أولياء الله وخيرته من خلقه، ولا يرضون بمساواة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسلف الأمة، حتى يتفضلوا عليهم،

---

(١) أخرجه البخاري أبواب العمل في الصلاة، باب: التصفيق للنساء (١/٤٠٣) ح(١١٤٥)، ومسلم كتاب: الصلاة، باب: تسبيح الرجل وتصفيق المرأة إذا نابهما شيء في الصلاة (١/٣١٨) ح(٤٢٢)، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود كتاب: اللباس، باب: لباس النساء (٤/ ١٠٤) ح(٤٠٩٩)، وابن ماجه كتاب: النكاح، باب: في المخنثين (١/ ٦١٤) ح(١٩٠٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وصححه الألباني. ينظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٢٨) ح(٢٠٦٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٦٥).

وفيهم من يساوون أنفسهم بالأنبياء والمرسلين، وفيهم من يتفضل أيضًا على الأنبياء والمرسلين على أنواع من الكفر التي ليس هذا موضعها»[1].

(١) الاستقامة (١/ ٣٠٨-٣١٢).

المطلب الرابع: الرقص الصوفي:

يقول الزياني في نقده لفرقة التيجانية: «ما وقع في مغربنا من بعض أهل البدعة قبحهم الله في زماننا وذلك أن رجلاً... تسمت هذه الطائفة باسمه الخسيس، واشتهر شهرة إبليس وهو أحمد بن تيجين[(١)]، هو وطائفته في سجين، فأظهر ما كان منطويًا عليه من البدعة، وهو يزداد عندهم بذلك رفعة، ولما سمع بمقالته الأشرار، وجمله من أهل اليسار انكبوا عليه انكباهم معه في النار، ففرض لهم الفرائض، وسن لهم السنن، والبدعة تتزايد منه وتتكون... ولقد شاهدنا مآل حاله وحالهم، وقد رماهم الله بالفقر بعد الغنى، ولم يفلح ممن تبعه أحد وكلهم أفلسوا وافتضحوا، وتفرق جمعهم، وحصلوا على الخزي في الدنيا، وعذاب الآخرة وأما ما يفعله الفقراء من الصنيع بالموسم الشنيع بضريح مولانا إدريس؛ يجتمع فيه النفيس والخسيس، ومن ينضاف لهم من الرعاع، لحضور السماع الخارج عن السنن الشرعي، والمهيع المرعي، بالرقص والتصفيق وآلة الطرب، وأنواع من البدع يقضي منها العجب، وضرب العود والبندير[(٢)] والطر[(٣)] وآلة الملاهي، على هيئة مركبة من أنواع الناهي، كالطبول والمزامير والبوق وغيرها من الملهيات، واختلاط الذكور والأحداث، وإذا أقيمت الصلاة بقوا على لهوهم عنها معرضين، وعلى لهوهم معتكفين، ونتفوا في ذلك أموالاً طائلة، سرفًا وتبذيرًا، ولا ينفقون في طاعة الله نقيرًا ولا قطميرًا ... أنكر ابن مسعود حين بلغه أن قومًا يجتمعون بمسجد الرسول ﷺ بعد المغرب يكبّرون ويسبحون، فأتاهم وكان رجلاً

---

(١) هو أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التيجاني، أبو العباس، شيخ الطائفة التيجانية إحدى فرق الصوفية، وأقام مدة بفاس وتلمسان، وحج سنة ١١٨٦هـ، فمر بتونس، وعاد إلى فاس، ثم رحل إلى (توات) وأخرج منها، فاستقر بفاس إلى أن توفي سنة ١٢٣٠هـ، ألف في مناقبه بعض أصحابه منها: (جواهر المعاني). ينظر: شجرة النور (ص٣٧٨-٣٧٩)، الأعلام (١/ ٢٤٥).

(٢) هو الدف. ينظر: الفجر الساطع على الصحيح الجامع للزرهوني (٤/ ٣١).

(٣) جمع طار وهو: «دف الملاهي مدور جلده من رق أبيض ناعم في عرضه سلاسل يسمى الطار، له صوت يطرب لحلاوة نغمته، وهذا لا إشكال في تحريمه وتعلق النهي به، وأما دف العرب فهو على شكل الغربال خلا أنه لا خروق فيه، وطوله إلى أربعة أشباب فهو الذي أراده صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه المعهود حينئذ» نيل الأوطار (٦/ ٢٤٠).

حديدًا فلما سمع أقوالهم قال: أنا عبد الله بن مسعود، والله الذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلمًا، ولقد فقتم أصحاب محمد علمًا، فقال: والله ما جئنا ببدعة ظلمًا، ولا فقنا أصحاب محمد علمًا قال عمرو بن عتبة[١]: يا أبا عبد الرحمن نستغفر الله، قال: عليكم بالطريق فالزموه فإن فعلتم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن أخذتم يمينًا وشمالاً لتضلنّ ضلالاً بعيدًا[٢]، وفي حديث ابن مسعود هذا دليل على منع الذكر الجماعي.

قال القرطبي[٣] في تفسيره حين تكلم على قصة السامري في سورة (طه): سئل الإمام أبو بكر الطرطوشي[٤] عن مذهب الصوفية واجتماعهم على الذكر والصلاة على النبي ﷺ يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم، ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد[٥]، حتى يقوم مغشيًّا عليه هل الحضور معهم جائز أم لا؟ فقال يرحمه الله: مذهب الصوفية بطالة وجهالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسدًا له خوار، فقاموا يرقصون من حوله ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل، وأما التوقيع بالقضيب فأول من اتخذه الزنادقة[١]؛ ليشغلوا به المسلمين

---

(١) هو عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي، ولأبيه عتبة صحبة، وعمرو ثقة قليل الحديث، روى عن عبد الله بن مسعود ﷺ، لا يعرف له مسند؛ شغلته العبادة عن الرواية، استشهد في غزوة أذربيجان، في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وصلى عليه علقمة-رحمه الله-. ينظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٢٠٦)، صفة الصفوة (٢/ ٣٩-٤١).

(٢) أخرجه الدارمي (١/ ٢٧٦) ح(٢١٠)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص١٥-١٧، ١٧، ١٨، ١٩)، وابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص١٧)، من طرق عدة عن ابن مسعود ﷺ. وصححه الألباني. ينظر: السلسلة الصحيحة (٥/ ٤) ح(٢٠٠٥).

(٣) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله الأنصاري، الخزرجي، الأندلسي القرطبي، الإمام العلامة، المفسر، من مؤلفاته: تفسير القرآن الكريم (جامع أحكام القرآن)، و(التذكرة بأمور الآخرة)، توفي سنة٦٧١هـ. ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٥٠/٧٤-٧٥)، الديباج المذهب (٢/٣٠٨-٣٠٩).

(٤) هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي، أبو بكر الطرطوشي، وطرطوشة: هي آخر حد المسلمين من شمالي الأندلس، وكان يُعرف في وقته بابن أبي رندقة، الإمام العالم الزاهد، شيخ المالكية، من مؤلفاته: (الفتن)، و(البدع والحوادث)، توفي في الإسكندرية سنة٥٢٠هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٢-٢٦٥)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٩٠-٤٩٦).

(٥) التواجد: استدعاء الوجد بضرب اختيار بالذكر والفكر، والوجد: ما يرد من الله على الباطن يكسبه فرحًا أو حزنًا، ويغيره عن هيئته. ينظر: الرسالة القشيرية (ص٣٣-٣٤)، عوارف المعارف (ص٣١٩).

الزنادقة[١]؛ ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله، وقد كان يجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، وقد سئل الإمام المازني[٢] عن الرقص على الطار والشبابة[٣]، فقال: هذا لا يجوز في الدين، فقالوا: قد جوزه الشافعي فأنشأ يقول:

حاشى الإمام الشافعي النبيه أن يرتقي غير معالي نبيه
أو يبتدع طارًا وشبابة لناسك في دينه يقتديه
الضرب بالطارات في ليلة والرقص والتصفيق فعل السفيه
هذا ابتداع وضلال للورى وليس في التنزيل ما يقتضيه
ولا حديث عن نبي الهدى ولا صحابي ولا تابعيه»[٤]

وقد أصاب الزياني في نقده، فالتعبد لله بالرقص باطل بالكتاب والسنة والإجماع:

قال تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٩]، أي: المشي بالوقار والسكينة؛ كقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣][٥].

---

(١) الزندقة لفظ فارسي معرب، وهي إظهار الإسلام وإبطان الكفر، غالبًا يطلق هذا اللفظ ولا يُراد به فرقة معينة، بل على كل من أنكر أصلاً من أصول العقيدة. ينظر: الصحاح (٤/ ١٤٨٩)، لسان العرب (٣/ ١٨٧١)، الرد على البكري (٢/ ٦٨٨) بغية المرتاد (ص٣٣٦-٣٣٧).

(٢) هو محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن أبي الربيع القيسي الأندلسي الغرناطي، أبو حامد وعبد الله، قدم الإسكندرية ثم دمشق ورحل إلى العراق ودخل خراسان وأقام بها مدة، ثم رجع إلى الشام ونزل حلب وأقام سنين، ثم رجع إلى دمشق وبها توفي سنة ٥٦٥هـ. ينظر: تاريخ دمشق (٥٤/ ١١٣-١١٤)، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ الدبيثي للذهبي (١٥/ ٣٩)، الوافي بالوفيات (٣/ ٢٠٢).

(٣) «الشبابة بفتح الشين وهي الآلة المتخذة من القصب المجوف، ويقال لها: اليراع أيضًا تسمية لها باسم ما اتخذت منه وهو اليراع يعني القصب، وربما عبر عنها بالمزمار العراقي» صبح الأعشى (٢/ ١٦١).

(٤) رحلة الزياني (ص٤٦٣-٤٦٤).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (٦/ ٢٨٩).

وقال ﷺ: ((إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وائتوها تمشون عليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا))[١]، فأمر رسول الله ﷺ بالسكينة والوقار في المشي للعبادة وهي الصلاة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «إنما عبادة المسلمين الركوع والسجود؛ بل الدف والرقص في الطابق لم يأمر الله به ولا رسوله ﷺ، ولا أحد من سلف الأمة»[٢].

ومع حرمة الرقص شرعًا، وكونه تشبه بالمشركين من أهل الكتاب؛ فإنه لا معنى له، بل هو منكر يتزه عنه العقلاء، ويزدرون أهله[٣].

---

(١) أخرجه البخاري باب: كتاب الجمعة، باب: المشي إلى الجمعة (١/ ٣٠٨) ح(٨٦٦)، ومسلم كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعيا (١/ ٤٢٠) ح(٦٠٢) عن أبي هريرة ﷺ، واللفظ للبخاري.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٩٩)، وينظر: (١١/ ٦٠٤)، مختصر الفتاوى المصرية (ص٥٩٥-٥٩٦).

(٣) ينظر: تلبيس إبليس (ص٢٣١)، تفسير القرطبي (٧/ ٤٠٠).

المطلب الخامس: تفضيل الأولياء على الأنبياء:

أشار بعض الرحالة إلى أن الخضر ولي وهو حي إلى الآن وتتلقى عنه العلوم[(١)]، وقد جعل الورثيلاني ولايته دليلاً على جواز تفضيل الولي على النبي فيقول عن قدومه لإحدى القرى: «إن فضلاءها ونجباءها سألوني عن قول بعض الأولياء: وقفتُ بساحل وقفت الأنبياء دونه، فزبرت عليه رسالة حسنة بما فتح الله به ارتجالاً، وكتبت فيه رسالة نحو كراسة صغيرة، وقد قلت فيها ما حاصله أنه وقف بساحل بعلمه الحقائق وزوال الحجاب عنه بأن وقعت له شطحة من شطحات أهل المحو، فوقف في ذلك الساحل لعدم تمكنه ورسوخه...فوقف بذلك الساحل، وقوف اضطراره لا وقوف أدب؛ لأن صاحب هذا المقام محمول لا حامل، وهو ممن ملكه الحال، لا أنه ملكك حال، فكان وقوف الأنبياء دونه أولى وأمكن وأليق؛ لتمكنهم واشتغالهم مع السفرة والوحي، هذا بمنزلة الخضر مع موسى عليه السلام، وقد كانت علوم عنده لم تكن لموسى عليه السلام، مع أن موسى أفضل منه بالإجماع، غايته أن تلك مزية والقاعدة المقررة أن المزية لا تقتضي الأفضلية فموسى قد اشتغل بما هو أعظم، والخضر قد خصه الله تعالى بهذا الأمر، فلا يكون أولى، ولا شك أن الخضر وقف بساحل من العلوم اللدنية والمواهب الكشفية، لم يقف موسى بها؛ إذ وقف دونها وهي علم الشريعة، ولا شك أن ما يفعله الخضر في بادي الرأي أنه ممنوع شرعًا في ظاهر الحال؛ ولذلك قال له: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٧ – ٦٨]، فإذا علمت هذا علمت مثله في هذا القول من غير شك وقد قررته بوجهين آخرين فاستحسنوا ذلك مني»[(٢)].

الخضر هو عبد من عباد الله، قد جاء في القرآن ذكر قصته مع موسى عليه السلام في سورة الكهف، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥].

---

(١) ينظر: رحلة العياشي (١/١٨٥)، رحلة الورثيلاني (١/٢٠١، ٢٩٩)، رحلة السنوسي (٣/٥٩).
(٢) رحلة الورثيلاني (١/ ٢٦-٢٧).

وجاء في السنة التفصيل في أحواله، والتصريح باسمه في قوله ﷺ: ((بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل إذ جاءه رجل فقال له: هل تعلم أحدا أعلم منك؟ قال موسى: لا، فأوحى الله إلى موسى: بلى عبدنا الخضر))(١).

وقد اختُلف في كونه نبيًّا أو وليًّا، والجمهور على أنه نبي من الأنبياء وهو الصحيح، والأدلة على ذلك كثيرة ظاهرة(٢).

فإن الآيات التي ذكرها الله في سورة الكهف وسياق القصة فيها يدل على نبوته، ومن أبرز ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف: ٨٢]، فصرح الخضر بأن ما فعله إنما هو بأمر الله، وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي؛ لأن قتل النفس، وتعريض الأنفس للغرق عدوان لا يصح إلا عن طريق الوحي؛ فدل على أنه نبي يوحى إليه بالأحكام من الأوامر والنواهي(٣).

ولكن غالب الصوفية يزعمون أنه ولي من الأولياء وليس بنبي(٤)، ويجعلون قصته مع موسى عليه السلام دليلاً على ما يدعونه من باطل.

وأما بقاء الخضر حيًا إلى الآن فهو قول الصوفية(٥)، والصحيح أنه قد مات وهذا الذي عليه الجمهور، وهو الذي تؤيده الأدلة، ومن أقوى الأدلة انفراده بالتعمير من بين أهل الأعصار المتقدمة بلا دليل شرعي، وكذا عدم مجيئه للنبي ﷺ فلو كان حيًا لوجب عليه أن

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (٣/ ١٢٤٦) ح(٣٢١٩)، ومسلم كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر عليه السلام (٤/ ١٨٤٧) ح(٢٣٨٠) عن أبي ابن كعب رضي الله عنه.

(٢) ينظر: التفسير الكبير للرازي (٢١/ ١٢٦)، فتاوى ابن الصلاح (١/ ١٨٦)، تفسير القرطبي (١١/ ١٦)، شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٣٦)، تفسير البحر المحيط لابن حيان (٦/ ١٣٩)، البداية والنهاية (١/ ٣٤٩)، فتح الباري (٦/ ٤٣٤)، الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٨٨)، روح المعاني للآلوسي (١٥/ ٣٢٠)، أضواء البيان (٣/ ٣٢٢).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١١/ ٢٨، ٣٩)، شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٣٦)، تفسير البحر المحيط (٦/ ١٤٧)، تفسير ابن كثير (٥/ ١٨٧)، الزهر النضر في حال الخضر لابن حجر (ص٩٥)، أضواء البيان (٣/ ٣٢٣).

(٤) ينظر: الرسالة القشيرية (ص٥٦٨)، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني لعلي حرازم الفاسي (١/ ١٩٦-١٩٩).

(٥) ينظر: الرسالة القشيرية (ص٤٣، ٥٥)، الطبقات الكبرى للشعراني (١/٧١، ٩٧) وغيرها من المواضع، الفصل في الملل والنحل (٥/٣٧-٣٨).

يؤمن بالرسول ﷺ ويناصره، ولكان جاهده مع الصحابة وإعانتهم على الدين أولى من سياحته في الأرض، وتخفيه عن خير أمة أخرجت للناس، وهل هذا إلا من أعظم الطعن عليه والعيب له.

وأما ما تحكيه الصوفية عن وجود الخضر إلى الآن، فلا يصح منها شيء فبعضها كذب، وبعضها مبني على ظن رجل فالشيطان قد يتصور لبعضهم فيظنه الخضر(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وأما احتجاجهم بقصة موسى والخضر فيحتجون بها على وجهين: أحدهما: أن يقولوا: إن الخضر كان مشاهدًا الإرادة الربانية الشاملة والمشيئة الإلهية العامة، وهي (الحقيقة الكونية)؛ فلذلك سقط عنه الملام فيما خالف فيه الأمر والنهي الشرعي، وهو من عظيم الجهل والضلال بل من عظيم النفاق والكفر؛ فإن مضمون هذا الكلام: أن من آمن بالقدر وشهد أن الله رب كل شيء لم يكن عليه أمر ولا نهي، وهذا كفر بجميع كتب الله ورسله وما جاءوا به من الأمر والنهي وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨] ... وهؤلاء هم القدرية المشركية الذين يحتجون بالقدر على دفع الأمر والنهي هم شر من القدرية... لأن هؤلاء يقرون بالأمر والنهي والثواب والعقاب، لكن أنكروا عموم الإرادة والقدرة والخلق، وربما أنكروا سابق العلم.

وأما القدرية المشركية فإنهم ينكرون الأمر والنهي والثواب والعقاب، لكن وإن لم ينكروا عموم الإرادة والقدرة والخلق فإنهم ينكرون الأمر والنهي والوعد والوعيد ويكفرون بجميع الرسل والكتب...

وأما الوجه الثاني: فإن من هؤلاء من يظن أن من الأولياء من يسوغ له الخروج عن الشريعة النبوية كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى، وأنه قد يكون للولي في المكاشفة والمخاطبة ما يستغني به عن متابعة الرسول في عموم أحواله أو بعضها، وكثير منهم

---

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط (٦/ ١٣٩)، مجموع الفتاوى (٢٧/١٠٠- ١٠٢)، المنار المنيف (ص٦٧-٧٦)، البداية والنهاية (١/ ٣٤٨-٣٤٩، ٣٩٠-٣٩٣)، فتح الباري (٦/ ٤٣٤)، الزهر النضر في حال الخضر (ص١٢١-١٣، ٢٠٩)، أضواء البيان (٣/ ٣٢٦-٣٣٨).

يفضل الولي في زعمه إما مطلقًا، وإما من بعض الوجوه على النبي، زاعمين أن في قصة الخضر حجة لهم، وكل هذه المقالات من أعظم الجهالات والضلالات؛ بل من أعظم أنواع النفاق والإلحاد والكفر؛ فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن رسالة محمد بن عبد الله ﷺ لجميع الناس، عربهم وعجمهم وملوكهم وزهادهم وعلمائهم وعامتهم، وأنها باقية دائمة إلى يوم القيامة؛ بل عامة الثقلين الجن والإنس، وأنه ليس لأحد من الخلائق الخروج عن متابعته وطاعته وملازمة ما يشرعه لأمته من الدين، وما سنه لهم من فعل المأمورات وترك المحظورات؛ بل لو كان الأنبياء المتقدمون قبله أحياء لوجب عليهم متابعته ومطاوعته...، فإذا كان ﷺ يجب اتباعه ونصره على من يدركه من الأنبياء، فكيف بمن دونهم؟ بل مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز لمن بلغته دعوته أن يتبع شريعة رسول غيره كموسى وعيسى.

فإذا لم يجز الخروج عن شريعته إلى شريعة رسول فكيف بالخروج عنه وعن الرسل؟ كما قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦]...ومما يبين الغلط الذي وقع لهم في الاحتجاج بقصة موسى والخضر على مخالفة الشريعة: أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثًا إلى الخضر ولا أوجب الله على الخضر متابعته وطاعته؛ بل قد ثبت في الصحيحين: ((أن الخضر قال له: يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه))(١)؛ وذلك أن دعوة موسى كانت خاصة، وقد ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي ﷺ أنه قال فيما فضله الله به على الأنبياء قال: ((كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة))(٢)، فدعوة محمد ﷺ شاملة لجميع العباد ليس لأحد الخروج عن متابعته وطاعته ولا استغناء عن رسالته؛ كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى عليه السلام وطاعته مستغنيًا عنه

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (٣/ ١٢٤٦) ح(٣٢٢٠)، ومسلم كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر عليه السلام (٤/ ١٨٤٧) ح(٢٣٨٠) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري كتاب: التيمم (١/ ١٢٨) ح(٣٢٨) عن جابر رضي الله عنه.

بما علمه الله، وليس لأحد ممن أدركه الإسلام أن يقول لمحمد ﷺ: إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، ومن سوغ هذا أو اعتقد أن أحدًا من الخلق الزهاد والعباد أو غيرهم له الخروج عن دعوة محمد ﷺ ومتابعته فهو كافر باتفاق المسلمين، ودلائل هذا من الكتاب والسنة أكثر من أن تذكر هنا، وقصة الخضر ليس فيها خروج عن الشريعة؛ ولهذا لما بين الخضر لموسى الأسباب التي فعل لأجلها ما فعل وافقه موسى و لم يختلفا حينئذ، ولو كان ما فعله الخضر مخالفًا لشريعة موسى لما وافقه»(١).

ويقول ابن حجر –رحمه الله-: «وكان بعض أكابر العلماء يقول أول عقد يحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبيا؛ لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي إلى أن الولي أفضل من النبي كما قال قائلهم:

مقـــــام النبـــــوة في بـــــرزخ   فويق الرســـول ودون الـــولي»(٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٢٠ – ٤٢٦)، وينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الـــشيطان (ص٢٧٠-٢٧٣)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٥٢٦).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٨٨).

المطلب السادس: ولاية المجاذيب:

يعتقد الصوفية في المجانين والبله أنهم أولياء لله، ويسمونهم مجاذيب، والمجذوب عندهم: من اصطنعه الحق تعالى لنفسه، وقربه إليه واصطفاه بالمنح والمواهب، ففاز بجميع المقامات بلا كلفة(١).

وقد ذكر بعض الرحالة عددًا من أخبار هؤلاء المجاذيب معتقدين أنهم أولياء لله.

ومن ذلك ما يقوله الورثيلاني عن أمر بعضهم: «البله الذين لا يهتمون بأنفسهم، ولا يميزون الجيد من غيره لغيبتهم عن حسهم، فسلب الله ما يجنون به على أنفسهم من عقل التكليف، فلم يبق لهم إلا عقل التعريف، فترى أهل العلم يتزاحمون ويتراكمون لديهم فيستمعون الإشارة منهم فضلاً عن العبارة لديهم، وقد شاهدت منهم أمرًا عظيمًا»(٢).

ويقول العياشي: «وممن من الله علينا بلقائه هناك رجل من الصالحين من أهل الجذب... وجدناه على سور الحصن وهو يجمع ترابًا بكلتا يديه فكلمناه، ودعا لنا دعاء كثيرًا، وقال لنا: حركوا معي هذا التراب، فمن حرك حصلت له بركة، فامتثلنا أمره، وهو رجل قد طعن في السن ليس عليه إلا قميص، وهو محلوق الرأس، كلما اجتمع عليه الناس فر منهم، وربما هرول في هروبه من الناس، ثم عاودت إليه آخر اليوم وزرته أيضًا»(٣).

ويقول العياشي عن أحد سكان زواية عبد السلام الأسمر: «وهو مجذوب سالك، والغالب عليه الجذب، وفيه خير كثير، قارب في عمره المائة... وقد حكيت لي عن هذا السيد كرامات...»(٤).

ويقول النابلسي عن وفاة والدته: «ومن ألطف ما وقع في يوم وفاتها أن رجلاً من أهل الصلاح والدين يقال له: الشيخ النبكي، من قرية النبك(٥)، وكان أشعث أغبر من المجاذيب

---

(١) ينظر: الفتوحات المكية (١/ ٢٤٨)، معجم اصطلاحات الصوفية (ص٩٦).
(٢) رحلة الورثيلاني (٢/ ٧٦٤).
(٣) رحلة العياشي (١/ ٢٨٦).
(٤) المصدر السابق (١/ ١٨٥)، وينظر: (١/ ١٤١، ١٩٣، ٢٣٢، ٢٨٩)، رحلة الزياني (ص٢٢٣).
(٥) قرية بين حمص ودمشق. ينظر: معجم البلدان (٥/ ٢٥٨).

المولهيّن، سيماء الصلاح ظاهرة عليه، فجاء ذلك اليوم من قرية النبك، وحده ماشيًا، ودخل علينا ونحن منشغلون بغسل الوالدة وتجهيزها للدفن، وأخبرنا أنه قيل له: اذهب على الشام واحضر هذه الجنازة العظيمة البركة؛ فإن الطاعون الحاصل في الشام يختم بها، ولم يكن يعلم بحقيقة الأمر وساقه الحال إلينا...»(١).

ويقول: «توجهنا إلى زيارة الولي الكامل الصالح الشيخ يوسف القميني(٢) وخادمه محمود القَمِيني بفتح القاف وكسر الميم مخففة، والناس يشددونها نسبة إلى قمين الحمام، وكان القميني رجلا من المجاذيب المولهين في الله تعالى... أما محمود فكان من المولهين في الله تعالى أيضًا، وكان يخدم مزار الشيخ يوسف المذكور، وكان ساكنًا فيه بأهله وعياله، وكان يعتقد الناس فيه الصلاح وله وقائع كثيرة، وكرامات شهيرة، ولنا فيهما رسالة مستقلة سميناها: (الحوض المورود في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود)... وللوالدة رحمها الله تعالى معه وقائع وكرامات كثيرة...»(٣).

إن اعتقاد ولاية المجاذيب انحراف عقدي ظاهر؛ لمخالفته أصول الشريعة.

فالولاية هي الإيمان والتقوى بالتقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، ومن زال عقله فقد حرم ما يتقرب به إلى الله من فرض ونفل، يقول ابن تيمية -رحمه الله-: «زوال العقل بجنون أو غيره؛ سواء سمي صاحبه مولهًا أو متولهًا لا يوجب مزيد حال صاحبه من الإيمان والتقوى،

---

(١) رحلة النابلسي (ص١٤)، وينظر: (ص٦٢، ٦٩، ١٠٢، ١٥٧).

(٢) هو يوسف القميني الموله، كان مشهورًا بدمشق يقول الذهبي: «للناس فيه اعتقاد زائد لما يسمعون من مكاشفته التي تجري على لسانه، كما يتم للكاهن سواء في نطقه بالمغيبات، كان يأوي إلى القمامين والمزابل التي هي مأوى الشياطين، ويمشي حافيا، ويكنس الزبل بثيابه النجسة ببوله، ويترنح في مشيه، وله أكمام طوال، ورأسه مشكوف، والصبيان يعبثون به، وكان طويل السكوت، قليل التبسم، يأوي إلى قمين حمام نور الدين، وقد صار باطنه مأوى لقرينه، ويجري فيه مجرى الدم، ويتكلم فيخضع له كل تالف، ويعتقد أنه ولي لله، فلا قوة إلا بالله، وقد رأيت غير واحد من هذا النمط الذين زال عقلهم أو نقص يتقلبون في النجاسات، ولا يصلون، ولا يصومون، وبالفحش ينطقون، ولهم كشف كما والله للرهبان كشف، وكما للساحر كشف وكما لمن يصرع كشف، وكما لمن يأكل الحية ويدخل النار حال مع ارتكابه للفواحش، فوالله ما ارتبطوا على مسيلمة والأسود إلا لإتيانهم بالمغيبات، توفي يوسف سنة سبع وخمسين وستمائة» سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٠٢- ٣٠٣).

(٣) رحلة النابلسي (ص١٧-١٨)

ولا يكون زوال عقله سببًا لمزيد خيره ولا صلاحه ولا ذنبه؛ ولكن الجنون يوجب زوال العقل فيبقى على ما كان عليه من خير وشر، لا أنه يزيده ولا ينقصه لكن جنونه يحرمه الزيادة من الخير، كما أنه يمنع عقوبته على الشر، وأما إن كان زوال عقله بسبب محرم كشرب الخمر، وأكل الحشيشة، أو كان يحضر السماع الملحن فيستمع حتى يغيب عقله، أو الذي يتعبد بعبادات بدعية حتى يقترن به بعض الشياطين فيغيروا عقله... وكثير من هؤلاء يستجلب الحال الشيطاني بأن يفعل ما يحبه فيرقص رقصًا عظيمًا حتى يغيب عقله أو يغط ويخور حتى يجيئه الحال الشيطاني، وكثير من هؤلاء يقصد التوله حتى يصير مولهًا، فهؤلاء كلهم من حزب الشيطان، وهذا معروف عن غير واحد منهم... ورفع القلم لا يوجب حمدًا ولا مدحًا ولا ثوابًا، ولا يحصل لصاحبه بسبب زوال عقله موهبة من مواهب أولياء الله، ولا كرامة من كرامات الصالحين، بل قد رفع القلم عنه كما قد يرفع القلم عن النائم والمغمى عليه والميت، ولا مدح في ذلك ولا ذم بل النائم أحسن حالاً من هؤلاء؛ ولهذا كان الأنبياء عليهم السلام ينامون وليس فيهم مجنون ولا موله... وأما الجنون فقد نزه الله أنبياءه عنه؛ فإنه من أعظم نقائص الإنسان؛ إذ كمال الإنسان بالعقل... فكيف يكون مع هذا زوال العقل سببًا أو شرطًا أو مقربًا إلى ولاية الله كما يظنه كثير من أهل الضلال»(١).

ولقد غلا كثير من الصوفية –ومنهم بعض الرحالة– في المولهين والمتولهين والمجانين والقمامين الذين يكونون في المقابر والمزابل؛ فصار سمت الولي وشعاره الوساخة والقذارة والهذيان(٢).

يقول ابن تيمية –رحمه الله–: «ومن ظن أن أحدًا من هؤلاء الذين لا يؤدون الواجبات، ولا يتركون المحرمات سواء كان عاقلاً أو مجنونًا أو مولهًا أو متولهًا، فمن اعتقد أن أحدًا من هؤلاء من أولياء الله المتقين، وحزبه المفلحين وعباده الصالحين، وجنده الغالبين السابقين

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٤٠- ٤٤٤)، وينظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٥٢٢-٥٢٥).

(٢) ينظر: فتاوى الإمام محمد رشيد رضا (٢١٤٨-٢١٥٠) فتوى رقم (٧٩٩).

المقربين والمقتصدين، الذين يرفع الله درجاتهم بالعلم والإيمان، مع كونه لا يؤدي الواجبات ولا يترك المحرمات كان المعتقِد لولاية مثل هذا كافرًا مرتدًا عن دين الإسلام»(١).

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٣٢-٤٣٥)، وينظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد (ص١٦٥-١٦٦).

المطلب السابع: رأي بعض الرحالة في ابن عربي:

لقد أثنى بعض الرحالة على ابن عربي، واعتقدوا إمامته وفضله ومترلته، متبعين في ذلك نهج غالب سلفهم من الصوفية، وسعوا في الدفاع عنه، وتأويل معتقداته، محاولين تتريهه وتبرئته عنها.

يقول النابلسي: «ونزلنا إلى مزار حضرة الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر الشيخ محيي الدين ابن العربي... ولنا في شأنه ﷺ كتاب سميناه: (الرد المتين على منتقص العارف محيي الدين)، وكتاب آخر في شأن قبره سميناه: (السر المختبي في ضريح ابن عربي)، وشرحنا كتابه (فصوص الحكم) في مجلدين سميناه (جواهر النصوص في حلّ كلمات الفصوص)، اعتمدنا فيه على الفتح الرباني والفيض الرحماني؛ من غير مراجعة كتاب، ولنا في مدحه القصائد العديدة، والأبيات الفريدة، فمن ذلك القصيدة التي امتدحناه بها في يوم الجمعة الخامس عشر من المحرم سنة إحدى وتسعين بعد الألف وهي قولنا:

وزورا ضريحًا مـــن أتـــاه فإنـــه ... ببهجة محيي الـــدين في جنـــة الخلـــدِ
فتى بين أهل الله كـــان مقـــدما ... له في المعـــالي رتبـــة العلـــم الفـــرد
حوى شرف التقوى وحاز ســـنا ... ونال رضا المولى وحـــل ذرا الـــسعد
وفي كل علـــم كامـــل متحقـــق ... ســـواه لديـــه لا يعيـــد ولا يبـــدي
خصوصًا علوم القوم فهو إمامنـــا ... وليس له في نفحها النـــد مـــن نـــدِ
تصانيفه فيها الهدى لمن اهتـــدى ... ومن زاغ كانت في بـــصيرته تـــردي
فكم جاء فيها للـــورى بعقيـــدة ... لدى غير أهل الجهل واسطة العقـــدِ[1]

يقول المكناسي: «زيارة حضرة الأستاذ الأفخم، والركن الأعظم، والشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، الشيخ محيي الدين بن العربي الحاتمي الأندلسي ... وقد رأيت في ورقة ملصقة بأحد جدرانه قصيدة في مدح الشيخ من نظم الشيخ البركة العارف بالله تعالى

(١) رحلة النابلسي (ص١٦-١٧)، وينظر: (ص١٩٣).

صاحب العرفان والحقائق، وكاشف الحجب والأستار عن الغوامض والدقائق، الشيخ عبد الغني النابلسي...»[(١)].

ثم أورد هذه القصيدة بتمامها، وترجم للنابلسي وأورد قصائد له أخرى في مدح ابن عربي[(٢)]، ثم قال: «وأما كتابه المسمى بـ(الرد المتين على منتقصي الشيخ محيي الدين) فشيء بعيد عن الأوهام ولا تكاد تدركه إلا بإلهام الأفهام، وقد رأيت أن نذكر بعضًا من مسائله المعترض بها، وما أجاب به الشيخ سيدي عبد الغني، نفعنا الله ببركاته، فنقول: قال بعد خطبته في التأليف المذكور: وسميتها (الرد المتين على منتقصي الشيخ محيي الدين)، ولا تظن بأنني متعصب له ﷺ، وإنما متعصب للحق حيث كان...»[(٣)].

وهذا الذي قاله الرحالة مخالف للحق، فابن عربي من صوفية الملاحدة الفلاسفة، ففي بعض مقالاته من الكفر الصريح، والمخالفة العظيمة لما هو معلوم من الدين بالضرورة.

ومن أبرز تلك المقولات القول بوحدة الوجود، التي فصّل القول فيها، وسعى في نشرها، فأصبح بذلك من أكبر دعاة هذا المذهب.

وكذا قوله الشاذ في أن العذاب المتوعد به إنما هو نعيم وعذوبة، يحصل بها التلذذ، وصرح بالقول أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء، وغيرها من المقالات الكفرية التي لأجلها أنكر العلماء عليه، وبدّعوه، بل وكفره بعضهم، وكشفوا ما هو عليه من ضلال وكفر[(٤)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن أهل وحدة الوجود وعلى رأسهم ابن عربي: «ولولا أن أصحاب هذا القول كثروا وظهروا وانتشروا، وهم عند كثير من الناس

---

(١) رحلة المكناسي (ص١٨١).

(٢) ينظر: رحلة المكناسي (ص١٨٣-١٨٧).

(٣) المصدر السابق (ص٢٠١-٢١٩).

(٤) ينظر: مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (١/ ١٧٨-١٧٩، ٤/ ٦٠-٦٧)، جزء فيه عقيدة ابن عربي وحياته وما قاله المؤرخون والعلماء فيه لتقي الدين الفاسي (ص١٧-٦٤)، مصرع التصوف للبقاعي (ص١٥٠-١٨٣)، الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد للشوكاني (ص٣٧-٣٨، ٥٩-٧٦)، رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي، جمع: موسى الدويش.

سادات الأنام، ومشايخ الإسلام، وأهل التوحيد والتحقيق، وأفضل أهل الطريق حتى فضلوهم على الأنبياء والمرسلين وأكابر مشايخ الدين لم يكن بنا حاجة إلى بيان فساد هذه الأقوال وإيضاح هذا الضلال، ولكن يعلم أن الضلال لا حد له، وأن العقول إذا فسدت لم يبق لضلالها حد معقول، فسبحان من فرق بين نوع الإنسان؛ فجعل منه من هو أفضل العالمين، وجعل منه من هو شر من الشياطين»(١).

وسئل-رحمه الله- عن كتاب (الفصوص) فقال: «ما تضمنه كتاب (فصوص الحكم) وما شاكله من الكلام: فإنه كفر باطنًا وظاهرًا؛ وباطنه أقبح من ظاهره، وهذا يسمى مذهب أهل الوحدة، وأهل الحلول، وأهل الاتحاد، وهم يسمون أنفسهم المحققين... ولا يتصور أن يثني على هؤلاء إلا كافر ملحد، أو جاهل ضال... وأقوال هؤلاء شر من أقوال النصارى، وفيها من التناقض من جنس ما في أقوال النصارى؛ ولهذا يقولون بالحلول تارة، وبالاتحاد أخرى، وبالوحدة تارة، فإنه مذهب متناقض في نفسه؛ ولهذا يلبسون على من لم يفهمه، فهذا كله كفر باطنًا وظاهرًا بإجماع كل مسلم، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين...»(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٥٧).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٦٨).

المبحث الثاني

الشيعة

ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: الروافض، وسبب تسميتهم بهذا الاسم.

المطلب الثاني: بعض فرق الروافض.

المطلب الثالث: عقيدة الغيبة.

المطلب الرابع: خلاف الرافضة لسنة المسح على الخفين.

تعريف الشيعة:

إن تعريف الشيعة متعلق بأطوار نشأتها ومراحل تطورها العقدي، فالتشيّع في الصدر الأول يعني تقديم علي على عثمان، دون تقديم أحد على أبي بكر وعمر ﵄، ثم تغيّر هذا المفهوم، وصارت الشيعة شيعا، ولهذا لم يعد السلف يسمون من يطعن في الشيخين شيعة بل رافضة(١).

ومما ورد في تعريف الشيعة في كتب الملل أنهم: الذين يزعمون أنهم أتباع علي ﵁، ويعتقدون أنه قد نص على إمامته وخلافته، وأن الإمامة لا تخرج عن أولاده، وأن لهم العصمة، إلى غير ذلك من المعتقدات الضالة، وهم فرق كثيرة مختلفة(٢).

وقد تكلم الرحالة عن الشيعة وبعض عقائدهم وفرقهم.

المطلب الأول: الروافض، وسبب تسميتهم بهذا الاسم:

يقول المرادي عن افتراق الشيعة على زيد بن علي: «زيد الشهيد الذي ينسب إليه الزيدية... وهو الذي من أجله سميت الروافض روافض»(٣).

لفظ الرافضة إنما ظهر لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين، الإمام العالم الجليل، الذي خرج في خلافة هشام بن عبد الملك(٤) فقُتل بالكوفة سنة ١٢٢هـ(٥)، وإليه تنتسب الزيدية، فإنه لما سأل الشيعة زيدًا عن أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- فترحم عليهما، فتفرّق عنه الذين بايعوه، فقال لهم: (رفضتموني).

وحينها افترقت الشيعة، فالذين رفضوه سموا رافضة، والذين بقوا معه سموا زيدية(٦).

---

(١) ينظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد لناصر القفاري (ص٥٣-٥٦).

(٢) ينظر: مقالات الإسلاميين (ص٥، ١٦)، الملل والنحل (١/ ١٤٥)، الفرق بين الفرق (ص٢٢).

(٣) رحلة المرادي (ص١٩٧)، وينظر: رحلة العياشي (١/ ٣٢٦).

(٤) هو هشام بن عبد الملك بن مروان، أبو الوليد القرشي الدمشقي، الخليفة الأموي العاشر، استخلف سنة ١٠٥هـ. بعهد معقود له من أخيه يزيد، ثم من بعده لولد يزيد، وهو الوليد، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وأحدا وعشرين يومًا، توفي بالرصافة، سنة ١٢٥هـ. ينظر: الكامل في التاريخ (٤/ ٤٦٥)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥١).

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٧٨)، تقريب التهذيب (ص٢٢٤).

(٦) ينظر: مقالات الإسلاميين (ص٦٥)، التبصير في الدين (ص٣٠)، الفرق بين الفرق (ص٢٥)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٥٢)، مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦)، منهاج السنة النبوية (١/ ١٥، ٢/ ٥٠).

المطلب الثاني: بعض فرق الروافض:

وفي هذا يقول العياشي: «الرافضة قبحهم الله منهم طائفة تقدم إسماعيل[(١)] على أخيه، ويقولون: إنه الإمام بعد أبيه، وإنه أحد الأئمة الاثني عشر المعدودين عندهم، يعتقدون فيهم العصمة، وهذه الطائفة تسمى الإسماعيلية... لهم مذاهب ينتحلونها وعقائد يعتقدونها، ومن سوى هؤلاء من الروافض يعتقدون الإمامة لأخيه موسى الكاظم[(٢)] ﷺ، ويعتقدون أن أخاه لا ينازعه في ذلك، ويرون أن الإسماعيلية كاذبون عليه مفترون في ادعائهم الإمامة له؛ ولأجل ذلك يترهون إسماعيل عن مخالفة أخيه، رضي الله عنهما، ومن علم أحوال هؤلاء الأئمة من أهل البيت وأسلافهم وأولادهم ﷺ، وعلم ما كانوا عليه من تعظيم السنة ووفور العلم، وتعظيم أصحاب جدهم ﷺ؛ علم براءة ساحتهم من كذب هؤلاء الأرجاس وافترائهم عليهم أحاديث ما أنزل الله بها من سلطان، ولا جاء بها في سنة نبيه من بيان»[(٣)].

وما أورده العياشي موافق في الجملة لما ذكره أهل الملل والنحل في كتبهم، من بيان بطلان هذا المذهب وما تفرع عنه[(٤)].

---

(١) هو إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، مات وهو صغير في حياة أبيه، وليست له رواية في الكتب، وإليه تنسب الفرقة الإسماعيلية، فقالوا: إنما فائدة النص عليه وإن كان قد مات في حياة أبيه لانتقال الإمامة من جعفر إلى الأولاد خاصة، ومنهم من قال: إنه لم يمت لكن أباه أظهر موته تقية عليه؛ حتى لا يقصد بالقتل. ينظر: الوافي بالوفيات (٩/ ٦٢)، تاريخ ابن خلدون (٤/ ٣٩)، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للساعدي اليماني صفي الدين (ص٣٣).

(٢) هو موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، أبو الحسن الكاظم، سابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ولد سنة ١٢٨هـ. بالمدينة، وكان كثير العبادة والمروءة، توفي في محبسه ببغداد، سنة ١٨٣هـ. ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٣/ ٢٧)، وفيات الأعيان (٥/ ٣٠٨)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٧٠) البداية والنهاية (١٠/ ١٩٧).

(٣) رحلة العياشي (١/ ٣٨٠-٣٨١).

(٤) ينظر: مقالات الإسلاميين (ص١٧)، الملل والنحل (١/ ٢٠، ١٩٠)، الفرق بين الفرق (ص٤٦).

المطلب الثالث: عقيدة الغيبة:

من أبرز عقائد معظم فرق الشيعة عقيدة الغيبة، وهي الإيمان بالإمام الغائب؛ حيث تعتقد كل فرقة أن إمامها لم يمت، وإنما اختفى عن الناس، وسيعود إلى الظهور في المستقبل مهديًّا(١).

ويصف العياشي فرقة ممن تعتقد بغيبة جعفر الصادق(٢) ﷺ بقوله: «ولما خرجت الطائفة المذكورة من المشهد -يعني مشهد جعفر- وجاؤوا إلى البئر الخارجة، وقفوا عليها وترحموا ودعوا، وقال لهم كبيرهم: إن هذه البئر هي التي دخل فيها الإمام جعفر الصادق ﷺ، فغاب عن أعين الناس إلى الآن، وهم يظنون أنه قد مات، أو كلام هذا معناه، وقضينا العجب من حمقهم، وقبح اعتقادهم في آل البيت الذي آل بهم إلى تتريههم عن الموت»(٣).

ولكن الإمامية الاثني عشرية تعتقد بغيبة الإمام الثاني عشر وهو محمد بن الحسن العسكري(٤)، يقول العياشي في ذكره لهم: «إنهم يعتقدون أنه إلى الآن حي وأنه هو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان الموعود به في الحديث الصحيح أنه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا»(٥).

---

(١) ينظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد لناصر القفاري (٢/ ٨٢٤).

(٢) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، أبو عبد الله الصادق، سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ولد سنة ٨٠ ه، كان عالمًا زاهدًا عابدًا، مشغولا بالعبادة عن حب الرياسة، توفي سنة ١٤٨هـ. ينظر: صفة الصفوة (١/ ٣٩١)، وفيات الأعيان (١/ ٤٧١)، الوافي بالوفيات (١١/ ٩٨).

(٣) رحلة العياشي (١/ ٣٨١).

(٤) هو الإمام المزعوم محمد بن الحسن بن علي بن محمد أبو القاسم، آخر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، المعروف بالحجة، والذي تزعم الشيعة أنه المهدي المنتظر، وصاحب السرداب، وأنه لما بلغ التاسعة أو العاشرة أو التاسعة عشرة دخل سردابًا في دار أبيه بسامراء، قيل: ولد سنة ٢٥٥هـ، وغاب سنة ٢٦٥هـ، وقد قال أهل العلم بالأنساب والتواريخ: إن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب. ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٧٦)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١١٩)، منهاج السنة النبوية (٤/ ٤١).

(٥) رحلة العياشي (١/ ٣٨٠)، ونقل ذلك عنه الورثيلاني (٢/ ٥٣٧-٥٣٨)، وينظر: النابلسي (ص٦٧-٣٢٢).

وفي نقده هذه العقيدة ينقل المكناسي من كتاب (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)[(١)]: «ومعتقد الطائفة الشيعية من الإمامية، أن المهدي الموعود هو محمد بن حسن العسكري، وأنه لم يمت بل مختف عن أعين الناس من العوام والأعيان، وأنه سيظهر في وقته ويحكم في دولته، وهو مردود عند أهل السنة والجماعة، والأدلة مستوفاة في الكتب الكلامية... لكن الأحاديث الواردة في أحوال المهدي ما جمعه السيوطي وغيره، ترد على الشيعة في اعتقاداتهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة، بل جعلوا تمام إيمانهم وبناء إسلامهم وأركان أحكامهم، بأن محمد بن الحسن العسكري هو الحي القائم المنتظر، وهو المهدي الموعود، على لسان صاحب المقام المحمود، والحوض المورود. وقد ورد بل صح عن النبي ﷺ أنه قال: ((يواطئ -أي يوافق- اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي))[(٢)]، فتعسف بعض الشيعة فقالوا: إن هذا تحريف، والصواب اسم أبيه اسم ابني بالنون يعني الحسين، وأن المراد بأبيه جده الحسين والمراد باسمه كنيته، فإن كنية الحسين أبو عبد الله، فمعناه أن كنية جده الحسين يوافق اسم والد النبي ﷺ، وذلك لاعتقادهم أنه محمد بن الحسن وهو باطل من وجوه: أما الأول فلهذه التعسفات، والثاني فلأن محمد بن الحسن العسكري هذا مات وأخذ عنه عمه جعفر[(٣)] ميراث أبيه الحسن[(٤)]، والثالث فلأن المهدي يبايع وهو ابن أربعين سنة أو أقل، ولو كان هو

---

(١) للملا علي القارئ، المتوفى سنة ١٠١٤هـ.

(٢) أخرجه أبو داود كتاب: المهدي (٢/ ٥٠٨) ح(٤٢٨٢)، وقال الألباني: «حسن صحيح» صحيح سنن أبي داود (٣/ ٢٠) ح(٤٢٨٢).

(٣) هو جعفر بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الحسيني أخو الحسن العسكري، الإمام الحادي عشر من الأئمة الإمامية، ووالد محمد صاحب السرداب كان جعفر منابذاً لأخيه الحسن، فسمته شيعة الحسن جعفر الكذاب؛ ولكنها تسمية لا أصل لها؛ لأنهم لا يوثق بنقلهم. ينظر: الشجرة المباركة في الأنساب الطالبية لفخر الدين الرازي (ص٧٩)، لسان الميزان (٢/ ٤٦٠).

(٤) هو الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، أبو محمد العسكري، الإمام الحادي عشر من الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ولد في المدينة سنة ٢٣٢هـ، وانتقل مع أبيه الهادي إلى سامراء في العراق، وكان اسمها مدينة العسكر؛ فقيل له: العسكري كأبيه؛ نسبة إليها، وبويع بالإمامة بعد وفاة أبيه، وكان على سنن سلفه الصالح تقًى ونسكًا وعبادة،

لزاد على سبعمائة سنة، والرابع فلأن مولد المهدي في المدينة بخلافه... بل وكثير من الأحاديث صريحة في رد ما قالوا ووجهوه...»[(١)].

وما ذكره الرحالة في الرد على هذه العقيدة الباطلة موافق للحق، فقد نقض العلماء هذه العقيدة، بما لا تقوم معه للإمامية حجة في ذلك[(٢)].

وتوفي بسامراء سنة ٢٦٠هـ. ينظر: تاريخ بغداد (٧/ ٣٦٦)، الوافي بالوفيات (١٢/ ٧٠)، وفيات الأعيان (٢/ ٩٤).

(١) رحلة المكناسي (ص١١٧- ١٢٠).

(٢) ينظر: الملل والنحل (١/ ١٦١)، الفصل في الملل والنحل (٣٨/ ٥)، تاريخ ابن خلدون (١٩٩/١)، منهاج السنة النبوية (٤/ ٤١-٤٥، ٨/ ١٨٤-١٨٧)، المنار المنيف (ص١٥٢)، النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (ص٢٣) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٧١).

المطلب الرابع: خلاف الرافضة لسنة المسح على الخفين:

قد تخفى بعض عقائد الشيعة على بعض العوام من الناس أهل السنة والجماعة بل وعوام الشيعة؛ لكن للشيعة بعض الشعارات التي لا تخفى على أحد، وإن شاركوا بعض الفرق فيها.

ومن ذلك ما أشار إليه الورثيلاني ينقل عن رحّالة قبله، شذوذَ الروافض والخوارج في مسألة المسح على الخفين فيقول: «وقد وافقت الخوارج على إنكار المسح على الخفين أضدادهم الشيعة مستندين في إنكاره إلى ما رووه عن علي ﷺ أنه كان لا يرى المسح، وذلك غير صحيح عنه؛ فإن حديث التوقيت في المسح وهو حديث صحيح يروى، وقد تغالى الشيعة في هذا واتخذوه شعارًا... وأما الخوارج فوقفوا في إنكار المسح مع نص الكتاب ولم يروا نسخه بالسنة...»[(١)].

إن إنكار المسح على الخفين إنكار لما قد تواترت فيه الأحاديث عن النبي ﷺ، فقد روى ذلك عنه ﷺ جمع من الصحابة[(٢)].

وأقوى الأحاديث حجة في ذلك الحديث المتفق عليه، فعن إبراهيم النخعي[(٣)]، عن همام بن الحارث[(٤)] قال: بال جرير ﷺ، ثم توضأ ومسح على خفيه، فقيل: تفعل هذا؟ فقال: نعم، رأيت رسول الله ﷺ بال، ثم توضأ ومسح على خفيه، قال إبراهيم: كان يعجبهم هذا

---

(١) رحلة الورثيلاني (٢/ ٧٤٤، ٧٤٨).

(٢) ينظر: التمهيد لابن عبد البر (١١/ ١٣٧)، منهاج السنة النبوية (٤/ ٨٨)، فتح الباري (١/ ٣٠٦).

(٣) هو إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد بن مالك النخعي، أبو عمران، فقيه ثقة، سمع المغيرة بن شعبة وأنس بن مالك، ودخل على عائشة، روى عنه منصور ومغيرة والأعمش، كان مولده سنة ٥٠هـ، وتوفي وهو ابن ست وأربعين سنة، بعد موت الحجاج بأربعة أشهر سنة ٩٥هـ. ينظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٢٧٠)، الثقات لابن حبان (٤/ ٨).

(٤) هو همام بن الحارث بن قيس بن عمرو بن ربيعة بن حارثة النخعي، ثقة عابد، روى عن عمر وجرير بن عبد الله، روى عنه إبراهيم النخعي، توفي بالكوفة سنة ٦٣هـ، وقيل: ٦٥هـ. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ١١٨)، الثقات لابن حبان (٥/ ٥١٠-٥١١)، تقريب التهذيب (ص٥٧٤).

الحديث؛ لأن إسلام جرير ﷺ كان بعد نزول آية المائدة[١]، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ [المائدة: ٦]، مما يدل على أن حديث جرير يعمل به في المسح على الخفين و لم ينسخ بالآية، وإنما المراد بالآية غير صاحب الخف.

وقد أجمع العلماء على جواز المسح على الخفين في الحضر والسفر، سواء كان لحاجة أم لغيرها، وإنما أنكرته الشيعة والخوارج، وهؤلاء لا يعتد بخلافهم[٢].

وأما ما يرويه الرافضة عن امتناع علي ﷺ عن المسح على الخفين، فيبطله ما ورد عن صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا لا يفارقونه في الحضر، ولا في السفر، ومن ذلك حديث التوقيت: وهو أن عليًّا ﷺ سئل عن ذلك فقال: ((جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر، ويومًا وليلة للمقيم))[٣].

---

(١) أخرجه البخاري أبواب الصلاة في الثياب، باب: الصلاة في الخفاف (١/ ١٥١) ح(٣٨٠)، ومسلم كتاب: الطهارة، باب: المسح على الخفين (١/ ٢٢٧) ح(٢٧٢).

(٢) ينظر: الإقناع في مسائل الإجماع (١/ ٨٨-٨٩)، شرح النووي على مسلم (٣/ ١٦٥-١٦٤).

(٣) أخرجه مسلم كتاب: الطهارة، باب: التوقيت في المسح على الخفين (١/ ٢٣٢) ح(٢٧٦).

المبحث الثالث

أهل الكلام

ويشتمل على ما يلي:

أولاً: الأشاعرة.

ثانيًا: الماتريدية.

لقد أمر الله بالتمسك بالوحي الذي هو كتابه ﷻ وسنة رسوله ﷺ، والتزم بذلك سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ومن ترك ذلك فقد ضل كما هو حال الفرق المبتدعة الذين اشتغلوا بعلم الكلام.

وعلم الكلام يعرّف بأنه: «علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبهة»(١).

وبالنظر في كلام الرحالة، وعرضهم لمسائل الصفات والقدر(٢)، يتبين تأثرهم بأهل الكلام وخاصة الأشاعرة والماتريدية.

ويمكن التعريف بهاتين الفرقتين على النحو التالي:

أولاً: الأشاعرة:

فرقة كلامية كبرى تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري(٣)، وقد مر أبو الحسن خلال حياته بثلاثة أطوار؛ فقد نشأ على مذهب المعتزلة حيث كان ربيبًا عند أبي علي الجبائي(٤) زوج أمه، وأقام على ذلك نحوًا من أربعين سنة حتى صار للمعتزلة إمامًا.

---

(١) المواقف للإيجي (١/ ٣١).

(٢) وقد تمت دراسة هذه المسائل في مواضعها.

(٣) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري ﷺ، صاحب رسول الله ﷺ، ولد في البصرة سنة ٢٦٠هـ، وإليه ينسب المذهب الأشعري، المتكلم صاحب الكتب والتصانيف في الرد على أصناف المبتدعة، ومنها: (الرد على المجسمة)، و(اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع)، و(مقالات الإسلاميين)، سكن بغداد وبها توفي سنة٣٢٤هـ. وقيل: سنة٣٣٠هـ. ودفن بين الكرخ وباب البصرة. ينظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤-٢٨٦)، طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٤٧)، البداية والنهاية (١١/ ٢١٢).

(٤) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي البصري، أبو علي شيخ المعتزلة، وزعيم فرقة الجبائية، ولد سنة٢٣٥هـ. وكان إماما في علم الكلام، وأخذ هذا العلم عن أبي يعقوب الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره، وله في مذهب الاعتزال مقالات مشهورة، وعنه أخذ أبو الحسن الأشعري علم الكلام، من مؤلفاته: (الأسماء والصفات)، و(النقض على ابن الراوندي)، و(الرد على ابن كلاب)، توفي سنة ٣٠٣هـ. ينظر: الإكمال لابن ماكولا (٣/ ٦٥)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٧)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٨٣-١٨٤).

ثم أعلن رجوعه عن مذهب المعتزلة، ومعارضته لهم، وسلك طريقة ابن كلاب، فأثبت بعض الصفات وأوّل البعض الآخر، مع وجود بعض بقايا مذهب المعتزلة.

ثم هداه الله إلى مذهب أهل السنة والجماعة، حيث أعلن اتباعه لعقيدة السلف الصالح، وصنّف كتاب (الإبانة عن أصول الديانة)، وذكر فيه متابعته لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل -رحمه الله- وقوله بكل ما قال، ولكنه مع ذلك فقد بقيت عليه في هذا الطور بعض المخالفات والشوائب من إثر ما عاشه في المذاهب المبتدعة.

وما كان عليه في طوره الثاني، هو الذي عليه جمهور الأشاعرة[(١)].

ثانيًا: الماتريدية:

فرقة كلامية تنتسب إلى أبي منصور الماتريدي[(٢)]، وهي قريبة في أصولها من الأشاعرة، وإلى قريبٍ من ذلك أشار النابلسي فأدخل الأشاعرة والماتريدية في أهل السنة فقال: «فأهل السنة والجماعة منهم الأشاعرة والماتريدية والخلاف بينهم لفظي...»[(٣)].

وأطلق غيره مذهب أهل السنة، ويعني به مذهب الأشاعرة[(٤)].

ونقل العياشي رسالة الإمام أبي القاسم القشيري[(٥)] المسماة بشكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة والتي أبرز فيها بعض عقائد الأشعري مدافعًا عنه ومنتصرًا لمذهبه، وواصفًا

---

(١) ينظر: الملل والنحل (١/ ٩٣)، مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٨)، العرش للذهبي (ص٣٨٧)، طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير (١/ ٢٠٨-٢١٠)، معارج القبول (١/ ٣٧٨)، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (١٤٠-١٤١)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٣٦١-٤٠٩).

(٢) هو محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، كان يقال له: إمام الهدى، من مؤلفاته: (التوحيد)، و(المقالات)، و(بيان أوهام المعتزلة)، و(تأويلات القرآن)، توفي سنة ٣٣٣هـ، بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند. ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية لأبي الوفاء القرشي (٢/ ١٣٠-١٣١).

(٣) رحلة النابلسي (ص٤٠٥)، وينظر: رحلة العياشي (٢/ ٢٤٣-٢٤٤).

(٤) ينظر: رحلة العياشي (١/٦٠٩)، رحلة الورثيلاني (٢/٨٠٤).

(٥) هو عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن محمد، أبو القاسم القشيري النيسابوري، أشعري صوفي، ولد سنة٣٧٥هـ، وأخذ عن الإسفراييني وابن فورك، من مؤلفاته: (تفسير لطائف الإشارات)، و(الرسالة القشيرية) المشهورة، توفي بنيسابور سنة ٤٦٥هـ. ينظر: تبيين كذب المفتري (ص٢٧١-٢٧٢)، تاريخ بغداد (١١/ ٨٣) وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٥-٢٠٨) طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ١٥٣-١٦٢).

الأشاعرة بأهل السنة، ومبينًا دور الأشعري في الرد على المعتزلة، ومما جاء في هذه الرسالة: «وما نقموا من الأشعري، إلا أنه قال بإثبات القدر لله خيره وشره، ونفعه وضره وإثبات صفات الجلال له من قدرته وعلمه وحياته وبقائه وسمعه وبصره وكلامه ووجهه ويده، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه تعالى موجود تجوز رؤيته، وإن إرادته نافذة في مراداته، وما لا يخفى من مسائل الأصول التي يخالف طريقه طريق المعتزلة والمجسمة فيها، وإذا لم يكن في مسألة لأهل القبلة غير قول المعتزلة وقول الأشعري فإذا بطل قول الأشعري فهل تتعين بالصحة لقول المعتزلة، وإذا بطل القولان فهل هذا إلا تصريح بأن الحق مع غير أهل معاشر المسلمين، الغياث الغياث، سعوا في إبطال الدين ورأوا هدم قواعد المسلمين، وهيهات هيهات: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٨]، وقد وعد الله الحق نصره وظهوره والباطل محقه وثبوره...»[(١)].

حصر الحق في قول الأشاعرة، وتسميتهم بأهل السنة باطل؛ فأهل السنة هم من اتبع السنة وتمسّك بها قولاً وعملاً واعتقادًا، يقول قوام السنة: «فقولهم فلان على السنة، ومن أهل السنة، أي: هو موافق للتنزيل والأثر في الفعل والقول؛ ولأن السنة لا تكون مع مخالفة الله ومخالفة رسوله»[(٢)].

والأشاعرة قد خالفوا السنة في كثير من أصول ومسائل الاعتقاد، فهي فرقة مبتدعة كلامية؛ كما وصفهم بذلك أهل العلم، وبينوا أخطاءهم التي فارقوا بها السنة[(٣)].

يقول الإمام أبو نصر السجزي[(٤)] -رحمه الله-: «فكل مُدَّعٍ للسنة يجب أن يطالب بالنقل الصحيح بما يقوله، فإن أتى بذلك علم صدقه وقبل قوله، وإن لم يتمكن من نقل ما

---

(١) رحلة العياشي (٢/ ٢٢٧-٢٣٤).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤١١).

(٣) ينظر: الفصل في الملل والنحل (٤/ ٣٣-١٥٧، ٥/ ٧٠)، جزء في أصول الدين لابن عقيل الحنبلي (ص٥٣)، الغنية لطالبي طريق الحق ﷻ لعبد القادر الجيلاني (ص٨٦، ٨٧، ٩١)، صيد الخاطر (ص١٩٧)، المناظرة في القرآن لابن قدامة (ص٣٥)، مجموع الفتاوى (٢/ ٥٠، ١٢/ ١٣٢)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٣٦٤، ١١/ ٢٣٩، ٣٥٤)، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص٥٣).

(٤) هو عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد، الوائلي البكري السجستاني، أبو نصر السجزي الإمام العالم الحافظ، المجود شيخ السنة، شيخ الحرم، سمع بالحجاز والشام والعراق، وصنف: (الإبانة الكبرى) عن مذهب السلف في

يقوله عن السلف، علم أنه محدث زائغ، وأنه لا يستحل أن يصغى إليه أو يناظر في قوله، وخصومنا المتكلمون معلوم منهم أجمع اجتناب النقل والقول به، بل تمحينهم لأهله ظاهر ونفورهم عنهم بين، وكتبهم عارية عن إسناد، بل يقولون: قال الأشعري، وقال ابن كلاب»[(١)].

ويقول ابن تيمية مبينًا ضابط تسميتهم بأهل السنة، وأنهم ليسوا بأهل السنة عند الإطلاق: «فإنهم أقرب طوائف أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث، وهم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم، بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم»[(٢)].

القرآن وأنه غير مخلوق، وهو طويل جليل يدل على إمامة مصنفه، توفي سنة ٤٤٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٤)، الوافي بالوفيات (١٩/ ٢٤٦).

(١) الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص١٠٠-١٠١).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٨٧).

المبحث الرابع

الديانات

ويشتمل على المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: اليهودية.

المطلب الثاني: النصرانية.

المطلب الأول: اليهودية:

لغة: نسبة إلى صفة الهود، وهي التوبة والرجوع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. فسموا يهودًا اشتقاقًا من: هادوا، أي تابوا[(١)].

وقيل: نسبة إلى يهوذا، وهو اسم عبراني لابن يعقوب عليه السلام، الذي ينتمي إليه بنو إسرائيل، فقلبت العرب الذال دالاً[(٢)].

واصطلاحًا: الأصل أنها الدين الذي أرسل الله به موسى عليه السلام، وكتابها التوراة.

ولكنها حرفت فتحولت من التوحيد إلى الشرك، ثم نسخت بالإسلام فأصبحت باطلة، وقد سماهم الله يهود، قال تعالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[المائدة: ٨٢][(٣)].

وقد تحدث الرحالة السنوسي عن أحد فرقهم فيقول: «الفريماسون أي جمعية البنائين الأحرار، وهم جمعيات سرية من الإفرنج، لا يعلم مبدأ تاريخ ظهورهم، وإنما هم يقولون: إن أصلهم طائفة من بنائي صور، أرسلهم ملكهم إلى سليمان عليه السلام إعانة له على بناء الهيكل، فكانوا يجتمعون اجتماعات سرية فيما بينهم هناك؛ ولذلك يحترمون هيكل سليمان احتراما عظيما، وبعضهم يقول: إن ظهورهم كان في القرون المتوسطة، وأصلهم من بنائي كنائس القوطية، وكانوا إذا باشروا بناء كنيسة يترلون وحدهم في خيام حولها، ولهم أسرار في صناعتهم لايبوحون بها لمن سواهم، ولهم تعصب.

ثم منحهم الباباوات حقوقًا وتمييزات قويت بها شوكتهم، حتى رغب الناس في جمعيتهم وانضم إليها غير أرباب صناعتهم، والتفت إليهم الملوك وأباحوا لهم احتفال ولائمهم، وإجراء قوانين جمعيتهم، فنموا وتقووا بكثير من العلماء والأغنياء، وانتسخت هيئة الجمعية الأولى وزالت منها مادة البناء الحسية، واجتمعوا على خصوص الاتحاد والمساواة، وتشييد البناء المعنوي في السعي لما يثمر تحسين العمران، ولم يزالوا في النمو والازدياد محافظين على

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٦/ ٢٠٥)، الصحاح (٢/ ٥٥٧)، الملل والنحل (١/ ٢٠٩)، لسان العرب (٦/ ٤٧١٨).
(٢) ينظر: المختصر في أخبار البشر لابن كثير (٨٧/١).
(٣) ينظر: الملل والنحل (١/ ٢٠٩).

كتم أسرار قوانينهم بحيث عمت الآن جمعياتهم سائر الممالك، ولهم فيها عدة محافل، كل محفل على ثلاث رتب متفاوتة بحسب تفاوت الناس في القيام بحقوق الفريماسونية...ومن الناس من ينسب إليهم التدين بدين لهم وهو غلط فاحش؛ لأن جمعياتهم مركبة من أصحاب أديان ومذاهب مختلفة، ومع كثرتهم وشهرة كثير منهم في ديانتهم يبعد كل البعد أن ينسلخوا جميعًا عن أديانهم؛ بل إن المنقول في أخبارهم أنهم يختبرون الرجل بتوثيقه في ديانته، ومن قوانينهم ترك الخوض في المسائل الدينية عند الاجتماع، وهم يعدون أنفسهم إخوة البشرية، يسعون في مصالحها بالسعايات السرية التي تعود بالنفع إلى أبناء الجنس، ويعينون أصحاب الفاقة والمرض بغاية مافي الوسع، ويؤدون نشر المعارف...»(١).

الفريماسونية: هي كلمة مركبة من لفظتين فرنسيتين: (فرانك) وتعني (الصادق)، و(ماسون) وتعني (الباني)، فهي بمعنى الباني الصادق، واشتق منها لفظ الماسونية.

فالماسونية لغة: جمعية البنائين الأحرار(٢).

واصطلاحًا: منظمة يهودية دولية سرية، تعمل على تحقيق أهداف اليهود، وتتظاهر بخدمة الإنسان(٣).

ولكونها منظمة سرية ولظروف أخرى، اختلف الباحثون في تحديد تاريخ نشأتها، فكما ذكر السنوسي فقد قيل: أيام بناء هيكل سليمان عليه السلام، وقيل: أيام القرون الوسطى مع طائفة البنائين الأحرار.

والذي يذهب إليه أغلب الباحثين أنها نشأت في القرن الأول الميلادي؛ لمحاربة دعوة المسيح عيسى عليه السلام والمؤمنين به(٤).

---

(١) رحلة السنوسي (١/٩٧-١٠٠).

(٢) ينظر: أوقفوا هذا السرطان للبستاني (ص٢١)، الماسونية ذلك العالم المجهول لصابر طعيمة (ص١٧)، الموجز في الأديان والمذاهب لناصر العقل وناصر القفاري (ص٤٧).

(٣) ينظر: حقيقة الماسونية العالمية لعبد الله سمك (ص٨-١٦)، الماسونية واليهود والتوراة لنعمان السامرائي (ص٩-١٣)، العقيدة اليهودية وخطرها لسعد الدين السيد صالح (ص٢٢٣).

(٤) ينظر: العقيدة اليهودية وخطرها (ص٢٢٤)، الماسونية واليهود والتوراة (ص١٣)، أوقفوا هذا السرطان (ص٢٩-٣٤)، الماسونية لجورجي زيدان (ص٥-٧)، الماسونية ذلك العالم المجهول (ص٢٠-٢٥)، الماسونية في العراء للزعبي (ص١٧-١٨).

يقول محمد رشيد رضا[١] عن الماسونية: إنها: «وجدت في أوربا لإزالة سلطة المستبدين من رؤساء الدين والدنيا (كالبابوات والملوك)، ولذلك كانت سرية»[٢].

وقد استطاعت الماسونية من جذب وخداع أصحاب المراكز المهمة حول العالم لتستغل نفوذهم في مجتمعاتهم.

فاستمالوا في أوربا كبار رجال الدين والدولة، حتى منحوهم حقوقًا وتمييزات فمكّنوهم حتى تقووا، كما أشار إلى ذلك السنوسي[٣].

وذلك لما للماسونية من مبادئ خفية هدامة، وشعارات ظاهرة براقة، تنادي بالإخاء الإنساني، فشعارها المعلن: (الحرية والإخاء والمساواة)، وكذا كل ما تعلنه من مبادئ وأهداف هي على النقيض من ذلك، ولا تمت إلى الحقيقية بصلة، وإنما للتمويه على العالم.

وتعد من أخطر المنظمات العالمية وهي في أصلها ونشأتها، وكذا في نظمها وأساليبها وأهدافها يهودية، ولكنها تخفي هويتها ومبادئها الحقيقية؛ لتدمير كل المبادئ والقيم الإنسانية لدى الشعوب، وتسعى للتحكم في قيادة العالم.

ومن أهم أهدافها الخبيثة هدم جميع الأديان ومحاربتها لصالح إقامة دين اليهود؛ فهي وإن ضمت أهل أديان مختلفة إلا أنها تمنعهم من الجدل الديني، وتُفضل الملاحدة والمستعدين للإلحاد عليهم[٤].

---

(١) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي، ولد سنة ١٢٨٢هـ، في القلمون -من أعمال طرابلس الشام- تأثر بمحمد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وكتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي، وبعد وفاة محمد عبده بدأ يتحول تدريجيًا إلى منهج السلف وكان في ازدياد، إلى أن أدركته الوفاة، من أشهر آثاره: مجلة (المنار)، و(تفسير القرآن الكريم) الشهير بتفسير المنار، توفي في القاهرة سنة ١٣٥٤هـ. ينظر: السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين عامًا لشكيب أرسلان، الأعلام (٦/ ١٢٦)، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير لفهد الرومي (ص١٧٠- ١٨٧).

(٢) فتاوى الإمام محمد رشيد رضا (٩٧٩/٣) فتوى رقم (٣٦٥).

(٣) وقد أثبت ذلك بعض الباحثين. ينظر: الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية لشاهين مكاريوس (ص٨-٩)، الماسونية في العراء (ص٢٢).

(٤) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة لعبد الرحمن حبنكة (ص٢٨٦-٢٨٨)، حقيقة الماسونية العالمية (ص١٣٨) وما بعدها، قرارات المجمع الفقهي بمكة المكرمة من الأول إلى الثاني بعد المائة (ص١٩-٢٢)، الماسونية لمحمد السقا وسعدى أبو حبيب (ص٧١-٧٥)، أوقفوا هذا السرطان (ص١٠١-١١٠)، الماسونية لأحمد عطار (ص٩٩-١٠٦).

وهم كما ذكر السنوسي يعدون أنفسهم إخوة البشرية يسعون في مصالحها، يعينون أصحاب الفاقة والمرض، وينشرون المعارف.

وقد كذبوا فيما ادعوا فلم تساعد الماسونية الفقراء والمرضى، فمما ورد من أقوالهم في بعض محافلهم: «الماسونية تقرّ بأنها لا تهتم بالبؤساء ولا تنوي مساعدة الفقراء»، ولم تسع أبدًا في بث العلوم، وكذا لم تقم بقمع الجهل ونشر العلم، وهي وإن أعانت أحدًا أو نشرت معرفة فإنما هو فقط خدمة لمصالحهم الخاصة[1].

(١) ينظر: السر المصون في شيعة الفرمسون للأب لويس شيخو (ص١٧-٢٢)، الماسونية في العراء (ص٦٦).

المطلب الثاني: النصرانية:

لغة: قيل نسبة إلى بلدة تسمى الناصرة أو نصورية، ولد فيها المسيح عيسى عليه السلام، والنسبة إلى الديانة نصراني، وجمعه نصارى، والتنصر الدخول في النصرانية(١).

واصطلاحًا: الأصل أنها الدين الذي أرسل الله به المسيح عيسى عليه السلام، وكتابها الإنجيل.

ولكنها حرفت فتحولت من التوحيد إلى الشرك، ثم نسخت بالإسلام فأصبحت باطلة، وقد سماهم الله نصارى، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم﴾[التوبة: ٣٠].

ولكنهم يسمون أنفسهم بالمسيحين نسبة إلى المسيح عيسى عليه السلام، فالمسيحية هي النصرانية تمامًا(٢).

وقد جاء ذكر النصارى في بعض كتب الرحلات -محل الدراسة-، ومن ذلك ما أورده الزياني بقوله: «خبر مذاهب أهل التثليث والرد عليهم وتكذيبهم، وبيان ما بدلوا في أناجيلهم، وما حرفوه وما زادوا من عند أنفسهم -قبحهم الله-، قال عبد الله الإسلامي(٣): اعلموا رحمكم الله أن الذين بدلوا الإنجيل، وكتبوا الأناجيل الأربعة، وأفسدوا دين عيسى عليه السلام وبدلوا كلام الله القديم(٤)، هم متّى، ولوقا، وماركوس، ويوحنا، وليسوا من الحواريين الذين أثنى الله عليهم في محكم القرآن.

فأما متّى، وهو أولهم فما أدرك عيسى عليه السلام ولا رآه قط، إلا في العام الذي رفعه الله فيه إليه، وبعد رفعه كتب متّى الإنجيل بخطه...وأما لوقا، فلم يدرك عيسى ولا رآه البتة،

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١٢/ ١١٣)، لسان العرب (٦/ ٤٤٤١).

(٢) ينظر: الملل والنحل (١/ ٢١٩)، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص٦٤-٦٥).

(٣) نقل الزياني ما أورده هنا من كتاب (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب)، ومؤلفه هو: عبد الله بن عبد الله الترجمان التونسي، متكلم، كان من قساوسة النصارى، فأسلم على يد الأمير أبي العباس أحمد المستنصر، من مؤلفاته: (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) فرغ منه عام ٨٢٣هـ. ينظر: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس لابن أبي دينار (ص١٥٣)، هدية العارفين في أسماء المؤلفين (٢/ ٢٠)، معجم المؤلفين (٦/ ٧٨).

(٤) ينظر: دراسة صفة الكلام لله تعالى في هذا البحث.

وإنما تنصر بعد ارتفاع عيسى عليه السلام...وأما ماركوس، فما رأى عيسى قط، وكان دخوله بعد أن رفع عيسى، ...وأما يوحنا وهو ابن خالة عيسى،...ويوحنا هذا هو الرابع من الذين كتبوا الأناجيل الأربعة...ولكنها مبدلة محرفة مختلفة الأوضاع، وما جاء عيسى عليه السلام إلا بإنجيل واحد، ولا تدافع فيه ولا اختلاف، ولا يقدر النصارى على إنكاره ورده، وأما كذب الأربعة في أناجيلهم، كله ظاهر معلوم...»[1].

الإنجيل في الأصل: هو الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على رسوله المسيح عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾[المائدة: ٤٦].

وقد كان هذا الإنجيلُ الحق إنجيلُ عيسى موجودًا في عصره وبعد رفعه، إلا أنه فقد في أول عهود النصرانية، فلا وجود له الآن بين يدي النصارى، وليس هو من ضمن الأناجيل المكتوبة التي يقدسونها.

فهذه الأناجيل الأربعة إنما هي كتب تاريخية لحياة المسيح عيسى عليه السلام، مؤلفة بعد رفعه بزمن، فيها مخالفات عقدية، واختلافات موضوعية، وتناقضات حتى في الكذب والتحريف؛ مما يدل على أن هذه الأناجيل من اختلاق هؤلاء البشر، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[النساء: ٨٢]. والتحريف في الإنجيل أمر مصرح به وقد أثبته العلماء[2].

---

(١) رحلة الزياني (ص٤٩٨-٥٠٠)، وينظر: رحلة النابلسي (ص١٠٠).

(٢) ينظر: المختار في الرد على النصارى للجاحظ (ص٧١)، تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار (ص١٧٤)، الفصل في الملل (٢/٢-٤)، شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل لأبي المعالي الجويني (٣٨-٥٤)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ٦٦، ٨١)، تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه لبسمة جستَنيَّه (ص٢١٤-٢٢٠).

وأورد الزياني عن بعض فرق النصارى وعقائدهم: «الفصل الأول في أصلهم وعدد فرقهم: قال المؤلف: إن النصارى افترقوا بعد عيسى ﷺ على إحدى وسبعين فرقة، كما افترق اليهود بعد موسى ﷺ، على إحدى[(١)] وسبعين فرقة، كما في الحديث النبوي.

ففرقة تعتقد أن عيسى ﷺ، هو الله الخالق الباري، الذي خلق السموات والأرض، فنقول لهم: كذبتم وكفرتم وخالفتم أناجيلكم...والفرقة الثانية تعتقد أن عيسى ﷺ ابن الله، وأنه إله وإنسان، فهو إله من جهة أبيه، وإنسان من جهة أمه...وهذا الاعتقاد في غاية الكفر والحمق والفساد، ونعوذ بالله مما ابتلاهم به...وباقي فرقهم كلها على هذا النمط كذب وزور وبهتان، يتفقون في شيء ويختلفون في آخر...»[(٢)].

وأورد الزياني في موضع آخر: «ولما أخبر الحواريون بني إسرائيل برفع عيسى ﷺ إلى السماء وهم ينظرون، افترقوا على ثلاث فرق:

١- فرقة قالت: كان الله فينا ما شاء، فصعد إلى السماء وهم اليعقوبية.

٢- وفرقة قالت: كان ابن الله فينا ما شاء ثم رفعه الله إلى السماء، وهم النسطورية.

٣- فرقة قالت: كان فينا عيسى روح الله وكلمته وعبده ورسوله، ما شاء الله ثم رفعه الله، وهم الحنفية الذين على دين إبراهيم، ثم افترقت هذه الفرق الثلاث على اثنتين وسبعين فرقة، فاجتمع فرق الضلال على الحنفية وقتلوهم، وترك الدين الحنفي...»[(٣)].

فالموحدون من النصارى وهم فرق متعددة انقرضوا ولا وجود لهم، وبقي طائفتان رئيستان طائفة تقول بألوهية المسيح، وأخرى تقول ببنوته، وضمت كل طائفة من هاتين الطائفتين تحت لوائها فرقًا مختلفة كثيرة قديمة وحديثة[(٤)].

---

(١) هكذا أوردها الزياني وفي ما قبلها؛ والموافق لقواعد اللغة العربية أن يقال: اثنتين.

(٢) رحلة الزياني (ص٥٠١-٥٠٢).

(٣) المصدر السابق (ص٥٣٦)، وينظر: (ص٤٨٦).

(٤) ينظر: الفصل في الملل (١/٤٧-٤٨)، الملل والنحل (١/ ٢١٩-٢٢٤)، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام (ص١٢٧- ١٢٨)، البداية والنهاية (٢/ ١٠٩)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (٣/٧٨٤-٧٨٦)، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام لعلي وافي (ص ١٠٠-١٠٨)، النصرانية والإسلام لمحمد الطهطاوي (ص٤٠١-٤٠٤)، محاضرات في النصرانية لمحمد أبو زهرة (١٥٠-١٦٠).

وأورد أيضًا: «فصل في بيان عقائدهم، وفسادها ...قال المؤلف رحمه الله: اعلموا رحمكم أن قواعد دين النصرانية التي هي عليها الآن في تاريخ الثمانمائة من الهجرة، خمس: القاعدة الأولى: هي التغطيس، والثانية: الإيمان بالتثليث، والثالثة: اعتقاد التحام لحم أقنوم الابن في بطن مريم، والرابعة: الإيمان بالقربان كيف ينبغي، والخامسة: الإقرار بجميع الذنوب للقسيسين، لعنهم الله أجمعين. شرح هذه القواعد.

القاعدة الأولى التي هي التغطيس...يعتقد النصارى أن من لم يتغطس لا يدخل الجنة، فيقال لهم: ما تقولون في إبراهيم، وموسى، وإسحاق، ويعقوب، وجميع الأنبياء: أفي الجنة هم أم لا؟ فلابد أن يقولوا: في الجنة، فيقال لهم: كيف دخلوها وهم لم يتغطسوا...وهذا التغطيس مما افتعلوه في أناجيلهم، وافتروا على رسول الله عيسى، وصورته أن في كل كنيسة، حوض من الرخام والحجر الصلد يملؤه القسيس بالماء، ويقرأ عليه ما تيسر من الإنجيل، يوهم به، ومن أراد أن يتنصر وهو كبير يأتي إلى القسيس، ويحضر له جماعة من أعيان النصارى، يشهدون عليه بزعمهم بين يدي الله بالتغطيس...

القاعدة الثانية من القواعد الخمس وهي: الإيمان بالتثليث: وعندهم لا يمكن دخول الجنة إلا بالإيمان بالتثليث، فيؤمنون بأن الله تعالى -عن قولهم- ثالث ثلاثة، وأن عيسى هو ولد الله...

القاعدة الثالثة وهي اعتقادهم أن أقنوم الابن التحم بعيسى في بطن مريم، وما سبب ذلك، قال المؤلف: اعلموا رحمكم الله أن النصارى يعتقدون أن الله تعالى عاقب آدم وذريته بجهنم من أجل خطيئته في الأكل من الشجرة، ثم إن الله تعالى حن عليهم بخروجهم بأن بعث ولده فالتحم في بطن مريم بجسده، فصار إنسانًا وإلهًا، وإنسانًا من جوهر أمه، وإلهًا من جوهر أبيه، ثم ما مكنه من خروج آدم وذريته من النار إلا بموته؛ ولهذا يفدي جميع الخلق من يد الشيطان، وأنه مات بالقتل...فهذه عقيدة كفرهم البارد المقيت، ودينهم الخبيث، فمن المحال أن يكون الخالق استحال لحمًا ودمًا، أو يكون له ولد في الأرض أو في السماء...

القاعدة الرابعة: وهي الإيمان بالقربان وصفته، اعلموا وفقكم الله أن دين النصارى قربانهم كفر، وهو أن يعتقدوا أن فطيرة من خبز إذا قرأ عليها القسيس بعض الكلمات فإنها ترجع في تلك الساعة جسد عيسى عليه السلام، وإذا قرأ بعض الكلمات على كأس شراب خمر فإنه يصير في تلك الساعة دم عيسى عليه السلام ...

والخامسة الإقرار بجميع الذنوب للقسيسين، وصفة ذلك: اعلموا رحمكم الله أن النصارى يعتقدون أنه لا يمكن دخول الجنة، إلا بعد الإقرار بالذنوب للقسيس، وأن كل ما يُخفِي عنه ذنبًا واحدًا فلا ينفعه إقراره، فهم في كل سنة عند صيامهم يمشون إلى الكنيسة، ويقرون بجميع ذنوبهم للقسيس الذي يقوم بكل كنيسة، وفي سائر أوقاتهم لا يقر أحد بذنب إلا إذا مرض وخاف الموت، فإنه يبعث إلى القسيس فيصل إليه ويقر له بجميع ذنوبه فيغفرها له، وهم لعنهم الله يعتقدون أن كل ذنب يغفره القسيس فإنه مغفور عند الله تعالى...»(١).

ويكفي في بيان بطلان دينهم واعتقادهم مابينه الله تعالى عنهم في كتابه، وهم فرق شتى، وطوائف متعددة ومختلفة، يطول الرد عليها بتفصيلاتها.

وما أورده الزياني موافق في مجمله لما ذكره العلماء في بيان أباطيل النصارى ونقض عقائدهم(٢).

---

(١) رحلة الزياني (ص٥٠٢-٥٢٨)، وينظر: (ص٥٣٨)، رحلة النابلسي (ص٣٠١)، رحلة السنوسي (٣/١٠٥).

(٢) ينظر: الفصل في الملل والنحل (١/٤٩-٥٩)، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام (ص٥٥- ١٠٣، ٤٠٣-٤١٩)، الرد على النصارى لأبي البقاء الجعفري (ص٥٧-٧٧)، الجواب الصحيح (٣/٢٦٢، ٤/٤٠٣)، إظهار الحق لرحمة الله الهندي (٢/٦٨١-٧٧٢)، محاضرات في النصرانية (١٠٠-١١٥)، المسيحية لأحمد شلبي (١٣٢-١٧٣)، النصرانية والإسلام (ص ٢٩-٧٠).

الخاتمة

وتشتمل على:

أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتقضى الحاجات، والصلاة والسلام على خير البريات، المُرسل بالهدى والبيّنات، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد تم بعون الله وتوفيقه إنجاز هذا البحث، وبيان مسائله عرضًا وتقويما.

وقد خلصت منه بعدة نتائج وتوصيات.

فمن أهم النتائج:

- تميّزت كتب الرحلات إلى الحج بمادة علمية وفيرة في فنون شتى من علوم دينية وتاريخية واجتماعية وغيرها، إلا أنها اشتملت على كثير من المخالفات العقدية التي أوجبت دراستها لتقويمها وتنقيحها مما شابها من هذه المخالفات.
- ضعف أحوال الأمة في العالم الإسلامي في القرون: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، وذلك بتأثير عدة عوامل مختلفة.
- انتشار الصوفية خلال هذه الفترة، بطرقها المتعددة، وبها تأثر كثير من الرحَّالة، تقليدًا لمشايخهم، وقلّد لاحقو الرحالة سابقيهم، وكان هذا سببًا لظهور كثير من الانحرافات العقدية في كتب الرحلات إلى الحج.
- انتشار المذهب الأشعري خلال هذه الفترة، وبه تأثر بعض الرحالة، ويظهر ذلك في بعض مسائل الأسماء والصفات؛ إذ سلكوا فيها مسلك الأشاعرة، كذلك في مسألة القدر؛ إذ وافقوا الأشاعرة في القول بالكسب.
- أكثر الانحرافات خطرًا في كتب الرحلات إلى الحج كان في توحيد المعرفة والإثبات، وهو الاعتقاد بوحدة الوجود، وهي عقيدة إلحادية باطلة.
- رغم تنوّع المسائل العقدية في كتب الرحلات إلى الحج إلا أن الأكثر تناولاً وانحرافًا كان في توحيد القصد والطلب؛ ومن ذلك التخبط والخلط عند كثير من الرحالة في مفهوم التوسل والاستغاثة، وعدم معرفة الفرق في مسائلهما، مما أدى إلى الانحراف والوقوع في التوسل الممنوع والاستغاثة الشركية.
- مخالفة ما ورد في بعض كتب الرحلات إلى الحج لمذهب أهل السنة والجماعة في كثير من المسائل ومنها السحر والتنجيم؛ إذ عدّوهما من العلوم الممدوحة.

- مخالفة كثير من الرحالة في مسائل التبرك المكاني والزماني، كالتبرك بالآثار المكانية للأنبياء والصالحين، وبعض الأزمنة والليالي، وموافقتهم للحق في التبرك بماء زمزم وبالصلاة في مسجد قباء.
- افتتان كثير من الرحالة بقبور الأنبياء والأولياء، وتتبعها، وممارسة عدد من مظاهر البدع والشرك عندها، من تبرك واستغاثة وغير ذلك.
- أن الغلو في الأنبياء -عليهم السلام- والصالحين سبب رئيس لوجود كثير من البدع الشركية والمحرمة المختلفة، فقد أدى غلو بعض الرحالة في النبي ﷺ إلى القول بالحقيقة المحمدية، وادعاء إيمان أبويه ﷺ، وغير ذلك.
- موافقة ما ورد في كتب الرحلات إلى الحج لمذهب أهل السنة والجماعة في بعض المسائل كأشراط الساعة، والإمامة والصحابة والديانات.
- أن التصوف مر بعدة مراحل فاختلف بعد تطوره عن بدايته، وانحرف ببدع لا أصل لها من الدين، وصار مذهبًا مخالفًا لعقيدة الإسلام الصحيحة.
- أن لعلماء أهل السنة والجماعة جهودًا في بيان الحق ونقض الباطل، بالدليل الصحيح من الكتاب والسنة، فلا تخلو مسألة من المسائل العقدية الواردة في كتب رحلات الحج إلا وتناولوها -رحمهم الله-.
- الأثر البالغ العظيم الذي أثمرته دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في العالم الإسلامي، فقد بارك الله في جهده وجهود مناصريه، فصار للدعوة الإصلاحية السلفية أثر عظيم، توالى عبر السنين، ولا يزال أتباعها في كل عصر ومصر يبلغونها للناس، فانتشرت بذلك عقيدة السلف، واندثرت معالم الشرك ومظاهر البدع.

ومن أهم التوصيات:

- بذل مزيد من الجهود الدعوية لتوعية الحجاج والمعتمرين، فيما يخص عقيدتهم، وأمور دينهم؛ بإرشادهم للعقيدة الصحيحة، والتحذير مما يضادها، وإن كان للدولة -وفقها الله- في هذا جهود عظيمة؛ إلا أن الحاجة لا تزال ماسة للمزيد.

- الاهتمام بدراسة بقية كتب رحلات الحج العربية والمترجمة؛ لتقويم مسائلها العقدية على ضوء الكتاب والسنة، وعقيدة سلف الأمة.

وأخيرًا، فهذا جهد المقل وعمل المقصر، فما كان من صواب فمن الله وحده والشكر له على ذلك، وما كان من زلل فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

وتشتمل على:

١) فهرس الآيات الكريمة.
٢) فهرس الحديث الشريف والآثار.
٣) فهرس الأعلام المترجم لهم.
٤) فهرس الفِرق والمذاهب.
٥) فهرس الأماكن والمواضع.
٦) فهرس المصادر والمراجع.
٧) فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات الكريمة

الآيـــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾	الفاتحة: ٢-٤	٧١
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾	الفاتحة: ٥	١٢١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾	البقرة: ٢١-٢٢	١٢٢
﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨﴾	البقرة: ٧٨	٩٦
﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٩٨﴾	البقرة: ٩٨	٢١٩

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾	البقرة: ١٠٢	١٥٥، ١٥٨، ١٥٩
﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾	البقرة: ١٣٦	٢٨١، ٣٠٦
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾	البقرة: ١٤٣	٢٨٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾	البقرة: ١٦١-١٦٢	٢٦٢

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)﴾	آل عمران: ٣٧	٢٤٢
﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾	آل عمران: ٩٧	٦، ١٨
﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾	آل عمران: ١٦٧	٢٨٤
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩)﴾	آل عمران: ١٦٩	٢٥١
﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨)﴾	النساء: ١٧-١٨	٢٣٧
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١)﴾	النساء: ٤١	٢٩٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾	النساء: ٥٦	٢٦١، ٢٦٤
﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾	النساء: ٥٩	٢٧٥
﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠)﴾	النساء: ٨٠	٨٠، ١٢٥

الآيـــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾	النساء: ٨٢	٣٣٤
﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾	النساء: ١٣٦	٢٥٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾	النساء: ١٥٠-١٥٢	٢٢٤
﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾	النساء: ١٦٤	١٠٠، ١٠٠، ٢٢٥
﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾	النساء: ١٦٥	٢٢٤
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾	المائدة: ٣	١٩٩، ٢٤١
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾	المائدة: ٦	٣٢٢

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ...وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾	المائدة: ١٧	٧٠، ٥٨، ٢٣٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾	المائدة: ٣٥	١٤٥
﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾	المائدة: ٤٦	٣٣٤
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾	المائدة: ٦٤	١٠٥
﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾	المائدة: ٧٦	٥٣
﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾	المائدة: ٨٢	٣٢٩
﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾	الأنعام: ١٧	١٩٥
﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾	الأنعام: ٢٨	٢٦٥
﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾	الأنعام: ٧٣	٩٧
﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾	الأنعام: ١٠٣	٢٢١

الآيـــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾	الأنعام: ١٢٤	٩٠
﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ﴾	الأنعام: ١٤٨	٣٠٥
﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾	الأعراف: ٥٥	١٣٩
﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾	الأعراف: ٥٩	١٢١
﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾	الأعراف: ١٤٣	١٠٤
﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ﴾	الأعراف: ١٤٨	١٠٠
﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾	الأعراف: ١٥٦	٣٢٩
﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾	الأعراف: ١٨٠	١٣٥
﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٧﴾	الأعراف: ١٨٧	٢٥٣
﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾	الأعراف: ١٨٨	٢٣٣
﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾	الأنفال: ١٧	٧٣
﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣﴾	الأنفال: ٢٣	٢٦٥

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۝٥﴾	التوبة: ٥	١٢٤
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾	التوبة: ٦	١٠٠
﴿...عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ... وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم﴾	التوبة: ٣٠	٨٤، ٣٣٣
﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾	التوبة: ٤٠	١٨١
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾	التوبة: ٦٥-٦٦	٢٨٣
﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨٢﴾	التوبة: ٨٢	٢٧١
﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ۝١٠٨﴾	التوبة: ١٠٨	١٧٣
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١١٣﴾	التوبة: ١١٣	٢٣٧
﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾	يونس: ١	١٠٣

الآيـــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾	الإسراء: ٦٧	٦٥
﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾	الكهف: ٦٥	٣٠٣
﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾	الكهف: ٦٧-٦٨	٣٠٣
﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾	الكهف: ٨٢	٣٠٤
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾	الكهف: ١١٠	٢٣٣
﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾	مريم: ١٦	٢٠٠، ٢٢٧
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾	مريم: ٥٨	٢٩٤
﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾	مريم: ٦٥	١٢٣
﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾	مريم: ٩٣	١٢٥
﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾	طه: ٤-٥	٥٤، ٧١، ٩٥
﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾	طه: ٦٦	١٥٤، ١٥٥، ١٥٦

الآيـــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾	الأنبياء: ٢٥	١٢٢
﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣﴾	الأنبياء: ٦٣	١٠٠
﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨﴾	الأنبياء: ١٠٨	١٢٢
﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾	الحج: ٢٧	٦
﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾	الحج: ٧٠	٢٦٧
﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	النور: ٣٥	٢٣١
﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦﴾	النور: ٣٦	١٧٢
﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾	الفرقان: ٦٣	٣٠١
﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾	النمل: ١٤	٥٨، ٨٤
﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾	النمل: ٦٢	٦٥
﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾	النمل: ٦٥	١٦٤
﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾	العنكبوت: ٦٥	١٤٨

الآيـــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ ﴾	لقمان: ٦	٢٩٥
﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾	لقمان: ١٩	٣٠١
﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾	السجدة: ١٧	٢٦٨
﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾	الأحزاب: ٤٠	٢٥٣
﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾	الأحزاب: ٥٣	٨٦
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥ ﴾	الأحزاب: ٦٤-٦٥	٢٦٠
﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ ﴾	سبأ: ٢٢	٦٣
﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣ ﴾	سبأ: ٢٣	١٠٤
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾	سبأ: ٢٨	٢٢٤
﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١ ﴾	فاطر: ١	٢١٩

فهرس الحديث الشريف والآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الفِرق والمذاهب

فهرس الأماكن والمواضع

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: كتب الرحلات محل الدراسة:

١- **أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب وسيد الأعاجم والأعارب:** لأبي عبد الله محمد القيسي الشهير بالسراج، الملقب بابن مليح، تحقيق: محمد الفاسي، المغرب/ فاس، ١٣٨٨هـ.

٢- **بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام:** لعبد المجيد الملقب بالزبادي، المشهور بالمرادي، تحقيق وتقديم: محمد زينهم، الناشر: الدار الثقافية للنشر/ القاهر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ.

٣- **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برًّا وبحرا:** لأبي القاسم الزياني، تحقيق وتعليق: عبد الكريم الفيلالي، الناشر: دار المعرفة للنشر/ الرباط، طبعة ١٤١٢هـ.

٤- **الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز:** لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي، تقديم وإعداد: أحمد عبد المجيد هريدي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

٥- **الرحلات الحجازية:** لمحمد صادق باشا، إعداد وتحرير: محمد همام فكري، الناشر: بدر للنشر/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٩م.

٦- **الرحلة الحجازية:** لمحمد السنوسي، تحقيق: علي الشنوفي، الناشر: الشركة التونسية للتوزيع ١٣٩٨هـ.

٧- **رحلة الصديق إلى البلد العتيق:** لمحمد صديق حسن خان القنوجي البخاري، من إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ.

٨- **الرحلة العياشية:** لأبي سالم عبد الله بن محمد العياشي، حققها وقدم لها: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، الناشر: دار السويدي، الإمارات العربية المتحدة/ أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٦م.

٩- **رحلة المكناسي إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب**: حققها وقدم لها: محمد بوكبوط، الناشر: دار السويدي للنشر والتوزيع/ أبو ظبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

١٠- **الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**: للحسين بن محمد الورثيلاني، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ.

١١- **الفتوحات الكوازية إلى الأراضي الحجازية**: لعبد الله أفندي باش أعيان، الناشر: دار العربية للموسوعات/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ.

١٢- **النفحة المسكية في الرحلة المكية**: لعبد الله السويدي البغدادي، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، الناشر: المجمع الثقافي/ أبو ظبي، عام النشر: ١٤٢٤هـ.

ثانيًا: الكتب الأخرى:

١- **الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير**: للحسين بن إبراهيم الهمذاني الجورقاني، الناشر: دار الصميعي/ الرياض، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢هـ.

٢- **الإبانة عن أصول الديانة**: لعلي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبي الحسن، تحقيق: د.فوقية حسين محمود، الناشر: دار الأنصار/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ.

٣- **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**: لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: د.عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، الناشر: دار الراية/ الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

٤- **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**: لصديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٩٧٨م.

٥- **الإبداع في مضار الابتداع**: للشيخ علي محفوظ، تحقيق: سعيد بن نصر بن محمد، مكتبة الرشد/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

٦- **الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ**: لأحمد بن المبارك السجلماسي، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣هـ.

٧- **ابن الفارض والحب الإلهي**: لمصطفى حلمي، دار المعارف، الطبعة: الثانية.

٨- **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**: لابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السجلماسي، تحقيق: علي عمر، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ.

٩- **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**: لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، دار الوطن، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٠- **إتحاف المهرة بالكلام على حديث** ((**لا عدوى ولا طيرة**)): لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: راشد بن عامر بن عبد الله الغفيلي، دار أطلس الخضراء، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.

١١- **آثار المدينة المنورة**: لعبد القدوس الأنصاري، على نفقة المكتبة السلفية/ المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٣٩٣هـ.

١٢- **الآثار والمشاهد وأثر تعظيمهما على الأمة الإسلامية**: للدكتور عبد العزيز الجفير، الناشر: دار الهدى النبوي للنشر والتوزيع/ مصر، دار الفضيلة للنشر والتوزيع/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

١٣- **الآثار**: لمحمد بن الحسن الشيباني، المحقق: أبو الوفاء الأفغاني، الناشر: دار الكتب العلمية عن طبعة مجلس إحياء المعارف النعمانية، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٤- **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية**: لابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٥- **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**(التبشير-الاستشراق-الاستعمار): دراسة: عبد الرحمن حبنكة الميداني الدمشقي، الناشر: دار القلم/ دمشق، الطبعة: الثامنة، ١٣٢٠هـ.

١٦- **أحكام الجنائز وبدعها:** لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٧- **الإحكام في أصول الأحكام:** لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي أبي محمد، طبعة محققة على مخطوطتين ومقابلة على النسخة التي حققها الشيخ أحمد شاكر، تصوير: دار الآفاق الجديدة/ بيروت.

١٨- **إحياء علوم الدين:** لمحمد بن محمد الغزالي أبي حامد، الناشر: دار المعرفة/ بيروت.

١٩- **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار:** لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، تحقيق: علي عمر، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى.

٢٠- **اختيار الأولى، في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى:** لابن رجب الحنبلي، تحقيق وتعليق: جاسم الفهيد الدوسري، مكتبة: دار الأقصى/ الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢١- **الآداب الشرعية لابن مفلح:** لعبد الله محمد بن مفلح المقدسي، المحقق: شعيب الأرناؤوط، وعمر القيام، دار النشر: مؤسسة الرسالة/ بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٢٢- **الآداب الشرعية:** لعبد الله محمد بن مفلح المقدسي، المحقق: شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، دار النشر: مؤسسة الرسالة/ بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٢٣- **أدب الرحلة عند العرب:** لحسني محمود حسين، الناشر: دار الأندلس.

٢٤- **أدب الطف:** لجواد شبر، الناشر: دار المرتضى/ بيروت، عام ١٤٠٩هـ.

٢٥- **الأدب المفرد:** لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، الناشر: دار البشائر الإسلامية/ بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٦- **أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام:** لعلي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: مشهور بن حسن بن سلمان، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية/ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م.

٢٧- **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول:** لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، قدم له: الشيخ خليل الميس، والدكتور ولي الدين صالح فرفور، الناشر: دار الكتاب العربي/ دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٢٨- **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد:** للجويني، تحقيق: د/ محمد موسى وعلي عبد الحميد، الناشر: مكتبة الخانجي/ القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٩- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل:** لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٠- **الاستقامة:** لابن تيمية، تحقيق: د.محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود/ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

٣١- **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى:** لأبي العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري، تحقيق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، الناشر: دار الكتاب/ الدار البيضاء، سنة النشر: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٣٢- **أسد الغابة في معرفة الصحابة:** لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت، سنة النشر: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٣٣- **الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية:** لشاهين مكاريوس.

٣٤- **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام:** لعلي وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤هـ.

٣٥- **الإسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله:** لعباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٦- **الأسماء والصفات:** للبيهقي، المحقق: عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي/ جدة، الطبعة: الأولى.

٣٧- **أسنى المطالب في شرح روض الطالب:** لزكريا الأنصاري، تحقيق: محمد محمد تامر، دار النشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٠.

٣٨- **الإشارات إلى معرفة الزيارات:** لأبي الحسن الهروي، تحقيق: د.علي عمر، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى، ١٢٣هـ.

٣٩- **الإشاعة في أشراط الساعة:** للشهرزوري البرزنجي، تحقيق: موفق الجبر، دار النمير/ دمشق، دار الهجرة/ دمشق وبيروت، ١٤١١هـ.

٤٠- **الأشباه والنظائر:** لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، سنة النشر: ١٤٠٣هـ.

٤١- **الإصابة في تمييز الصحابة:** لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل/ بيروت، سنة النشر: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٤٢- **أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة:** لمحمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار الصميعي/ السعودية.

٤٣- **أصول الدين:** لعبد القاهر البغدادي، طبعه ونشره: مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية/ استنبول، الطبعة: الأولى، ١٣٤٦هـ.

٤٤- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر/ بيروت، سنة النشر: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٤٥- **إظهار الحق:** لمحمد رحمة الله الهندي الحنفي، تحقيق: محمد ملكاوي، الناشر: الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد/ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

٤٦- **الاعتصام:** لأبي إسحاق الشاطبي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى/ مصر.

٤٧- **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين:** لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٠٢هـ.

٤٨- **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري:** لحمد الخطابي، تحقيق ودراسة: محمد آل سعود، جامعة أم القرى مركز إحياء التراث الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٩- **إعلام الساجد بأحكام المساجد:** لبدر الدين الزركشي، طبعة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية/ مصر، الطبعة: الخامسة، سنة: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥٠- **أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة:** لحافظ الحكمي، مكتبة الرشد، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٥١- **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام:** للقرطبي، تحقيق: د.أحمد حجازي السقا، الناشر: دار التراث العربي/ القاهرة، ١٣٩٨هـ.

٥٢- **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام:** للعباس بن إبراهيم السملالي، راجعه: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية/ الرباط، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

٥٣- **أعلام ليبيا:** للطاهر أحمد الزّاوي، دار المدار الإسلامي/ ليبيا، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٤م.

٥٤- **الأعلام:** لخير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.

٥٥- **أعيان العصر وأعوان النصر:** للصفدي، تحقيق: علي أبو زيد، نبيل أبو عمشة، محمد موعد، محمود سالم، دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٥٦- **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان:** لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٥٧- **الإغراب:** للنسائي، المحقق: أبو عبد الرحمن محمد الثاني بن عمر بن موسى، الناشر: دار المآثر/ المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٥٨- **الاقتصاد في الاعتقاد:** للغزالي، اعتنى بتصحيحه: مصطفى القباني، طبع بالمطبعة الأدبية بمصر، الطبعة: الأولى.

٥٩- **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم:** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية/ القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٦٩هـ.

٦٠- **الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل:** لشرف الدين موسى بن أحمد بن موسى أبي النجا الحجاوي، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، الناشر: دار المعرفة/ بيروت.

٦١- **الإقناع في مسائل الإجماع:** لأبي الحسن القطان، تحقيق: حسن الصعيدي، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٦٢- **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع:** لأدورد فنديك، الناشر: دار صادر/ بيروت، سنة النشر: ١٨٩٦م.

٦٣- **إكمال المعلم بفوائد مسلم:** للقاضي عياض اليحصبي، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء بمصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٦٤- **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى:** لعلي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

٦٥- **الأم:** لمحمد بن إدريس الشافعي أبي عبد الله، الناشر: دار المعرفة/ بيروت، سنة النشر: ١٣٩٣هـ.

٦٦- **الأمالي:** لعبد الملك ابن بشران، ضبط نصه: عادل العزازي، دار الوطن/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٦٧- **الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع:** لجلال الدين السيوطي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن القيم للنشر والتوزيع/ الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٦٨- **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار:** ليحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف/ الرياض، سنة النشر: ١٩٩٩م.

٦٩- **الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه:** لشمس الدين محمد بن عثمان بن علي المارديني الشافعي، تحقيق: عبد الكريم بن علي محمد بن النملة، دار النشر: مكتبة الرشد/ الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م.

٧٠- **الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل:** لعبد الكريم الجيلي، تحقيق: أبي عبد الرحمن صلاح بن محمد عويضة، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٧١- **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل:** للمرداوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٧٢- **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به:** للباقلاني، تحقيق: محمد الكوثري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٧٣- **أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور:** لابن رجب الحنبلي، المحقق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

٧٤- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:** لجمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل/ بيروت، سنة النشر: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧٥- **أوقفوا هذا السرطان حقيقة الماسونية وأهدافها:** سيف الدين البستاني، دار النهضة العربية للتأليف والترجمة والنشر/ دمشق، ١٩٥٩م.

٧٦- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:** لمحمد إسماعيل باشا، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت سنة النشر: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٧٧- **إيقاظ الهمم في شرح الحكم:** لأحمد بن عجيبة الحسني، تقديم ومراجعة: محمد حسب الله، دار المعارف/ مصر.

٧٨- **الإيمان ومعالمه وسننه واستكمال درجاته:** للقاسم بن سلام، تحقيق: الألباني، دار المعارف/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

٧٩- **الإيمان:** لابن تيمية، تحقيق: الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي/ الأردن، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ.

٨٠- **الإيمان:** لمحمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، تحقيق: حمد بن حمدي الجابري الحربي الناشر: الدار السلفية/ الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

٨١- **البحر الزخار:** لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق د.محفوظ الرحمن زين الله، الناشر: مؤسسة علوم القرآن/ بيروت، مكتبة العلوم والحكم/ المدينة، سنة النشر: ١٤٠٩هـ.

٨٢- **بدائع الزهور في وقائع الدهور:** لمحمد الحنفي المصري، مطابع الشعب، ١٩٦٠م.

٨٣- **بدائع الفوائد:** لابن قيم الجوزية، المحقق: علي بن محمد العمران، دار النشر: دار عالم الفوائد.

٨٤- **البداية والنهاية:** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٨٥- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع:** لمحمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار المعرفة/ بيروت.

٨٦- **البدع والمحدثات وما لا أصل له:** جمع حمود المطر، دار ابن خزيمة/ الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ.

٨٧- **البدع والنهي عنها:** لمحمد بن وضاح القرطبي، المحقق: محمد أحمد دهمان، دار النشر: دار الصفا/ القاهرة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٨٨- **البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية:** لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، الناشر: مكتبة الهداية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٨٩- **البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد:** للأمير عمر طوسون، مطبعة صلاح الدين/ الإسكندرية، ١٣٥٣هـ.

٩٠- **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية:** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، تحقيق: د. موسى سليمان الدويش، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٩١- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:** لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية/ صيدا.

٩٢- **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية:** لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة/ مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٢هـ.

٩٣- **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول:** لمحمد صديق خان، الناشر: المطبع الصديقي/ بهوبال، السنة: ١٢٩٨هـ.

٩٤- **تاريخ ابن خلدون:** لابن خلدون، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، الطبعة: الرابعة.

٩٥- **تاريخ الأدب الجغرافي العربي:** لافناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكى، ترجمة: صلاح الدين هاشم، مراجعة: إيفور يلياريف، اختارته الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية.

٩٦- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام:** لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار النشر: دار الكتاب العربي/ بيروت، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٩٧- **التاريخ الإسلامي:** لمحمود شاكر، المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

٩٨- **تاريخ الدولة الصفوية في إيران:** للدكتور محمد سهيل طقوس، دار النفائس/ بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

٩٩- **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار:** للدكتور خليل اينالجيك، ترجمة: دكتور محمد. م. الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي/ بيروت، دار الكتب الوطنية/ بنغازي، الطبعة: الأولى.

١٠٠-**تاريخ الدولة العثمانية:** ليلماز أوزتونا، ترجمة عدنان سلمان، مراجعه وتنقيح محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل/ اسطنبول، ١٩٨٨م، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٠١-**تاريخ الدولة العلية العثمانية:** لمحمد فريد بك، الناشر: دار النفائس/ بيروت.

١٠٢-**تاريخ الشعوب الإسلامية:** لكارل بروكلمان، نقله إلى العربية نبيه فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين/ بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٩٦٨م.

١٠٣-**تاريخ الفلسفة:** ليوسف كرم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٠٠هـ.

١٠٤-**التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم:** لمحمد طاهر الكردي المكي، طبع على نفقة د/ عبد الملك بن دهيش، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٠٥-**تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى هذا اليوم:** لجرجي زيدان، طبع بمطبعة المحروسة/ مصر، ١٨٨٩م.

١٠٦-**تاريخ المدينة المنورة:** لابن شبة النميري البصري، حققه: فهيم محمد شلتوت، من منشورات دار الفكر.

١٠٧-**تاريخ المماليك (الكوله مند) في بغداد:** لسليمان فائق بك، نقلها إلى العربية: محمد نجيب ارمنازي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦١م.

١٠٨-**تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر:** لعبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، سنة النشر: ١٤٠٥هـ.

١٠٩-**تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥هـ_١٣٤٣هـ):** لعباس إقبال اشتياني، نقله عن الفارسية: الدكتور محمد علاء الدين منصور، راجعه: السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.

١١٠-**تاريخ بغداد:** لأحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت.

١١١-**تاريخ دمشق:** لابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١١٢-**تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن:** لحضرة عز تلو يوسف بك آصاف، تقديم الدكتور محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة مدبولي/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

١١٣-**تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار:** لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي، الناشر: دار الجيل/ بيروت.

١١٤-**تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف:** لأبي البقاء محمد بن أحمد بن محمد ابن الضياء المكي الحنفي، تحقيق: علاء إبراهيم، أيمن نصر، دار النشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

١١٥-**تاريخ نجد:** لحسين بن غنام، حرره وحققه: الدكتور ناصر الدين الأسد، دار الشروق/ بيروت والقاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ.

١١٦-**تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس:** لعبد الله بن عبد الرحمن أبابطين، دراسة وتحقيق: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١١٧-**تأويل مختلف الحديث:** لابن قتيبة عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبي محمد الدينوري، تحقيق: محمد زهري النجار، الناشر: دار الجيل/ بيروت، سنة النشر: ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م.

١١٨-**التبرك المشروع والممنوع:** للدكتور علي نفيع العلياني، دار الوطن/ الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ.

١١٩-**التبرك أنواعه وأحكامه:** للدكتور ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، الناشر: مكتبة الرشد/ الرياض.

١٢٠-**التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين:** لطاهر بن محمد الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت: الناشر: عالم الكتب/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٣م.

١٢١-**تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري:** لعلي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، الناشر: دار الكتاب العربي/ بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ.

١٢٢-**تثبيت دلائل النبوة:** للقاضي عبد الجبار، دار المصطفى/ القاهرة.

١٢٣-**تجارب في الأدب والرحلة:** لأبي القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب/ الجزائر، ١٩٨٣م.

١٢٤-**تجريد التوحيد المفيد:** لتقي الدين المقريزي، تحقيق: أحمد السايح السيد الجميلي، مركز الكتاب/ مصر.

١٢٥-**تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد:** لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي/ بيروت، الطبعة: الرابعة.

١٢٦-**تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه:** لبسمة أحمد جستَنيَّه، دار القلم/ دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٢٧-**تحريم آلات الطرب:** لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة الدليل، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

١٢٨-**تحريم النرد والشطرنج:** لمحمد الآجري، تحقيق: محمد إدريس، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد/ السعودية، ١٤٠٢هـ.

١٢٩-**التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة:** لشمس الدين السخاوي، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، سنة النشر: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٣٠-**تحفة المريد على جوهرة التوحيد:** للبيجوري، تحقيق: علي جمعة الشافعي، دار السلام/ مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٣١-**التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة:** لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد/ وكالة المطبوعات والبحث العلمي، الطبعة: ١٤١٩هـ.

١٣٢-**تحقيق مشكاة المصابيح للتبريزي:** لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي/ بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ.

١٣٣-**تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق لعلي الربعي:** لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف/ الرياض، الطبعة: الأولى، للطبعة الجديدة ١٤٢٠هـ.

١٣٤-**تدريب الراوي في شرح تقريب النووي:** لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة/ الرياض.

١٣٥-**تذكرة الحفاظ:** لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٣٦-**التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة:** لمحمد القرطبي، تحقيق: محمود البسطويسي، دار البخاري/ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

١٣٧-**الترغيب والترهيب من الحديث الشريف:** لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبي محمد، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

١٣٨-**التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق:** لزكي مبارك، مطبعة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٣٥٧هـ.

١٣٩-**التَّصَوُّفُ، المنشأ وَالمَصَادر:** لإحسان إلهي ظهير الباكستاني، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور/ باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٤٠-**تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد:** لمحمد إسماعيل الصنعاني، مطبعة المنار/ مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٤٨هـ.

١٤١-**التعرف لمذهب أهل التصوف:** لمحمد الكلاباذي أبي بكر، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٤٢-**تعريف الخلف برجال من سلف:** للحفناوي، طبع بمطبعة بيير فونتانة الشرقية في الجزائر، ١٣٣٤هـ/ ١٩٠٦م.

١٤٣-**التعريفات:** لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ.

١٤٤-**تعظيم قدر الصلاة:** لمحمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبي عبد الله، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار/ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٤٥-**تغليق التعليق على صحيح البخاري:** لابن حجر العسقلاني، المحقق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار/بيروت، عمان — الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٤٦-**تفسير ابن أبي حاتم:** لابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، دار النشر: المكتبة العصرية/ صيدا.

١٤٧-**تفسير البحر المحيط:** لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار النشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٤٨-**تفسير الرازي مفاتيح الغيب:** للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠ م.

١٤٩-**تفسير القرآن العظيم:** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٥٠-**تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم:** لمحمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، دار النشر: مكتبة السنة/ القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٥١-**تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة:** لمحمد أحمد لوح، دار ابن القيم/ الدمام، دار ابن عفان/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٥٢-**تقريب التهذيب:** لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد/ سوريا، سنة النشر: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٥٣-**تلبيس إبليس:** لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٥٤-**تلخيص العلل:** للذهبي، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد شركة الرياض للنشر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٥٥-**تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل:** لأبي بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم أبي بكر الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

١٥٦-**التمهيد لقواعد التوحيد:** لأبي معين النسفي، تحقيق: جيب الله حبيب أحمد، تقديم: محمد ربيع جوهري، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٥٧-**التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد:** لابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المحقق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، الناشر: مؤسسة القرطبة.

١٥٨-**تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث:** لابن الديبع، المطبعة العامر الشرفية/ مصر، ١٣٢٤هـ.

١٥٩-**تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق:** لمحمد بن أحمد الشنقيطي المدني، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: الثانية.

١٦٠-**التنبيه والإيقاظ لما في ذيول تذكرة الحفاظ:** لأحمد بن رافع الحسني الطهطاوي، الناشر: القدسي، مطبعة الترقي، ١٣٤٨هـ.

١٦١-**التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع:** لأبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث/ القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م.

١٦٢-**تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة:** لأبي الحسن علي بن محمد بن عرّاق الكناني، حققه وراجع أصوله وعلق عليه: عبد الوهاب عبد اللطيف عبد الله بن محمد الغماري، طبعة دار الكتب العلمية.

١٦٣-**تنزيه القرآن:** للقاضي عبد الجبار بن أحمد، دار النهضة الحديثة/ بيروت.

١٦٤-**تهذيب التهذيب:** لأحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٢٦هـ.

١٦٥-**تهذيب الكمال:** ليوسف بن الزكي عبد الرحمن أبي الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٦٦-**تهذيب اللغة:** لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار النشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١٦٧-**التوحيد:** لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد/ الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٦٨-**التوحيد:** للماتريدي، تحقيق: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية الإسكندرية.

١٦٩-**التوسل أنواعه وأحكامه:** لمحمد ناصر الدين الألباني، آلف بينها ونسقها: محمد عيد العباسي، المكتب الإسلامي/ بيروت، الطبعة: الثالثة.

١٧٠-**توضيح الكافية الشافية:** لعبد الرحمن السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ، مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة/ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٧١-**التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:** لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: دار طيبة/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٧٢-**التيجانية:** لعلي الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة/ الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ.

١٧٣-**تيسير العزيز الحميد:** لسليمان بن عبد الله آل الشيخ، دراسة وتحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي/ بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٧٤-**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٧٥-**الثقات:** لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

١٧٦-**ثقافة مكة المكرمة في أدب الرحلات وسير أعلامها:** للدكتور إبراهيم السماري، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٧٧-**جامع البيان في تأويل القرآن:** لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٧٨-**الجامع الصحيح المختصر:** لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة/ بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٧٩-**الجامع الصحيح سنن الترمذي:** لمحمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي، حققه: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

١٨٠-**الجامع الصغير من حديث البشير النذير:** لجلال الدين السيوطي، حققه وضبط غريبه: محمد محيي الدين عبد الحميد، يطلب من مكتبة الحلبوني بدمشق.

١٨١-**الجامع الصغير وشرحه النافع الكبير:** لأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، الناشر: عالم الكتب، سنة النشر: ١٤٠٦هـ.

١٨٢-**جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم:** لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس.

١٨٣-**جامع بيان العلم وفضله:** لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، دراسة وتحقيق: أبي عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، الناشر: مؤسسة الريان/ دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٨٤-**الجامع في ألفاظ الكفر(ألفاظ الكفر لبدر الرشيد-الإعلام بقواطع الإسلام للهيتمي-رسالة في ألفاظ الكفر للخاني-رسالة في ألفاظ الكفر لأبي المعالي مسعود بن أحمد):** تحقيق: محمد الخميّس، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٨٥-**الجامع لأحكام القرآن:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب/ الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٨٦-**جبل إلال بعرفات تحقيقات تاريخية شرعية:** لبكر بن عبدالله أبو زيد، الناشر: دار العاصمة/ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.

١٨٧-**الجرح والتعديل:** لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبي محمد الرازي التميمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م.

١٨٨-**جزء في الأصول أصول الدين مسألة القرآن:** لأبي الوفاء علي بن عقيل الحنبلي، رواية أبي محمد بن عبد الواحد بن علامة الأنصاري، تحقيق: سليمان بن عبد الله العمير، مكتبة دار السلام/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

١٨٩-**جزء فيه عقيدة ابن عربي وحياته وما قاله المؤرخون والعلماء فيه:** لتقي الدين الفاسي ضبط نصه وعلق عليه: علي عبد الحميد، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٩٠-**الجغرافية والرحلات عند العرب:** لنقولا زياده، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م.

١٩١-**جلاء العينين في محاكمة الأحمدين:** لنعمان بن محمود بن عبد الله، أبي البركات خير الدين الآلوسي، قدم له: علي السيد صبح المدني، الناشر: مطبعة المدني، عام النشر: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٩٢-**جمهرة اللغة:** لابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين/ بيروت، سنة النشر: ١٩٨٧م.

١٩٣-**جمهرة أنساب العرب:** لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ م.

١٩٤-**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لابن تيمية،** دراسة وتحقيق: علي بن حسن بن ناصر الألمعي وغيره، الناشر: دار الفضيلة/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

١٩٥-**الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء):** لابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت.

١٩٦-**جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك:** لزيادة أبي غنيمة، دار الفرقان، الطابعون: جمعية عمال المطابع التعاونية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٩٧-**الجواهر المضية في طبقات الحنفية:** لعبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

١٩٨-**جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني:** لعلي حرازم الفاسي، الطبعة: الأولى، المطبعة المحمودية/ مصر، ١٣١٨هـ.

١٩٩-**حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح:** لابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت.

٢٠٠-**حاشية ابن الأمير للسنباوي على إتحاف المريد:** لعبد السلام اللقاني، تحقيق: أحمد المزيدي، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٠١-**حاشية ابن القيم على سنن أبي داود:** لابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.

٢٠٢-**حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني:** لعلي الصعيدي العدوي المالكي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر، سنة النشر: ١٤١٢هـ.

٢٠٣-**حاشية قليوبي على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين:** لشهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، الناشر: دار الفكر/ بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢٠٤-**حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة:** لجميل المصري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٠٥-**حاضر العالم الإسلامي:** للوثروب ستوادارد الأمريكي، نقله إلى العربية: الأستاذ عجاج نويهض، مع تعليقات شكيب أرسلان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٠٦-**الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون:** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار النشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م،.

٢٠٧-**الحبائك في أخبار الملائك:** لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد السعيد بسوني زغلول، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ.

٢٠٨-**الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة:** لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: دار الراية/ الرياض، سنة النشر: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٢٠٩-**حركة التجديد والإصلاح في نجد:** لعبد الله العجلان، الناشر: عبد الله العجلان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢١٠-**حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة:** للسيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الأولى، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٢١١-**حقيقة الماسونية العالمية**: لعبد الله سمك، المؤسسة العربية الحديثة.

٢١٢-**الحقيقة المحمدية أمْ الفلسفة الأفلوطينية**: لعائض الدوسري، المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ.

٢١٣-**حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة**: لعبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي أبي محمد، تحقيق: عبد الله يوسف الجديع، الناشر: مكتبة الرشد/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢١٤-**الحِكَم الجَدِيرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة**: لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، المحقق: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار المأمون/ دمشق، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٩٩٠م.

٢١٥-**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر: دار الكتاب العربي/ بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٢١٦-**حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**: لعبد الرزاق البيطار، تحقيق: محمد البيطار، دار صادر/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٣م.

٢١٧-**الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن**: تصحيح وتعليق: إسماعيل الأنصاري، الناشر: دار الصميعي، طبعة ١٤٢٨هـ.

٢١٨-**خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء عرض ونقد في ضوء الكتاب والسنة**: للصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة الرشد/ الرياض.

٢١٩-**خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**: للمحبي، الناشر: دار صادر/ بيروت.

٢٢٠-**خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: للحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية/ دار البشائر، حلب/ بيروت، سنة النشر: ١٤١٦هـ.

٢٢١-**خلق أفعال العباد:** لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار المعارف السعودية/ الرياض، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢٢٢-**الدر الثمين في ترجمة فقيد الأمة ابن عثيمين:** جمع وإعداد: عصام المري، دار البصيرة/ الإسكندرية ٢٠٠٣م.

٢٢٣-**الدر المنثور:** لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر بيروت، سنة النشر: ١٩٩٣م.

٢٢٤-**الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد:** لمحمد الشوكاني، تعليق وتخريج: أبي عبد الله الحلبي، دار ابن خزيمة/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٢٥-**درء تعارض العقل والنقل:** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: دار الكنوز الأدبية/ الرياض، ١٣٩١هـ.

٢٢٦-**الدرة فيما يجب اعتقاده:** لأبي محمد بن حزم، دراسة وتحقيق: أحمد الحمد سعيد القزقي، مكتبة التراث مكة المكرمة، مطبعة المدني، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٢٧-**الدرر السنية في الأجوبة النجدية:** لعلماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢٢٨-**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة:** لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق مراقبة: محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد/ الهند، سنة النشر: ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢٢٩-**دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون:** للقاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، تحقيق: عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار النشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٣٠-**دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض:** لعبد العزيز آل عبداللطيف، دار طيبة للنشر/ الرياض، ١٤٠٩هـ.

٢٣١-**الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله– وأعلامها من بعده:** لعبد الله المطوع، دار التدمرية/ الرياض، الطبعة: السابعة، ١٤٢٩هـ.

٢٣٢-**دعوة التوحيد:** لمحمد خليل هراس، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٣٣-**دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي:** لمحمد بن عبد الله السلمان، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠هـ.

٢٣٤-**الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية:** لتوماس أرنولد، ترجمه: حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، مطبعة الشبكشي بالأزهر/ مصر، الطبعة: الثانية.

٢٣٥-**دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب:** لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، الناشر: مكتبة ابن تيمية/ القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز/ جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢٣٦-**دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات):** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، الناشر: مؤسسة علوم القرآن/ دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ.

٢٣٧-**دلائل النبوة:** للبيهقي، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد المعطى قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية ،ودار الريان للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٣٨-**الدولة العثمانية تاريخ وحضارة:** إشراف وتقديم أكمل الدين إحسان أوغلي، نقله إلى العربية: صالح سعداوي، منظمة المؤتمر الإسلامي مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول/ اسطنبول، ١٩٩٩م.

٢٣٩-**الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها:** لعبد العزيز الشناوي، مكتبة الإنجلو المصرية، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٠م.

٢٤٠-**الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب:** لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبي النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر/ القاهرة.

٢٤١-**الديباج على صحيح مسلم:** للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي حقق أصله، وعلق عليه: أبو إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان.

٢٤٢-**الدين الخالص:** لمحمد صديق حسن خان القنوجي البخاري، من إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ..

٢٤٣-**الذخيرة:** لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، الناشر: دار الغرب/ بيروت، سنة النشر: ١٩٩٤م.

٢٤٤-**ذكر ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة:** لأبي الريحان البيروني، صحح عن النسخة القديمة المحفوظة الأهلية بباريس وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر الدكن الهند.

٢٤٥-**رؤية الله تحقيق الكلام فيها:** لأحمد بن ناصر بن محمد آل حمد، منشورات جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٤٦-**رؤية الله:** لعلي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق: مبروك إسماعيل مبروك، الناشر: مكتبة القرآن/ القاهرة.

٢٤٧-**رؤية النبي ﷺ لربه:** لمحمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٤٨-**الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجري دراسة تحليلية مقارنة:** عواطف محمد نواب، مطبوعات الملك فهد الوطنية/ الرياض، ١٤١٧هـ.

٢٤٩-**الرحلات:** للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف/ القاهرة، الطبعة: الرابعة.

٢٥٠-**الرحلة عين الجغرافية المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية:** لصلاح الدين علي الشامي، الناشر: منشأة المعارف في الإسكندرية جلال حزى وشركاه، ١٩٩٩م.

٢٥١-**الرحلة والرحالة المسلمون:** لأحمد رمضان أحمد، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع/ جدة.

٢٥٢-**رد المحتار على الدر المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار:** لمحمد بن عابدين، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوّض، تقديم: محمد إسماعيل، دار عالم الكتب للطباعة والنشر/ الرياض، طبعة خاصة، ١٤٣٢هـ.

٢٥٣-**الرد على الإخنائي:** لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، المحقق: أحمد بن مونس العنزي، الناشر: دار الخراز/ جدة، سنة النشر: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٥٤-**الرد على البكري** (تلخيص كتاب الاستغاثة): لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد علي عجال، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية/ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٥٥-**الرد على الزنادقة والجهمية:** لأحمد بن حنبل الشيباني أبي عبد الله، تحقيق: محمد حسن راشد، الناشر: المطبعة السلفية/ القاهرة، ١٣٩٣هـ.

٢٥٦-**الرد على القائلين بوحدة الوجود:** لعلي بن سلطان محمد، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، المحقق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، الناشر: دار المأمون للتراث/ دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢٥٧-**الرد على المنطقيين:** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، الناشر: دار المعرفة/ بيروت.

٢٥٨-**الرد على النصارى:** لأبي البقاء الجعفري، تحقيق محمد محمد حسانين، مكتبة: وهبه/ القاهرة، الناشر: مكتبة المدارس/ قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢٥٩-**الرد على من أنكر الحرف والصوت:** لأبي نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي السجزي، تحقيق ودراسة: محمد باكريم باعبد الله، دار الراية/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٦٠-**رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي:** لمجموعة من المصنفين، وتحقيق: موسى بن سليمان الدويش، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٦١-**رسالة الشرك ومظاهره:** لمبارك الميلي، تحقيق: أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية للنشر والتوزيع/ السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٦٢-**الرسالة القشيرية:** لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار الشعب/ القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٦٣-**رسالة إلى أهل الثغر:** لعلي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم/ دمشق، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨م.

٢٦٤-**رسالة في القضاء والقدر:** لمحمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار الوطن، ١٤٢٣هـ.

٢٦٥-**رسالة في حق أبوي الرسول ﷺ:** لإبراهيم الحلبي، تحقيق: علي رضا المدني، تقديم: حمدي السلفي، دار المعارج، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ.

٢٦٦-**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** لمحمود الآلوسي أبي الفضل، الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٢٦٧-**الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة:** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٢٦٨-**الروض الأنف في شرح السيرة النبوية:** لأبي القاسم السهلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٦٩-**الروض المعطار في خبر الأقطار:** لمحمد بن عبد المنعم الحِميري، المحقق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة/ بيروت، طبع على مطابع دار السرج، الطبعة: الثانية ١٩٨٠م.

٢٧٠-**روضة الطالبين وعمدة المفتين:** للنووي، الناشر: المكتب الإسلامي/ بيروت، سنة النشر: ١٤٠٥هـ.

٢٧١-**روضة المحبين ونزهة المشتاقين:** لابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢٧٢-**رياض الجنة بتخريج أصول السنة:** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن أبي زمنين)، المحقق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية/ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٧٣-**زاد المعاد في هدي خير العباد:** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: مؤسسة الرسالة/ بيروت، مكتبة المنار الإسلامية/ الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٢٧٤-**الزهد:** لأحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني أبي بكر، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: دار الريان للتراث/ القاهرة، سنة النشر: ١٤٠٨هـ.

٢٧٥-**الزهر النضر في حال الخضر:** للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، الناشر: مكتبة أهل الأثر، غراس للنشر والتحقيق، الطبعة: الثانية ١٤٢٥هـ.

٢٧٦-**الزواجر عن اقتراف الكبائر**: لأحمد بن محمد بن على بن حجر المكي الهيتمي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٧٧-**السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد**: لأبي بكر أحمد الخطيب البغدادي، حققه: محمد بن مطر الزهراني، الناشر: دار الصميعي الطبعه: الثانية، ١٤٢١هـ.

٢٧٨-**سبل السلام**: لمحمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة: الرابعة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

٢٧٩-**سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد**: لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٨٠-**السر المصون في شيعة الفرمسون**: للأب لويس شيخو، دار الرائد اللبناني/ بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩١٠م.

٢٨١-**سلسلة الأحاديث الصحيحة**: لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف/ الرياض.

٢٨٢-**سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**: لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف/ الرياض.

٢٨٣-**سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**: لمحمد خليل المرادي، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر ودار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٢٨٤-**السنة**: لأحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبي بكر، تحقيق: عطية الزهراني، الناشر: دار الراية/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٨٥-**سنن ابن ماجه**: لمحمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مع الكتاب تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، الناشر: دار الفكر/ بيروت.

٢٨٦-**سنن أبي داود:** لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مع الكتاب تعليقات كَمَال يوسُف الحوُت والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها الناشر: دار الفكر.

٢٨٧-**سنن البيهقي الكبرى:** لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: مكتبة دار الباز/ مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٢٨٨-**سنن الدارقطني:** لعلي بن عمر أبي الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، الناشر: دار المعرفة/ بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٢٨٩-**سنن الدارمي الكبرى:** لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: مكتبة دار المغني للنشر والتوزيع/ السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٩٠-**سنن النسائي الكبرى:** لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٩١-**السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات:** لمحمد عبد السلام خضر الشقيري، تحقيق المصحح: محمد خليل هراس، الناشر: دار الفكر.

٢٩٢-**السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين عامًا:** لشكيب أرسلان، علق عليه: مدحت السبع، دار الفضيلة للنشر والتوزيع/ القاهرة.

٢٩٣-**سير أعلام النبلاء:** لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، الناشر: مؤسسة الرسالة/ بيروت، الطبعة: التاسعة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٩٤-**السيرة النبوية:** لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبي محمد، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، الناشر: دار الجيل/ بيروت، سنة النشر: ١٤١١هـ.

٢٩٥-**الشجرة المباركة في الأنساب الطالبية:** لفخر الدين الرازي، تحقيق: مهدي الرجائي، إشراف: محمود المرعشي، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة بقم، مطبعة سيد الشهداء علي ﵇، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢٩٦-**شجرة النور الزكية:** لمحمد مخلوف، المطبعة السلفية ومكتبتها/ القاهرة، ١٣٤٩هـ.

٢٩٧-**شذرات الذهب في أخبار من ذهب:** لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، الناشر: دار بن كثير/ دمشق، سنة النشر: ١٤٠٦هـ.

٢٩٨-**شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة:** لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبي القاسم، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، الناشر: دار طيبة/ الرياض، ١٤٠٢هـ.

٢٩٩-**شرح الأصول الخمسة:** للقاضي عبد الجبار، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة/ القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ.

٣٠٠-**شرح السنة:** للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، دار النشر: المكتب الإسلامي/ دمشق–بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، الطبعة: الثانية.

٣٠١-**شرح السنة:** للحسن بن علي بن خلف البربهاري، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني ، الناشر: دار ابن القيم/ الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣٠٢-**شرح الصاوي على جوهرة التوحيد:** لأحمد الصاوي، تحقيق: عبد الفتاح البزمو، دار ابن كثير/ دمشق وبيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ.

٣٠٣-**شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور:** لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق عبد المجيد طعمة حلبي، الناشر: دار المعرفة/ لبنان، سنة النشر: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٣٠٤-**الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك:** لأبي البركات أحمد بن محمد بن أحمد الدرديري، خرج أحاديثه: مصطفى كمال وصفي، الناشر: دار المعارف.

٣٠٥-**شرح العقيدة الطحاوية:** لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد بن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٠٦-**شرح العقيدة الواسطية:** للشيخ محمد بن عثيمين، تحقيق: سعد الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي/ الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٩هـ.

٣٠٧-**شرح المقاصد في علم الكلام:** لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، تحقيق، الناشر: دار المعارف النعمانية/ باكستان، سنة النشر: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣٠٨-**شرح رياض الصالحين:** لمحمد بن عثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد الصالح العثيمين الخيرية، مدار الوطن للنشر/ الرياض، عام ١٤٢٥هـ.

٣٠٩-**شرح فصوص الحكم:** لعبد الرزاق القاشاني، المطبعة الميمنية/ مصر.

٣١٠-**شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى:** لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي، الناشر: عالم الكتب/ بيروت، سنة النشر: ١٩٩٦م.

٣١١-**الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة (الإبانة الصغرى):** لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق ودراسة: د/ رضا نعسان معطي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم السعودية المدينة المنورة، ودار العلوم والحكم سوريا دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣١٢-**الشرق الإسلامي في العصر الحديث:** لحسين مؤنس، مطبعة حجازي/ القاهرة، الطبعة: الثانية ١٩٣٨م.

٣١٣-**الشريعة:** للآجري، تحقيق: حامد الفقي دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

٣١٤-**شعب الإيمان:** لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

٣١٥-**شعب الإيمان:** للبيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على، تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي/ الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع/ الرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٣١٦-**الشفا بتعريف حقوق المصطفى:** للعلامة القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣١٧-**شفاء السائل وتهذيب المسائل:** لابن خلدون، تحقيق: محمد الحافظ، دار الفكر/ دمشق- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

٣١٨-**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل:** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، تحقيق: محمد بدر الدين أبي فراس النعساني الحلبي، الناشر: دار الفكر/ بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٣١٩-**شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام:** لتقي الدين الفاسي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

٣٢٠-**شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل:** لأبي المعالي الجويني، تحقيق: أحمد حجازي السقا، الناشر: مكتبة الأزهرية للتراث، والجزيرة للنشر والتوزيع.

٣٢١-**الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية:** لسعيد بن مسفر القحطاني، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٢٢-**الصارم المسلول على شاتم الرسولﷺ:** لابن تيمية، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، الناشر: دار ابن حزم/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٢٣-**الصَّارِمُ المُنْكِي في الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِي**: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، تحقيق: عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مؤسسة الريان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٢٤-**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين/ بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٢٥-**صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية**: لموفق بني المرجه، الناشر: أحمد عبد الله الفليج، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر والإعلان/ الكويت، ١٩٨٤م.

٣٢٦-**صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**: لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها، الناشر: مؤسسة الرسالة/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٣٢٧-**صحيح ابن خزيمة**: لمحمد بن إسحاق بن خزيمة أبي بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي/ بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٣٢٨-**صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**: لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصدّيق.

٣٢٩-**صحيح الترغيب والترهيب**: لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف/ الرياض، الطبعة: الخامسة.

٣٣٠-**صحيح سنن أبي داود**: لمحمد ناصر الدين الألباني، غراس للنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٣١-**صحيح سنن الترمذي**: لمحمد ناصر الدين الألباني، غراس للنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٣٢-**صحيح مسلم:** لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مع الكتاب تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٣٣٣-**صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته:** لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.

٣٣٤-**الصراع بين الإسلام والوثنية:** لعبد الله بن علي القصيمي، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ، القاهرة.

٣٣٥-**صريح السنة:** لمحمد بن جرير الطبري أبي جعفري، تحقيق: بدر يوسف المعتوق، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي/ الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٣٦-**صفة الصفوة:** لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث/ القاهرة، الطبعة: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٣٧-**الصفدية:** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

٣٣٨-**صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر:** لمحمد الصغير الأفراني، تقديم وتحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي/ الدار البيضاء، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

٣٣٩-**الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها:** لابن القيم، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي- دار ابن حزم/ قبرص – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٣٤٠-**الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد:** لمحمد علي الشوكاني، تحقيق محمد صبحي حسن الحلاق، الناشر: دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع/ صنعاء، سنة النشر: ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٣٤١-**الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية:** لسليمان بن سحمان، الناشر: دار العاصمة/ الرياض.

٣٤٢-**الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة:** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة/ الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٣٤٣-**صور من أدب الرحلات إلى الحرمين الشريفين رؤية تاريخية وأدبية:** لعبد الله الحقيل، مكتبة التوبة/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ.

٣٤٤-**الصوفية معتقدًا ومسلكا:** لصابر طعيمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٤٥-**صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان:** لمحمد بشير السهسواني الهندي، قدم له وعلق عليه: محمد رشيد رضا، دار التوحيد للتراث/ الإسكندرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ.

٣٤٦-**صيد الخاطر:** لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، بعناية: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم/ دمشق، الطبعة: الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٣٤٧-**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع:** لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة/ بيروت.

٣٤٨-**الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق:** لسليمان بن سحمان، دراسة وتحقيق: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء/ الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ.

٣٤٩-**طبقات الأولياء:** لابن الملقن نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي/ القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.

٣٥٠-**طبقات الشافعية الكبرى:** لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، دار النشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤١٣هـ.

٣٥١-**طبقات الشافعية:** لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان دار النشر: عالم الكتب/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٥٢-**طبقات الصوفية:** لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، سنة النشر: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٣٥٣-**طبقات الفقهاء الشافعيين:** لابن كثير الدمشقي، تحقيق: أحمد هاشم ومحمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية بمصر، ١٤١٣هـ.

٣٥٤-**الطبقات الكبرى:** لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبد الله البصري الزهري، تحقيق: إحسان عباس، الناشر : دار صادر/ بيروت الطبعة : الأولى، ١٩٦٨م.

٣٥٥-**طرح التثريب في شرح التقريب:** لعبد الرحيم بن زين العراقي، المحقق: أحمد بن عبد الرحيم أبي زرعة، الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٣٥٦-**الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها:** لعبد الله بن دجين السهلي، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.

٣٥٧-**طريق الهجرتين وباب السعادتين:** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، تحقيق: عمر بن محمود أبي عمر، الناشر: دار ابن القيم/ الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٣٥٨-**الطريقة النقشبندية وأعلامها:** لمحمد درنيقة طبعة: جروس برس.

٣٥٩-**عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي:** لابن العربي، دار الكتب العلمية/ بيروت.

٣٦٠-**عالم السحر والشعوذة:** لعمر سليمان الأشقر، دار النفائس/ الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨هـ.

٣٦١-**العبر في خبر من غبر**: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، الناشر: مطبعة حكومة الكويت/ الكويت، سنة النشر: ١٩٨٤م.

٣٦٢-**العبودية:** لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي/ بيروت، الطبعة: الطبعة: السابعة المجددة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٣٦٣-**عداء الماتريدية للعقيدة السلفية:** لشمس الدين الأفغاني، الناشر: مكتبة الصديق، سنة النشر: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٣٦٤-**العدة في أصول الفقه:** للقاضي أبي يعلى، ابن الفراء، حققه وعلق عليه وخرج نصه: أحمد بن علي بن سير المباركي، الطبعة: الثانية ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣٦٥-**العرش:** لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٦٦-**العقيدة الأصفهانية لابن تيمية:** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، تحقيق: إبراهيم سعيداي، الناشر: مكتبة الرشد / الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٦٧-**عقيدة السلف وأصحاب الحديث:** لإسماعيل الصابوني، تحقيق: أبي اليمين المنصوري، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٦٨-**العقيدة السلفية في كلام رب البرية والرد على أباطيل المبتدعة الردّية:** لعبد الله بن يوسف الجديع، الناشر: دار الصميعي.

٣٦٩-**عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية:** لأحمد القصير، مكتبة الرشد/ السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣٧٠-**عقيدة المؤمن:** لأبي بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، السعودية، التوزيع دار العقيدة/ مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤م.

٣٧١-**العقيدة الواسطية:** لابن تيمية، تحقيق: أشرف عبد المقصود، أضواء السلف/ الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ.

٣٧٢-**العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية:** لسعد الدين السيد صالح، دار الصفاء للطباعة والنشر/ القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٠هـ.

٣٧٣-**عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر:** لعبد المحسن بن حمد العباد البدر، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الأولى، العدد الثالث، ذو القعدة ١٣٨٨هـ/ شباط ١٩٦٩م.

٣٧٤-**العقيدة رواية أبي بكر الخلال:** لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبي عبد الله، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، الناشر: دار قتيبة/ دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣٧٥-**العلل المتناهية في الأحاديث الواهية:** لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية/ فيصل آباد، باكستان، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣٧٦-**علماء نجد خلال ثمانية قرون:** للشيخ عبد الله البسام، الناشر: دار العاصمة المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية بتعديلات وزيادات كثيرة، ١٤١٩هـ.

٣٧٧-**عنوان المجد في تاريخ نجد:** لعثمان بن عبد الله بن بشر، حققه وعلق عليه عبد الرحمن آل الشيخ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الطبعة: الرابعة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

٣٧٨-**عوارف المعارف:** لشهاب الدين السهروردي، تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار المعارف بمصر.

٣٧٩-**عون المعبود شرح سنن أبي داود:** لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، المحقق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار النشر: المكتبة السلفية/ المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨.

٣٨٠-**غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام:** لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي/ بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٣٨١-**غاية المرام في علم الكلام:** لسيف الدين الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ.

٣٨٢-**غذاء الألباب شرح منظومة الآداب:** لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار النشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٨٣-**غريب الحديث:** لحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبي سليمان، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.

٣٨٤-**غريب الحديث:** لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبي محمد، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني/ بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ.

٣٨٥-**الغنية لطالبي طريق الحق ﷿:** لعبد القادر الجيلاني، طبعة جديدة مصححة ومفهرسة، قدم لها وخرج آياتها: محمد خالد عمر، أعد فهارسها: رياض عبد الله عبد الهادي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٣٨٦-**فتاوى ابن الصلاح:** المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة/ بيروت، ١٤٠٦هـ.

٣٨٧-**فتاوى الإمام محمد رشيد رضا:** للدكتور صلاح الدين المنجد يوسف ق. خوري.

٣٨٨-**الفتاوى الحديثية:** لأحمد شهاب الدين ابن حجر الهيتمي المكي، دار النشر: دار الفكر.

٣٨٩-**الفتاوى الكبرى:** لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٣٩٠-**فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى-:** اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش.

٣٩١-**فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ:** جمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ.

٣٩٢-**فتح الباري شرح صحيح البخاري:** لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة/ بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣٩٣-**الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني:** لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، حققه ورتبه: أبو مصعب محمد صبحي بن حسن حلاق، الناشر: مكتبة الجيل الجديد/ صنعاء.

٣٩٤-**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:** لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، الناشر: دار الفكر/ بيروت.

٣٩٥-**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد:** لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، راجع حواشيه وصححه وعلق عليه: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، ١٤١٧هـ.

٣٩٦-**فتح المغيث شرح ألفية الحديث:** لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الناشر: دار الكتب العلمية/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

٣٩٧-**الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية:** لأحمد بن عجيبة، تحقيق: عبد الرحمن محمود، عالم الفكر/ مصر.

٣٩٨-**الفتوحات المكية:** لابن عربي، دار الكتب العربية الكبرى بمصر.

٣٩٩-**الفجر الساطع على الصحيح الجامع:** لمحمد الفضيل الشبيهي الإدريسي الزرهوني، تحقيق: فؤاد ريشة.

٤٠٠-**الفردوس بمأثور الخطاب:** لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني الملقب إلكيا، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، سنة النشر: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٤٠١-**الفرق بين الفرق:** لعبد القاهر البغدادي، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٤٠٢-**الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:** لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى، الناشر: دار الفضيلة/ الرياض.

٤٠٣-**الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش):** لأبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، تحقيق: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، سنة النشر: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٤٠٤-**الفصل في الملل والأهواء والنحل:** لأبي محمد ابن حزم، تحقيق: محمد نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل/ بيروت.

٤٠٥-**فصوص الحكم:** لمحي الدين ابن عربي، تعليق: أبي العلا عفيفي، الناشر: دار الكتاب العربي/ بيروت.

٤٠٦-**الفقه الأكبر الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة:** لمحمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: مكتبة الفرقان/ الإمارات العربية، سنة النشر: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٤٠٧-**الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي:** لمحمد بن الحسن الحجوي، ابتدئ طبعه بمطبعة إدارة المعارف بالرباط عام١٣٤٠هـ. وكمل بمطبعة البلدية بفاس في ربيع عام ١٣٤٥هـ.

٤٠٨-**الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة:** لعبد الرحمن عبد الخالق، مكتبة ابن تيمية/ الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ.

٤٠٩-**الفلسفة الصوفية في الإسلام مصادرها ومكانها من الدين والحياة:** لعبد القادر محمود، دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى، ١٩٦٦م.

٤١٠-**فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات:** لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٢م.

٤١١-**الفهرست:** لمحمد بن إسحاق أبي الفرج النديم، الناشر: دار المعرفة/ بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٤١٢-**الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة:** لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي، الناشر: المكتب الإسلامي/ بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٤١٣-**فيض القدير شرح الجامع الصغير:** للمناوي، دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م.

٤١٤-**قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة:** لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: مكتبة الفرقان/ عجمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١هـ.

٤١٥-**القاموس المحيط:** لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الناشر: مؤسسة الرسالة/ بيروت.

٤١٦-**قرارات المجمع الفقهي بمكة المكرمة:** من الأول إلى الثاني بعد المائة، الدورات: من الأولى، إلى السابعة عشرة، ١٣٩٨هـ/ ١٤٢٤م، الطبعة: الثانية.

٤١٧-**قصة الحضارة:** للمؤلف: وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، الناشر: دار الجيل/ بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم/ تونس، عام النشر: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤١٨-**قطر الوليّ على حديث الوليّ:** للشوكاني، تحقيق: إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة.

٤١٩-**قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، ويليه كتاب مسائل الجاهلية:** لمحمد صديق حسن خان القنوجي والإمام محمد بن عبد الوهاب، الطبعة: الأولى، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد/ المملكة العربية السعودية، تاريخ النشر: ١٤٢٢هـ.

٤٢٠-**قواعد التصوف:** لأحمد ابن زروق، ضبطه وعلق عليه: محمود بيروتي، دار البيروتي/ دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٤٢١-**القواعد الحسان في تفسير القرآن:** ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة/ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م..

٤٢٢-**القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى:** لابن عثيمين، أضواء السلف/ الرياض، وأصداء المجتمع/ بريدة، طبعة ١٤١٦هـ.

٤٢٣-**القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع:** للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: بشير محمد عيون، الطبعة: مكتبة المؤيد/ الطائف ومكتبة دار البيان/ دمشق، ١٤٠٨هـ.

٤٢٤-**القول السديد في مقاصد التوحيد:** لعبد الرحمن السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة المملكة العربية السعودية.

٤٢٥-**القول المفيد على كتاب التوحيد:** للعلامة محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ.

٤٢٦-**الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة:** لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، قابله وقدم له وعلق عليه وخرج نصوصه: محمد عوامة وأحمد محمد نمر الخطيب، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن/ جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٤٢٧-**الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل:** لعبد الله بن قدامة المقدسي أبو محمد، الناشر: المكتب الإسلامي/ بيروت.

٤٢٨-**الكامل في التاريخ:** لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، دار النشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الثانية ١٤١٥هـ.

٤٢٩-**الكامل في ضعفاء الرجال:** لعبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبي أحمد الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، الناشر: دار الفكر/ بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٤٣٠-**كتاب تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة:** لخليل بن كيكلدي العلائي، دراسة وتحقيق: د. عبد الرحيم محمد أحمد القشقري.

٤٣١-**كشاف القناع عن متن الإقناع:** لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي ومصطفى هلال، الناشر: دار الفكر/ بيروت، ١٤٠٢هـ.

٤٣٢-**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٤٣٣-**كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس:** للعجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

٤٣٤-**كشف الشبهات:** لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد/ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٤٣٥-**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:** لحاجي خليفة، المحقق: محمد شرف الدين يالتقايا، الناشر: دار إحياء التراث العربي (تصوير من، الطبعة: القديمة الأصلية).

٤٣٦-**كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعين وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين**: لحسين الأهدل اليمني تقديم: أحمد محمود ١٩٦٤م.

٤٣٧-**كشف المحجوب**: للهجويري، ترجمه: إسعاد قنديل، راجع الترجمة: أمين بدوي، إشراف: محمد عويضة، مكتبة الإسكندرية، ١٣٩٤هـ.

٤٣٨-**الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ**: لعبد الرؤوف القاسم، دار الصحابة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤٣٩-**كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام وبراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن مفتريات هذا الملحد الكذاب**: للسليمان بن سحمان، الناشر: أضواء السلف، الطبعة: الأولى.

٤٤٠-**كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع**: لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، المحقق: عبد الحميد الأزهري.

٤٤١-**الكنى والأسماء**: لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، تحقيق: أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار ابن حزم/ بيروت، سنة النشر: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٤٢-**اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**: للسُّيوطي، جلال الدين، الناشر: دار الكتب العلمية.

٤٤٣-**لسان العرب**: لابن منظور، المحقق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار النشر: دار المعارف/ القاهرة.

٤٤٤-**لسان العرب**: لابن منظور، المحقق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار النشر: دار المعارف/ القاهرة.

٤٤٥-**لسان الميزان**: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية.

٤٤٦- **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف:** لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٤٤٧- **لطف السمر وقطف الثمر من تراجم الطبقة الأولى، من القرن الحادي عشر:** لنجم الدين محمد بن محمد الغزي الدمشقي، حققه: محمود الشيخ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي/ دمشق.

٤٤٨- **لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة:** لعبد الملك بن عبد الملك بن يوسف، تحقيق: فوقية حسين محمود، الناشر: عالم الكتب/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م.

٤٤٩- **اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع:** لأبي الحسن الأشعري، تقديم: حمود غرابة، مطبعة مصر شركة مصرية مساهمة ١٩٥٥م.

٤٥٠- **اللمع:** لأبي نصر السراج الطوسي، تحقيق: عبد الحليم محمود، وطه سرور، دار الكتب الحديثة/ مصر، ومكتبة المثنى/ بغداد، ١٣٨٠هـ.

٤٥١- **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد:** لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي.

٤٥٢- **لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية، شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية:** للعلامة السفاريني، تحقيق: عبد الله البصيري، مكتبة الرشد/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٤٥٣- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية:** لشمس الدين، أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها/ دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٤٥٤- **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس:** لابن أبي دينار، الطبعة: الأولى، في مطبعة الدولة التونسية، ١٣٨٦هـ.

٤٥٥- **الماسونية ذلك العالم المجهول دراسة في الأسرار التنظيمية لليهودية العالمية:** لصابر طعيمة، دار الجيل/ بيروت، الطبعة: السادسة، ١٤١٣هـ.

٤٥٦-**الماسونية في العراء:** لمحمد على الزعبي، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ.

٤٥٧-**الماسونية واليهود والتوراة:** لنعمان السامرائي، دار الحكمة.

٤٥٨-**الماسونية:** لأحمد عبد الغفور عطار، هدية من رابطه العالم الإسلامي/ مكة المكرمة، الطبعة: الثالثة، خاصة للرابطة، ١٣٩٨هـ.

٤٥٩-**الماسونية:** لمحمد السقا أميني وسعدى أبي حبيب، منشورات رابطة العالم الإسلامي/ مكة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ.

٤٦٠-**مباحث المفاضلة في العقيدة:** لمحمد الشظيفي، دار عفان.

٤٦١-**المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح:** لعبد المؤمن بن خلف الدمياطي أبي محمد شرف الدين، المحقق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، سنة النشر: ١٤١٤هـ.

٤٦٢-**مثير الوجد في أنساب ملوك نجد:** لراشد بن علي بن جريس الحنبلي، تحقيق: محمد عمر عبد الرحمن العقيل، دارة الملك عبد العزيز، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ.

٤٦٣-**المجتبى من سنن النسائي:** لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية/ حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٤٦٤-**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:** لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر: دار الفكر/ بيروت، ١٤١٢هـ.

٤٦٥-**مجموع الفتاوى:** لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: أنور الباز، وعامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٤٦٦-**المجموع شرح المهذب للشيرازي:** لمحيي الدين النووي، تحقيق: محمد المطيعي، مكتبة الإرشاد/ جدة.

٤٦٧-**مجموع فتاوى الشيخ صالح الفوزان**: لصالح بن فوزان الفوزان، جمع: حمود بن عبد الله المطر وعبد الكريم بن صالح المقرن، الناشر: دار ابن خزيمة/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤٦٨-**مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز**: لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، مصدر الكتاب: موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٤٦٩-**مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين**: لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، المحقق: فتاوى العقيدة، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن/ دار الثريا، الطبعة: الأخيرة، ١٤١٣هـ.

٤٧٠-**مجموع في كشف حقيقة الجزء المفقود (المزعوم) من مصنف عبد الرزاق**: لمحمد بن زياد التكلة، دار المحدث، الرياض، ١٤٢٨هـ.

٤٧١-**مجموعة الرسائل والمسائل النجدية**: لبعض علماء نجد الأعلام، مطبعة المنار/ مصر الطبعة: الأولى، ١٣٤٦هـ.

٤٧٢-**مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية**: لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، الناشر: لجنة التراث العربي.

٤٧٣-**محاسن التأويل**: للقاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ.

٤٧٤-**محاضرات في النصرانية**: لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي/ القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٣٨١هـ.

٤٧٥-**محبة الرسول بين الاتباع والابتداع**: لعبد الرءوف محمد عثمان، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، إدارة الطبع والترجمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٤٧٦-**المحكم والمحيط الأعظم**: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، سنة النشر: ٢٠٠٠م.

٤٧٧-**المحلى**: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٧٨-**مختار الصحاح**: لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، الناشر: مكتبة لبنان/ بيروت ، سنة النشر: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٤٧٩-**المختار في الرد على النصارى**: للجاحظ، تحقيق: محمد الشرقاوي، دار الجيل/ بيروت، مكتبة الزهراء/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

٤٨٠-**مختصر الصواعق المرسلة** لابن القيم: لمحمد الموصلي، دار الندوة الجديدة بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

٤٨١-**مختصر الفتاوى المصرية** لابن تيمية: **لبدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلي**، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار ابن القيم/ الدمام، سنة النشر: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٤٨٢-**المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ الدبيثي**: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، سنة النشر: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤٨٣-**المختصر المفيد في بيان دلائل أقسام التوحيد**: لعبد الرزاق عبد المحسن البدر، مطابع الحميضي، طبعة١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٤٨٤-**مختصر سنن أبي داود**: للحافظ المنذري، ومعه معالم السنن للخطابي، وتهذيب الإمام ابن القيم، تحقيق: أحمد شاكر ومحمد الفقي، دار المعرفة للطباعة والنشر/ لبنان.

٤٨٥-**المختصر في أخبار البشر**: لابن كثير، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة: الأولى.

٤٨٦-**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتاب العربي/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٤٨٧-**المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل:** لعبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران، المحقق: محمد أمين ضناوي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٤٨٨-**المدخل:** لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، الناشر: دار الفكر، سنة النشر: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٤٨٩-**مذاهب التفسير الإسلامي:** للعلم المستشرق إجنتس جولد تسهير، الناشر: مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، مطبعة السنة المحمدية/ القاهرة، ١٣٧٤هـ.

٤٩٠-**مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات عرض ونقد:** لأحمد القاضي، دار العاصمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٤٩١-مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر لعبد الله بن الصديق الغماري.

٤٩٢-**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:** لعلي القاري، المحقق: جمال العيتاني، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٢٢هـ.

٤٩٣-**مروج الذهب للمسعودي:** لأبي الحسن علي المسعودي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الفكر/ بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٤٩٤-**المساجد الأثرية في المدينة النبوية:** لمحمد إلياس عبد الغني، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ.

٤٩٥-**مسألة القرآن:** للشيخ أبي الوفاء علي بن عقيل البغدادي الحنبلي، رواية أبي محمد عبد الواحد بن علامة الأنصاري عنه فيما كتب إليه في الإجازة، تحقيق: الدكتور سليمان بن عبد الله العمير، الناشر: مكتبة السلام، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

٤٩٦-**المستدرك على الصحيحين:** لمحمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م

٤٩٧-**المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام:** لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٤٩٨-**المسك الأذفر:** لمحمود شكري الآلوسي، طبع بمكتبة الآداب/ بغداد، ١٣٤٨هـ.

٤٩٩-**مسند ابن أبي شيبة:** لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، الناشر: دار الوطن/ الرياض، سنة النشر: ١٩٩٧م.

٥٠٠-**مسند الإمام أحمد بن حنبل:** لأحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥٠١-**مسند الطيالسي:** لسليمان بن داود أبي داود الفارسي البصري الطيالسي، الناشر: دار المعرفة/ بيروت.

٥٠٢-**المسيحية:** لأحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية/ القاهرة، الطبعة: العاشرة، ١٩٩٨م.

٥٠٣-**مشارق الأنوار على صحاح الآثار:** للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

٥٠٤-**مشاهير علماء نجد وغيرهم:** لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، الناشر: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ.

٥٠٥-**المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضًا ونقدًا:** لصادق سليم صادق، مكتبة الرشد/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٠٦-**المصباح المنير:** لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية.

٥٠٧-**مصرع التصوف وهو كتابان:** (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد): لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي المحقق: عبد الرحمن الوكيل، الناشر: عباس أحمد الباز/ مكة المكرمة.

٥٠٨-**مصطلحات الصوفية:** للقاشاني، دار المنار/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

٥٠٩-**مصنف عبد الرزاق:** لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

٥١٠-**المصنف في الأحاديث والآثار:** لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٥١١-**المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية:** للحافظ ابن حجر، تحقيق: مجموعة من المحققين، تنسيق: سعد الشثري، الناشر: دار العاصمة ودار الغيث/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٥١٢-**المطلع على أبواب المقنع:** لمحمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي أبي عبد الله، تحقيق: محمد بشير الأدلبي، الناشر: المكتب الإسلامي/ بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٥١٣-**مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة:** لإدريس محمود إدريس، مكتبة الرشد/ الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ.

٥١٤-**مع الفلسفة اليونانية:** لمحمد مرحبا، منشورات عويدات، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٨م.

٥١٥-**معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول:** لحافظ بن أحمد حكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبي عمر، الناشر: دار ابن القيم/ الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٥١٦-**معالم التنزيل:** لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٥١٧-**معالم السنن**: للخطابي أبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي، الناشر: المطبعة العلمية/ حلب، الطبعة: الأولى، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

٥١٨-**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**: لعبد الواحد المراكشي، طبع في مدينة لندن بمطبعة بريل، سنة ١٨٨١م.

٥١٩-**معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**: لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.

٥٢٠-**المعجم الأوسط**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين/ القاهرة، سنة النشر: ١٤١٥هـ.

٥٢١-**معجم البلدان**: لياقوت بن عبد الله الحموي أبي عبد الله، الناشر: دار الفكر/ بيروت.

٥٢٢-**المعجم الصغير (الروض الداني)**: لأبي سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار/ بيروت، عمان، سنة النشر: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥٢٣-**معجم ألفاظ الصوفية**: لحسن الشرقاوي، مؤسسة مختار/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٥٢٤-**المعجم الكبير**: لسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة الزهراء، سنة النشر: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٥٢٥-**معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**: لعمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى/ بيروت، دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٥٢٦-**المعجم المختص**: للمرتضى الزبيدي، تحقيق: محمد البخيت ونوفان السوارية، مراجعة: إبراهيم عبد المجيد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ.

٥٢٧-**معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب:** لمجدي وهبه كامل المهندس مكتبة لبنان/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٤م.

٥٢٨-**معجم المصطلحات والألقاب التاريخية:** لمصطفى عبد الكريم الخطيب، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٥٢٩-**معجم المطبوعات العربية والمعربة:** جمعه ورتبه: يوسف اليان مركيس، منشورات مكتبة: آية الله العظمى المرعشي النجفي.

٥٣٠-**معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية:** لعاتق بن غيث البلادي الحربي، الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع/ مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٥٣١-**المعجم الوسيط:** لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادرو محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار النشر: دار الدعوة.

٥٣٢-**معجم قبائل العرب القديمة والحديثة:** لعمر رضا كحالة، دار العلم للملايين/ بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٥٣٣-**معجم مصطلحات الصوفية:** لعبد المنعم الحنفي دار المسيرة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ.

٥٣٤-**المعلم بفوائد مسلم:** للمازري، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات/ بيت الحكمة، ١٩٨٨م.

٥٣٥-**مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج:** لمحمد الخطيب الشربيني، الناشر: دار الفكر/ بيروت.

٥٣٦-**المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني:** لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الناشر: دار الفكر/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٥٣٧-**مفاخر الأجيال في سير أعاظم الرجال:** لإبراهيم مصطفى الوليلي، المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر/ مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٥٣هـ.

٥٣٨-**مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة:** لابن قيم الجوزية، دار النشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، سنة الطبع: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٥٣٩-**مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة:** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت.

٥٤٠-**المفهم في حل ما أشكل من تلخيص كتاب مسلم:** للقرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو، ويوسف علي بدوي، وأحمد محمد السيد، ومحمود إبراهيم بزّال، دار ابن كثير/ دمشق/ بيروت، دار الكلم الطيب دمشق/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

٥٤١-**مقاتل الطالبيين:** لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق : السيد أحمد صقر، طبعة: منشورات الشريف الرضي/ قم، الطبعة : الثانية، ١٤١٦هـ.

٥٤٢-**المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة:** لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥٤٣-**مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:** لعلي بن إسماعيل الأشعري أبي الحسن، تحقيق: هلموت ريتر، الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت، الطبعة: الثالثة.

٥٤٤-**مقاييس اللغة:** لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥٤٥-**مقدمة ابن الصلاح:** لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، الناشر: مكتبة الفارابي، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م.

٥٤٦-**الملل والنحل:** لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة/ بيروت، ١٤٠٤هـ.

٥٤٧-**المنار المنيف في الصحيح والضعيف:** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية/ حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥٤٨-**منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل**: لمحمد عليش، الناشر: دار الفكر/ بيروت، سنة النشر: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٥٤٩-**منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر**: لعلي القارئ، ومعه التعليق الميسر على شرح الفقه الأكبر لوهبي غاونجي، دار البشائر الإسلامية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

٥٥٠-**منهاج السنة النبوية**: لشيخ الإسلام بن تيمية، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة لأولى.

٥٥١-**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**: لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٥٥٢-**المنهاج في شعب الإيمان**: للحسين بن الحسن الحليمي أبي عبد الله، المحقق: حلمي محمد فودة، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥٥٣-**منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير**: لفهد الرومي، طبع بأذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية/ الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٠٣هـ.

٥٥٤-**المهذب في فقه الإمام الشافعي**: لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبي إسحاق، الناشر: دار الفكر/ بيروت.

٥٥٥-**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - الخطط المقريزية**: لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، المحقق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، الناشر: مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م.

٥٥٦-**الموافقات للشاطبي**: لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٥٥٧-**المواقف**: لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م.

٥٥٨-**مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل:** لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني، المحقق: زكريا عميرات، الناشر: دار عالم الكتب، طبعة خاصة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٥٥٩-**المواهب اللدنية بالمنح المحمدية:** لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبي العباس، الناشر: المكتبة التوفيقية/ القاهرة.

٥٦٠-**الموجز في الأديان والمذاهب:** لناصر القفاري وناصر العقل، دار الصميعي للنشر والتوزيع/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

٥٦١-**المورد في عمل المولد:** لعمر بن علي بن سالم بن صدقة تاج الدين الفاكهاني، المحقق: علي بن حسن بن عبد الحميد، الناشر: دار العاصمة/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٥٦٢-**الموسوعة العربية العالمية:** الطبعة: الأولى، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ.

٥٦٣-**الموسوعة العربية الميسرة:** الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، إشراف: محمد شفيق غربال، المكتبة العصرية/ صيدا، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٩م.

٥٦٤-**الموضوعات:** لابن الجوزي، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٥٦٥-**موقف ابن تيمية من الأشاعرة:** لعبد الرحمن المحمود، الناشر: مكتبة الرشد/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٦٦-**ميزان الاعتدال في نقد الرجال:** لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، سنة النشر: ١٩٩٥م.

٥٦٧- **ناسخ الحديث ومنسوخه:** لأبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، الناشر: مكتبة المنار/ الزرقاء، سنة النشر: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٥٦٨- **النبوات:** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دراسة وتحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف/ الرياض/ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٥٦٩- **نتائج الأفكار القدسية في بيان شرح معاني الرسالة القشيرية:** للسيد مصطفى العروسي وزكريا الأنصاري الشافعي، طبعة دار الطباعة العامرة/ مصر، سنة: ١٨٧٣م/ ١٢٩٠هـ.

٥٧٠- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:** لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي/ مصر.

٥٧١- **نزهة الأسماع في مسألة السماع:** لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: وليد عبد الرحمن الفريان، الناشر: دار طيبة/ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٥٧٢- **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام الزهد والتصوف في القرنين الأول والثاني الهجريين:** لعلي سامي النشار، الطبعة: الثامنة.

٥٧٣- **نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها:** لعرفان فتاح، دار الجيل/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

٥٧٤- **النصرانية والإسلام:** لمحمد الطهطاوي، مكتبة النور، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

٥٧٥- **نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله ﷻ من التوحيد:** لأبي سعيد عثمان بن سعيد، الناشر: مكتبة الرشيد/ الرياض.

٥٧٦- **نهاية الإقدام:** لعبد الكريم الشهرستاني، حرره وصححه: الفرد قيوم.

٥٧٧- **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج:** لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير، الناشر: دار الفكر للطباعة، سنة النشر: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٥٧٨-**النهاية في الفتن والملاحم:** لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ضبطه وصححه: الأستاذ عبده الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٥٧٩-**النهاية في غريب الحديث والأثر:** لابن الأثير أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

٥٨٠-**نواسخ القرآن لابن الجوزي:** لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد أشرف علي المليباري، وأصله رسالة ماجستير -الجامعة الإسلامية- الدراسات العليا- التفسير، ١٤٠١هـ، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٥٨١-**نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار:** لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية.

٥٨٢-**هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة:** لابن حجر العسقلاني، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: علي الحلبي، دار ابن القيم، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٨٣-**هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين:** لإسماعيل باشا البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية/ استانبول، سنة ١٩٥١م، أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٥٨٤-**الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية:** لمحمد تقي الدين الهلالي، الطبعة: الثانية.

٥٨٥-**هذه مفاهيمنا:** للدكتور صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٥٨٦-**الوافي بالوفيات:** لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث/ بيروت، سنة النشر: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٥٨٧-**وفاء الوفا بأخبار المصطفى:** لنور الدين السمهودي، تحقيق: قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٨٨-**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:** لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧١م.

٥٨٩-**اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة:** لمحمد البشير ظافر الأزهري، طبع بمطبعة الملاحي العباسية، التابعة لجمعية العروة الوثقى، سنة ١٣٢٤هـ.

ثالثًا: الرسائل العلمية:

١- **أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية:** بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى، إعداد الطالب: عبد الله أحمد آل حامدي، إشراف: محمد صالح بدوي، ١٤١٧هـ/ ١٤١٨هـ.

٢- **أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد (رسالة دكتوراه): إعداد:** ناصر القفاري، من جامعة الإمام محمد بن سعود/ قسم العقيدة.

٣- **عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي (رسالة دكتوراه):** إعداد: صالح العبود، إشراف: عبد المحسن العباد، الناشر: المجلس العلمي مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، سنة النشر: ١٤٠٨هـ.

٤- **موقف الإسلام من السحر (رسالة ماجستير):** إعداد: حياة بأخضر، إشراف: صلاح عبد العليم، عام ١٤٠٨هـ. المملكة العربية السعودية/ جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين، فرع العقيدة.

رابعًا: المجلات:

١- **مجلة البحوث الإسلامية:** العدد الخامس والثمانون، مجلة دورية، تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد/ الرياض.

٢- **مجلة جامعة الإِمام محمد بن سعود الإِسلاميَّة:** العدد السابع والثلاثون، محرم ١٤٢٣هـ، مجلة علمية محكمة المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي جامعة الإِمام محمد بن سعود الإِسلاميَّة عمادة البحث العلمي.

٣- **مجلة فكر ونقد:** العدد السابع والثمانون، مارس ٢٠٠٧م، مجلة فلسفية عربية، مديرها ورئيس تحريرها: محمد عابد الجابري.

فهرس الموضوعات

Chapter five discusses being an Imam, companions of the prophet, belief, and the subjects related to them from the Hajj Travel books as well as the evaluation of these subjects.

Chapter six discusses the sectors, the religions, and the subjects related to them from the Hajj Travel books as well as the evaluation of these subjects.

The conclusion includes the most important results and recommendations. An most important result is that the books of travels to the Hajj are characterized by an abundant scientific material in various disciplines i.e. religious sciences, as well as historical and social and other sciences. However, they contain several of faith contradictions that necessitated their study, evaluation and correction. The results also shows the significant effects that resulted from the call of the modernizer Shiekh Mohamed bin Abdul Wahab – may he rests in peace - in the Islamic World. And as a result, the creed of the predecessors had spred; and the aspects of polytheism and introduction of new unlawful thoughts in religion diminished.

The most important recommendations include the need to exert more efforts to educate those coming to Hajj and Omrah as regards their beliefs and the matters of their religion. Also to pay attention to the rest of the Hajj travels books in Arabic and in other languages to evaluate their belief issues based on Quran, the Sunnah of Prophet Mohamed and the Creed of the Predecessors.

Finally: the general scientific indexes.

In the name of Allah, most Gracious, most Merciful

Abstract:

Praise be to Allah alone, and peace and blessing on his Prophet

This is an abstract of a Scientific Paper entitled: "The Faith Issues in the Arab Hajj Books from the Eleventh Hijri Century to the Thirteenth Hijr Century: Presentation and Evaluation" submitted in fulfillment for the Degree of Masters Degree from the Department of Faith and Contemporary Creeds, Imam Mohamed bin Saud University, prepared by the student Wafaa bint Abdullah Al-Damigh.

The most important objectives of the dissertation are to mention the faith issues in the Hajj books – the subject matter of the study, present them and to criticize them from an Islamic lawful point of view.

The dissertation includes a Foreword, an Introduction, six Chapters, a Conclusion and an Index.

The foreword outlines the importance of the subject, the reasons for choosing this subject, the methodology of the research, and the plan of the research.

In the introduction, there is a definition of the literature and importance of the Hajj travels, and a brief overview of the conditions of the Islamic nation in the 11th, 12th and 13th centuries.

Chapter one identifies the books and authors of the Arab Hajj Travels in the 11th, 12th and 13th centuries.

Chapter two discusses the unification of knowledge, the verification and its proofs, and the subjects related to them from the Hajj Travel books as well as the evaluation of these subjects.

Chapter three discusses the unification of the intention and purpose and the proofs thereof, and the subjects related to them from the Hajj Travel books as well as the evaluation of these subjects.

Chapter four discusses all principles of beliefs; such as the belief in angles, the belief in the judgment day, the belief in the acts of Allah, and the subjects related to them from the Hajj Travel books as well as the evaluation of these subjects.